

Comparative Religions
Faculty of Usuluddin
International Islamic
University
Islamabad – Pakistan

قسم مقارنة الأديان
كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد
جمهورية باكستان الإسلامية



كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية

ترجمة وشرحا

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

قدمتها الطالبة

مريم سليمان ما يو شيانغ MA YUEXIANG

رقم التسجيل 99-FU/PHD/S08F

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / أحمد جان الأزهرى

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد باكستان

العام الجامعي: 1437 هـ - 2016 م



6299
K

Accession No TH19903

PhD ★

٢٩١
م ر ك
أديان - بحوث
أديان - مقارنة
أديان - تراجم
أديان - كونفوشيوسية
أديان - وسطية
أديان - اعتدال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّا فَخْرُكُمْ مِنْكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَعَلِيمٌ خَبِيرٌ)^١

中庸



كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية - ترجمة وشرحاً

儒家《中庸》——阿拉伯语文本的翻译与简释

巴基斯坦伊斯兰堡国际伊斯兰大学 宗教原理系 宗教比较专业 二零一六年度博士论文

قسم مقارنة الأديان
كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية العالمية
بإسلام آباد - باكستان

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

أجريت مناقشة البحث الذي قدمته

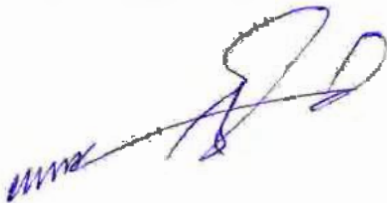
الطالبة: مريم سليمان MA YUEXIANG

رقم التسجيل الجامعي: 99-FU/PHD/S08 F

بعنوان: كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية - ترجمة وشرحا

بتاريخ: / / ٢٠١٦م

الرقم	المشرف	الاسم	التوقيع
١	المشرف	الد. أحمد جان الأزهرى	
٢	المناقش الداخلي	الد. نبيل قولى	
٣	المناقش الخارجي	الد. علي أصغر ششتى	
٤	المناقش الخارجي	الد. ضياء الله شيرازى	



الإهداء

أهدي ثواب هذا العمل المتواضع إلى روح أبي،
وكان أرسلني إلى بلاد باكستان المباركة في سبيل تعلم الدين وطلب العلم، وعلمني الصبر
والزهد ...

وإلى روح أمي، التي أرضعتني الإسلام والإيمان، وتحملت غيابي عنها لمدة طويلة في
سبيل طلب العلم والحق ...

وإلى زوجي الكريم، وقد ترك فرصة لدراساته العليا في نصف طريقه من أجل رعاية
الأسرة، كي أكمل دراستي ...

وإلى أولادي الأحباب، الذين صبروا على تقصير أمهم في العناية بهم والرعاية لهم،
يرجعونني بابتسامهم العذب ...

وإلى كل من يحب الحق والصديق ...

الشكر والتقدير

لحمد الله وأشكره أولاً وأخيراً، على حسن توفيقه وكريم عونه وفضله على في إتمام هذه الرسالة العلمية، فلا حول ولا قوة لي على إتمامها إلا بتوفيق منه تعالى.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فعملاً بقول الله عز وجل: (لئن شكرتم لأزيدنكم)^١ وانطلاقاً من قول النبي ﷺ وامتثالاً لهديه ﷺ " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " ^٢ فلولا أتوجه ببالح الشكر وعظيم التقدير للجامعة الإسلامية العالمية بصفة عامة، وكلية أصول الدين بصفة خاصة التي أفلحت لي فرصة الارتواء من عيونها العذبة والتزود منها، فأسأل الله تعالى أن يزيدها تقدماً وازدهاراً وأن يحفظها ويراعيها ويزيد خيرها.

وأقدم هنا بعظيم شكري وجزيل امتناني لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد جان الأزهرى (حفظه الله ورعاه) الذي بسعدني أن تتلمذت على يديه، والذي تكرم بالإشراف على هذا البحث من البداية إلى النهاية، وصحح الأخطاء فيه، ولم ييخل علي بشيء من غزير علمه وصديق توجيهه وإرشاده، رغبة في الوصول إلى الحق وخدمة العلم، وقد أفادني بأرائه القيمة في الفكر وأسلوب التعبير وصياغة الفوائد اللغوية في هذه الرسالة العلمية، ورأيت منه شدة الحرص على إظهار هذا البحث بمظهر لائق. وأسأل الله أن يكافئه على ذلك، ويجعله من العطاء المخلصين في سبيل خدمة الدين ودعوته، وأن يمد له في عمره وأن يرزقه الصحة والعافية، ويبارك له في أسرته وأولاده.

وأقدم شكري لرئيس قسم مقارنة الأديان الدكتور محمد أكرم، على مساعدته القيمة على حل المشاكل التي واجهتني، في أثناء التسجيل وقبول الخطة واختيار المشرف، أسأل الله أن يوفقه في العمل. وكذلك أقدم شكري للأستاذ الدكتور جمال معاد المشرف السابق، مع أنه لم يستطع أن يشرف علي رسالتي بسبب رجوعه إلى وطنه مصر، وقد أعطاني في إعداد

١- سورة إبراهيم، الآية ٧.

٢- أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٣٢٩/٤.

رسالتى فائق اهتمامه وقام لها بالدفاع الحماسى عن قبول خطتها فى مجلس الدراسات العليا، وأسأل الله تعالى أن يرزقه الصحة والسلامة.

كما أوجه بشكرى الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عيسى محمد ميشائو رئيس قسم الدراسات الإسلامية لكلية الآداب والدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي - صكتو، وقام بتصحيح كثير من العبارات والأخطاء اللغوية والإملائية، وشجعتنى فى تقريره العلمى على مواصلة الجهود فى مجال الترجمة والدراسة لأهم الكتب التراثية الصينية لخدمة للتبادل الثقافى والعلمى والاقتصادى بين الصين والعالم الإسلامى. وأيضاً أقدم شكرى الخالص للأستاذ الدكتور زهرة الدين طيب من كلية علم الأعراق البشرية وعلم الاجتماع بجامعة القوميات لشمالي غربى الصين - لان تشيو، كتب لى الملاحظات القيمة وآراء التصحيح الثمينة فى رسالتى المتواضعة حينما أرسلت إليه للحصول على التقرير العلمى الدولى لها، أسأل الله أن يمددهما بالعافية والتوفيق ويجزيهما عنى خير الجزاء.

وأقدم شكرى وعظيم امتناني للدكتور نبيل فولى رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، وأشار - وهو المناقش الداخلى للرسالة - إلى خطأ التعبيرات الكثير فى الرسالة، وبذل جهداً كبيراً فى التصحيح والتوجيه والصياغة لها، رغم انشغاله الكثير بمهام كلية الدراسات الإسلامية، أسأل الله أن يكافئه على ذلك كثيراً، وأن يرزقه الصحة والعافية، ويبارك له فى أسرته.

وكذلك أرحى شكرى وتقديرى للمناقشين الخارجيين للرسالتى هذه : الأستاذ الدكتور علي أصغر ششتي من كلية الدراسات الإسلامية بجامعة علامة إقبال المفتوحة - إسلام آباد، والأستاذ ضياء الله شيرازى رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بيشاور، والأستاذان الكريمان أعطيانى فى المناقشة توجيهات مفيدة وآراء نفيسة فى تكميل الرسالة على أحسن صورة، والأستاذ ضياء الله شيرازى اقترح على طياعة ونشر هذه الرسالة المتواضعة ليفيد القراء بالعربية، وشجعتنى على مواصلة ترجمة الكتب التراثية الصينية باستمراره، وكلامه

المشجع هذا سوف يدفعني في طريق البحث والدراسة في هذا المجال العلمي، إن شاء الله !
أدعو الله أن يرزقهما الصحة ويزيد لهما عمراً.

وأخيراً، أزجي الشكر والتحية لجميع الاساتذة الكرام - حفظهم الله تعالى - الذين
أفادوني ديناً وعلماً وخلقاً، وأشكر كل من لم يدخر وسعاً في إهداء النصائح والتوجيهات
إليّ ، وأشكر أيضاً كل من أعانني في إتمام هذا البحث العلمي معنوياً ومادياً، أسأل الله أن
يجزي جميعهم خير الجزاء.

وأخيراً دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله خير خلقه سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

أمين، يا رب العالمين !

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^٣ وقال سبحانه: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)^٤.

شاعت حكمة الله أن يكون البشر من ذكر وأنثى، فللرجل خصائص جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية من أجل إكمال مهمته، وكذلك للمرأة مميزات خاصة من أجل إكمال مسؤوليتها، وإنما الرجل والمرأة متكاملان متعاونان، وكل منهما يسكن ويطمئن مع الطرف الآخر. كما أن من آيات الله أن يكون البشر شعوبا وقبائل، وكل شعب له ثقافته وعاداته وظروفه ولغته وشكله، مما يجعل له مختلفا عن أى شعب آخر فالإنسان ذكر وأنثى ولكل منهما خصائص مميزة، والبشر في الأرض شعوب وقبائل، ولكل منها خصائص هوية، وهذا ليس من أجل أن نتقاتل ونتحارب بل لتتعارف وتتعاون، ولا من أجل أن يتصلبوا أو يستعمر بعض الأمم بعضا ثقافيا كان أو عسكريا، بل لتتبادل حضاريا وتحافظ على سلام العالم وأمنه معا.

وإذا نظرنا إلى كرة الأرض التي يعيش فيها بنو آدم، فإننا لننتفت أول التفات إلى آسيا، وهى القارة ذات أكبر مساحة وأكثر تسمية تمتاز بأنها أقدم مهد للحضارات الإنسانية وأوفر منبع للأديان العالمية، حيث يعيش فيها جميع أجناس بنى آدم الأبيض والأصفر والأسود، وهى أقدم

٣- سورة الحجرات ورقم الآية ١٣.

٤- سورة الأنعام، ورقم الآية ٦٩٥.

مهد عاشت فيها حضارة ما بين النهرين، وحضارة الهند وحضارة الصين وحضارة الفرس، وأوفر منبع ينبع منه الأديان من اليهودية والهندوسية والبوذية والمسيحية والإسلام.

وأنا كطالبة صينية مسلمة في تخصص مقارنة الأديان، أتمتع بأعظم نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، وهي أنى ولدت في أسرة مسلمة، ونشأت في بلاد ذات تاريخ عريق وحضارة باهرة، مع ألى قصيرة النباح في العلم والمعرفة، فقد بدت لي رغبة شديدة في نقل " كتاب الوسطية والاعتدال "، وهو يمثل أعلى درجة في النظرية المنهجية والأخلاقية بالحضارة الصينية عامة ومذهب الكونفوشيوسية خاصة؛ نقلا من لغته الصينية الأصلية إلى اللغة العربية، رجاء أن يكون في جهودى المتواضعة خير وصلاح في خدمة دين الله الخالد، وأن يزيد بها شيئا بسيطاً وجديداً في مجال علم مقارنة الأديان عند المسلمين، لكى يستفيد منه الباحثون في هذا الحقل العلمى إن شاء الله تعالى. فمن أجل تلبية دعوة الإسلام في خدمة العلم وتبادل الحضارة وتعارف الشعوب، عقدت عزمى على تقديم هذا البحث تحت العنوان " كتاب الوسطية والاعتدال ترجمة وتبرحا " بإشراف مشرفى الكريم الأستاذ الدكتور أحمد جان الأزهرى - طوّل الله يده في العلم والفضل.

وملأين فيما يلى أسباب اختيار الموضوع وأهميته، ومنهج البحث وأهم المصادر المعتمدة في البحث والدراسة، وأشدّ المشاكل التى تواجهنى خلال الترجمة والشرح، وهى كما يلى:

١- أسباب اختيار الموضوع وأهميته

أولاً: وما لا شك فيه أن بلاد الصين مهد من مهد الحضارة الإنسانية القديمة، وتتمتع بسجل تاريخى محقق منذ حوالى خمسة آلاف سنة، ويرجع تاريخ نشأة ثقافتها العتميزة إلى الملك العظيم " هوانغ دى " (٢٧١٧ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م)، وقد بلغت نضجها في عهد مملكة أسرة " تشو " الغربية (١٠٦٦ ق.م - ٧٧١ ق.م). ولما جاء الحكيم كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد، ورث هذه الثقافة الصينية القديمة وطورها، وصاغ منها مذهبه الفلسفى الأخلاقى الذى يعتبر مدرسة مثالية

ورسمية في بلاد الصين، وقد تركت الكونفوشيوسية أثرا عميقا للشعب الصيني في حياته الفردية والاجتماعية منذ بضعة وعشرين قرنا. كما تأثر بالكونفوشيوسية كثير من الدول المجاورة للصين في مناطق شرقى آسيا وجنوبها الشرقي مثل اليابان، وكوريا، وفيتنام، وتايلاند وغيرها، من ناحية الأيديولوجية الاجتماعية إلى العادات الفردية اليومية حتى عصرنا الحاضر.

إن العالم في القرن الواحد والعشرين لم يعد أى جزء من أجزائه مستقلا عن الآخر كما كان عليه في الماضي، بل أصبح قرية مصغرة عالمية بتطور ثروة المعلومات المريعة حيث يتصل كل جزء فيها بالجزء الآخر اتصالا وثيقا، ولذلك أصبح التعاون بين الأمم المختلفة والتعارف بين الثقافات في المناطق المتعددة له أهمية عظيمة لم تكن عليها سابقا. وإن ثقافات كل الشعوب على هذا الكوكب أى الأرض هي ميراث قيم ولؤلؤ متثور لجميع الأمم من بنى آدم ليستفيد بعضها بعضا. فعلىنا في عصر الإنترنت، عصر التراكم المعرفى والتحصيل العلمى، أن نبني جسرا جديدا لتحقيق السلام والتفاهم في تاريخ البشرية عبر التعلم المتبادل والتنمية المشتركة.

ومن المعروف أن التبادل الثقافى والاقتصادى بين الأمتين الصينية والعربية، له جذور عريقة مع امتداد " طريق الحرير" في تاريخ العالم. نتقدم عجلة التاريخ إلى يومنا هذا، وخاصة بعد أن طرح الرئيس الصينى " شي جين بينغ " دعوته السياسية " الحزام والطريق " لتعزيز الحوار والتواصل والمبادلات الثقافية والسياسية والاقتصادية بين الصين والعالم الإسلامى، فوجدت أن هناك حاجة ملحة إلى ترجمة أمهات الكتب التراثية الصينية وتقديمها إلى العالم الإسلام العربى، وخاصة مصانير الكونفوشيوسية بترجمتها من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، من أجل تنمية هذا التبادل والتواصل على مستوى الحكومات وشعوبها.

ثانيا: ولا يخفى على أحد أن فى حال الانشغال بعلم مقارنة الأديان يحتاج الباحث قبل كل شيء إلى المعرفة الدقيقة والعلم الوامع للأديان والمذاهب المختلفة، ولا يتم هذا الفضل إلا لمن بحث ودرس في مصانيرها الأصلية. وعلى هذا الأساس يتقدم الغرب فى هذا المجال تقدما عظيما،

وأهم الأسباب التي ساعدتهم على التقدّم في هذا المجال هو وقوفهم النائم على المصادر الدينية المقدسة لجميع أديان العالم، وعلى سبيل المثال فقد أخرج العلماء الغربيون سلسلة عظيمة من ترجمة الكتب الدينية الآسيوية باسم الكتب المقدسة من الشرق في سنة ١٨٩٤م^٥، وهذا العمل العظيم قد يستر للباحثين الوصول إلى النصوص الدينية الشرقية من مصادرها الأولى.

ولكن حين نلّفت إلى المكتبة الإسلامية والعربية، نجد هناك فراغا كبيرا، وخاصة في مجال الديانات الصينية ومذاهبها التي تعدّ من أعرق وأضخم الحضارات القديمة في العالم كله، وبالأخص مذهب الكونفوشيوسية، ولم تتمّ حتى يومنا هذا ترجمة الأسفار الخمسة والكتب الأربعة الكونفوشيوسية، سوى كتاب الحوار وقد ترجم بيد الأستاذ محمد مكين (MA JIAN) في بداية الأربعينيات من القرن الماضي من خلال دراسته في جامعة الأزهر الشريف وقتئذ، ثمّ كتاب المعرفة الكبرى وقد تمّت ترجمته بيد الدكتور زهرة الدين طيب (MA XIAOPEI) في سنة ٢٠٠٣م لنيل الدرجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

ومن هنا عقدت عزمي على أن أترجم أهمّ كتب في مجال نظرية المنهج والتهذيب الأخلاقي في مذهب الكونفوشيوسية، وهو (كتاب الوسطية والاعتدال) من لغته الصينية الأصلية إلى اللغة العربية مباشرة مع الشرح والتعليل عليه، وأرجو أن يكون عملي المتواضع هذا - بإذن الله تعالى - تمهيدا مفيدا للباحثين المسلمين المتخصصين في الدراسة والبحث في ثقافة الصين القديمة عامة وفي مذهب الكونفوشيوسية خاصة، وأن يكون فيه إسهام وأهمية في إثراء المكتبة الإسلامية والعربية بمادة عربية حول هذه الديانة، وهي إحدى كبرى الديانات في الثقافة الصينية.

ثالثا : ومن المعروف أن العلماء المسلمين في مجال مقارنة الأديان قديما وحديثا، قد درسوا الأديان سواء كانت سماوية أو أرضية، وتعمّقوا في دراستها، وبالأخص الديانات الشهيرة من

^٥ - The Sacred Books of the East is a monumental 50 volume set of English translations of Asian religious writings, edited by Max Müller and published by the Oxford University Press between 1879 and 1910.

اليهودية والنصرانية والهندوسية، وقد برز من بينهم علماء موسوعيون، مثل أبي الحسن العامري والشهرستاني والبيروني، وقدموا خدمات عظيمة في سبيل خدمة الدين والعلم والحضارة. ولكن قليلا منهم قدموا دراسات في الديانات الصينية وفلسفتها، وقد تكلم الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) عن الديانة الكونفوشيوسية^٦، ولكن بصورة موجزة لا تغني ولا تكفي من مرجع، وهذا يعتبر أقدم الكتابات التي قدمها العرب المسلمون في دراسة الحضارة الصينية.

وكذلك لا تتوفر الكتابات عنها باللغة العربية متوفرة في عصرنا الحاضر الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة بوسائل النقل والإعلام، وخاصة الكتب المقدسة الكونفوشيوسية التي ما زال معظمها لم يترجم بعد من اللغة الصينية إلى اللغة العربية. ولعلنا نجد اليوم بعض الكتب القليلة التي تتناول الكونفوشيوسية، ولكن لا تشفى غليل من يرغب في معرفة هذه الديانة وفهمها بصورة دقيقة. ونظرا للواقع العلمي المتأسف عليه، أحاول أن أترجم كتاب (الوسطية والاعتدال) من لغته الأصلية إلى اللغة العربية، مع توضيح الجوانب المبرزة للكونفوشيوسية وأهم النظريات العلمية في هذا الكتاب، للقراء الكرام في بلاد العرب خاصة ولكل المسلمين في أنحاء العالم عامة.

٢- منهج البحث وأهم المصادر المعتمدة في الترجمة والشرح

ومن خلال ترجمة كتاب (الوسطية والاعتدال) من لغته الأم إلى اللغة العربية مع شرحه والتعلق عليه، على سبيل تيسيره للقراء بالعربية لفهم معنى النصوص وإدراك أفكارها، سأتخذ في دراستي هذا المنهج الوصفي على ثلاث خطوات بحثية في إعداد رسالتي هذه.

والخطوة الأولى: وضعت لكل فصل من فصول الكتاب تمهيدا قصيرا، بينت فيه بصورة موجزة مقاصد النص إجماليا مع توضيح المناسبات والعلاقات بين النصوص وعباراته، لكي يساعد القراء على فهم بيئة الأفكار الرئيسية في النص. إذ كان المؤلف عاش في بلاد الصين قبل أربعة

٦- الملل والنحل للشهرستاني: تاريخ المعرفة ببغداد والطبعة الثانية، وانظر النيل من تحقيق محمد سيد كيلاني، صفحة ٨٠.

وعشرين قرناً، وقد يستغرب القراء بالعربية إلوم أسلوب تعبير المؤلف في كتابته، فعمدتُ لكتابة تمهيد موجز للدخول في مَرح مفاهيم النص.

والخطوة الثانية: وضعتُ النص الأصلي باللغة الصينية القديمة وترجمته الحديثة (وهي الترجمة الحديثة لكتاب الوسطية والاعتدال للأستاذ " لي كا هونغ " بجامعة شيانغهي) كليهما في بداية كل فصل من فصول الكتاب، ثم بدأتُ ترجمته باللغة العربية، وهذا من أجل الأمانة العلمية أولاً، كما يسهل ثانياً لمن يريد أن يرجع إلى نصّه الأصلي باللغة الصينية مباشرة.

والخطوة الثالثة: وهي طريق الشرح للنص، وفيه أسرد أقوال كبار العلماء الكونفوشيوسيين في بيان النص وشرحه لفظياً ومعنوياً، وإذا كان هناك حاجة أكتب في بداية الأمر لمحة عامة تركز على الأفكار الرئيسية المذكورة في مقاصد النص. وفي النهاية أعرض رأيي نفسي الشخصي بعد شروح العلماء في معاني النص، مستعيناً بالمصادر الكونفوشيوسية وآراء العلماء عندهم على سبيل التلخيص والاستدراك.

وفي أثناء ترجمة النص من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، حاولت بأقصى جهودي أن أتبع وأطبق مبادئ الترجمة الثلاثة الأساسية في عمل الترجمة. وهي الأول: حفظ الأمانة والصدق في ترجمة معنى النص بين اللغتين الصينية والعربية، والثاني: مراعاة السلامة في استعمال الألفاظ والسلاسة في التعبير والإنشاء، والثالث: الحفاظ على حسن التصوير والمساعى البلاغية. وهذه المبادئ الثلاثة في للترجمة هي توصية علمية من الأستاذ محمد مكي - رحمه الله - لمن يقوم بعمل الترجمة عامة وللباحثين المترجمين بين اللغة الصينية واللغة العربية خاصة.

وبالإضافة إلى ذلك، لم أهمل ولم أقلل درجة كتاب الوسطية والاعتدال من حيث إن له مكانة مقدسة عند أصحاب الكونفوشيوسية (وكانت الكتب الأربعة عندهم مثلها مثل العهد الجديد عند النصارى، بينما احتلت الأسفار الخمسة عندهم مكانة العهد القديم في النصرانية)، ونظراً لهذه الأهمية، فقد اتخذت موقف الاحتياط والتدقيق - من أجل الأمانة العلمية واحترام الغير

وعقيدتهم - في كل خطوة من خطواتي في شرح النص وإيراد أقوال العلماء فيه، فلم أستدل إلا بأشهر الشروح المعتمدة عند العلماء الكونفوشيوسيين، حتى يمكنني ذلك من اختيار أصدق وأدق التعابير المترجمة لمعاني النصوص الأصلية إلى القراء بالعربية في دراسة هذا الكتاب القيم للكونفوشوسية.

وأما أهم المصادر والمراجع التي أعتمد عليها في شرح للنص وبيانه، فهي على سبيل المثال: الأول: "الشرح المسند" لكتاب الأدب لـ "جينغ شوان" (١٢٧م - ٢٠٠م)، والثاني: مجموعة الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر لـ "كونغ بينغ ذا" (٥٧٤م - ٦٤٨م)، والثالث: مجموعة مقالات "تشينغ هلو" (١٠٣٢م - ١٠٨٥م) الكبير و "تشينغ يي" (١٠٣٣م - ١١٠٧م) الصغير، والرابع: الشرح الجامع للكتب الأربعة للعلامة "جوشى" (١١٣٠م - ١٢٠٠م)، والخامس: المحاضرات الدراسية في كتاب الوسطية والاعتدال لـ "جانغ جوشى" (١٥٢٥م - ١٥٨٢م). وهذه الخمسة هي من أوثق الكتب وأجمعها في الشرح المعتمد عند العلماء الكونفوشيوسيين لكتاب الوسطية والاعتدال عبر تاريخ الصين الفلسفي القديم.

وأما بالنسبة إلى آراء العلماء الكونفوشيوسيين المعاصرين في هذا المجال، فإني استفدت خاصة من العالم المشهور "هو زونغ بيان" (١٩٠٩م - ١٩٩٥م) وكتائيه "المحاضرات التسعة عشر لفلسفة الصين" و "الذات القلبى والذات الطبيعى". كما راجعت مؤلف "الرأى الناقد في كتاب (الوسطية والاعتدال) للدكتور "تو وي مينغ" (١٩٤٠م - حتى اليوم، يدرس كأستاذ فلسفى فى جامعة هارفارد، أمريكا)، وفضلا عن ذلك فإنى راجعت أيضا بعض المؤلفات المترجمة المشهورة لكتاب الوسطية والاعتدال باللغة الإنجليزية، للاستفادة من أساليب الترجمة والتعبير فى مجال نقل الكتب المصدرية باللغة الصينية القديمة إلى اللغة الأجنبية، ومن هذه المؤلفات المترجمة مثلا: المؤلف المترجم للقسيس الإنجليزى James Legge جيمس ليچ (١٨٩٧م - ١٨١٥م)، وهو أشهر المؤلفات المترجمة فى هذا المجال عند علماء الغرب، ويده تم

ترجمة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية إلى اللغة الإنجليزية ١٨٦٦م، وكذلك تم ترجمة الأسفار الخمسة الكونفوشيوسية إلى اللغة الإنجليزية ١٨٨٢م، وهو عاش في الصين أكثر من ثلاثين سنة كقسيس مبشر، وأما المؤلفات المترجمة الأخرى في هذا المجال، فرجعت أيضا إلى كتاب الدكتور Wing tsit Chan (١٩٠١م-١٩٩٤م)، كان مؤلفه المترجم إلى الإنجليزية من أشهر الكتب في عصرنا الحاضر عند علماء الغرب والشرق في هذا الموضوع، وهو صيني الأصل ودرس في وطنه عند شبابه، ثم سافر إلى أمريكا وحصل على الدكتوراه ودرس كأستاذ فلسفة في جامعاتها.

٣- أهم المشاكل التي واجهتني في أثناء الترجمة والشرح

ومع أنني بذلت أقصى جهودي في البحث والدراسة، فقد واجهني كثير من المشاكل في خلال ترجمتي لهذا الكتاب وشرحه، أولا لأن كتاب (الوسطية والاعتدال) هو أصعب كتاب في الكتب الأربعة الكونفوشيوسية فهما ودراسة، وهو مشهور بألفاظها الإشارية الصعبة ومعانيه الفلسفية العميقة التي تم تأليفه باللغة الصينية القديمة قبل أربعة وعشرين قرنا. حتى يقول العلامة الكونفوشيوسي " جُو شِي (١١٣٠م-١٢٠٠م) " في ذلك: " طلب العلم يبتدى من كتاب المعرفة الكبرى أولا، ثم كتاب الحوار، ثم كتاب موشيسوس، وأخيرا كتاب الوسطية والاعتدال، وهو كتاب عميق أحكامه وواسع محتوياته".^٧

وسأذكر فيما يلي أهم الصعوبات في طريق ترجمتي ويحكي حول هذا الكتاب، وهي من جانبين رئيسيين داخليا وخارجيا، وتفصيلهما كما يلي:

الأول من الجانب الداخلي: صعوبة فهم النص الذي كتب باللغة الصينية القديمة وغرابة البيئة اللغوية المستعملة وإشكال اختيار لُزجج الشروح وأجمعها في بيان المدلولات اللفظية والمعنوية في عبارات النص المجمل وكلماته الغامضة.

إذ كان تسجيل الكتاب يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد مر تاريخ اللغة الصينية

٧- مجموعة الأحاديث للعلامة " جُو شِي "، الجزء الأول، الصفحة ٢٢٥، دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.

فى تطورات كثيرة خلال ألفين وأربع مائة سنة، ومع أنها لغة حية نشيطة حتى اليوم يستعملها خمس سكان العالم يومياً ولكن بمرور التطورات اللغوية الطويلة أصبحت النصوص الصينية القديمة صعبة جداً للفهم وإن كان القارئ صيفياً أصيلاً. وقد يكون لفظ واحد فى النصوص الصينية القديمة عشرات المعانى مع غرابة الظروف والبيئة التى استعملها المؤلف فيها وقتئذ. وما لى فى ذلك من حل إلا أن أراجع مراراً وتكراراً إلى المعاجم اللغوية المتخصصة وأقوال العلماء العديدة للبحث والمقارنة والتحقيق والترجيح، وقد يكفىنى هذا إجراءات دراسية لساعات لتحقيق لفظ واحد وإثبات معناه الأرجح والأشمل. ونفس المشكلة تواجهنى بل أشد عندما بدأت فى عمل الشرح لمعنى عبارات النص وكشف مناسبتها وإخراج مقاصدها المحكمة، فألقرن وأرجح بين عشرات الشروح والتعلقات من العلماء الكونفوشيوسيين المشهورين قديمة وحديثة، وقد يستغرق ذلك عدة ساعات أيضاً فى إثبات معنى جملة واحدة وأن أستعين بواسطة الإنترنت.

الثانى من الجانب الخارجى: صعوبة تعبير عن معانى النصوص الصينية القديمة بأصطلاحات وأجمع الاصطلاحات فى اللغة العربية، مع قلة المصادر والمراجع فى مجال ترجمة الكتب الكونفوشيوسية المقدسة من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية.

ومن المعروف أن حضارة الصين- وعلى رأسها الكونفوشيوسية - حضارة عريقة جذورها فى التاريخ، فلها خصائص إنسانية ومميزات ثقافية تختلف تماماً عن الحضارات الأخرى فى العالم، ولأهل الصين أسلوب خاص فى التعبير عن أفكارهم ونمط بارز فى تبيين عاداتهم باختلاف البيئة والظروف، وكذلك للشعوب العربية أسلوب ونمط متميز فى التعبير عن أفكارهم وعاداتهم المختصة. وعلى سبيل المثال: كان أهل الصين يعتبر الشاى الأخضر مع الماء المغلى نعمة وبركة عند الشرب، بينما يعتبر العرب المسلمون الشراب اليارد مع قطعة الثلج بركة ونعمة؛ وأيضاً من العادات الأصلية أن أهل الصين يستعملون عودين عند تناول الطعام، بينما يتناول العرب الطعام باليد والأصابع مباشرة. فكيف يعبر المتكلم ويترجم مشاعر الشعبين الصينى

والعربي بعضهما لبعض مع أن كثيرا من الأحوال متضادة تماما، فهذه مهمة عظيمة تلزم المترجم أن يراعي مهارة التعبير لفظيا ومعنويا كليهما. وإذا كان هذه هي الحالة في ترجمة الشؤون اليومية، فكيف الحال في التعبير عن الأفكار الفلسفية والمبادئ الاعتقادية التي تدل على أسمى درجة لحضارة القوم المسجلة؟

ومع قلة المصادر والمراجع في مجال ترجمة الكتب الكونفوشيوسية إلى اللغة العربية، وخاصة (كتاب الوسطية والاعتدال) أصعب الكتب الأربعة الكونفوشيوسية بعباراته الأخلاقية المثالية وأساليبه المنهجية الفلسفية وتصويراته الاعتقادية الميتافيزيقية، فما لي في ذلك من حل إلا أن أراجع - في سبيل الجمع بين التعبير بالأسلوب المألوف عند القراء بالعربية وبين مراعاة لحفظ الصورة النصية الأصلية الصينية - إلى المعاجم اللغوية بين الصينية والعربية والإنجليزية بحثا عن أضيف التعبيرات وأشمل الكلام في ترجمتي، مستعينا بالمصادر والمراجع الأساسية المذكورة سابقا، وبالإضافة إلى ذلك راجعت بعض الكتب العربية الشهيرة حتى أشرب الأسلوب العربي جيدا، مثل الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي وخلق المسلم لعبد الغزالي وغيرهم، مستفيدا من أفكارهم القيمة ومهارة كتابتهم عامة ومن اصطلاحاتها الأخلاقية وتعبيراتها المنطقية والاعتقادية خاصة.

وأخر دعائى هو الحمد لله الذى هدانا إلى الصراط المستقيم برضوانه الإسلام ديننا ونورا لجميع البشرية إلى يوم القيامة، والله هو المستعان الحق لكل المخلوقات فى الدنيا والآخرة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بالإحسان إلى يوم الدين!

الطالبة الصينية مريم سليمان MA YUEXIANG

إسلام آباد

٢٠١٦ - ١٠ - ٣٠

التمهيد

المبحث الأول: لمحة عامة لتطورات مذهب الكونفوشيوسية في تاريخ الصين.

أطلق هيرودوت أبو التاريخ عن مصر كلمته الشهيرة: "إنَّ مصر هبة النيل". وكذلك قال أهل الصين عن بلادهم: "إنَّ النهر الأصفر مهد الأمة الصينية وحضارتها".

ومن الحق أن لكل شجرة - مهما كانت عابداً طولها وضخاما حجمها - فإنَّ لها جذوراً وأصلاً وفروعاً وأوراقاً وثمرات، تنور حظها ويمضي عليها التبرعم الربيعي والازدهار الصيفي والإثمار الخريفي والسبات الشتوي المستعد للربيع القادم. وهكذا حظوظ الإنسان والدولة والمجتمع والديانة والمذهب في أدوارها المتسلسلة، وهي منة الله الكونية الدائمة تتبين في الأنفس والأفاق.

ومذهب الكونفوشيوسية مر خلال خمسة وعشرين قرناً منذ نشأته، بسبب مراحل في تطوُّراته التاريخية المديدة، وهي: ١- فترة النشأة والتأسيس، ٢- فترة التطوُّر والازدهار، ٣- فترة التخليص الشامل والاستجابة لتحدي البوذية، ٤- فترة التجديد والإصلاح، ٥- فترة الانحطاط والتحوُّر الفكري، ٦- فترة النهضة الثقافية والتحديث الفكري. وسنلقي قليلاً من الدور على كل واحدة من هذه المراحل فيما يلي:

١- فترة النشأة والتأسيس. وهي تستغرق حوالي مائتين وخمسين سنة (من النصف الأخير للقرن السادس قبل الميلاد إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد)، بأيدي الأجيال الأربعة المتوالية، وهي: الأستاذ كونفوشيوس (٥٥١ ق.م - ٤٧٩ ق.م) مؤسس المذهب، وهو وارث الثقافات الصينية القديمة ومطوِّرها - بخاصة حضارة مملكة أسرة "تشو" الغربية (١٠٦٦ ق.م - ٧٧١ ق.م)، وصاغ منها مذهبه الفلسفي الذي يتأسس على فكرة الرحمة ونظام الأداب. وهو صاحب الجمع والتحرير للأسفار الخمسة (سفر القصائد - سفر الوثائق - سفر الآداب - سفر التبدلات - سفر الربيع والخريف) التي هذبها ولخصها من السجلات التراثية، كما أنه صاحب كتاب الحوار الذي دون فيه تلاميذه

أحاديثه وتعليماته بعد وفاته.^٨

ثم خلفه تلميذه المشهور " تشينغ تشن " (٥٠٥ ق.م - ٤٣٥ ق.م): الذي برع في أفكار استاذة المؤسس تعلمًا وتعلما. وكان معروفا بالورع الذاتي الكامل ويز والده الأمل، وهو صاحب كتاب (المعرفة الكبرى) الذي ينصب فيه راية فلسفة حياة الإنسان على تهذيب نفسه أولاً، وتعديل أفراد أسرته ثانياً، وإرشاد من حوله ثالثاً، وإصلاح المجتمع ونشر السلام في العالم أخيراً.^٩

ثم تلميذه الشيخ " تشن سي (٤٨٣ ق.م - ٤٠٢ ق.م): حفيد الأستاذ كونفوشيوس ووارثه الروحي. وهو مؤلف كتاب (الوسطية والاعتدال) الذي يعتبر أعلى الكتب وأعصقها في مجال النظرية المنهجية والفلسفة الميتافيزيقية الكونفوشوسية.^{١٠} وهذا الكتاب هو نحن بصدد ترجمته ودراسته في هذه الرسالة.

وأما المعلم الثاني مونشيوس (٣٧٢ ق.م - ٢٨٩ ق.م): وهو تلميذ تلميذ الشيخ " تشن مي " ووارثه الروحي، فهو مكمل ومعلم ثان في مذهب الكونفوشوسية، صاحب كتاب مونشيوس الذي يؤكد أهمية فكرة العدل ويثبتها كدعامة وقريبة لفكرة الرحمة عند مؤسس المذهب، كما أعلن نظرية حسن طبيعة الإنسان الفطرية إعلاناً بارزاً في كتابه، بينما كان جميع ملقه يثبتها ضمناً أو إشارة.^{١١}

وهؤلاء الأربعة الكبار هم أقطاب ودعائم أرسوا حجر الأساس الذي تقوم عليه جميع أفكار الكونفوشوسية تأسيساً وتطويراً، وتركوا أثراً مرشداً في تشخيص رجال مذهبهم خاصة وفي هداية وتوجيه أهل الصين فردياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وأيدولوجياً على وجه العموم.

ومن هذه الفترة النشطة الذهبية للنشأة والتأسيس، كانت الصين مرت بمدة مائة سنة في

٨ - الفهرست: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جالغ دائ يان، الصفحة ٤٧٤-٤٧٥.

٩ - المرجع نفسه، الصفحة ٤٧٨.

١٠ - المرجع نفسه، الصفحة ٤٨٠.

١١ - المرجع نفسه، الصفحة ٤٨٢-٤٨٣.

فترة الملاحم القاسية، حتى استقرار العرش في يد إمبراطور أسرة " هان " (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠) في القرن الثاني قبل الميلاد، فدخل مذهب الكونفوشيوسية إلى الفترة الثانية:

٢- فترة التطور والازدهار لمدة أربعمائة سنة: قد ظهر في هذه الفترة عدد كبير من رجال الكونفوشيوسية، ولكن نقتصر على ذكر أشهر وأوفق رجلين لا مثيل لهما في هذه المرحلة. الرجل الأول هو الحبر العظيم " ثونغ زونغ شو (١٧٩ ق.م - ١٠٤ ق.م) "، وهو الذي اقترح إلى الإمبراطور بأن يعطى كل المذاهب الفلسفية تعليماً ونشراً إلا مذهب الكونفوشيوسية كمذهب رسمي وحيد للجميع، فقبل رأيه وطبق. وهذه السياسة في تعزيز الكونفوشيوسية جعلتها وحدها تصبح نافذة ومرشدة خلال ألفي سنة وأكثر، ومنذ ذلك الوقت نجد في التاريخ أن رئاسة الكونفوشيوسية في مجال الأيديولوجيا مازالت سارية ومستقرة في مجتمع الصين مهما تغير العرش بين أيدي الأسر الملوكية المختلفة^{١٢}. وأما الرجل الثاني فهو المفسر الجامع " جينغ شوان (١٢٧م - ٢٠٠م) "، وقد جمع شروح الكتب الكونفوشيوسية الغفيرة التي ألقت من خلال أربعمائة سنة وقام بالجرح والتعديل عليها، فوحد آراء العلماء القديمة والحديثة بأخذ النقاط القوية من بعضهم لسد ثغرات ضعف البعض الآخر تكاملاً وإتماماً، وبهذا الأسلوب الجامع فسر معظم أمهات الكتب الكونفوشيوسية، وترك أثراً عميقاً في تاريخ تطور الكونفوشيوسية فيما بعد^{١٣}.

٣- فترة التلخيص الشامل وحركة الاستجابة لتحدي البوذية: امتدت هذه الفترة لثلاثة قرون في كل عهد أسرة " تانغ (٦١٨م - ٩٠٧م) "، وهي أزهر وأقوى إمبراطورية في تاريخ الصين. وكان الرجل الممثل في فترة التلخيص الشامل للدراسات الكونفوشيوسية هو الحبر العظيم " كونغ بينغ دا (٥٧٤م - ٦٤٨م) "، وهو من أحفاد الأستاذ كونفوشيوس من بعد اثنين وثلاثين جيلاً. وقد حرر الحبر " كونغ بينغ دا " أوثق الثروح العلمية وأجمعها للأسفار الخمسة وغيرها من المصادر الكونفوشيوسية، تلبية لدعوة حاجة عصره تحت رعاية الإمبراطور ومساعدة العلماء الكبار

١٢- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي يان، الصفحة ٤٩٢-٤٩٣.

١٣- المرجع نفسه، الصفحة ٦٢٨.

للمشروع وقتئذ. وأصبحت مؤلفاته مصادر معتمدة رسمية في مجال التدريس ومجال اختبار المتقنين لتسعينهم في المناصب الحكومية لمدة أربعة قرون^{١٤}.

وكما سبق ذكره أن أسرة " تانغ " هي أزهى وأقوى إمبراطورية في تاريخ الصين، وهذا لا يعنى أنها أقوى اقتصاديا وعسكريا فقط، بل هي أكثر انفتاحا حضاريا لتبادل الثقافة والديانة الوافدة من الخارج، حيث دخلت اليهودية والنسطورية والإسلام والمجوسية في بلاد الصين لأول مرة في القرن السابع الميلادي. وأما ديانة البوذية التي دخلت في الصين منذ القرن الأول، فمع انتشارها في هذه الإمبراطورية العظيمة خلال ستة قرون حتى بلغت أشدها، فقد مثلت تحديا لمكانة الأصالة الكونفوشيوسية الرسمية الأصيلة في مجال الأفكار والأيدولوجيا. فقام كثير من العلماء الكونفوشيوسيين لتحدي البوذية، وعلى رأسهم المفكر الأديب الشهير " هان يو (٧٦٨م- ٨٢٤م) " وتلميذه " لي أو (٧٧٢م- ٨٤١م) ". فكان الأول يثبت في رسالته المعروفة " تبرير طريق الحق " نظرية الأصالة الكونفوشيوسية وحقيقتها الأيدولوجية لمدة ألفى سنة في تاريخ الصين، ضد ادعاء سلطة البوذية الدينية ونفوذها. كما كان " لي أو " يؤسس نظرية " حسن طبيعة الإنسان الفطرية وشر غرائزه المادية "، يدعو إلى ضرورة إعادة الإنسان بنفسه إلى فطرته البريفة عن طريق التهذيب الأخلاقي باطنا والاتباع بنظام الآداب ظاهرا^{١٥}.

ومع فتح إمبراطورية " تانغ " أبوابها لساكن العالم لمدة ثلاثة قرون في تبادلها في كل الجوانب الثقافية والاقتصادية والسياسية أخذا وعطاء، وخاصة في مجال استجابة مذهب الكونفوشيوسية لتحدي الديانة البوذية وغيرها، فكان كل ذلك يحث العلماء الكونفوشيوسيين على مراجعة همومهم ودراسة مذهبهم المعتمد على الإصلاح والتجديد، وقد تحقق هذا الهدف المطلوب لما أقبلت عجلة التاريخ على باب القرن الحادي عشر الميلادي، ودخل مذهب الكونفوشيوسية إلى فترة جديدة:

١٤- المرجع نفسه، الصفحة ٦٣٣.

١٥- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي لين، الصفحة ٥١٥-٥١٦.

٤- فترة التجديد والإصلاح في عهدى أسرة سونغ (٩٦٠م-١٢٧٩م) وأسرة مينغ (١٣٦٨م-١٦٤٤م):

وتُسمى هذه الفترة أيضا بالمرحلة الميتافيزيقية في مذهب الكونفوشيوسية، إذ ساد الاتجاه الفلسفي والميتافيزيقي هذه المرحلة التاريخية كلها. وكان على رأس العلماء البارزين في هذه الفترة أخوان شقيقان هما: السيد الكبير " تشيانغ هانغ (١٠٢٢م-١٠٨٥م) " والسيد الصغير " تشيانغ بي (١٠٣٢م-١١٠٧م) "، وورثهما الروحي هو العلامة " جُو شِي (١١٣٠م-١٢٠٠م) ".

وكان السيدان يشتركان في الادعاء بأن " الحق " هو مصدر وجود الكون، وهو الوجود المطلق، وهو متحيز ذو ذات بلا جسم مادي. وقالوا: إن طبيعة الإنسان نوعان: فطرية وهي بحسن طبيعتها وهي منبع الأخلاق الحميدة، ومسجية وهي مشتركة بين الخير والشر وهي مصدر الشهوات والغرائز التي تتجاوز الحد الضرورة. والفرق الأساسي بين السيدين هو الفرق المنهجي: فالكبير يؤكد أهمية القلب والوجدان في معرفة الحق، في حين كان الصغير يؤكد ضرورة العلم والحكمة في الوصول إلى الحق، وقد لوحظ الفرق العلمي بينهما وخاصة بعد وفاة الكبير مبكرا.

وقد أدى هذا الفرق المنهجي إلى انقسام حركة التجديد والإصلاح الكونفوشيوسية في هذه المرحلة التاريخية إلى اتجاهين متضادين: اتجاه عقلي، واتجاه قلبي، بعد مائة سنة^{١٦}، وهو عصر العلامة " جُو شِي (١١٣٠م-١٢٠٠م) ". وكان " جُو شِي " تلميذا للسيد بعد ثلاثة أجيال، واحتل المكان الروحي الجامع، وفي الحقيقة كان يميل إلى نظرية السيد الصغير أشد وأكثراً، وهو الممثل الجامع للاتجاه العقلي في حركة التجديد والإصلاح الكونفوشيوسية في هذه المرحلة التاريخية، من حيث يدعى أن " الحق " هو الوجود الميتافيزيقي فوق الأعراض الطبيعية والاجتماعية، وهو الذات الكلية لجميع حقائق الكائنات بين السموات والأرض، وهو العلة التي يصدر منها وجود الإنسان وسائر الموجودات. ويرى أن أهم شيء في تهذيب الإنسان نفسه هو تزكية شهواته

١٦- النظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ دائ يان، الصفحة ٥٢٢-٥٢٤.

النفساتية في سبيل إعادة ذاته إلى طبيعتها الفطرية الحقّة، عن طريق الورع الذاتى والسعى وراء علم النّقين. ويؤكد ضرورة اتباع منهج التحليل والتقصّى والاستنباط في الحصول على علم النّقين ومعرفة الحقّ المطلق. وكان الاتجاه العقليّ الذي يمثّله العلامة " جُو شِي " يُعتبر نظريّةً رسميةً وأيدلوجيةً مهيمنةً في بلاد الصين لمدة تسعة قرون حتّى أوائل القرن العشرين الماضى^{١٧}.

وكان الاتجاه العقليّ المتمثل بالعلامة " جُو شِي " وبجانبه الاتجاه القلبى المتمثل بـ " لُو جُو يُوَان (١١٣٩م-١١٩٣م)" و " وانغ يانغ ميُنغ (١٤٧٢م-١٥٢٩م)"^{١٨}، يُعتبر قمتَ فلسفية وميتافيزيقية في فترة التجديد والإصلاح في عهدى أسرة سُونغ وأسرة ميُنغ - وإن كان الاتجاه العقليّ أقوى نفوذاً رسمياً وأوسع انتشاراً في التدريس والتلقّي من الاتجاه القلبى. إذ بعد عصر الحبر " وانغ يانغ ميُنغ " أقبلت عجلة التاريخ إلى فترة الانحطاط والتحرّج الفكرى في مراحل تطورات مذهب الكونفوشيوسية.

٥- فترة الانحطاط والتحرّج الفكرى في عهد أسرة تشينغ (١٦١٦م-١٩١١م):

منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادى، مع تدهور إمبراطورية أسرة ميُنغ ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً وخاصة بعد سقوطها أمام هجوم قوات أسرة تشينغ في سنة ١٦٤٤م، وقعت الكونفوشيوسية في مرحلة انحطاطه وتحرّجه الفكرى؛ إذ كان ملأ أسرة تشينغ وجيوشها أصلهم من القبائل البربرية من شمال الصين الشرقى، يتدينون بدين الوثنية البدائية (Shamanism)، وهم قليلو العدد بالنسبة إلى عدد السكّان الكبير فى داخل الصين. فلما جلست أسرة تشينغ على عرش بلاد الصين كلّها، ومن أجل حفظ سيطرتهم الملوكية، منعوا العلماء الكونفوشيوسيين عن حركة التطوّر الإصلاحيّ والتجديد الفكرى، إلا أنهم سمحوا لهم في مجال تحقيق كتبهم التراثية ومراجعة تفاصيل النظريات القديمة، خدمة لمصلحة سيطرة أسرة تشينغ الملوكية على عامة الناس ثقافياً. بل أصبحت الأحوال أسوأ وأشدّ خطراً على مذهب الكونفوشيوسية ومكانته الأصيلة،

١٧- المرجع نفسه، الصفحة ٥٢٩-٥٣٠.

١٨- المرجع نفسه، الصفحة ٥٣٢-٥٣٣ والصفحة ٥٤٦.

عندما فتح الغرب المستعمر أبواب إمبراطورية الصين المتدهورة بالنار والبندقية الجبارة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فهبت أمواج الأفكار الغربية بهجومها الشديد على مذهب الكونفوشيوسية، حتى خلعتة أخيراً عن مكانته الأيديولوجية الرسمية في مجتمع الصين، مع سقوط إمبراطورية أسرة تشينغ في سنة ١٩١١م. ومن هناك دخل مذهب الكونفوشيوسية إلى فترة جديدة^{١٩}، وهي فترة النهضة الحديثة.

٦- فترة النهضة الثقافية والتحديث الفكري للكونفوشيوسية في العهد المعاصر:

منذ العشرينيات من القرن الماضي، بدأ مذهب الكونفوشيوسية مرحلته الجديدة في النهضة والتحديث الفكري، استجابة لتحدي التغريب الثقافي وغزوته، ومحاولة لإعادة المكثفة الكونفوشيوسية الأصيلة في أيديولوجيا مجتمع الصين المعاصر، على أساس أخذ المنهج المقدر من حضارة الغرب ورذوائها السلبية.

وقد مرّت حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة - من مبتدئها المبكر حتى يومنا هذا - بخدمة ثلاث طبقات من العلماء الكونفوشيوسيين المجتهدين، وهم:

الطبقة الأولى هم الذين ساهموا في حركة النهضة منذ أوائل العشرينيات إلى أواخر الأربعينيات من القرن الماضي^{٢٠}، وعلى رأسهم الفيلسوف الشهير "شونغ شي لي" (١٨٨٥م-١٩٦٨م). وهو استس نظريته المجددة على أساس آراء الاتجاه القلبي في الكونفوشيوسية القديمة، حيث ادعى الوجدانية بين الذات وأعراضه، فلا أسبقية للذات على أعراضه في الزمان ولا في الرتبة المنطقية، بل كان الذات وأعراضه كلها معاً، فلا وجود للذات خارج أعراضه. وقد نصب "شونغ شي لي" في خدمة نظريته رموزاً للمراجعة والمقارنة من فلسفة الحياة والوجدانية للفيلسوف الفرنسي "برغسون" (Bergson) (١٨٥٩م-١٩٤١م) "فأخذ منه اقتياساً أو اتخذ عليه عبرة"^{٢١}.

١٩- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ دائ يان، للصفحة ٧٨٩-٧٩٠.

٢٠- ومن أشهر الرجال في الطبقة الأولى: ما يي فو (١٨٨٣م-١٩٦٧م)، شونغ شي لي (١٨٨٥م-١٩٦٨م)، ليونغ شو مينغ (١٨٩٢م-١٩٨٨م). وهؤلاء يستقون بالفضل من الثلاثة المجتهدين في فترة النهضة المعاصرة، وكل من شونغ شي لي أشهرهم.

٢١- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ دائ يان، للصفحة ٨٦٧.

الطبقة الثانية : هم الذين برزوا في حركة النهضة منذ أوائل الخمسينيات إلى أواخر الثمانينيات في القرن الماضي، وقد درسوا فلسفة الصين الأصلية القديمة على أيدي الطبقة الأولى في الجامعات الصينية المعاصرة، وكثير منهم ذوو خبرة بالدراسة في الغرب عارفون بالثقافة الغربية وفلسفتها. وكان أشهر هؤلاء الرجال في الطبقة الثانية التلاميذ الثلاثة الكبار للفيلسوف " شوينغ شي لي " الذي سبق ذكره، وهم: شو فو قوان (١٩٠٣م- ١٩٨٢م)، تانغ جون بي (١٩٠٩م- ١٩٧٨م)، مو زونغ منان (١٩٠٩م- ١٩٩٥م). ويُعتبر هؤلاء الثلاثة شخصيات معتمدة في حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة، من حيث إنهم كتبوا ونشروا مبشرين بهذه النهضة لكل العالم شرقا وغربا بالعنوان: " إعلان عام لنهضة الثقافة الصينية أمام جميع الشخصيات الكرام في العالم رسميا " في سنة ١٩٥٨م. وقد استموا نظرية الميتافيزيقية الأخلاقية على أساس قيم الضمير والوجدان، مراجعة ومقارنة مع الفلسفة الغربية وخاصة الفلسفة الأخلاقية لـ " كانت Kant (١٧٢٤م- ١٨٠٤م) " وعلم المظاهر الروحية لـ " هيغل Hegel (١٧٧٠م- ١٨٣١م) "، وأخذا منهما قبسا وعبرة في خدمة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة^{٢٢}.

الطبقة الثالثة: هم الذين أبرزوا في خدمتهم المتطورة في حركة النهضة من أوائل التسعينيات للقرن الماضي حتى يومنا هذا. وقد تتلمذوا على أيدي الطبقة الثانية، وأكثرهم درسوا في الغرب وأتقنوا الثقافة الغربية وفلسفتها، بل درسوا في الجامعات الغربية والشرقية كجسر علمي لنشر الثقافة الصينية وأفكار الكونفوشيوسية. وكان من أبرزهم في هذه الطبقة: يو بينغ شي، وليو شو شان، وتو وي وينغ، وهم الآن على قيد الحياة. وهم يدعون بأصالة الكونفوشيوسية وأفضليتها في إرشاد أيديولوجيا مجتمع الصين المعاصر، ويرون أن الإنسانية الكونفوشيوسية التي توحد بين قيم الأخلاق وروحية الاعتقاد هي المثل الأعلى في الثقافة الصينية؛ كما يدعون إلى الحوار والتبادل مع حضارة الغرب في كل الجوانب أخذا وعطاء، لكسب التوازن والتوافق بين مطالب قيم الأخلاق الإنسانية وبين معطيات تقدم التكنولوجيا المادية في العصر الحاضر^{٢٣}.

٢٢- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، الصفحة ٨٩٢، ٨٩٨، ٨٩٩.
٢٣- انظر: كتاب الكونفوشيوسية الجديدة في العصر الحديث، التمهيدي، الصفحة (١-١٤).

وقد حصلت حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة منذ تسعينيات القرن الماضي على اهتمام واسع ودعم وافق من الشرق والغرب، وبلغت أزهر مراحل تطورها مع نهوض اقتصاد الصين وتقوية نفوذها السياسي في العالم، ولا تزال حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة تلعب دورها المهم في تأسيس وتنظيم كيان العالم من جديد ثقافيا واقتصاديا وسياسيا في بداية القرن الواحد والعشرين حتى يومنا هذا.

المبحث الثاني: الشيخ "تس سي" وكتاب الوسيطية والاعتدال.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ "تس سي".

أ- مولده وحياته العلمية:

كان "تس سي" من كبار المفكرين في بداية عهد الممالك المحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م) في تاريخ الصين القديم. ولد في إمارة "لو" ^{٢٤} موطن أباه في سنة ٤٨٣ قبل الميلاد، واسمه "كونغ جي"، ويلقب بـ "تس سي" تشريفا، وهو حفيد الأستاذ كونفوشيوس مؤسس المذهب، من ابنه الوحيد "كونغ لي" ^{٢٥}.

وكان "تس سي" تتلمذ على يد الشيخ "تسيونغ تس" (٥٠٥ ق.م - ٤٣٦ ق.م) ^{٢٦} صاحب كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الليز، وقد ورث منه "تس سي" ميراث جدّه الروحي وأفكار الكونفوشيوسية، فطور ونمى نظرية الأستاذ كونفوشيوس في منهاج الوسيطية والاعتدال الذي يُعتبر مثلا أعلى في مجال الأخلاقي والميتافيزيقي في الكونفوشيوسية، وألف كتاب (الوسيطية والاعتدال) من بين الكتب الأربعة. وقد ورث أفكاره تلميذ تلميذه منشيوس الذي يسمّى بالمعلم الثاني عند الكونفوشيوسية. وبهؤلاء الأربعة العظماء (الأستاذ كونفوشيوس مؤسس المذهب،

٢٤- الإمارة "لو"، تقع حاليا في مقاطعة "شان دونغ" في شمالي الصين.

٢٥- "كونغ لي" عاش بين ٥٣٢ ق.م - ٤٨٣ ق.م، وهو ابن وحيد للأستاذ كونفوشيوس. وقد توفي "كونغ لي" وكان ابنه "تس سي" في بطن أمه.

٢٦- الشيخ "تسيونغ تس"، من أكبر تلاميذ الأستاذ كونفوشيوس، وهو وريثه الروحي بعد وفاته، يشار إليه بالهز والورع.

وتلميذه " تسيونغ تشي " المرشد التابع، وتلميذه " تشي سي " المرشد الوارث، وتلميذه منشيوس
المعلم الثاني) تمت سلسلة الأصالة العلمية التي تدور حولها أفكار الكونفوشيوسية كلها.

به نبذة عن حياة " تشي سي " التعليمية وتلقيه من جده الأستاذ كونفوشيوس.

ولد " تشي سي " ونشأ في أسرة مثالية في مجال التعليم والتربية وقتئذ، ولكن هل هو تلقى
التعليم مباشرة من جده العظيم وأخذ منه العلم أم لا ؟ هناك خلاف بين العلماء في هذه المسألة.
وإنما جاءت الشبهة من حيث إن الأستاذ كونفوشيوس قد مات وحفيده " تشي سي " لم يبلغ
رشدته بعد، ومن خلال دراستنا وجدنا سجل التاريخ والسير أن جده قد أوضعه العلم في طفولته
كالمعلم الأول له؛ لأن الأستاذ كونفوشيوس كان يهتم ويراعى قضية التهذيب والتربية لابنه
الوحيد " كونغ لي " بشدة الاهتمام، وكان يطلب منه أن يدرس بجد واجتهاد في سفر القصائد
وسفر الآداب ويعظه قائلا: " إذا لم تدرس سفر القصائد فلن تستطيع إتقان البيان، وإذا لم تدرس
سفر الآداب فلن ترمخ قدميك مستقيمة في المسلك. " ^{٢٧}

وكذلك عقد الأستاذ كونفوشيوس آمالا عظيمة على حفيده " تشي سي "، كما سجل في كتاب
" سلسلة أسرة كونفوشيوس وذريته " أنه في يوم من الأيام التي كان يظل فيها الأستاذ كونفوشيوس
في البيت وهو في شيخوخته، لما أرسل زفرة حزينة، وقد سمعه " تشي سي " فقال جده قائلا: "
هل تخاف يا جدي على أن أبناءكم سوف يصيرون من الجهلاء مما يجلب العار عليكم ؟ "
وتعجب جده من كلامه هذا، وقال: كيف عرفت ذلك ؟ " فأجاب: " إذا قطع الأب حطبا من الغابة
ولم يحمله الابن إلى البيت، فهو ليس بالبر. فلريد أن أوثق قضية الآباء، وأشرع من اليوم أن
أدرس بجد ولا أترخي في الإرادة الدراسية أقل القليل. " فلما سمع كلامه الأستاذ كونفوشيوس قال
راضيا: " لم أعد أحتاج إلى خوف عليه. " ^{٢٨}

ومن هذه القصة ثبت أن " تشي سي " قد تعلم في صغره من جده العظيم وتلقى مبادئ

٢٧- كتاب الحوار بترجمة محمد مكي، الفصل السادس عشر، الصفحة ٢٥٧.

٢٨- النظر: كتاب سلسلة أسرة كونفوشيوس وذريته، دار طباعة للمكتبة الصينية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م، الصفحة ١٣٤.

المعلومات الأساسية الكونفوشيوسية، وبعد وفاة الأستاذ كونفوشيوس قد تتلمذ "تس سي" على يد الشيخ "تشيونغ تس" وهو من أكبر تلاميذ كونفوشيوس، ووارثه الروحي، فتعلم "تس سي" منه أفكار الكونفوشيوسية الخالصة. وذلك كما ورد في كتاب "سلسلة أسرة كونفوشيوس وتربيته" من حيث إن "تس سي" يتبع أستاذه "تشيونغ تس" في سبيل طلب العلم والمعرفة، ويهتدب نفسه على مكارم الأخلاق بالصدق والإخلاص، ويتلقى منه المعرفة الكونفوشيوسية الأصيلة، ويغوص بالبحث في أعماق قضية الأسرار عن أمر السماء (تيان) وفطرة الإنسان ومصدر الحياة الإنسانية وقيمها الأخلاقية، لقد روى عن أستاذه هذه الأفكار الفلسفية كلها، وصنف كتاب الوسطية والاعتدال لكي يبين تلك القضايا الرئيسية لتابعيه من الخلف.^{٢٩}

ج - عفة "تس سي" ونزاهته عن السياسة والمنصب:

لم يشارك "تس سي" في شؤون السياسة في زمنه، مع أن الحاكم وقتئذ قد دعاه إليها مرارا. وكان أمير وطنه "لو مو فونغ" (١٠ ق.م - ٣٧٧ ق.م في عرثه) "أراد تعيينه في منصب رئاسة الوزراء، ولكنه لم يقبل متعقفا وانهماك في قضية التقويم والتربية كل انهماك، فاتخذة الأمير "لو مو فونغ" مستشارا له.^{٣٠}

د- أعمال "تس سي" في التأليف والتصنيف:

عمل الشيخ "تس سي" طول حياته في مجال التدريس والتأليف، وحسب تسجيل حوليات عهد أسرة "هان الغربية" في قسم المصنفات والفنون، فقد كان له ثلاثة وعشرون مصنفًا، ولكن معظمها مفقود قبل القرن الثاني قبل الميلاد ولم تصل إلينا، إلا كتاب (الوسطية والاعتدال)، ورسالة نظام أخلاق للشعب العامة، ورسالة آداب الملأ الرسمية، ورسالة طقوس الجنائز، وهذه الأربعة من مؤلفاته محفوظة في سفر الآداب. وجدير بالذكر أن دراسة الآثار ساعدتنا على الوصول إلى بعض مؤلفاته المفقودة من قبل، عندما حصل علماء الآثار في قرية "

٢٩- انظر: كتاب سلسلة أسرة كونفوشيوس وتربيته، الصفحة ١٧٨.

٣٠- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي زان، الصفحة ٤٢٩.

قوا ذيان " بمقاطعة " هو ثلث " في السنة ١٩٩٢م على ثمانمائة وأربع لوحات قديمة من البامبو^{٣١} مكتوبة علىها بعض الصحف التراثية التي يرجع تاريخها إلى العشرينيات من القرن الرابع قبل الميلاد. ومنفصل الكلام عن هذا الكشف الجديد في موضعه عند تعريف كتاب الوسطية والاعتدال وتاريخه فيما بعد، لكي لا يطول الكلام هنا.

هـ - وفاة " تشي سي " .

توفي " تشي سي " في سنة ٤٠٢ ق.م (أربعمئة وأثنتين قبل الميلاد)، وكان عمره اثنتي عشرة وثمانين سنة.

المطلب الثاني : تعريف كتاب الوسطية والاعتدال.

أ- تأليفه وأهميته بين الكتب الكونفوشيوسية المقدسة:

كان كتاب (الوسطية والاعتدال) رسالة محفوظة في سفر الآداب الذي يُعتبر واحداً من الأسفار الخمسة المقدسة للكونفوشيوسية^{٣٢}. حيث إن سفر الآداب مجموعة مختارة تتكون من الرسائل التسع والأربعين الكونفوشيوسية القديمة، التي امتد تأليفها من عصر كونفوشيوس وعلامته إلى عهد أصحاب منشيوس لمدة قرنين ونصف على أيدي العلماء الكبار للكونفوشيوسية، يحتوى على موضوعات في جميع الجوانب الطقسية والأخلاقية، والفلسفية، والسياسية، والتاريخية، ولقد جُمعت الرسائل التسع والأربعين هذه في سفر الآداب الذي قام بتدوينها الحبر المشهور " داي شينغ"^{٣٣} في منتصف القرن الأول قبل الميلاد. وكان كتاب (الوسطية والاعتدال) هو الرسالة الحادية والثلاثين من بينها.

ومع تعمق الدراسة عند العلماء الكونفوشيوسيين في سفر الآداب، فقد اكتشفوا قيمة رسالة

٣١- قبل اختراع صناعة الورق في القرن الأول الميلادي بقرون، اتخذ قدماء الصين لوحة مرابطة من الخشب والبامبو مادة للكتابة والتكوين. وقبل ذلك، في الزمان الأقدم اتخذوا من ذيل السلحفاة وعظام البقر وأمثالها مادة مستعملة للكتابة والتسجيل.

٣٢- أمهات المصاحف الكونفوشيوسية المقدسة تتكون من مجموعتين: المجموعة الأولى هي الأسفار الخمسة - سفر القصائد وسفر الوثائق وسفر التبدلات وسفر الآداب وسفر الربيع والعريف، والمجموعة الثانية هي الكتب الأربعة: كتاب الحوار وكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال وكتاب منشيوس.

٣٣- " داي شينغ " حبر كونفوشيوسي مشهور في القرن الواحد قبل الميلاد وكان ميلاده ووفاته غير معلوم بالضبط.

(الوسطية والاعتدال) أكثر فاكثراً، حتى أخرجت من بين أخواتها الأخرى كنسخة دراسية مستقلة في أوائل القرن السادس الميلادي (أي عهد الإمبراطور "لينغ وو" ٥٠٢م - ٥٤٩م) في عرثته، وحظيت بمزيد الاهتمام في عهد أسرة تانغ (٦١٨م - ٩٠٧م)، ولما قام الحبر الأديب "هان يو" بالدفاع عن الكونفوشيوسية وأصالته الأيديولوجية الرسمية استجابة لتحدي البوذية الوافدة، استيعانا برسالة الوسطية والاعتدال وأفكارها الأخلاقية والميتافيزيقية المحكمة. ومع زيادة أهميتها بشدة بين العلماء الكونفوشيوسيين، أخرجت رسالة الوسطية والاعتدال نهجاً ككتاب أصولي معتمد في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وخاصة بعد ظهور شرحه المتقن واستنباطه المحكم على أيدي الشيخين "تشينغ شأو" وأخيه "تشينغ يي" ووارثهما للروحي العلامة "جو شي" ^{٣٤}.

والجدير بالذكر أن العلامة "جو شي" له يد طويلة في خدمة كتاب (الوسطية والاعتدال) خاصة وسائر الكتب الأربعة المقدسة عامة، من حيث جمع كلا من كتاب الوسطية والاعتدال، وكتاب المعرفة الكبرى، وكتاب الحوار، وكتاب منشيوس، في مجلد واحد كسلسلة شاملة للتدريس المتعلمين على أسلوب التنزج، وقال نصيحة: "اقرأوا كتاب المعرفة الكبرى أولاً من أجل فهم البرامج العامة في الكونفوشيوسية، ثم تعلموا كتاب الحوار لإتقان أصولها المعتمدة، ثم اندرسوا كتاب منشيوس للترقية في استنباطها، وأخيراً تفحصوا في كتاب الوسطية والاعتدال للحصول على دقائقها المحكمة من عند العلف الفضلاء." ^{٣٥} وقد بذل العلامة "جو شي" حياته كلها في سبيل شرح هذه الكتب الأربعة المقدسة واستنباط أحكامها المرشدة حتى في مرض موته. ولقد اهتم بكتاب الوسطية والاعتدال أشد من غيره، ويرى أنه محور أخلاقي وميتافيزيقي في أصالة الكونفوشيوسية منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة في تاريخ الصين العريق ^{٣٦}.

٣٤- ولقد مر تعريفهم في السبحث الأول سابقاً، فلرجع إليه.

٣٥- مجموعة الأحاديث للعلامة جو شي، الجزء الأول، للصفحة ٢٢٥. دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى، السنة ١٩٨٦م.

٣٦- لي من عهد الملوك الثلاثة الحكماء القدامى - "ياو" و"شون" و"فو" - الذين عاشوا بين القرن الأربع وعشرين قبل الميلاد وبين القرن الثاني وعشرين قبل الميلاد، إلى قرن الحادي عشر الميلادي الذي عاش فيه العلامة "جو شي" نفسه.

ومع الخدمة الجليلة من السيدين " تشيانغ هاو " وأخيه " تشيانغ بي " ووارثهما الروحي العلامة " جُو شي " في سبيل الكتب الأربعة المقدمة دراسة ونشر، أصبح كتاب الوسطية والاعتدال وإخواته الثلاثة فيما بعد مقررات رسمية للتدريس واختبار المتقنين في تعيينهم للمناصب الحكومية لمدة ثمانية قرون حتى بداية القرن العشرين الماضي، حتى تركت الكتب الأربعة المقدسة أثرا كبيرا في أفكار أهل الصين ثقافيا وسياسيا واجتماعيا حتى يومنا هذا.

ب - آراء العلماء الكونفوشيوسيين في نسبة كتاب الوسطية والاعتدال إلى " تشي مي " .

هناك خلاف بين علماء الكونفوشيوسية في أن كتاب (الوسطية والاعتدال) هل هو من تأليف الشيخ " تشي مي " أم لا ؟

وفيه قولان، رأى المثبتين وهو قول الجمهور، ورأى المعارضين وهو قول بعض المتأخرين.

وكان رأى الجمهور على أن الشيخ " تشي مي " هو بنفسه صنف هذا الكتاب؛ وذلك كما دل عليه المؤرخ الشهير " من ما تشيان (١٤٥ ق.م - ٨٧ ق.م) " في كتابه " سجل التاريخ " ^{٢٧} قائلا: " كان كتاب (الوسطية والاعتدال) من تأليف الشيخ " تشي مي " بعينه. ^{٢٨} وقد وافقه على رأيه هذا العلماء الكبار للكونفوشيوسية من الحبر المفسر " جينغ شوان " في عهد مملكة أسرة " خان " والحبر الشهير " كونغ بينغ دا " والحبر الأديب " هان يو " في عهد مملكة " تانغ " ^{٢٩}، وكذلك رجال الكونفوشيوسية جاؤوا بعدهم في عهد الأسرة " شونغ "، مثل " تشيانغ هاو " وأخيه " تشيانغ بي " ووارثهما الروحي العلامة " جُو شي ". وكان جميعهم يرون أن الشيخ " تشي مي " هو مصنف الكتاب بالضبط. فأكد على ذلك العلامة " جُو شي " وقال في تمهيد كتابه لشرح كتاب

٢٧- سجل التاريخ ل " من ما تشيان "، يُعتبر لوثق وأشمل الكتب التاريخية عند قدماء الصين، وكان موضوعه يسجل الوقائع التاريخية لمدة ستة وعشرين قرنا امتدت من عهد الملك الحكيم " هوانغ دي (٢٧١٧ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م) " وهو المؤسس لحضارة الصين بوضع حجره لولى لها، إلى نهاية القرن الثاني الذي صُلح فيه المؤرخ " من ما تشيان " نفسه.

٢٨- سجل التاريخ، قسم أسرة كونفوشيوس، الصفحة ٥٨٩، المؤلف " من ما تشيان "، دار الطباعة الكتب التراثية بشنغهاي، للطبعة الأولى، السنة ٢٠٠٠ م.

٢٩- من تعرفهم في المبحث الأول سابقا، فارجع إليه.

TH 19953

الوسطية والاعتدال: " لماذا ألف الشيخ " تس سي " هذا الكتاب؟ والجواب هو أنه يخاف اختفاء طريق الحق وضياح أصالة تعاليم الأستاذ كونفوشيوس، فصنّفه من أجل ذلك.^{٤٠}

وبالعكس، هناك من العلماء المتأخرين يدعى أن كتاب الوسطية والاعتدال ليس من تأليف الشيخ " تس سي"، بل هو مكتوب على أيدي بعض المتأخرين بعد قرنين من وفاته، فلا يصح - حسب قولهم - نسب الكتاب إليه، ودليلهم أن الكتاب مشتمل على بعض الحوادث وذكر تغييرات لم تكن وقعت في العصر الذي عاش فيه " تس سي"، بل هي حدثت بعد وفاته بأكثر من قرنين. وعلى سبيل المثال: أنه جاء في الفصل الثامن والعشرين ما نصّها: " اليوم قد تحقّق فيه الاتحاد في معيار دوليب العربية وطرقها، والاتحاد في شكلية الكتابة وأسلوبها، والاتحاد في نظام المبادئ الخلقية والسلوكية."

فاستدلّ به المعارضون وقالوا: إن هذا الكلام يعنى أن هذه الاتحادات الثقافية والسياسية والاجتماعية المذكورة، قد حدثت وتحققت في عصر الشيخ " تس سي" في القرن الخامس قبل الميلاد. وكلّ ذلك يخالف الواقعة التاريخية وتنتدّ تماماً، إذ كانت بلاد الصين منذ بداية الربع الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد وقعت في قبضة الممالك المحاربة التي لم تقتصر على حروبها المتتابعة القاسية فحسب، بل يختلف بعضها عن بعض في كلّ المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية أيضاً، حتى وحدث أخيراً مملكة أسرة " تشين (٢٢١ ق.م - ٢٠٦ ق.م)" الجبّارة جميع بلاد الصين في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. فألّى للشيخ " تس سي" أن يعرف ويكتب عن الاتحادات المذكورة في الفصل الثامن والعشرين وهو قد توفى قبل قرنين؟! وما هذا إلا دليل على أن كتاب الوسطية والاعتدال كان مصنّفاً بأيدي بعض المتأخرين بعد وفاته بمدة قرنين.

ولقد أجاب العلماء المثبتون عن شكوك جماعة المعارضين من عدة جوانب، وأرجحها كما قالوا: إن من خلال النقل الشفوي والنسخ التحريريّ لمدة طويلة جيلاً بعد جيل، قد يدخل في

٤٠- كتاب الوسطية والاعتدال بشرح جو ثي، التمهيد، الصفحة الأولى.

الكتاب بعض كلمات شرح المباح أو بعض أراء الفاسخ بلا قصد، وهذه الحادثة وقعت عامة في كل الكتب التراثية، سواء أكانت كونفوشيوسية أو غيرها، فلا يصح الاستدلال بمثل هذه النقاط الدخيلة النادرة على إنكار أصالة تأليف كتاب الوسطية والاعتدال على يد الشيخ "تس سي".^{٤١}

ومن الجدير بالذكر هنا أن دراسة الآثار اليوم قد أثبتت رأي الجمهور على إثبات نسبة كتاب (الوسطية والاعتدال) إلى "تس سي"، عندما حصل علماء الآثار على ثمانمائة وأربعة ألواح بامبو مكتوبة علىها بعض الصحف القديمة التي يرجع تاريخها إلى العشرينيات من القرن الرابع قبل الميلاد، واكتشفت هذه الألواح الأثرية في السنة ١٩٩٣م في حفير قديم لرجل كبير من أشراف الإمارة "تسو" لمنتصف عهد الممالك المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م).

وكانت هذه الألواح الأثرية تتكون من ثمان عشرة مجموعة، ومنها عشر مجموعات للصحف الكونفوشيوسية، ومن بين هذه العشرة سبعة للشيخ "تس سي"، وواحدة منها أصل لكتاب الوسطية والاعتدال الموضوع بين أيدي القراء الآن، وأما السبعة الأخرى فهي تابعة لبعض مؤلفات "تس سي" التي فقدت قبل أكثر من ألفي سنة، وتحديدا منذ القرن الثاني قبل الميلاد.^{٤٢}

ج - محتويات كتاب الوسطية والاعتدال.

يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة وثلاثين فصلا على رأي العلامة "جو شي" في تجزيته المعتمد، ويدور موضوعه حول ثلاثة أقسام أساسية: رأسه الجامع، وأوساطه المستنبطة، وخاتمه المسترجعة. فكان الفصل الأول هو الرأس الجامع لكتاب الوسطية والاعتدال، وهو برنامج عام لكل الكتاب، وقد بين فيه المؤلف "تس سي" أولا العلاقة المتلازمة بين طبيعة الإنسان وطريق الحق وضرورة التربية والتعليم، وأكد ثانيا أهمية محاسبة النفس بالورع الذاتي عند الرجل الفاضل، ولخص أخيرا بأن منهاج الوسطية والاعتدال هو طريق الحق بين السماوات والأرض؛

٤١- انظر: كتاب الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، التمهيد، لـ "لئ تا هونغ"، الصفحة ١٢٨.

٤٢- ولقد طبع وتشرت تصويغات اللوحات الأثرية المكشوفة هذه مع الشرح والتطبيق في الكتاب اسمه "لوحات البامبو الأثرية لدى حفير الإمارة "جو" في "قوا ديوان"، بنشر دار الطباعة للتحف التاريخية، بكين، السنة ١٩٩٨م.

أى فى الكون كله.

وأما أوساط الكتاب المستتبطة من الفصل الثانى إلى الفصل الثانى والثلاثين، فهى بيان
وشرح لمضمون الفصل الأول: الجانب العلمى والجانب العلمى. وكان جانبه العلمى يتكون من
الفصل الثانى إلى الفصل الحادى عشر، تحليلًا وتوضيحًا لأفكار الوسطية والاعتدال، بإيراد
أقوال كونفوشيوس حول المقارنة بين الرجل الفاضل والرجل الطالح وأشباههما، ومن ناحية
الامتثال بالملك الحكيم "شون" والرجل الفاضل "يان هوى"، حتى يكشف للقراء حقيقة منهاج
الوسطية والاعتدال، ويهديهم إلى علمه اليقين به.

وأما من الجانب العلمى، فكان المؤلف يتناوله من ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: من الفصل الثانى عشر إلى الفصل التاسع عشر - تتحدث عن تعديل
الأسرة وإصلاح العلاقة بين أفرادها بخلق البر والإحسان، مؤكدًا على شمولية منهاج الوسطية
والاعتدال فى دقته العميقة وفى تأثيره حياة الإنسانية اليومية.

والطبقة الثانية: من الفصل العشرين إلى الفصل السادس والعشرين - تتكلم عن سياسة
البلاد وإرشاد المجتمع عن طريق ممارسة خلق الصدق والإخلاص، مبيّنًا لأهمية صفة الصدق
والإخلاص فى تأسيس الأصول الثلاثة الأخلاقية الكبرى والسنن الخمس الاجتماعية العامة
والقواعد التسع السياسية المعتمدة، وكاشفا عن حقيقة صفة الصدق والإخلاص فى إكمال الإنسان
شخصية نفسه أولاً وإكمال شخصية غيره ثانياً على أساس الرحمة والحكمة.

والطبقة الثالثة: من الفصل السابع وعشرين إلى الفصل الثانى والثلاثين - تتناول قضية
تعميم السلام والأمن تحت السماوات وفى الأرض كلها عن طريق الأخلاق الحميدة، متؤكدًا على
التوافق بين مكارم الأخلاق الإنسانية وبين سنن الإله السماوية، تحقيقًا لمشاركة الإنسان مع
السماوات والأرض فى تنمية الكائنات فى العالم ازدهارًا.

وفى الفصل الأخير - وهو الفصل الثالث والثلاثون - لخص المؤلف "تس سي" المقاصد

الأساسية للكتاب كله عامة، ويسترجع خاصة من خلاله الموضوع المعروض فى الفصل الأول

من فطرة الإنسانية السماوية وورعه الذاتي في محاسبة نفسه واعتداله بين السماوات والأرض،
مبيتنا عن اتحاد الإنسان الخلفي مع عناية الاله السماوية - تيان، وهو غاية قيم الأخلاق ومسعى
فلسفة الحياة في الكونفوشيوسية.

د - أشهر الشروح والتعليقات لكتاب الوسطية والاعتدال.

علق علماء الكونفوشيوسية على هذا الكتاب قديما وحديثا بأنه كتاب يحمل سلسلة التوارث
العلمية للكونفوشيوسية ويشمل عدة نظريات فلسفة من السنة السماوية والفطرة الإنسانية ومعرفة
القلب والوجدان عند الكونفوشيوسية، فسفقوا مئات من الشروح والتعليقات عليه في معر تاريخ
الصين الثقافي، نذكر منها بعض أهم الشروح فيما يلي:

١- شرح سفر الآداب لـ "جيانغ شوان" (١٢٧٠م-٢٠٠م) من عهد أسرة "هان"، وكان كتاب
الوسطية والاعتدال في ضمن سفر الآداب كرسالة من بين رسائله ولم يخرج بعد ككتاب
مستقل.

٢- شرح المعاني السديدة للأسفار الخمسة لـ "كونغ بينغ ذا" (٥٧٤م-٢٤٨م) من عهد مملكة
أسرة "تلق"، وكان كتاب الوسطية والاعتدال في سفر الآداب من الأسفار الخمسة.^{٤٣}

٣- الشرح الجامع للكتب الأربعة، للعلامة "جوشى" (١١٣٠م-١٢٠٠م) في عهد أسرة "سولنغ"،
وهو أكثر الشروح نفرا وتأثيرا، ويمتاز باستنباطه الفلسفى المحكم.

٤- المحاضرات الدراسية في كتاب (الوسطية والاعتدال) لـ "جيانغ جو جينغ" (١٥٢٥م-١٥٨٢م)
في عهد أسرة "مينغ"، وكانت هذه الدروس هي المادة التعليمية للإمبراطور في صبيانه.

٥- الملائقة للكتب الأربعة لـ "جيانغ داي" (١٥٩٧م-١٦٨٤م) من عهد أسرة "تشينغ"، وكان هذا
الشرح يشتهر بلطافة تعبيره وحيوية تمثيله للأحكام العميقة في الكتاب.

٤٣- وكان شرح المعاني السديدة للأسفار الخمسة لـ "كونغ بينغ ذا" مع شرح سفر الآداب لـ "جيانغ شوان"، قد أدخل كلاهما في
ضمن مجلد للشرح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة بحره التي تم تجميعها للتحريفي في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي.

وقد اهتم أيضا العلماء الكونفوشيوسيون في العصر الحديث بهذا الكتاب بحثا ودراسة، وقاموا بشرحه مع ترجمته من اللغة الصينية القديمة إلى اللغة الصينية الحديثة، ومن أشهر أعمالهم في هذا ما يلي:

- ١- الدروس المقررة في الكتب الأربعة للعالم التربوي " جيانغ بُو تْشيان " (١٨٩٢م-١٩٥٦م)، ونشره دار الطباعة العالمية بشيانغهي في سنة ١٩٤٤م. وقد استعمل كمادة مدرسية رسمية.
- ٢- الشرح والتعلق بالأسلوب الحديث لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، بتحرير " وانغ يُون وَو " (١٨٨٨م-١٩٧٩م). وطبعته المكتبة التجارية، تايوان، سنة ١٩٧٧م.
- ٣- التأليف الجديد في الترجمة والشرح لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال " لُو سي قُوآن " (١٩٢٧م-٢٠١٢م)، نشرته دار الطباعة للجامعة الصينية، هونغ كونغ، في سنة ٢٠٠٠م.

- ٤- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، للأستاذ " لِي كَا هُونغ " (١٩٢٩م- حتى اليوم)، نشرته دار الطباعة بجامعة فو نان، سنة ١٩٩٨م.
- ٥- الرؤية النافذة لكتاب الوسطية والاعتدال، للأستاذ " تُو وي ميونغ " (١٩٤٠م- حتى اليوم)، نشرته دار الطباعة الشعبية ببيكين، سنة ٢٠٠٨م.

هـ - الأعمال السابقة في ترجمة الكتب الكونفوشوشية المقدسة عند الغرب والعالم الإسلامي.

ذكرنا سابقا أن الغرب قد تقدم في مجال علم مقارنة الأديان تقدما كبيرا في العصر الحديث، كما أنهم أيضا تقدموا في البحث والدراسة عن الأديان الصينية وخاصة عن الكونفوشوشية، ومنذ أواخر القرن السادس عشر بدأ التبادلات المباشرة بين الصين والغرب، عندما تدفق إلى الصين مبشرون مسيحيون بعد أن تقدمت التكنولوجيا الملاحية واكتشفت طرق بحرية تربط بين الشرق والغرب، فجازوا إلى هذه الإمبراطورية الشرقية العظيمة برسالتهم التبشيرية، وكان الأقدم والأشهر منهم هو المبشر الإيطالي ماتيو ريتشي (Matteo Ricci ١٥٥٢- ١٦١٠) الذي وصل إلى

بكين عام ١٥٨٢م يعمل على التبشير في بلاد الصين، وطوال فترة إقامته فيها لمدة عشرين سنة، ترجم زبدة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية إلى اللغة اللاتينية، وأرسلها إلى بابا روما في سنة ١٥٩٤م، ولكن ضاعت هذه الكتب المترجمة قبل طباعتها، ولم تصل إلينا اليوم. وجاء بعده المبشر الإيطالي (Michel Ruggieri ١٥٤٢ - ١٦٠٧)، وقام بترجمة كتاب المعرفة الكبرى وكتاب منشئوس إلى اللغة اللاتينية، وقد طبعت ونشرت وقتئذ، ولجد اليوم مخطوطاتها في مكتبة إيطاليا الوطنية، وأما كتاب (الوسطية والاعتدال) الذي ندرسها هنا في موضوعنا فقد ترجمه وطبعه المبشر الآخر الإيطالي (Brospero Iutorcettai ١٦٢٥ - ١٦٩٦) في سنة ١٦٦٧م. وفيما بعد قام القسيس البلجيكي (Francais Noel ١٦٥١ - ١٧٢٩) بترجمة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية جميعها من اللغة الصينية إلى اللغة اللاتينية، وطبعها في جامعة Prague. كما أعاد المبشر البريطاني جيمس ليقة (James Legge ١٨٩٧ - ١٨١٤) ترجمة الكتب الأربعة من اللغة الصينية إلى اللغة الإنجليزية، وتم بيده أيضا ترجمة الأسفار الخمسة الكونفوشيوسية، وطُبعت كلها في بريطانيا خلال سنوات ١٨٦٥م - ١٨٨٢م.

وعندما نلقت النظر إلى العالم الإسلامي نجد أنه قد تأخر كثيرا بالبحث والدراسة في ثقافة الصين القديمة عامة وفي البحث عن الكونفوشيوسية ومصادرها الأصلية خاصة، من حيث إن العلماء المسلمين لم يكن لهم اهتمام بالدراسة في الكونفوشيوسية لندرة الكتب المترجمة المعتمدة من لغتها الأم إلى اللغة العربية، واستمرت هذه الحالة الحائرة حتى بداية الأربعينيات في القرن العشرين حين جاء الأستاذ محمد مكي (MA JIAN ١٩٠٦م - ١٩٧٨م) وترجم كتاب الحوار من لغته الصينية إلى اللغة العربية من خلال دراسته في جامعة أزهر، وحينئذ بدأ بعض العلماء العرب يلتفتون بنظرهم إلى الكونفوشيوسية بالبحث والدراسة، ومنهم على سبيل المثال الدكتور محمد غلاب من قسم الفلسفة لكلية أصول الدين بجامعة القاهرة، وقدم في كتابه "الفلسفة الشرقية" (سنة الطبع ١٩٣٨م) عن "كونفوشيوس" و "منشئوس" و "جو شي" وغيرهم من فلاسفة

٤٤- المبشرون وترجمة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية، "جوي تشو يانغ"، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة سي تشوانغ سنة ١٩٩٩.

الصين. القدماء، وخاصة بالنسبة إلى الأستاذ كنوفوشيوس، وقد تناول بصورة تفصيلية، وقدم حياته وأخلاقه وكتبه وأفكاره وتأثير مذهبه في أهل الصين، وفي الخمسينيات من القرن الماضي كان عمر دسوقي من معهد تدريب المعلمين بجامعة القاهرة يرأس تحرير "سلسلة كتب مفكرى الشرق والغرب"، وكان كنوفوشيوس الشخصية الوحيدة المختارة للدخول في هذه السلسلة من بين حكماء الصين القدماء، وكان الكتاب يسمى بـ "كنوفوشيوس"، يتناول أفكار كنوفوشيوس من نواحي الفلسفة والسياسة والتربية والتعليم والأخلاق والموسيقى، وبعد ذلك في الستينيات في القرن العشرين كتب فؤاد محمد شبل كتاب "فلسفة الصين" وهو كتاب قيم مفيد في هذا المجال العلمي يفيد القراء العرب والمسلمين في معرفة حضارة الصين وفلسفتها الأصيلة^{٤٥}. ومع ظهور هذه الكتابات العربية البحثية في الكونفوشيوسية بدأ العالم الإسلامى والعلماء المسلمون يهتمون بالبحث والدراسة في الكونفوشيوسية وحضارة الصين أكثر فأكثر، ولكن مع الأسف ما زال معظم المصادر الكونفوشيوسية المقدسة من الأسفار الخمسة والكتب الأربعة لم تترجم إلى يومنا هذا غير ترجمة "كتاب الحوار" و "كتاب المعرفة الكبرى" فقط.

ومن الجدير بالذكر هنا أن علماء الصين المسلمين قد اهتموا بالبحث والدراسة في مذهب الكونفوشيوسية، وقاموا بمقارنتها مع الإسلام في سبيل النفاذ عن العقيدة الإسلامية عند مسلمي الصين وخدمة الدعوة الإسلامية في بيئة الصين الكونفوشيوسية، وبدأ هذا البحث والدراسة على المستوى العلمى المرتفع من أواخر أسرة "مينغ" (١٣٦٨م - ١٦٤٤م) ويستمر في كل عهد أسرة "تشينغ" (١٦٤٤م - ١٩١١م)، ومن أهم شخصياته: الأولى "وانغ دى يو" (١٥٨٠م - ١٦٦٠م) أول عالم مسلم في الصين قام بدراسة مقارنة الأديان في سبيل خدمة الدعوة الإسلامية من بين أهل الصين. والثانية "ما جو" (١٦٤٠م - ١٧١١م) كان عالما مشهورا في الصين ووارثا علميا للشيخ "وانغ دى يو" في دراسته ودعوته للإسلام، وكان كتابه "الإرشادات الإسلامية" قد ترك أثرا عميقا في الصين عند الباحثين والدارسين المسلمين وغيرهم من بعده. والشخصية الثالثة هو

٤٥- دراسة العرب عن الكونفوشيوسية ومعرفتهم بها: "مى دي جو" من حواشي جامعة "شيان دونغ"، العدد الثالث، ١٩٩٤م.

"ليو جي" (١٦٦٠م - ١٧٣٠م) كان عالما بارزا بين المسلمين وغيرهم في الصين ووارثا روحيا لـ "وانغ دي يو" و "ما جو"، وكتابه (اللطائف) و(الشعائر الإسلامية) ينتشر من بين المسلمين في الصين نشرا واسعا.

وبعد تقديم هذه الخلفيات العلمية الضرورية عن الكونفوشيوسية وتطوراته التاريخية عامة، وعن كتاب الوسطية والاعتدال وسيرة مؤلفه خاصة، وكذلك عن الأعمال السابقة في ترجمة الكتب الكونفوشيوسية المقدسة عند الغرب والعالم الإسلامي ودراساتها عند العلماء المسلمين في الصين، أحضير أمامكم أيها القراء الكرام رسالتي المتواضعة هذه على أساس محاولتي للدراسة الوصفية لهذا الكتاب القيم، رجاء أن أسد بها فراغا عظيما - بإذن الله تعالى - في علم مقارنة الأديان في مكتبة العالم الإسلامي، وأن يكون عملي البسيط هذا جحرا صغيرا في بناء جسر ثقافي لتقوية التعارف والتبادل بين شعب الصين وبين أمة المسلمين في عصرنا الحاضر.

والله المستعان

《中庸》

第一章

原文：天命之谓性，率性之谓道，修道之谓教。

今译：上天赋予人的本质就叫做性，遵循这种本质行事就叫做道，按照道进行修养就叫做教。

كتاب الوسطية والاعتدال

الفصل الأول

نص القطعة الأول:

"إن ما يهبه " السماء (天 يُيَّان) " للإنسان يسمى " الطبيعة الفطرية (性 شِيَتِنغ) "،
واتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمى " طريق الحق (道 دَاو) "،
وتهذيب الإنسان وتزكية نفسه على طريق الحق يسمى " التعلم والتربية (教 جَاو) ".

التمهيد :

قال العالم الكونفوشيوسي " تشين كونغ شوا " ^{٤٦} في بيان أهمية الفصل الأول - وبخاصة هذه العبارات الثلاثة الأولى - لدراسة المناهج الفلسفة للكونفوشيوسية منها: " هذا الفصل هو المدخل العام لكتاب الوسطية والاعتدال، ولما هذه العبارات الثلاثة الأولى هنا فهي الحلقة الرئيسية لهذا الفصل. وإنما مقصود الحكيم الفاضل (كونفوشيوس) في تعليم الناس، قبل كل شيء أن يعرفهم بحقيقة المصدر الرئيسي والمبدأ الكلي، ثم يبين لهم الجزئيات والتفاصيل ليرشدتهم في اجتهادهم للتعلم والتربية. " ^{٤٧}

إنَّ الفصل الأول يشتمل على خمسة قطع، وهو البرنامج المرسوم لهذا الكتاب؛ والجمل

٤٦- " تشين كونغ شوا "، (حوالي ١١٥٠م-١٢٢٠م) هو تلميذ للعامة للكونفوشيوسي المجيد " جو شي " المشهور ١١٢٠م-١٢٠٠م، انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٥٣٥، مطبع الموسوعة والكتب بتيانغهاي، الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م.

٤٧- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٢٧، مطبعة جامعة نهضة الصين، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

الثلاثة الأولى فى القطعة الأولى قليلة الألفاظ وعميقة المعاني تعد الحبل الرئيسى فى الشبكة لهذا الفصل؛ لأنها تتناول موجزا أهم القضايا من الألوهية والميتافيزيقيا ومصادر القيم والأخلاق فى الكونفوشيوسية؛ من خلال أربعة اصطلاحات جامعة أساسية، وهى: السماء (天 تيان) أى الإله الأكبر، والطبيعة الفطرية (性 شينغ)، وطريق الحق (道 دالو)، والتعلم والتربية (教 جياو).
ومنشرح أولا هذه الاصطلاحات الأربعة الأساسية بالتفصيل، وهو مفتاح ذهبي ذو أسنان أربعة نفتح ونعرف بها كنوز التعليمات الكونفوشيوسية عامة والمناهج الفكرية فى كتاب (الوسطية والاعتدال) خاصة، حتى نفهم مقاصد المؤلف وأسرار كتابه كما كان رسمها صاحبه لإفادة القراء وإرشادهم فى التعليم والتربية.

الشرح :

أولا: السماء (تيان 天) أو الإله الأكبر

١- تعريف كلمة السماء (تيان) لغة :

إن اللغة الصينية لغة خاصة رمزية تصويرية تكتب ألفاظها بنظام كتابة تصويرية من اليسار إلى اليمين ومن أعلى لأسفل، فكل جزء من أجزاء اللفظ الواحد يرمز لمعنى خاص وملول مستقل.

فكلمة " السماء (تيان 天) " فى اللغة الصينية يتكون لفظها من الجزئين: الجزء الفوقى والجزء التحتى، وجزؤه الفوقى يرمز بمقطع مستقل يخط " — " عبارة عن معنى الواحد، وأما جزؤه التحتى فترسم من مقطع آخر بثلاثة خطوط " 大 " عبارة لمعنى الكبير. فنجد من تشكيل لفظ " السماء (تيان 天) " يهذين الجزئين الفوقى والتحتى معنى " الواحد الكبير ". وقد وضعت هذه الكلمة حرفا فى اللغة الصينية ليرمز إلى معنى القمة كראس الإنسان، فستعمل ويعتم مدلولها على جميع المعانى للسمو والعلو.^{٤٨}

٤٨- انظر: شرح الألفاظ وبيان الكلام، لـ " شيو شين ١٩٨٨م - ١٩٤٧م "، الصفحة ٤٦، مطبعة الكتب التراثية بسانغهاي، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

وعلى هذا الأساس، إذا أطلق كلمة " السماء (تيان) " مقيدة خاصة، فالمراد بها السماوات المرئية المقابلة للأرض. وأما حين استعملت مطلقة عامة، فالمراد بها- من حيث اشتقاقها لفظيا - الطبيعة البينية والعالم الكوني، كما تدل كلمة " السماء (تيان) " - من حيث اشتقاقها المعنوي للمجرد - على وجود الذات أو الجوهر الأولي (تي يي). وذلك لما تحويه دلالة الكلمة " السماء (تيان) " من المعاني المسامية والغائية.^{٤٩}

ولم تقتصر كلمة " السماء (تيان) " على دلالتها على هذه المفاهيم المادية والمعنوية فقط بل ينتهى استعمالها في اللغة الصينية لتسمية الكائن المطلق والموجد للموجودات أي إله السماء الأكبر، عبارة عن كينونته الألوهية العليا ومجازا لوجوده الريبوي الأقصى. وذلك يعرض فما يلي :

٢- تعريف كلمة " السماء (تيان) " اصطلاحا :

إن " للسماء (تيان) " كانت كلمة مقدسة في اعتقاد قدماء الصين، وهي كلمة تحمل معنى الألوهية الكبرى، وقد كانوا يعتقدون أن " السماء (تيان) " هو الإله الأعلى والمالك الأكبر الذي أوجد الإنسان وسائر الموجودات في العالم كله.^{٥٠}

وكثيرا ما نجد الاعتقاد في " السماء (تيان) " على أنه الإله الأكبر في الكتب المقدسة القديمة من الأسفار الخمسة، والكتب الأربعة تتحدث عن هذا الموضوع عند الكونفوشيوسية. وكان أشهر النصوص التي يُستدل بها ويؤرد في هذا الموضوع، هو شعر "عن البشر" من سفر القصائد^{٥١} حيث قال: " أوجد السماء (تيان) إنسانا، ودبر له في شؤونه القواعد ؛ ليتمسك بها عروة وثقى، فتميل البشر إلى الفضائل فطرة".^{٥٢}

وكان في نظر قدماء الصين أن "السماء (تيان)" كالإله الأكبر والربّ الرازق، يجب على

٤٩- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٢٤-٢٣، مطبع الموسوعة والكتب بشتقها، الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م.

٥٠- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٢٤-٢٣.

٥١- سفر القصائد، يرجع تاريخ أقدم مضمونه إلى القرن الأحد عشر قبل الميلاد. وقد أعاد كونفوشيوس نظره فيه ورثبه نهائيا،

وهو يحتوي على ثلاثية وخمسة شعر رمحا وعائيا، يتناول المجالات المختلفة في حياة قدام الصين علميا وعمليا.

٥٢- سفر القصائد بشرح يون قرن جن، الصفحة ٢٤٣، دار الطباعة للعلوم الدينية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

الإنسان إلا يكف عن تقديم طقوس العبادة الخاصة والإقامة برسوم القربان المطلوبة فحسب، بل ينبغي عليه أيضا أن يطيع ويسلم لإرادته وأوامره المخطوطة للإنسانية الكاملة والمجتمع المثالي بإظهار الأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة.

وكان سفر الوثائق أقدم سجل بين الأسفار الخمسة المقدمة، يسجل أهم المواعظ التعليمية وأبرز السير المرشدة من ملوك وحكام السلف الذين امتد تاريخهم بين القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وبين القرن السابع قبل الميلاد^{٥٣}. وكان من خلال هذه النصوص والسير التراثية كثير من الموضوعات والعبارات تتحدث عن " السماء (تيآن) " باعتبار أنه الإله الأكبر والمالك الأعلى في إرادته وأوامره للإنسان والمجتمع.

وعلى أساس المثل المعروف الذي يقول : " الناس على دين ملوكهم "، يوجه سفر الوثائق مواعظه التعليمية دائما إلى الملوك والرعاة نصيحة وإرشادا، كما كان من سطور هذا السفر المقدس كثير من المواعظ الإملانية توجه إلى الشعوب والزعايا إعلانا وتأديبا.

وعلى سبيل المثال نورد بعض النصوص المشهورة من هذا السفر تتحدث عن إرادة "السماء (تيآن) " باعتبار أنه الإله الأكبر وأمره بالتزام الأخلاق والفضائل موعظة للرعاة خاصة ومؤنبة للزعايا عامة.

فلنأتِ أولا إلى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد ونستمع إلى نصائح الملك الحكيم الفاضل " شون " لخليفته الشوري وولي عهده، وهو يعظه بالأخلاق والفضائل قائلا : " تعالى يا ' يو ' واسمع، فعندما يحيط بنا الطوفان الكبير ابتلاء محذورا، قد وقتت بوعذك لخدمة الشعوب ونجحت في رسالتك لترويض الطوفان. فلا أحد أفضل منك في ذلك قط ! وأصفت في إدارة شؤون الدولة بجد واجتهاد، وعففت في عيالة معيشة أسرته بكذ وتقصص، ولم تفخر بمكافئك

٥٣- كان من هؤلاء الملوك والحكام القدامى: زو، وشون، و يو، وهم الملوك الثلاث العظام المتتابعون الذين عاشوا بين القرن الثالث وعشرين قبل الميلاد وبين القرن الأحد وعشرين قبل الميلاد، واتخذهم كوتفوشنيوس قوة حصنة في الإساقية والأخلاق في عهد المجتمع البدائي. وأما الملك الأب " ين وانغ " والملك الابن " زو وانغ " وأخوه الأمير " جيو كونغ " مؤسس مملكة أسرة " تشو " في أواخر القرن الأحد عشر قبل الميلاد فتأخذهم كوتفوشنيوس لنفسه قوة حصنة قريبة يعمل على خطواتهم التعليمية لقرب عهدهم وثبوت وثائقهم وبخلاصة كمال مناهجهم وتعاليمهم.

العالية، ولم تتكبر عن فضائلك الحميدة. فلا أحد أصلح منك في ذلك قط ! وإذا لم تفخر بأفضليتك فلا أحد أفضل منك فيها، وإذا لم تتكبر بنجاحك فلا أحد أنجح منك فيه. فمكارم أخلاقك هذه تستحق مني منحا، ومحاسن فضائلك تلك تستحق مني ثناء. لقد نزل عليك السماء حظا عظيما وقدر لك أن ترث مني سلطة ومُلْكًا. إلس المَلِك راعيا مرغوبا عند الشعوب؟ أوليس الشعوب بمعتمدين لدى المَلِك؟ بدون الراعي فمن يفتدي به الرعية؟ وبدون الجمهور فمن يعتمد عليهم المَلِك للدفاع عن البلاد؟ فكُن متواضعا دائما! واتق من عظمة كرسي المَلِك، وأد واجباتك احتراما لإجابة مطالب الرعية وحوائج الشعوب. وإن ضاق على الجمهور من أنحاء البلاد معاليشهم وشغل شؤونهم، فسقط عليك السماء - تيآن عن الحظ والنعمة بثَّة.^{٥٤}

فالعقيدة في " السماء (تيآن) " على أنه الإله الأكبر والمالك الأعلى وطاعته باسئال الأخلاق والفضائل، تتأصل - كما أشار إليها هذا النص المذكور في حضارة الصين العريقة اشتهرت هذه العقيدة في تاريخ الفلسفة الصينية بفكرة " إظهار الأخلاق الإنسانية الحميدة استجابة لعناية السماء (تيآن) وأوامره (以德配天).^{٥٥} وبرزت هذه الفكرة اعتقاديا وفلسفيا بشكل أشمل وأقوى في عهد أسرة " جيو " الغربية (١٠٤٧ ق.م - ٧٧١ ق.م)، حتى تصبح برنامجا أساسيا للملوك والحكام في المجال الأخلاقي والسياسي. وذلك كما حدث للملك التالي الشاب لهذه المملكة الناشئة في مناسبة اعتلاء عرشه في عاصمته الجديدة، فنصحه عنه الأمير " شاو فونغ " ^{٥٦} بقوله: " إنما ' السماء (تيآن) ' المقدس المالك الأعلى قد حرم أسرة ' شيانغ ' ^{٥٧} عن حظ مملكتهم الكبيرة وخلع كرمي المَلِك عنهم، كما قدر لك السماء المقدس ملكونا وسلطانا وكثر لك سعادة

٥٤- انظر: سفر الوثائق، الصفحة ٢٥-١٨، مطبعة للجامعة الجنوبية الشرقية، للطبعة الأولى سنة ٢٠١٢ م.

٥٥- انظر: موسوعة الفلسفة للصينية، الصفحة ٣، والصفحة ٨٧.

٥٦- الأمير " شاو فونغ (١٠٩٠ ق.م - ٩٩٤ ق.م)، الأخ الصغير للملك الحكيم " وو وانغ " الأخ الأكبر، وكان مع أخيه الكبير الآخر الأمير " جيو فونغ (١٠٩٥ ق.م - ٩٩٢ ق.م) " شركاء في رئاسة وزراء الدولة لابن أخيهما الأكبر الملك الشاب " شيانغ وانغ " (١٠٥٥ ق.م - ١٠٢١ ق.م)، وكلا مستشيرين هامين لابن أخيهما في إدارة الحكومة وميمنة الدولة، فخلصوا في السيطرة وبرزوا في الإدارة، حتى تدخل بفضلهم مملكة أسرة جيو في أزمة جيو في أزمة عسورها ولقوا نفوذا عظيما وسياسيا.

٥٧- مملكة أسرة شيانغ، تمتد سيطرته من أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد إلى الثلث الأخير للقرن الأحد عشر قبل الميلاد. وكان مؤسسها الملك ثاغ يُعتبر عند كونفوشيوس ومذبه كنزة حسنة من صفات الملوك والمكّماء السلف الصالحين.

ونعمة، فلا تنس رسالتك في رعاية الشعوب ولا تهملها، فإن تحصل على ذلك إلا أن تبقى نفسك على الحذر والورع دائما".^{٥٨}

ثم بين أسباب الحرمان عن العرش والعزة لأسمرة الملوك السابقة بأن أواخر عهدهم قد تركوا مكارم الأخلاق، وفتقوا سحاب الفضائل لسلفهم الخيار، بل طغوا في الرذائل البغيّة على أنفسهم، وعتوا بالملوك الظالم على الرعيّة، فتركهم السماء وكسر مملكتهم عذابا وعقابا حتى بدّلهم بأجيال صالحين خيرة وعبرة. فقال الأمير "شاؤ فونغ" لملكه الشاب نصيحة وشجّعه على الأخلاق والفضائل عبرة: "يا صاحب الجلالة، أنت ملك شاب وجديد في مسؤوليتك العظيمة؛ كمثل الطفل في بداية حياته يحتاج إلى التعلم بالحكمة والأسلوب الحسن، وقد سعدت بحظ وافر من تلك، وما فالآن يبرزك السماء (تيان) الحكمة المبيّنة وبمفحك البركات الممدودة، ويهبك الحظوظ السعيدة، إذ عرف السماء (تيان) أنك يا ملكنا الشاب قد جلست على كرسيك ناشئا وانتقلت إلى عاصمتك الجديدة. أفلا يسرع ملكنا في الورع والأخلاق الفاضلة نتيجة هذه البركات والنعم السماوية التي منحت له؟ فإذا أدّى ملكنا واجباته نحو الرعيّة بالورع والفضائل، فليدع السماء (تيان) المقدس بمذد حفظه ويباركه للأبد".^{٥٩}

وعندما جاء كونفوشيوس قبل القرن السادس من الميلاد، لم يحتق هذه العقيدة الموروثة فحسب، بل أقام نظريات مذهبه علميا وعمليا على أساس هذه العقيدة الوراثة، إذ طور فكرة "إظهار الأخلاق الإنسانية الحميدة لتلبية ضاية السماء وأوامره (以德配天)"، فجندّها ورعرها في إطار مذهبه بفكرة "الرحمة (رين 仁)"، حتى يطبقها الإنسان في حياته الواقعية أولا، ماشيا على أساس طريق الحق ثانيا، عائدا إلى طبيعته الفطرية ثالثا، وعارفا بإرادة السماء وعنايته أخيرا. وهذه الموضوعات الأربعة هي المجالات التي تتناولها الاصطلاحات الأربعة (السماء- فطرة الإنسان- طريق الحق- التعلم والتربية) كلها، كما منفصلها فيما يلي:

٥٨- انظر: سفر الوثائق. الصفحة ٢١٥-٢١٨.

٥٩- المصدر السابق نفسه.

ومن أقوال كونفوشيوس عن السماء (تيان) وصفاته باعتباره الإله الأعلى أنه قال: " خلقتي السماء (تيان) على هذه الأخلاق والمواهب فطرة، فكيف يضرنى ' هينغ توى' ؟! " ^{٦٠} وقال عن عدم قبول تعلماته الفلسفة والسياسة ونشرها عند الأمراء والرؤساء أسفا: " لعل الذي يعرفني هو السماء (تيان) ! " ^{٦١} وكذلك قال: " من الذي أخدعه؟ هل أخدع السماء (تيان) ؟ " ^{٦٢} وكان يقسم على برائته فقال: " لو ارتكبت ما لا يليق للأدباء غضب على السماء (تيان) ! غضب على السماء (تيان) ! " ^{٦٣}

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن بعض الباحثين المعاصرين في الكونفوشيوسية لم يتخذوا منها في دراستهم موقفا موضوعيا كاملا، فمنهم من يرى أن الكونفوشيوسية لم تتناول عقيدة الألوهية وغيرها من النظريات الميتافيزيقية، ويدعون أنه ما كانت أفكار الكونفوشيوسية وتعليماتها إلا القيم الخلقية والأداب الاجتماعية التي تتركز على الجوانب السلوكية في الحياة الإنسانية فقط. وهذا الرأي فيه نظر وقائل، ونقول: يبدو أن البحث في ذات " السماء (تيان) " كإله الأعلى وألوهياته الكاملة، لم يكن أهم موضوع دراسي عند كونفوشيوس ومذهبه، أي لم يدخل صاحبه في هذه القضية عميقا، بل كان يتوقف احتياطا وسكت عنها، وذلك كما قال تلميذه المشهور " تشن فونغ " ^{٦٤} في هذه القضية: " يمكن أن تسمع فضائل الأستاذ وأدابه، ونادرا ما تسمع أحاديثه في طبيعة الإنسان وفي ذات السماء (تيان) وسنته. " ^{٦٥}

وهنا تسأل، لماذا لم يتحدث كونفوشيوس نفسه عن قضية الألوهية وسكت عنها ؟

وقد أجاب عن ذلك العالم المعاصر الممثل للكونفوشيوسية المعاصر " مو زونغ سلان (١٩٠٩م-١٩٩٥م) " فقال: " إن قضية السماء (تيان) وذاته موجود بنفسه موضوعيا، وإن الحكيم

٦٠- كتاب الحوار بشرح جو تشي، الفصل ٧ الصفحة ٦٨.

٦١- المصدر السابق نفسه الفصل ١٤ الصفحة ١٥٠.

٦٢- المصدر السابق نفسه الفصل ٩ الصفحة ٨٧.

٦٣- المصدر السابق نفسه الفصل ٦ الصفحة ٥٨.

٦٤- " تشن فونغ " المتوفى سنة ٤٥٦ ق.م، كان من أشهر تلاميذ كونفوشيوس بالذكاء والأدب.

٦٥- كتاب الحوار بشرح جو تشي، الفصل ٥ الصفحة ٤٢.

(كونفوشيوس) غالبا لا يضيع وقته في الاستقصاء عن ذات السماء (تيآن)، ولا يدخل فيه ظناً عقلياً، إذ كان هذا الموضوع في الحقيقة لا يصل بعقل الإنسان وظفه إلى معرفة حقيقته. ولهذا السبب قد ترك كونفوشيوس نفسه ذلك الموضوع مؤقتاً بل فتح باباً آخر، وهو التطبيق لفكرة الرحمة (رين) والمسير على طريق الحق لمعرفة إرادة السماء (تيآن) وعنايته، حتى يتصل أخيراً به اتصالاً خلقياً وروحياً^{٦٦}.

وإن هذه القضية نفسها كانت مجالاً واسعاً للبحث والدراسة في القرون الوسطى لعهدى مملكة أسرة سونغ (٩٦٠م-١٢٧٩م) وأسرة مينغ (١٣٦٨م-١٦٤٤م)، عند العلماء المسجنيين الكونفوشيوسيين خاصة^{٦٧} وكانوا على اتجاهين رئيسيين وهما: اتجاه نظري عقلي، واتجاه نظري قلبي، وكان العلامة "جُو ثي" (١١٢٠م-١٢٠٠م) ممثلاً للاتجاه الأول، وقرينه المشهور العلامة "لُو جِيُو يُوَان" (١١٣٩م-١١٩٣م) ممثلاً للاتجاه الثاني^{٦٨} ولا حاجة بنا أن ندخل في دراستهم الفلسفة بالتفصيل؛ لأنها لا تتعلق ببحثنا مباشرة حتى لا نطيل الكلام هنا، فمن يهتبه معرفة هذا الموضوع فليرجع إلى الكتب والمقالات المتعلقة به.

ثانياً : الطبيعة الفطرية (性)

بعد أن بيّنا كلمة " السماء (تيآن) " لغة واصطلاحاً مع توضيح الاعتقاد الخاص به، يسهل لنا أن نفهم المراد بالجملة الأولى وهي " إن ما وهبه السماء (تيآن) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية " لأن " السماء (تيآن) " هو موجد العالم بما فيه من الإنسان والموجودات الأخرى كلها حسب هذا الاعتقاد، هو رب السماوات والأرض، هو الذي وضع الطبيعة الفطرية راسخاً في

٦٦- كتاب القلب والفطر، مؤلفه مان، الجزء الأول، الصفحة ١٨٧، مطبع للكتب التراثية بشيغهاي، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٦٧- النظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ١٩٥، ١٩٧.

٦٨- وكان اتجاه نظرية العقلية أكثر نقباً ولغوي نقوذاً من قرينه الآخر، من حيث اتخذ السلطة والحكومة اتجاههما رسمياً في مجال الفكرة والميتافيزيقا، وجعلته عملاً رئيسياً في مناهج التعليم والتربية ومقاييساً وحجداً لاختيار الموظفين الحكوميين منذ أواخر القرن الحادي عشر إلى بداية القرن العشرين. وأما اتجاه نظرية القلبية فهي اتجاه فكري يميل إلى العلم بالباطن والكشف الوجداني أكثر وأعمق، فلم يزل مكانة رسمية عند السلطة والحكومة كقرينه الآخر. وقد تضمن اتجاه نظرية القلبية كاملاً في عهد العلامة "وانغ يانغ" مؤلف ١٤٧٢م-١٥٢٨م.

كيان الإنسان وسائر الموجودات. وهذا ما اتفق عليه جميع العلماء في الكونفوشيوسية منذ بداية الأمر، ولكن هناك خلاف بينهم في الرأي حول طبيعة الإنسان من حيث كونها خيرة أم شريرة؟ وكان كونفوشيوس قد اتخذ موقف التحفظ في قضية طبيعة الإنسان، وذلك كما أخبر عنه تلميذه "تس فونغ" - الذي سبق ذكره - قائلا: "ونادرا أن تسمع أحاديثه في طبيعة الإنسان وفي ذات السماء (تيان) وسنته"^{٦٩}. وكما صرح كونفوشيوس نفسه بتمثل طبيعة الإنسان وتأثير البيئة الاجتماعية فيه فقال: "إن الإنسان في طبيعته يتقارب ويتمثل، ولكن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تجعله يختلف بعضهم عن بعض."^{٧٠} ومع هذا الاحتياط والتحفظ المذكور، كان الأستاذ كونفوشيوس يميل إلى رأي بخيرية طبيعة الإنسان، وقد أشار إلى ذلك من خلال قراءته للقصيدة "عن البشر" من سفر القصائد حيث قال الشاعر:

"أوجد السماء (تيان) إنسانا، وديّر له في شؤونه القواعد؛

ليتمسك بها عروة وثقى، فتميل البشر إلى الفضائل فطرةً."

فوضع كونفوشيوس تعلقا على هذه القصيدة وقال: "أفلا يعظم شاعر هذا البيت طريقة الحق؟! وقد قال: لكل شأن من شؤونه قاعدة، فتمسك الإنسان بها عروة وثقى، فحجبون مكارم الأخلاق فطرةً."^{٧١}

وهذا رأي صاحب المذهب في هذه القضية، وأما جمهور العلماء المتقدمون للكونفوشيوسية من بعده، وعلى رأسهم "تس سي" وتلميذه "منشيوس"، فيرون بخيرية طبيعة الإنسان، وصرح بذلك منشيوس، وهو يُعتبر كما سبق المجمل الثاني لمذهب الكونفوشيوسية في تاريخ الفلسفة الصينية، وقال: "كان الإنسان في بداية أمره على حسن طبيعته فطرةً."^{٧٢}

واستدل منشيوس على رأيه بنص الشعر السابق "عن البشر" الذي علّق عليه كونفوشيوس، من حيث إنه مصدر موثوق من المصادر الكونفوشيوسية، كما أيد رأيه عقلًا من واقع حياة

٦٩- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل الخامس الصفحة ٤٢.

٧٠- المصدر السابق نفسه، الفصل ١٧ الصفحة ١٧٣.

٧١- مجموعة الأحاديث للعلامة "جو شي"، الجزء الأول، الصفحة ٢٢٥، دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦ م.

٧٢- كتاب منشيوس بشرح جو شي، الفصل ٦١ الصفحة ٦٥٩، مكتبة تشي لو، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ م.

الإنسان وضرب مثلاً بقوله: " لكلّ امرئ قلب ملىء بالشفقة لغيره، وهذه الشفقة هي ما نشاهده في واقع حياتنا اليومية، مثلاً أنه إذا سقط طفل من الأطفال في البئر فمن شهد هذا المشهد في أول وقته يشفق على الطفل ويسرع إلى إنقاذه من الغرق. وإنما فعل ذلك ليس من أجل الامتنان على أهل الطفل أو كسب ثناء من الناس، بل دفعه إليه طبيعته الإنسانية الفطرية. وعلى سبيل ذلك نقول: من ليس له قلب مفعم بالشفقة فهو غير مستحق لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة، ومن خلا عنه الحياء فهو ليس مستحقاً لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة، ومن ليس له قلب الرحيم العطوف فهو لا يستحق لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة، ومن خلا قلبه عن تمييز الحق من الباطل فهو لا يستحق لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة. فقلب الشفيق مؤدّ إلى الرحمة، وقلب الممتحن مسبب للعدل، وقلب المتواضع مؤدّ إلى الأداب، وقلب المميز بين الحق والباطل مسبب للحصول على الحكمة. فالإنسان فطر على هذه الأخلاق الأربعة الحميدة طبيعياً، كما وُلد من أمه وله الجوارح الأربعة خلقاً." ٧٣

ولم يهمل منشئوس تأثير البيئة في طبيعة الإنسان ودور الظروف على تكوين شخصيته، بل أكد أهميتها في ذلك فيقول: " إنّ الإنسان معروف بخيرية طبيعته معرفة أولية، وذلك كما يسيل الماء على طبيعته من موضع مرتفع إلى مكان منخفض. فما من الإنسان إلا وهو يمتاز بحسن طبيعته، وما من ماء إلا وهو سائل إلى مكان منخفض. ولكنّ هناك حال طارئة استثنائية من طبيعته، فمثلاً: إذا ضرب أحد سطح الماء بالقوة جعل تتطاير قطراته إلى الجهات المختلفة حتى يتطاير بعضها أعلى من ناصية الضارب؛ وإنّ يرد الماء بالساقية (الناصورة) لجعله يسير إلى مكان مرتفع حتى قمة الجبل. فهل ذلك من طبيعة الماء؟ كلاً إنما ذلك على تغيّر الظروف والأحوال فيها، فنفس الشيء يحدث للإنسان بأن يصبح سيئ الطبيعة إذا كانت بيئته سيئة." ٧٤

وكذلك قد بين أصالة حسن الطبيعة في الإنسان أنها ذاتية، فقال: " إذا صدر من طبيعة الإنسان أمر فطري فهو مبنى على الخير، وهو حسن، وإذا صدر عنها شر فهذا أمر فطري غير

٧٣- المصدر السابق نفسه الفصل ١١ الصفحة ١٥٩
٧٤- المصدر السابق نفسه الفصل ١١ الصفحة ١٥٥-١٥٦.

طبيعى لا يستند إلى فطرة قط ، والقلوب مجبولة بالخيرات؛ وإنما لكل امرئ قلب به الشفقة والحنان، كما قلب به الحياء والخجل؛ ولكل امرئ قلب فيه التواضع والاحترام، كما له قلب به التمييز بين الحق والباطل. فإن قلب الشفقة والحنان كان من باب الرحمة، وقلب الحياء والخجل كان من باب العدل، وقلب التواضع والاحترام كان من باب الآداب، وقلب التمييز بين الحق والباطل كان من باب الحكمة. فهذه الصفات الأربعة من الرحمة والعدل والآداب والحكمة ليست بمكتسبة من خارج نفسى بل هي راسخة أو مغروسة فى النفس، أفلا تتفكرون ؟ وذلك كما قيل :

' من سعى حصل، ومن أهمل فقد '. فالناس كانوا متفوقين بعضهم على بعض فى السلوك والأعمال ضيعفا وأضعافا حتى لا يُحصى، إنما تحدث هذه التفوقات بسبب أنهم لم يكملوا فطرتهم الموهوبة. وذلك كما يقول الشاعر: أوجد السماء (تيآن) إنسانا، ونير له فى شؤون القواعد؛ ليمسك بها عروة وتقى، فميل البشر إلى الفضائل فطرة. " ٧٥

وقد مر بنا رأي كونفوشيوس فى هذا الشعر وتعلقه عليه قبل قليل، وكان مفشيوس يلاحظ أيضا أهمية هذه القصيدة فى إثبات حقيقة حسن أو خيرية طبيعة الإنسان. ولقد كشف أسرارها العلامة الكونفوشيوسى المجدد " جوشى " بدقة تأويله ولطف تعبيره، فذهب إلى أن هذا الشاعر يعرف أن السماء (تيآن) بعد إيجاده الإنسان لم يتركه سدى فى الجهل والظلام بل رتب لشؤونه القواعد المناسبة. فالإنسان كفرد مستقل أوجد السماء (تيآن) له أعضاء الحواس الخمسة، فتنصل بها مع البيئة المحيطة به، وأما الإنسان فى المجتمع فله العلاقات الخمس الأساسية مع الآخرين فى حياته الاجتماعية، وهى: علاقة المصاهرة بين الزوجين، وعلاقة القرابة بين الوالد وولده، وعلاقة الرحم بين الأخ الكبير وأخيه الصغير، وعلاقة المتبوع بتابعه أى بين الحاكم والمحكوم، وعلاقة المودة والعون بين الأصدقاء. فهذه العلاقات الفردية والاجتماعية جميعها هى الشؤون الإنسانية التى تكرت فى الشعر، وأما قواعد الالتزام والطاعة التى يتمسك بها الإنسان فهى المبادئ الأخلاقية التى يتبعها الناس فى حياتهم الفردية والاجتماعية، فالمبدأ الخلقى فى علاقة

القراءة بين الأب والابن (على سبيل المثال) بأن يكون الأب رؤوفاً بابنه، وعلى الولد أن يكون ياراً بوالده. وعلى أساس المبادئ الأخلاقية السماوية هذه، كان الإنسان يرغب في الأخلاق المحمودة فطرةً، ويكره الأخلاق المنمومة طبيعةً. ولأهمية هذا الشعر، قد مدحها كونفوشيوس بأن هذا الشاعر عارف بطريق الحق، ولما جاء منشيوس أورد هذا الشعر نفسه في إثبات حجته بحسن طبيعة الإنسان. فلينبه القراء إلى هذا الشعر ويتكبروا في مقاصده.^{٧٦}

وكانت نظرية منشيوس بحسن طبيعة الإنسان رأياً معتبراً لمذهب الكونفوشيوسية في هذه القضية، وهناك أحاد يخالف منشيوس في هذا الموضوع، وصاحبه هو " شيون يسي" (٢٩٨ ق.م - ٢٢٨ ق.م) حيث يقول: " إن طبيعة الإنسان سيئة، وإن أصبحت حسنة فهو عن طريق التكتب والوضع بعد الميلاد." ^{٧٧}

وادعى " شيون يسي" أن الإنسان بطبيعته الخلقية هذه يميل إلى ما تشتهي نفسه وهواه، ويرغب عما يخالفها فيقول: " العين تهوى الألوان المبهجة للنظر، والأذن ترغب في الأصوات المسرة للسمع، والفم يشتهي إلى المأكولات لذيذاً طعمها، والنفس تحب الشهوات المريحة لرغبتها والجسم يميل إلى الترفه المنعشة لبدنه. وجميع ذلك ينتج من سجية الإنسان، ويتأصل في طبيعته الخلقية." ^{٧٨}

ومع ذلك لم ينكر " شيون يسي" ضرورة اكتساب الإنسان للأخلاق الحميدة عن طريق التعلم والتربية، بل أكد أهمية هذا الاكتساب الوضعي في تكميل الطبيعة الإنسانية وتأمين الحياة الاجتماعية، ويقول في ذلك: " الطبيعة هي سجية مطبوع عليها الإنسان؛ وما يتكسبه البشر ويتخلق به من القيم الأخلاقية والآداب السلوكية فهذا من باب الوضع الخلق والتأديب العملي. فلا تحقق قيم الأخلاق وأهمية الآداب بدون مراعاة طبيعة الإنسان الأتانية السيئة، كما لا يكمل الإنسان طبيعته ويترقى بها بدون التكتب المهذب والتأديب الاجتماعي." ^{٧٩}

٧٦- انظر: خصلتس الفلسفة الصينية، مو زونغ-مان، دار طباعة الكتب التراثية تشانغهاي سنة ١٩٩٧م، الصفحة ٢٤-٢٣.

٧٧- كتاب شيون يسي، شيون يسي، دار الطباعة بجامعة نان جينغ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧، الفصل ١١ الصفحة ١٠٥.

٧٨- المصدر السابق الفصل ١١ الصفحة ١٠٦.

٧٩- كتاب شيون يسي، شيون يسي، الفصل ١١ الصفحة ١٠٩.

وكان رأي "شون يسي" يعارض نظرية منشيوس التي تُعتبر رأي الجمهور في قضية طبيعة الإنسان، ولكن يتفق كلاهما على ضرورة الأخلاق الحميدة وأهمية الآداب المنظمة في إرشاد وإسعاد حياة الإنسان وتنظيم المجتمع وتعايش الموجودات المنسجمة. إلا أن "منشيوس" يرى أن الأخلاق الحميدة كلها كانت مضمنة ذاتية في نفس الإنسان مهية للكشف والنهوض، حتى تساعده على تكميل إنسانيته والعودة إلى فطرته الحسنة في حين يصف "شون يسي" هذه الأخلاق والآداب بأنها كانت خارجية عن نفس الإنسان مكتسبة وضعية للتخلق والإتباع، لكي تضمنه في تصحيح طبيعته السيئة وتشخيصها من جديد في سبيل كفالة الأمن والسلام والانسجام للمجتمع البشري.

وقد حاول العالم الكونفوشيوسي المعاصر "موزونغ سان" ^{٨٠} أن يوفق بين هذين الرأيين في هذه القضية، وقال: "إن الطبيعة الإنسانية ثنائية في حقيقتها، ولها ناحيتها السامية وناحيها الدنيئة. فمن الناحية الأولى تظهر الإرادة والعقل والحكمة، فهذه الصفات الطبيعية تمكن الإنسان من تمييز الحق من الباطل وتفريق الخير من الشر؛ ومن الناحية الثانية تظهر غريزة الإنسان وميله إلى الشهوات. ولم يقل جمهور العلماء المتقدمون للكونفوشيوسية بهذه الثنائية، بل يركزون الهمم على الأولى، وهي الناحية العالقة من طبيعة الإنسان الفطرية. وبعبارة أخرى نقول: إنه كان "السماء (تيان)" باعتباره الإله الأعلى قد وهب للإنسان فطرة بارزة، فكون الإنسان بخسن طبيعته، وبها رجع البشر بخيره وفضل عليها، وهو كصفوة الخلق بين السماوات والأرض، فحجب على الإنسان أن يظهر طبيعته الحسنة ويجلبها بالأخلاق الفاضلة والقيم الحميدة ويسعى وراءها طول حياته، إذ كانت الطبيعة الإنسانية مفطورة على حب الأخلاق الحسنة والفضائل، وهو الفارق المبين بين الإنسان في أفضليته وبين الحيوانات في وحشيتها، بحيث لو فقد الإنسان لنزل بنفسه إلى صفوف الحيوانات المتوحشة." ^{٨١}

٨٠ - قد مرّ التعريف به في التمهيد لهذه الرسالة، الصفحة ٢٠.

٨١ - انظر: خلاص الفلسفة الصينية، موزونغ سان، الصفحة ٢٢ - ٢٤، مطبعة الكتب التراثية بتيانغهاي، الطبعة الأولى سنة

١٩٩٧م.

ثالثا : طريق الحق (道).

كلمة طريق الحق (道) في اللغة الصينية، كان معناها الحرفي هو الطريق الذي يسلكها الإنسان، فقال: من له الطريق. ثم يطلق على معنى الأسلوب أو المنهاج الذي يتبعه الإنسان في أمر ما، أي من له قاعدة وقانونا.^{٨٢}

وأما معناها الاصطلاحي في الفلسفة الصينية، فهو الحق الأعلى، والذات الأصلي الذي يصدر منه كل الموجودات والكائنات في العالم.^{٨٣}

وعندما أتى إلى ترجمة لفظ " 道 " من لغتها الصينية الأصلية إلى اللغة العربية، أرى بعد التفكير والتأمل فيها مرات كثيرة، أن من الأحسن أن أترجمها بـ " طريق الحق " جمعا لمعناها السني من حيث اللغة ومعناها الحقيقي من حيث الاصطلاح الكونفوشيوسي، حتى يسهل على القراء بالعربية للفهم والتعبير.

فطريق الحق (道) من حيث سنيها الخالدة وحقيقتها الكاملة، تُطلق وتُفهم عند الكونفوشيوسية من جانبين: الجانب العلم، والجانب الخاص:

فمن جانبها العلم تُسمي بطريق الحق الكونية، وهي تتحدث عن وجود العالم وكيفيات كيانها. وسفر التبدلات من الأسفار الخمسة كتاب خاص يتحدث عن طريق الحق الكونية وكيفياتها.^{٨٤}

وإذا أطلقت كلمة طريق الحق. خاصا تُسمي بطريق الحق الإنسانية، وهي تتناول مجال الإنسانية بعينها من جوانبها المتنوعة التي تتمثل في نظريات القيم والأخلاق وفي معارف الإنسان بما حوله من البيئة والمجتمع فكريا وعمليا. وهذا الاستعمال الخاص هو الملازم للبيان

٨٢- انظر: كتاب فوج الألفاظ وبيان الكلمه شو تشين ٥٨ م-١٢٧م، الصفحة ١٨٦.

٨٣- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٢٢-٢٣.

٨٤- يُعد سفر التبدلات أحد الفنايع التراثية المقدسة في الكهنة و لمرار الكون وهو في غاية الغموض والإشكال. وكان كونفوشيوس يحب هذا السفر حتا جفا لموسوعته الميتافيزيقية والفلسفية، وكان في شيوخته أكثر قراءة له وقد تعفق في دراسته حتى تفككت خيوط تجليده عدة مرات بسبب القراءة المتكررة، وقد ضره في أولخر صره وعاقبه بتبيين عباراتها المجلة والوصول كلماته المبهمه. وذلك كما قال بنفسه محدحا لأهمية هذا الكتاب وهو ابن سبعين من ضره قائلا: " لو إراد لي بضع ستين لأتم دراستي كتاب التبدلات، لأمكنني أن أسلم من الأخطاء الكبيرة".

والدراسة هنا بعينه، إذ كان التعبير المناسب في النص " إنَّ ما يَهْدِيه السماء (تِيَان) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية، والتابع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمّى بطريق الحق، وتهذب الإنسان وتزكية نفسه بطريق الحق يسمّى بالتعلم والتربية. " يدل هنا على أنَّ كلمة طريق الحق هنا يشير إلى جانبه الإنساني مخصوصا بالذكر والبيان.

وقد تحدث كونفوشيوس عن أهمية طريق الحق في حياة البشر وضرورتها في إرشاد المجتمع، حيث يقول : " من الذي يقدر على أن يخرج من منزله من غير باب؟ فلم لا يسير على طريق الحق هذا ؟ " ^{٨٥} يعنى إذا كان لا بدّ للإنسان من أن يدخل ويخرج من بيته - كمادته - عن طريق الباب لا غيره، فمن البديهي أن يتبع الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية طريق الحق كمسئلة سليمة لست حوائجه المادية والمعنوية؛ وإن تركها فستقع حياته في الشقاء والضراء.

ولقد بين كونفوشيوس العلاقة التفاعلية بين طريق الحق وبين الإنسان مؤكدا للفعالية الإنسانية فيها، وقال: " يستطيع الإنسان أن يطبق طريق الحق ويوسّعها، ولا تستطيع طريق الحق أن تمثله وتعظمه. " ^{٨٦} أي يرويه أن يطبقها ويلتزم بها.

فشرح تلميذه المشهور " تسانغ تس " ^{٨٧} مقاصد أستاذه كونفوشيوس بهذه العبارة بعد تجاربه التطبيقية فيها قائلا: " من الضروري أن يكون العالم المهذب واسع الصدر وثابت العزم، فإن عبئه ثقيل وطريقه بعيد. وإذا كانت " الرحمة " (رين) هي العبء يفحمه أليس بتقيل عبئه ؟ وإذا كان طريقه لا ينتهي إلا بقضاء نحيبه أفلم يست ببعيد طريقه؟ " ^{٨٨}

وكان طريق الحق الإنساني في الكونفوشيوسية يتكون من ناحيتين: الناحية الخلقية الباطنة، والناحية السلوكية الظاهرة. كانت الأولى تتمثل بفكرة " الرحمة "، وهي جامع الأخلاق الحميدة والفضائل السامية؛ وأما الثانية فتتمثل بنظام الأداب، وهي السلوك المستحب والمعاملات الأدبية.

٨٥- كتاب الحوار بشرح جوشي، الفصل ٦، الصفحة ٥٥.

٨٦- المسرد السابق نفسه للفصل ١٢ الصفحة ١٢٥.

٨٧- تسانغ تس هو صاحب كتاب المعرفة الكبرى، اشتهر بين زملائه بالبرّ والورع، وهو أمثا " تس سي " صاحب كتاب الوصية والاعتدال.

٨٨- كتاب الحوار بشرح جوشي، الفصل الثامن الصفحة ٧٧.

وهناك حديث ينور بين الأستاذ كونفوشيوس وبين أفضل تلاميذه " يَانْ يُوَانْ " ^{٨٩} في كتاب الحوار، قد كشف لنا أسرار العلاقة المتينة بين فكرة الرحمة وبين نظام الآداب باطنية وظاهرة، وهو كما يلي:

سأل " يَانْ يُوَانْ " أستاذه عن الرحمة ؟ فقال الأستاذ: " الرحمة هي أن يجاهد الإنسان نفسه ويؤد مطالب الآداب. وإن يحقق مجاهدة النفس والعودة إلى الآداب يوما فسيغود جميع الناس تحت السماوات إلى " الرحمة "؛ وإنما تنال الرحمة ببذل جهدك، أنتظر يعون غيرك؟ " قال يَانْ يُوَانْ: ما المناهج والأصول الأساسية لها؟ قال الأستاذ: " لا تنظر إلى ما ينافي الآداب، ولا تسمع لما ينافي الآداب، ولا تنطق بما ينافي الآداب، ولا تتحرك فما ينافي الآداب. " قال يَانْ يُوَانْ: إني وإن كنت بليدا لأعمل بجهودي على تطبيق هذا الحديث المرشد. ^{٩٠}

بدلنا هذا الحوار على أن كونفوشيوس كان يرى الفطرة الإنسانية يذووع الخير والنفس أمارة بالسوء، ومن غالب نفسه وغلبها فقد عاد إلى فطرته السليمة ونشأ عنه الخيرات الجمّة؛ ومن أطاع نفسه وهواه فقد ضلّ ضللا بعيدا. فمن أجل ذلك حثّ الناس على مجاهدة النفس بالغ كونفوشيوس في سرعة إشارها، إذ قال: وإن يحقق ذلك يوما، فسيغود جميع الناس تحت السماوات إلى " الرحمة ".

وكانت فكرة الرحمة جامعة الأخلاق والفضائل عند الكونفوشيوس، وهي المثل الأعلى في تحقيق الإنسانية الكاملة، فاهتم بها كونفوشيوس غاية الاهتمام، وأسس عليها نظرياته الفلسفية والاجتماعية. ونجده كثيرا ما يتحدث عن فكرة الرحمة في كتابه الحوار، ويؤكد أهميتها في مثالية إنسانية، حتى قال: " الرجل ذو الهمة والرحمة لا ينقص في رحمته من أجل حياته، بل يضحي بنفسه للدفاع عنها. " ^{٩١} كما أشار إلى همة الرجل الفاضل فيها قائلا: " اعتد عزيمة على طريق

٨٩- يَانْ يُوَانْ (٥٢١ ق.م - ٤٨١ ق.م) واسمه " هوى "، وهو أحد تلاميذ كونفوشيوس والمعلم عظماء وخلفاء، والفقيه بين زملائه بذات الرأي وبالغ العفة، مات كهلا قبل وفاة أستاذه بستين، وحزن عليه كونفوشيوس أشد الحزن.

٩٠- كتاب الحوار بشرح جوشي، الفصل ١٢ الصفحة ١١٥.

٩١- المختصر السابق نفسه، الفصل ١٥ الصفحة ١٥٧.

الحق، وحافظ على الفضائل، واعتمد على الرحمة، وسلّ نفسك بالفنون الستة^{٩٢} وأكد كونفوشيوس ضرورة فكرة الرحمة في تحقيق الإنسانية المثالية مناديا: "إن لم يكن الإنسان ذا رحمة فمبداً تفيدهِ الآداب؟ وإن لم يكن الإنسان ذا رحمة فمبداً تفيدهِ الموسيقي^{٩٣} ؟"^{٩٤}

وهذه هي فكرة الرحمة بصفتها جامعة الأخلاق والفضائل، تتمثل في الناحية الباطنة لطريق الحق عند الكونفوشيوسية. وأما ناحيته السلوكية الظاهرة التي تتمثل بنظام الآداب، فهي السلسلة المرسومة من القواعد السلوكية والأصول العملية في التصرفات الفردية والمعاملات الاجتماعية لكل جوانب حياة الإنسان كبيرها وصغيرها.^{٩٥}

وقد ورث كونفوشيوس هذه الآداب والرسوم عن الملوك الحكماء القدامى، فجمعها ورتبها في سفر الآداب، ودعا الناس إلى العودة إلى هذه الآداب المحمودّة، لكي ترشدهم في التصرفات الفردية، وتصحّحهم في المعاملات الاجتماعية من الناحية السلوكية والعملية ظاهراً، في حين أن فكرة الرحمة تقوم الناس وتهذبهم في القيم والأفكار من الناحية الخلقية والعلمية باطنياً.

ويبيّن كونفوشيوس مصدر الآداب وأهميتها في حياة البشر، وقال: "فالآداب هي ما جاء به الملوك الحكماء القدامى امتثالاً لإرادة السماء (تيّان) وإحكاماً لشؤون الناس. فمن فقد الآداب يهلك، ومن حصل عليها يتج. وذلك كما قيل في سفر القصائد: 'انظر إلى فار ذي جسم مع الهيئة تناسبه، وانظر إلى شخص ذي جسم ولم يتأدّب، وإذا لا يتأدّب الإنسان فله الهلاك مصيراً عاجلاً(انتهى)'. فالآداب ونظامها كانت تصدر عن السماء (تيّان)، وهي معقّلة في الأرض،

٩٢- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل ٧ الصفحة ٦٢.

٩٣- الموسيقي الأنيق السليم وسيلة إيجابية لفرقية ذوق الإنسان وليافته المعقّرة في نظر الكونفوشيوسية، وستفصلها بعد قليل.

٩٤- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل ٣ الصفحة ٢٠.

٩٥- كانت مصادر نظام الآداب ومراجعتها هي ما ورثها كونفوشيوس من الآثاء القليلة للملوك الحكماء القدامى في تاريخ الصين القديم وخاصة من أسرة 'تشو' وملوكها الحكماء القدامى التي ازدهرت سيطرتها من النصف الأول للقرن الأحد عشر قبل الميلاد إلى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد، التي تسمى في تاريخ الصين بفترة أسرة 'تشو' الغربية المتزعزعة، ثم جاءت فترتها الشرقية التي ضعفت وانحطّت نفوذها من القرن الثامنة قبل الميلاد إلى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد وهي تسمى في التاريخ بعهد الربيع والخريف الذي عاش كونفوشيوس في أواخره وأسس مذهبه الفلسفي. ثم جاءت فترة أسرة 'تشو' الشرقية إلى عهدها الأخير عهد الممالك المحاربة التي اتكسرت بقلّة سلطانها الإنمويّة حتّى قضت أواخر تقسماتها في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد.

وممّشركة في صفوف الملائكة والجان، ومطبّقة في شؤون حياة الإنسان فرديا واجتماعيا. فقام
الملوك الحكماء القدامى نظام الآداب للجمهور العوام حتى يستقرّ بفضل كل الأسر وجميع الدول
تحت السماوات. " ٩٦

وكشف سفر الآداب في مسطوره الأولى بالفصل الأول مقاصد الآداب فقال: " إنما تفد
الآداب إثباتا لمراتب النسب والقربة، وتحليلا للشكوك والإشكالات، وتفرقا للنظائر والأضداد،
وتبيينا للحق من الباطل. فمن الآداب أن لا تُسرف في مجاملة الغير، ولا تثرثر في كلامك، وأن
لا تفرط ولا تفرط في السلوك والمعاملات، وأن لا تظلم غيرك ولا تعتدي عليه، وأن لا تتطزف
ولا تنهز عند الأحناء والأقارب. وإنما تهذيب النفس والوفاء بالعهد ذلك يسمى بالسلوك المحمود،
فتطبيق السلوك المحمود والسعي وراء طريق الحق ذلك هو مقاصد نظام الآداب بعينها. " ٩٧

وقد بين لنا كونفوشيوس اتفاق نظام الآداب مع الأخلاق الحميدة في تصحيح الجمهور
لسلوكلهم ظاهرا، وتهذيب المجتمع لأخلاقهم باطنا، وهو يقول: " إذا قاد الراعي رعيته بالأوامر
الحكومية، وسكدهم بالعقوبات القهرية، فسبحاولون التخلّص منها، وهم ليسوا بالحياء والخجل
يرجعون من ارتكاب الجرائم؛ وإذا سنّهم بالأخلاق الفاضلة، وأصلحهم بالآداب المهنيّة يستحيون
من ارتكاب الجرائم وهم صالحون. " ٩٨

وأكد الأستاذ كونفوشيوس تعاون نظام الآداب مع الأخلاق الحميدة، واقتراح بعضهما
ببعض في سبيل تحديد التصرفات الفردية وتقويم المعاملات الاجتماعية، وهو يقول: " الاحترام
من غير الأدب يكون متعبا، والورع من غير الأدب يصير جينا، والشجاعة من غير الأدب تصبح
عصيانا، والصراحة من غير الأدب تُصير خشونة. " ٩٩

وهكذا عرفنا فكرة الرحمة ونظام الآداب ودورهما في تطبيق طريق الحق خلقيا باطنا

٩٦- سفر الآداب بشرح فان متاو قلغ، الفصل ٩، الصفحة ١٣٧. دار الطباعة الاجتماعية الصيلة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

٩٧- سفر الآداب بشرح فان متاو قلغ، الفصل ١، الصفحة ١٥.

٩٨- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل ٢، الصفحة ١٠.

٩٩- المصدر السابق نفسه، الفصل ٨، الصفحة ٧٤.

وسلوكيا ظاهرا، في سبيل إرشاد حياة الإنسان وإسعاد المجتمع الإنساني عند الكونفوشيوسية. إذن، فكيف نطبق طريق الحق هذا بناحيته العلمية والعملية في حياتنا اليومية حتى نتجح هذه المثالية العليا الإنسانية بتطبيقها العملي ونصبح واقعية بتحقيقها ؟

وهذا الموضوع يتناوله مجال التعلم والتربية مع النص " وتهذيب الإنسان وتزكية نفسه على طريقة الحق يسمى بـ " التعلم والتربية (خاؤ) ". وذلك فيما يلي :

رابعا : التعلم والتربية (خاؤ) :

ولأهمية قضية التعلم والتربية في تحقيق الإنسانية المثالية في الكونفوشيوسية، اتخذها صاحب كتاب الوسيطية والاعتدال "تس سي" مسألة رابعة تتصل اتصالا متدرجا بتحقيق الأهداف الثلاثة العليا: فبطريق الحق كهدف قريب، وبطبيعة الإنسانية الفطرية كهدف بعيد متناهزقيا، وبإرادة السماء (تيان) وعنايته كهدف غائي روحيا. فمشروع التعلم والتربية يصبح أسلوبا فعالا لهذه السلسلة الرباعية المثالية في إرشاد الإنسان وإسعاد المجتمع ماديا ومعنويا.

وفي نظر الكونفوشيوسية إن الإنسان مع خلقه على الفطرة السليمة، وميله إلى الأخلاق الحميدة تلقائيا، ولكنه لما جاء إلى هذا العالم المادي غرته الحياة الدنيا، وهبت في نفسه الأهواء والشهوات من حبب الغنى والجاه، والرغبة في الثرف والأنانية وما عداه من الأخلاق المذمومة، كما كشف سفر الآداب أسباب ذلك قائلا: " الإنسان وُلد بسكينة وسلام، وكان شأنه هذا من فطرته السماوية؛ ولما أثرت فيه البيئة الخارجية المادية وهو متأثر بها، أصبح ذلك من غريزة طبيعته. فتأثر الإنسان بالبيئة المادية ومعرفته وإدراكه للعالم المادي، بسبب شهوات الرغبة أو الكراهة في نفس الإنسان. وإذا تجاوزت هذه الشهوات والغرائز حدودها في نفس الإنسان باطنا، وبخدهته معارفه ومشاعره المادية خارجا، وهو في نفس الوقت لم يحاسب نفسه، فسوف يضيع منه طريق الحق هداية، ويفقد فطرته السماوية مرجعا." ١٠٠

والإنسان بسبب استجابته للأهواء النفسية وتأثره بالشهوات المادية يطغى على فطرته السليمة، ويؤدي إلى غلبة الأخلاق المذمومة على الأخلاق الحميدة، مما يوقع نفسه في التنازع والتنافس لإشباع الشهوات والأهواء خاصة، وينحط المجتمع من الأمن والسلام إلى الشقاء والضراء عامة. وذلك كما حدث في عهد كونفوشيوس وشهد بنفسه من ثوران الدولة وفتن المجتمع، فادعى كونفوشيوس والعلماء الكونفوشيوسيون أهمية التعلم والتربية في تحقيق فكرة الرحمة وتطبيق نظام الآداب، وفاقا لمطالب طريق الحق وعودة إلى فطرة الإنسانية السليمة، واتخذوا مشروع التعلم والتربية أساسا واقعا تعتمد عليه هذه المقاصد المثالية كلها.

وكان كونفوشيوس أول من أسس في تاريخ الصين مدرسة مفتوحة متجهة إلى جميع أبناء المجتمع، بعد أن كان العلم وحركة التعلم حكرا على طبقة الأشراف والملا في المدرسة الرسمية. قبل كونفوشيوس أقصى جهوده في مشروع التعلم والتربية، وقد بلغ عدد تلاميذه أكثر من ثلاثة آلاف وقتئذ، وبينهم اثنان وسبعون من النبلاء المتفوقين.^{١٠١}

فقضية التعلم والتربية تحتل مكانة محورية في الكونفوشيوسية؛ إذ تتصل أولا بالقضايا الكبرى النظرية، وهي من قضايا طريق الحق، وطبيعة الإنسانية الفطرية، وإرادة السماء- تيان؛ هذه القضايا الفلسفية الميتافيزيقية، وثانيا تتصل بالتطبيق العملي يرشد الإنسان في كفالة حياته المادية من طريق تعليم الفنون المختلفة لكسب الوظائف. وفي النهاية يصل هدف التعليم والتربية عند الكونفوشيوسية إلى تحقيق الإنسان طريق الحق ملأيا ومعنويا.

وقد بين لنا صاحب المذهب كونفوشيوس العلاقة الثنائية الوثيقة في مثاليته بين مشروع التعلم والتربية قائلا: " اعقد عزيمتك على طريق الحق، وحافظ على الفضائل، واعتمد على الرحمة، وسل نفسك بالفنون الستة." ^{١٠٢}

١٠١- ميجانغ تاريخ الصين، صبي ما تيان (٢٤٥ ق.م- ٢٠٦ ق.م)، فصل أسرة كونفوشيوس، الصفحة ٥٨٩. دار طباعة للكتب التراثية، الطباعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

١٠٢- كتاب الحوار بشرح جوشي، الفصل ٧ الصفحة ٦٢.

كما قال في حصول التعلم والتربية عن طريق تهذيب الأخلاق وامثال الفضائل: " يحزنني تقصيري في تهذيب الأخلاق، وفي المباحثة في العلم والمعرفة، وفي الهجرة من النقائص إلى الفضائل، وفي التوبة من الخطايا والذنوب. " ١٠٣

ولخص في أواخر شيخوخته مراحل حياته المستمرة بين طلب العلم وبين تهذيب الأخلاق، وقال: " صرت مكبًا على العلم وأنا ابن خمسة عشر عامًا، وأصبحت قائمًا به وأنا ابن ثلاثين، ولم أشك في حقائق الأشياء وأنا ابن أربعين، وعلمت إرادة السماء (تيان) وأنا ابن خمسين، وأمسيت أذنائي صاغية إلى الحق وأنا ابن ستين، وأذعنت لجميع ما تشاء نفسي (النفس المطمئنة) ولم أتجاوز حد الاستقامة وأنا ابن سبعين. " ١٠٤

فكان مشروع التعلم والتربية قضية مركبة من " التعلم " و " التربية " في الكونفوشيوسية، والمراد من جانب التعلم هو الدراسات والتدريبات العقلية في العلوم والفنون المتنوعة، والمقصود من جانب التربية هي الرياضات التهديبية الخلقية من الفضائل والقيم. وهكذا يتكوّن التعلم العقلي والتربية الخلقية قرينين متفقين آليًا وعاليًا. كجناحي الطائر الأيمن والأيسر. في الخدمة لتكوين الإنسان وتشخيصه كفرد عاقل مهذب وتأسيس المجتمع الفاضل المثالي في الكونفوشيوسية.

وهذه القضايا الأربع (إرادة السماء- تيان وعنايته، وطبيعة الإنسان الفطرية، وطريق الحق، والتعليم والتربية) هي المقاصد العليا في الكونفوشيوسية، موضحة ومشروحة في الكتب الأربعة من كونفوشيوس و " تسينغ تس " و " تس سيي " و " منشوس " جيلًا بعد جيل. وخاصة صاحب كتاب (الوسطية والاعتدال) " تس سيي " يعرض هنا للقراء ملهجا أصوليا فلسفيا للكونفوشيوسية لتحقيق هذه المثالية العليا، وهو منهج الوسطية ومبدأ الصدق والإخلاص عنده، ومنفصل ذلك في الفصول والمباحث التالية إن شاء الله.

إذن، فلنعرف هنا ما للموضوعات والمهمات في قضية التعلم والتربية في الكونفوشيوسية من ناحيتيها العقلية والخلقية. أما ناحية التعلم العقلية فتكون من قسمين قرينين، وهما: قسم العلوم

١٠٣- كتاب الحوار بشرح جوشي، الفصل ٧ الصفحة ٦٢.

١٠٤- المصدر السابق نفسه، الفصل ٧ الصفحة ٦٠.

الآلية وقسم العلوم العالية. وكانت العلوم الآلية تسمى عندهم بالفنون الستة، وهي كما يلي:

الأول : علم الطقوس والآداب بالأنواع الخمسة.^{١٠٥}

الثاني : علم الموسيقى بالأنواع الستة.^{١٠٦}

الثالث : مهارة الرمي بالسهم على الأنواع الخمسة.^{١٠٧}

الرابع : مهارة سياق العربات بخمسة أنواعه.^{١٠٨}

١٠٥- علم الطقوس والآداب بخمسة أنواعه وهي: النوع الأول- الطقوس والزموم المقدمة لتقديم الأضحية والقربان. وهي تحتوى على ثلاث طبقات، الأولى: تقديم القران إلى السماء (تيان) كالإله الأعلى، وذلك مخصص لذلك الصين وحده بقلمتها، الثانية: تقديم القران للملائكة والجان ممثلة في النجوم والجمال والأنهار، وذلك يمكن للملا إقامته، الثالثة: تقديم القران لأبناء الأسرة وأجداد العشيرة، وذلك متاح لجميع أبناء المجتمع إقامته. النوع الثاني: أدب القتال الذي تقام في مناسبات الضراء والمصائب، كمثل الجيزة والقابن، والحذب والطوفان، وهزيمة الجيش واضطراب الدولة إلخ. والنوع الثالث: أدب السكر ورسومه، وهي تصد بأحوال التحركات العسكرية الدولية وكيفيةها، كمثل التجذ واستعراض الجيوش، وشهيد الطرق وتحصين القلاع، وما من ذلك في التحركات العسكرية. والنوع الرابع: أدب اللصوفة ورسومها، وهي تصد بالزموم المعاملة بين الملك والأمراء والآداب المتبادلة بين الملأ بعضهم بعضا، والآداب المتبادلة بين العوام بعضهم بعضا. والنوع الخامس: أدب المعينة ورسومها، تقام في الأعياد الوطنية المختلفة، وفي حفلات الأفراح الشعبية الخاصة لصله رحم والقرابة، وقد تطلق آداب المعينة أحيانا على الزفاف والعرس خاصة.

١٠٦- علم الموسيقى بستة أنواعه، وهي: النوع الأول- موسيقى يون، مؤن، وهي موسيقى عهد الملك هوانغ دى (حوالى ٢٧١٧ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م)، يعتبر الملك هوانغ دى المؤسس الأول للعضارة الصينية المتحدة، إذ وقد نى عهده قبائل عديدة ومناطق مختلفة في أراضي الصين اتحادا سياسيا وحضاريا، وجمع أهل الصين في قومية مشتركة ودولة واسعة، فإليه يرجع تاريخ الصين بخمسة آلاف سنة حضاريا وثقافيا حتى يومنا الحاضر. والنوع الثاني: موسيقى ذا تشيان، وهي موسيقى عهد الملك يائو (حوالى ٢٢١٤ ق.م - ٢٠٩٧ ق.م) والنوع الثالث- موسيقى ذا تشن، وهي موسيقى عهد الملك تشون (حوالى ٢١٨٤ ق.م - ٢٠٧٣ ق.م). والنوع الرابع: ذا تشيا، وهي موسيقى عهد الملك يو (حوالى ٢١٦١ ق.م - ٢٠٦٠ ق.م). والنوع الخامس: موسيقى ذا مؤزا، وهي موسيقى عهد الملك شيانغ تشنغ (حوالى ١٦٧٥ ق.م - ١٥٨٨ ق.م). والنوع السادس: موسيقى ذا زوا، وهي موسيقى عهد الملك وو وانغ (حوالى ١٠٨٧ ق.م - ١٠٤٣ ق.م).

١٠٧- مهارة الرمي بالسهم على خمسة أنواعها وهي: الرمي المسابق القوي، والرمي الثلاثى المتسلسل بثلاثة أسهم، والرمي السريع الهدف، والرمي الحثيث المؤبد للوزير مع الحكيم، والرمي الرباعي المتتالى المضبوط.

١٠٨- مهارة سياق العرب، وهي مهارة ضرورية في مجتمع قدام الصين، وأول بكونها واسطة عامة للنقل والمواصلات فحسب، بل كانت العربى الحربية سلاحا هداما كالنبابة الحربية في العصر الحاضر. في ميدان القتال والقتل. وكانت مهارة سياق العربى بخمسة أنواعها، وهي: السباق المعطنة والسلمة للجرحى، والسباق السريعة للمأمورة عند شاطئ النهر، والسباق المتدرب عند محلات الليل، والسباق المنقن في الشوارع المزينة، والسباق المخصصة للمسد بالرمي من البسار.

الخامس: علم الكتابة بسنة أنواعها. ١٠٩

السادس: علم الحساب والرياضيات بتسعة أنواعه. ١١٠

وأما العلوم العالية في مجال التعلم العقلي في الكونفوشيوسية، فهي تقصد بالأسفار الستة المقدسة التراثية التي كانت تدرس وتدرس في عهد كونفوشيوس، وهي تشتمل على سفر القصائد، وسفر الوثائق، وسفر الآداب، وسفر الموسيقى (المفقود)، وسفر التبدلات، وسفر الربيع والخريف. وبسبب فقدان سفر الموسيقى قبل مئتي سنة من الميلاد المسيحي، أصبحت هذه المجموعة للكتب المقدسة التراثية مشهورة بالأسفار الخمسة عند الكونفوشيوسية في تاريخ الصين. ١١١

وقد بين لنا العلامة الكونفوشيوسي المجدد " جوشي " المراحل المرتبة في دراسة العلوم الإلهة والعلوم العالية وقال: " الطفل في الثامنة من عمره يدخل أولاً في مرحلة دراسة العلوم الإلهة، فتعلم الآداب البدائية وعلم الكتابة وعلم الحساب في المرحلة الابتدائية، ثم يدرس العلوم الأخرى من الآداب والموسيقى والرسم والسياسة مع نمو عقل الطفل وبنية جسمه. ولما بلغ شبابه في الخامس عشر من عمره، يدخل ثانياً في مرحلة دراسة العلوم العالية، لبحث في أفكارها،

١٠٩ - علم الكتابة بسنة أنواعه وهي كما يلي: النوع الأول- كتابة تصويرية رسمية وهي بكورة الألفاظ الصينية وأساس مبدئي لأخوانها الخمسة الباقية في تطورها. النوع الثاني- كتابة شكلية إشارية. النوع الثالث- كتابة محورية فهمية. النوع الرابع- كتابة صوتية شكلية، وهي آخر أخواتها الست ظهوراً في تاريخ الكتابة الصينية، ومع تأخر ظهورها قد صارت أحد حيوية لغوية بين أخواتها الست، وأكثر استعمالاً مع تطور اللغة وعلم الكتابة. النوع الخامس- كتابة شرحية استنباطية. النوع السادس- كتابة السحرية حجازية. إن اللغة الصينية لغة فريدة في نوعها من اللغات الألف والمليون في العالم، فكل نقطة وخطة في اللغة الصينية شكل مختلف ومعنى مستقل. لذلك كان دراسة كتابة الألفاظ الصينية وإثقان كيفية استعمالها علماً ضرورياً لكل الدارسين المبتدئين. ولذا ضربنا مثلاً فنقول: كان في الكتابة وعلمها عند الصينيين يساوي فن الخط وعلم الصرف والفن عند العرب من حيث الأسس المبدئية.

١١٠ - علم الحساب والرياضيات بتسعة أنواعه. وهي كما يلي: النوع الأول- قضايا قياس الأراضي و حدّ الحقول بمختلف أشكالها، والنوع الثاني- قضايا نسبة التبدل الحسابية في كمية الزروع والأغذية. النوع الثالث- قضايا النسبة لتقسيم الضرائب والرسوم عن الجذر التربيعي والتكعبي. النوع الرابع- قضايا علاقة المساحة والحجم بلجزانهم من العرض والطول وقطر الدائرة إلخ، النوع الخامس- قضايا هندسة صلبة من الحجم والكمية في مشروعات البناء والتأسيس. النوع السادس- قضايا إيجاد الجذر في نفقات النقل والمواصلات. النوع السابع- قضايا مجهول زائد و مجهول ناقص في الهندسة العلمية. النوع الثامن- معادلة حسابية تقصد بالمعادلة ذات المجهول أو أكثر من الدرجة الأولى. النوع التاسع- قضايا المثلث القائم للزاوية وقواعدها. ١١١ - انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٤٢٣.

ويتعمق في حقائقها أصوليا واستنباطيا، حتى يستفد منها خلقيا وعمليا أخيرا.^{١١٢} وذلك على حد وصف الأستاذ كونفوشيوس لنموذج ناجح في إراسته علميا وعمليا فقال: " الناشئون تنمو بإثارة القصائد همهم، وترسخ بتثبيت الآداب أقدامهم، وتكفل بتهديب الموسيقى أخلاقهم".^{١١٣}

بعد تصريحنا لجانب التعلم العقلي في الكونفوشيوسية، نأتى الآن إلى تبیین جانب القربة الخلقية لهم، فغاية التربية هنا هي التهذيبات النفسية والرياضيات السلوكية في قيم الأخلاق والفضائل؛ لأن الإنسان المثالي أو الإنسان الكامل في نظريهم ليس الذي يتمتع بالعقل البارز والعلم للواسع فحسب، بل هو الذي يتصف بمكارم الأخلاق ومحاسن السلوك باطنيا وظاهريا.

فمطالب الكونفوشيوسية ومقاصدها لمكارم الأخلاق ومحاسن السلوك، تتأسس على فكرة الرحمة، وتتمثل بنظام الآداب، وقد عرفناها من قبل الآن.

وقبل ختام حديثنا حول قضية التعلم والتربية، أود أن أذكر موقف كونفوشيوس في ضرورة اتحاد العلوم النافعة بمكارم الأخلاق في تحقيق الإنسانية الكاملة، إذ يرى فكرة الرحمة - وهي جامعة لمكارم الأخلاق - مع شرفها وعظمتها في تربية الإنسان وتهذيبه لم تكن بعيدة عن حياة البشر الواقعية، كما كان العلم والمعرفة مع عمقه وسعته مازال يتعلق وثيقا بمعيشة الناس اليومية، بل كانت مقاصد التعلم والتربية واسطة علمية وعملية في إرشاد الإنسان إلى معرفته لنفسه أولا وإصلاح المجتمع ثانيا. لقد فسر كونفوشيوس هذه المقاصد العليا بعدة كلمات قليلة للفاظها وعميقة معانيها، حين سئل عن " الرحمة "، فأجاب: هي حب الناس. ثم سئل عن المعرفة، فأجاب: هي معرفة الإنسان.^{١١٤}

وقد بين حفيده " تس سى " أسرار هذه العبارة المفيدة في مقاصد فكرة الرحمة ونظام الآداب، وشرحها شرحا فلسفيا ومنهجيا، فقال في كتاب (الوسطية والاعتدال): " صاحب الرحمة هو الإنسان بمعنى الكلمة كله؛ فرأس الرحمة صلة الرحم وذوى القربى؛ والعدل هو الاعتدال،

١١٢- كتاب المعرفة الكبير، بشرح جيو تشي، المقدمة، للصفحة ١. دار طباعة مكتب تبي أول، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م.

١١٣- كتاب الحوار، بشرح جيو تشي، الفصل ٨ الصفحة ٧٧.

١١٤- المصدر السابق نفسه، الفصل ١٢ الصفحة ١٢٥.

ورأسه احترام الصالحين والعلماء بالكرم والشرف. فصلة الرحم وذوى القربى على أساس التدرج بنظام الأقرب فالأقرب، وإكرام الصالحين والعلماء على أساس ترتيبهم بنظام الأصح فالأصلح. وهذان (التدرج والترتيب) كلاهما من مبدأ الآداب ومصدرها، فالرجل الفاضل لا بد له أن يهتّب نفسه، وإذا أراد تهذيب نفسه ينبغي عليه أن يصل الرحم وذوى القربى، وإذا أحب صلة الرحم وذوى القربى فلا بد له من معرفة الإنسانية، وإذا شاء معرفته الإنسانية فينبغي عليه أن يعرف إرادة السماء (تيان) وعنايته. ^{١١٥}

وإلى هنا أكملنا تعريف الاصطلاحات الأربعة من السماء (تيان) إرادته وعنايته، والطبيعة الفطرية (شيينغ)، وطريق الحق (دأو)، والتعلم والتربية (جأو)، وهي تشتمل على أهم القضايا من منابع الألوهية والميتافيزيقية ومصادر القيم والأخلاق عند الكونفوشيوسية. وضررنا مثلا لأهمية هذه الاصطلاحات الأربعة في بداية هذا المقال، وقلنا إنها مفتاح ذهبي ذو أسنان أربعة نفتح ونعرف به كنوز التعليمات الكونفوشيوسية عامة والمناهج الفكرية في كتاب (الوسطية والاعتدال) خاصة. ولأنت إلى نص القطعة الثانية للفصل الأول، وهي:

原文：道也者，不可须臾离也，可离非道也，是故君子戒慎乎其所不睹，恐惧乎其所不闻。

今译：道是时时刻刻不能离开的，如果可以离开那就不是道了，所以君子即使在自己没有被别人看见时也要谨慎戒惧，在自己没有被别人听到时也应恐慌畏惧，警醒自己。

نص القطعة الثانية :

" إنما طريق الحق يحتاج إليه الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته، ولو كان استغناء

الإنسان عنه ممكنا لما كان بمسماه حقاً.

فالرجل الفاضل^{١١٦} لا حالة من أحواله إلا وهو حذرٌ ويقظٌ من السقوط في الخطأ والزلل،
وإن يكن في الخلوة والسيرية لا يراه أحد ولا يسمعه غيره.

الشرح :

بعد التقديم المجمل السابق للاصطلاحات الأربعة السابقة ذكرها وبيان علاقتها الأصولية بعضها ببعض كمفتاح لهذا الكتاب، بدأ المؤلف " تس مي" هنا في هذه القطعة اللاحقة يعبر عن ضرورة طريق الحق في إرشاد حياة الإنسان، ويؤكد أن طريق الحق هي السنة الراسخة السماوية في طبيعة الإنسانية الفطرية، لا يظهرها إظهاراً حقاً إلا الرجل الفاضل كقدوة حسنة في حفظ نفسه، وهو حذرٌ ويقظٌ دائماً حتى عند أحواله الخفية والسيرية.

قال الحبر الكونفوشيوسي " كونغ بينغ ذا"^{١١٧} في بيان مقاصد هذه العبارة : " إن الحكيم كونفوشيوس يدعو ويطلق الرحمة والعدل والأدب والعلم والأمانة من أجل تعليم الناس وتربيتهم، فمثل طريق الحق كممثل السبيل الذي يسلك الإنسان، إذ إن طريق الحق يهتدى بالإنسان إلى طبيعته الفطرية، كما أن السبيل المسلك يهتدى به إلى غرضه المطلوب، وإن يسلك الإنسان على سبيله الممهد طلباً لغرضه، فلن يتركه أي لحظة من لحظاته حفظاً له من ضلال نفسه عن غايته. فالرجل الفاضل في تطبيقه لطريق الحق يراعى ويهتم أولاً بتفاني أموره، حيث إنه إن يهتم بالصغيرة ويراعى الفرعية فيمن الضروري أن يتفق جميع أموره مع موجب طريق الحق سواء

١١٦- للرجل الفاضل 君子، كانت هذه الكلمة تستعمل في اللغة لمعنى رجل عظيم في مكانة اجتماعي وسياسي. وأنا استعملها الاصطلاحى عند مذهب الكونفوشيوسية فالمراد بها هو الرجل العظيم في الأخلاق والفضائل، مقابلاً ومضاداً لمصطلح الرجل الطالح 小人 الذى كان ناكساً الخلق وردى السلوك. وقد ذكر كتاب الحارار كلمة الرجل الفاضل أكثر من مائة مرة، إشارة إلى أنه كان قدوة حسنة تجمع بين الخلق والعلم لتطبيق طريق الحق والعباد، كما كان نموذجاً مثالياً في شخصية الإنسانية لإصلاح المجتمع وإرشاد الجمهور.

١١٧- كونغ بينغ ذا (٥٧٤م-٦٤٨م)، كان من أشهر العلماء للكونفوشيوسيين في عصره، برع بعلمه الواسع وخاصة في دراسة الأسفار الخمسة، وألف كتاب " الشرح الصحيح للأسفار الخمسة" الذى يعتبر مادة رسمية للامتحان الحكومية للوظائف والتعيين وقتئذ، كما أشرف على تحرير مجمل الشرح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة العصر الكونفوشيوسية التى يعتمد عليها جن بعده كن من ينسب إلى مذهب الكونفوشيوسية.

أكان كبيرا أصوليا أم صغيرا فرعيا. لذا، كان الرجل الفاضل يبقى دائما على حال الحذر واليقظة".^{١١٨} وهكذا نفهم أن ضرورة طريق الحق بالنسبة إلى الإنسان من حيث المعنوية والروحية كضرورة الطعام والشراب والكسوة والسكن له من حيث المادية والعرضية، فلا يمكن للإنسان أن يترك ويبعد نفسه عن طريق الحق في أي حال من أحواله، ولو أمكن انفصاله عن إرشاد حياة الإنسان لما كان حقا ضروريا. وعلى هذه الأهمية إذا ترك الإنسان طريق الحق سبيلا ومسلكا، غره هواه ونفسه الأتالة بالسوء بليّة وشقاء كما حدث للرجل الطالح الذي إن يترك وحده ولا يراقبه غيره طغى في الآثام والشرور كلما ساقته نفسه ولعب به هوله. وأما الرجل الفاضل فتكون بعكسه تماما، وإن لم يره أحد ولا يسمعه غيره، فهو يكذ في الحذر واليقظة مراقبا لنفسه تربية وتهذيبا، فلن يغادر طريق الحق مهما كانت أحواله علانية أو سرية.

وكان "تسائغ تس" صاحب كتاب المعرفة الكبرى يُعتبر قوة حسنة في الحذر اليقظة عند الكونفوشيوسيين، ولما اشتد مرضه عادة الوزير "مونغ جينغ تس" فقال له المريض نصيحة: "الطائر إذا أشرف على الموت يغرد تغريدا محزنا، والإنسان إذا أشرف على الموت يقول قولا حسنا، فأقول لحضرتكم: إن ما يعتبره الرجل الفاضل ذا أهمية خاصة من طريق الحق ثلاثة: أن يكون وقورا في مظاهره السلوكية فتجنب في تصرفاته الغلظة والطيش، وأن يكون سديدا في ملامحه المرئية فتقرب هيئاته من الصدق والوفاء، وأن يكون محكما في كلامه المسروع فتبتعد أحاديثه عن الدناءة والسخافة".^{١١٩}

واستفدنا من هذا النموذج المثالي، فنقول: إنما طريق الحق هو السئلة الإنسانية عند الكونفوشيسية، يتمثل في الأصول والقواعد التي يتبعها الإنسان في شؤونها الواقعية مبرا وعلانيا، وهو مضمر في ذمة الإنسان الباطنة فحطه على سعيه وراءه بلا ملل، ويجتهد من أجل تحقيقه بلا تعب، وخاصة من ناحية استقامة القلب الإنساني بالورع والحذر، وهي خطوة أولى لمن يهذب

١١٨- مجمع الشرح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كونغ بينغ دا، الجزء ٢، الصفحة ٢٤٧، مطبعة

الكتب التراثية بشونغهاي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م.

١١٩- كتاب الحوار بشرح جوشي، الفصل ٨ الصفحة ٩١.

النفس ويصلح الذات في تطبيق طريق الحق، وذلك كما بين المؤلف في القطعة التالية.

原文：莫见乎隐，莫显乎微，故君子慎其独。

今译： 在人的意念中，没有比幽暗时更为明显，没有比细微时更为显著，所以君子应该谨慎地对待自己独处之时（以提防不正当欲望的潜滋暗长）。

نص القطعة الثالثة:

" وفي ضمير الإنسان ووعيه، ما من ظاهر إلا ازداد ظهوره في مكان الخفاء والغموض، وما من باهر إلا اشتد بروزه في حالة الخفية والدفء؛ فلحاسب الرجل الفاضل نفسه عند الخلوة والوحدة حذرا وورعا من الشهوات والأهواء الأتمة بالسوء. "

الشرح :

أكد المؤلف في هذه القطعة أهمية استمرار الإنسان على طريق الحق في سلوكه الخارجي علانية وميرا بالحدود الدائم واليقظة الصابرة، وفي هذه القطعة بين ضرورة على محاسبة الإنسان نفسه على شهواته الباطنة حذرا وورعا، ومراقبتها عند الخلوة والوحدة.^{١٢٠} فجاء هذا النص مؤكدا للنص السابق، فأشار إلى أن الرجل الفاضل باعتباره قدوة حسنة في شخصيته الإنسانية - لم يكتف بالبقاء دائما على اليقظة والاحتياط فقط، بل يحاسب نفسه عند الخلوة والوحدة حذرا وورعا وتزكية للذات عن الشهوات الباطنة المضمرة. إذ إن الحركات النفسانية هي من الشهوات والأهواء المضمرة مع شدة خفائها ودقتها تظهر وتبرز في ضمير الإنسان وفي قلبه الباطن بصورة ظاهرة، وهو نفسه يعرفها واضحة، فينبغي على الإنسان أن يحاسب نفسه أكثر في حال وحدته منفردا عن الناس حتى يسد الطريق على الشهوات ومهاجمة الأهواء عند طلوع براعمها في نفسه المضمرة .

١٢٠- انظر: الشرح التفصيلي لكتاب الوسيط والاعتدال، ليوكا مونغ، الصفحة ١٤٠.

وقد شرح العبر "كونغ بينغ ذا" معنى هذه العبارة قائلا: "إن المرء عندما يكون أمام الناس في مكان الجهر فيضبط نفسه في أقواله وأعماله خشية من الرأي العام والنقد الجمهوري؛ ولكن عندما يتولى عن الناس ويبقى وحده في الخلوة والسير، يظن أنه قد ابتعد عن أبصار الناس ولإسماع الجمهور، ومن ثم يترك نفسه لهواه وشهواته حيثما تقوده جُرأة وطغياناً، كلاً، ستبصر العيون فواحشه، وستسمع الأذان قبائحهما كما كانت خفية أو سرية بل ستعظم وقبحته أمام الناس لغناه، وستشتد فاحشته عند الجمهور ذماً، فكان الرجل الفاضل يحاسب نفسه عند الخلوة والوحدة، حذراً من خفاء الصغائر وغموضها، وواقياً من ظهور الكبائر وتجليتها. فهو يتأثر على محاسبة نفسه دائماً عند الخلوة والسير دائماً، حيث إنه إن بقي وحده بعيداً عن الإبصار والأسماع سيظل حذراً وورعاً حتى يحفظ نفسه مسدداً على طريق الحق، ولن يتعدى حدوده".^{١٢١}

وفي حقيقة الأمر فإن محاسبة النفس بالحذر والورع عند الخلوة والوحدة هي ليست أمراً مستحدثاً عند "تس سي"، بل هي قضية خلقية هامة قد تناولها مؤسس المذهب كونفوشيوس نفسه تناولاً عاماً من ناحية الاحترام والتواضع، ثم جاء تلميذه المشهور "تسآنغ تس" صاحب كتاب (المعرفة الكبرى)، وخصّص هذه القضية بالبحث والكشف، فنحا نحوه تلميذه "تس سي" وأكد أهميتها، واتخذها مدخلاً أساسياً إلى منهج الوساطية والاعتدال.

وذلك كما يستشهد بما ينص عليه صاحب (كتاب المعرفة) الكبرى "تسآنغ تس" عندما يتحدث عن الإخلاص والورع قائلا: "المراد بإخلاص النية هو ألا يخون الإنسان نفسه، بل يحفظ ضميره على الصدق والأمانة. وهذا أمر بديهي كما يكره الإنسان الرائحة الكريهة فيرغب عنها، ويحبّ المظهر الجميل فيرغب فيه، ويسمى ذلك براحة البال وطمأنينة الرّمة. ومن ثم كان الرجل الفاضل يحاسب نفسه حذراً وورعاً عند الخلوة والوحدة. وأما الرجل الطالح، فبأنه إن يترك هملاً ولا يراقبه أحد يتخذ إلهه هواءه ويطغى فيما تشاء به شهواته من الفواحش والقباح؛ ومع ذلك عندما يقابل الرجل الطالح الرجل الفاضل يستحي منه، فيحاول أن يستتر فواحشه مع كثرتها

١٢١- مجامع الفرج والتطيق للأسفار والكتب الثلاثة المشير الكونفوشيوسية، كونغ بينغ ذاء الجزء ٢، الصفحة ٣٤٨.

مخادعة، ويعلم محاسنه مع قَلَّتْها مماكرة. ألا تعلم أن الناس يعرفونك علانياً وسراً كما يعرفون أنفسهم؟ ! وكيف تفدك هذه المخادعة والمماكرة؟ وذلك كما يقال: ' ما يضر في نفسك من خير أو شر يظهر في تصرفاتك حسنة أو سيئة. ' فيجب على الرجل الفاضل أن يحاسب نفسه خيراً وورعاً عند الخلوة والوحدة.^{١٢٢}

原文：喜怒哀乐之未发，谓之中，发而皆中节，谓之和。中也者，天下之大本也；和也者，天下之达道也。

今译：喜欢 愤怒 悲哀 快乐各种感情还没有向外表露得时候，是不偏不倚的，叫做中；向外表露的时候，没有太过和不及，都能合着自然的理，叫做和。中，是天下人们的大根本；和，是天下人们共同要走的路。

نص القطعة الرابعة :

" المحبة والغضب والحزن والفرح، مثل هذه العواطف العامة إذا لم تتحرك في قلب الإنسان، وتبقى على سكونها ويساطتها بدون التغير والميل، فهذه الحالة تُسمى بالتوسط؛ وإن تتحرك وتنطلق منه وفقاً للأدب والحدود بلا إفراط ولا تفريط، فتلك الحالة تُسمى بالتوافق. وإنما التوسط قاعدة أصولية كبرى للناس كلهم، في حين أن التوافق هو المنهاج المستقيم للمجتمع بسائر أبنائه. "

الشرح :

بعد بيان أهمية محاسبة النفس بالخطر والورع عند الخلوة والوحدة للرجل الفاضل في تطبيق طريق الحق، جاء المؤلف هنا يتناول لأول مرة محور كتابه، منهاج الوسطية والاعتدال، تعريفاً لماهيته، وتبييناً لمنافعه في إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع أصولاً ومنهاجاً.

قال " كونغ بينغ دا " في شرح هذه العبارة: " المحبة والغضب والفرح والحزن، هذه

١٢٢- شرح كتاب المعرفة الكبرى، ج ١، الفصل ٧، الصفحة ٦.

للعواطف تحدث وتظهر عند ملاستها مع العوارض والأمور الخارجية. وإذا لم تحدث ولم تتغير في حالة السكون والبساطة وكان قلب الإنسان يرى من الهم والحرص، بل ارتاح ثابتا على فطرته الحقيقية، فتسمى هذه الحالة بالتوسط. وإن حدثت هذه العواطف المضمرة وتحركت وفقا للأدب وحدودها فاتفقت ولاءمت طبيعته الإنسانية مع سلوكه باطنا وظاهرا كتلاؤم البرقاع والملح عند تناولهما معا، فتسمى تلك الحالة بالتوافق. وإنما عواطف الإنسان وغرائزه إذا لم تتحرك ولم تتغير كان سكونها يصدر من مبدأ طبيعته الفطرية، فهو يسمى بالقاعدة الأصولية الكبرى للإنسان؛ وإن حدثت وتحركت هذه العواطف والغرائز وطابقت الأدب ووافقت حدودها، وعنت هذه الحقيقة في المجتمع وجرت فيه، فتسمى بطريق الحق المستقيم في العالم.^{١٢٢}

ومن أجل تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال وتطبيقه في الحياة الواقعية، لا بد للإنسان أن يعتدل عواطفه ويضبط غرائزه عن طريق تركية النفس وتصفة القلب حسب مطالب طريق الحق وفطرة الإنسان السماوية. فكان مؤلف الكتاب لم يكتب هنا بدلالة النص لإفادة القراء في فهم العبارة وإدراكها، بل يفتح لهم باب دلالة الإشارة ليدلهم على محورية منهاج الوسطية والاعتدال بين إعادة الإنسان إلى طبيعته الفطرية وبين معرفته لطريق الحق علميا وعمليا.

وقد بين لنا العلامة "جوشي" دلالة الإشارة في هذا النص قائلا: "إنما المحبة والغضب والفرح والحزن من عواطف الإنسان وغرائزه، إذا سكنت ولم تتحرك فهي من طبيعته الفطرية، إذ إنها في حالة لا تفريط ولا إفراط فيها، فتسمى هذه الحالة بالتوسط. وإذا ظهرت وتحركت وفقا للأدب وحدودها، فهي من سداد العواطف وإحكامها، إذ إنها في حالة لا ميل ولا انحراف فيها، فتسمى هذه الحالة بالتوافق، وإنما تسمية التوسط في النص بأنها قاعدة أصولية كبرى للإنسان؛ لأنها مصدر ترجع إليه فطرة الإنسان السماوية وآداب المجتمع كلها، فهي ذات طريق الحق وجوهره. وأما القول بأن التوافق هو المنهاج المستقيم المشترك بين الإنسان، فالمراد به تسمية اتباع الإنسان فطرته السماوية، فمنهج عليه أبناء المجتمع يأمرهم حديثا وقديما، وهو منافع طريق

١٢٢- مجمع الشرح والتطبيق للأسفار والكتب الثلاثة للبشر الكونفوشيوسية، كونغ ييلغ دا، الجزء ٤، الصفحة ٣٤٨.

الحق ومظاهره. وهذا النص يبين صفات طبيعة الإنسان الفطرية وعواطفه النفسانية، إشارة إلى أن طريق الحق لا برهة من الزمن تمر على الإنسان إلا وهو محتاج إليه في حياته اليومية.^{١٢٤} ومن خلال دراسة هذا النص وشرحه، نجد أن منهاج الوسطية والاعتدال مع عظمتها وأهميته في إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع أصوليا ومنهجيا، لم يكن عند مؤلف الكتاب غاية بعيدة عن فهم الإنسان وإبرائه، بل كان أصلا كبيرا للناس كلهم ومنهاجا مستقيما للمجتمع أجمعه يسعى وراءه بلا تعب ولا ملل كما قال " تس سي" في كتابه استفادة بتعاليم كونفوشيوس: " إن طريق الحق ليس يبعد عن الإنسان وحياته، وإنما أبعد الذين جاوزوه بالتطرف والتقص، فذلك ليس بطريق الحق بنة".^{١٢٥}

فالإنسان الذي صفوة ما بين السماوات والأرض في نظر الكونفوشيوسية إذا أكمل إنسانيته بالأخلاق والفضائل، واعتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال، ليحل محله المركزى الفعل بينه وبين السماوات والأرض وفلقا، ومن ثم يشاركهما في تنمية الكائنات المختلفة وازدهارها في الكون، وذلك كما فصل المؤلف في القطعة التالية:

原文：致中和，天地位焉，万物育焉。

今译： 人如果达到中和的境界，天地就会在中和中各安其位，万物就会在中和中繁荣昌盛。

نص القطعة الخامسة:

" إذا بذل الإنسان أقصى جهوده في الاهتداء بالوسطية والاعتدال سعيا وامتنالا، يستقر السماوات والأرض بفضلها في مقامهما انسجاما، وينمو كل الكائنات بينهما بفضلها ازدهارا. "

الشرح :

١٢٤- انظر : الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، ليو كا هونغ، الصفحة ١٧٤.

١٢٥- كتاب الوسطية والاعتدال، بشرح جونغ جي، الفصل ١٢، الصفحة ٨.

هذه القطعة هي العبارة الخامسة والأخيرة من الفصل الأول، وتتناول جانبين رئيسيين من مفاهيمها، ففي الجانب الأول نتحدث عن أهمية التوسط والتوافق في للإنسان خاصة، وعن تأثيرها في السماوات والأرض وما بينهما من الكائنات المختلفة عامة؛ أما الجانب الثاني فهو خاتمة موجزة، تختصر مقاصد الفصل الأول التي تشتهر عند الكونفوشيوسية كبرنامج أصولي لكتاب الوسطية والاعتدال كله.

وبالعودة إلى الجانب الأول، فقد شرح العلامة " تشيانغ هاو (١٠٣٢م-١٠٨٥م) " معنى هذه القطعة بعبارة أدبية وإشارة دقيقة وقال : " في هذا النص بيان لأهمية التوسط والتوافق، وتأكيد لمنافعها العملية الشاملة. فالإنسان إذا علم حقيقة التوسط في نفسه أدرك حقيقة التوسط في السماوات والأرض حق إدراكها، وإذا فهم حقيقة التوافق في نفسه، يتقن حقيقة التوافق في السماوات والأرض حق إتقانه. وبفضل ذلك تستقر السماوات والأرض في مقامهما انسجاما، وينمو كل الكائنات المختلفة فيهما ازدهارا. " ١٦٦

وكان الكونفوشيوسية آتس نظرياته وفلسفته على مقصد ثنائي يجمع بين إصلاحية الفرد وإرشادية المجتمع بتهذيب النفس وسياسة الدولة. فتهذيب النفس بالأخلاق والفضائل هو أساس ومبدأ لإرشاد المجتمع وسياسة الدولة بالعدل والحكمة، كما كان الثألي نتيجة وثمره وغاية مطلوبة للأول الأساسى المبدئى. ولذلك كان مذهب الكونفوشيوسية يتخذ الرجل الفاضل الذى يجمع بين الخلق والعلم نموذجا مثاليا في الإنسانية، بل كانوا يعتبرون أن الملك الحكيم الذى يجمع بين علو السلطة الظاهرة وكمال الخلق الباطن هو المثل الأعلى في إصلاح الإنسانية، والقوة الحسنة الفريدة في إرشاد المجتمع وتأمين البلاد والعالم، حتى يشارك بفضل هذه المثالية والأفضلية السماوات والأرض في تنمية الكائنات المختلفة رعاية وازدهارا.

وكان هذه القطعة الخامسة من الفصل الأول في كتاب الوسطية والاعتدال، قد استدل بها الحبر " كونغ بينغ ذا " على هذه القضية حيث يقول: " إذا كان الملك الحكيم الجامع بين علو

١٦٦- انظر: الفرج اللغزي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٤٣.

المسطرة وكمال الخلق، يبذل أقصى جهوده في وصوله إلى التوسط والتوافق سعياً وامتنالاً،
ويقصد في متابعة القوتين الإيجابية والسلبية على رعاية الشعوب وسياسة البلاد، وتتمكّن بفضلها
السموات والأرض في مقامهما وفقاً وانسجاماً؛ كما كان يتنبّط بفضلها الحياة في العالم على
طبيعتها الفطرية، فتتم الكائنات المختلفة بينهما ازدهاراً.^{١٢٧}

وأما الجانب الثاني في هذا المقطع فهو مختصر للقطع الخمسة كلّها من الفصل الأول، وقد
تناول هذا الموضوع العلامة "جوشي"، ويبيّن مناسبة مقاصدها الخلقية بعضها لبعض قائلاً:
"إنّما الرجل الفاضل كان يثابر على تهذيب نفسه بالحذر والاحتياط حتى يحصل قلبه على حال
التوسط بالسكون والبساطة، لا إفراط ولا تفريط فيها، فيحفظ نفسه على حال الوسطية ولا
يغادرها أبداً. وقد بذل أقصى جهوده في الوصول إلى هذه الحال، وبفضل إدراكه لحقيقتها يمكن
له أن يُحلّ السموات والأرض مقامهما وفقاً. كما كان الرجل الفاضل يدوم على محاسبة نفسه
بالحذر والورع عند الخلوة والوحدة، حتى يستقرّ قلبه على منهاج الوسطية الاعتدال، لا عوج ولا
انحراف فيه، وبفضل إدراكه لحقيقته يتابع طريق الحق على معاملته مع الناس وما حوله من
الأشياء والشؤون، حتى يشترك في تنمية الكائنات المختلفة بين السموات والأرض ازدهاراً."^{١٢٨}
ثم جاء تلميذه "يُشان تُشون (١١٥٩م-١٢٢٣م)"، وأكمل شرح أساقده في هذا الموضوع
بإدق عبارة فلسفية حيث قال: "كلمة الوصول إلى التوسط هي تتحدث عن معرفة الإنسان طبيعته
الفطرية السماوية؛ وكلمة الوصول إلى التوافق هي تتبيّن عن اتباع الإنسان طريق الحق الذي
يحقق به طبيعته الفطرية السماوية ويكملها. وأما العبارة: "يستقرّ السموات والأرض بفضلها في
مقامهما انسجاماً، ويتمو كل الكائنات بينهما بفضلها ازدهاراً،" فهي تتناول ضمناً قضية التعليم
والتربية لتطبيق طريق الحق في إصلاح الفرد والمجتمع."^{١٢٩}

١٢٧- مجامع الفرح والتعليق للأستاذ والكتب الثلاثة مشر الكونفوشيوسية، كونغ بينغ ذاء الجزء ٢، الصفحة ٢٤٩.

١٢٨- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٤٣.

١٢٩- المصدر السابق نفسه، الصفحة ٢٤٤.

第二章

原文：仲尼曰：“君子中庸，小人反中庸。君子之中庸也，君子而时中；小人之反中庸也，小人而无忌惮也。”

今译：仲尼说：“君子做事能够符合中庸的道理，小人的所做所为完全违背中庸的道理。为什么这样呢？君子对于中庸的道理能时时省查，做到随时而异，适中不偏。小人对于中庸的道理，任性妄为，肆无忌惮。”

الفصل الثاني

التمهيد:

ذكر " تس سي " في هذا الفصل موقف الرجل الفاضل من منهاج الوسطية والاعتدال مقارنا بموقف الرجل الطالح منه، مع بيان أسباب اختلافهما فيه. وأشارهنا بإيراد كلام كونفوشيوس إلى أن منهاج الوسطية والاعتدال هو الطريق المستقيم من السماء (تيان)، لا عوج ولا انحراف فيه، ولا إفراط ولا تفريط فيه، بل هو حقيقة ثابتة تترسخ في فطرة الإنسان وتتجلى في حياته اليومية، وإنما الرجل الفاضل يقف على حقيقته ويدركه إدراكا تاما، فيطبقه على الدوام في سلوكه وشؤونه اليومية، وبالعكس، كان الرجل الطالح لا يقدر على فهم هذا المنهاج فهما حقيقيا فيعجز عن تطبيقه في سلوكه وأفعاله الواقعية، بل يخالفه تماما قولاً وفعلًا.

النص :

" قال جونغ ني^{١٢٠} : " إن الرجل الفاضل ليهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال، فتتبعه باطنا وظاهرا، وإن الرجل الطالح^{١٢١} يضل عن منهاج الوسطية والاعتدال، فيخالفه قولاً وفعلًا.

١٢٠- جونغ ني : لقب كونفوشيوس، يسمى به هنا للتشريف والتعظيم.

١٢١- الرجل الطالح : وهو نالسن الخلق، ودين السلوك مقابلا لمصطلح الرجل الفاضل، وغالبا يذكر الرجل الطالح في كتاب الوسطية والاعتدال وفي المصادر الكونفوشيوسية مع فكر الرجل الفاضل. على سبيل المقارنة بينهما أخلاقيا. ونرجع إلى الهامشة للرجل الفاضل في صفحة ٥٩ لمصطلحه.

والرجل الفاضل يهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال حيث إنه يقتصد في كل أموره بالتكيف في وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال، حينما يضل الرجل الطالح عن منهاج الوسطية حيث إنه يطيع هواه لشهواته فيفرط ويفرط غفلا.

الشرح :

وكان العلامة "جو شي" يشرح هذا النص بصورة دقيقة وعميقة قائلا: "إن منهاج الوسطية والاعتدال يراد به أنه لا إفراط ولا تفريط بل أخذ الوسط والاقتصاد في كل الأمور والسلوك وأنه حقيقة عامة بيّنة تصدر من أمر السماء (تيان)، وقد بلغت هذه الحقيقة قمة الحسن والدقة. وإنما الرجل الفاضل من الناس يعمل دائما على تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال؛ لأنه يقف عليه ويفهمه فهما حقيقيا، وهو لا يتصف بأخلاقه الفاضلة فقط، بل يستطيع أن يعتمد بالوسطية في أموره كلها بلا إفراط ولا تفريط فيها، وأما الرجل الطالح فهو بالعكس من ذلك، يعارض منهاج الوسطية والاعتدال في أقواله وأفعاله؛ لأن قلبه يخضع لنفسه وهواه، فيتخلى عن الأخلاق الفاضلة مجردا من مبادئها." ثم قال: "الرجل الفاضل يعرف أن هذه الحقيقة ظاهرة وموجودة في كل حال من الأحوال تعذره وتوقظه في كل وقت من السقوط في الخطأ والزلل، ولو أنه في الخلوة والسرية التي لا يراء أحد ولا يسمعه غيره فيها، وأما الرجل الطالح فلا يعرف ذلك، فإن قلبه يخضع لنفسه وهواه، فيتخلى عن الأخلاق الفاضلة مجردا من مبادئها."^{١٣٢}

وأما العبارة في النص: "والرجل الفاضل يهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال حيث إنه يقتصد في كل أموره بالتكيف في وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال"، فنجد في هذا القول نقطة مهمة تستحق الذكر هنا خاصة، لكي ينتبه إليها القراء، وهنا يعني أن منهاج الوسطية والاعتدال كالمثل العليا يمثل أعلى الدرجات للقيم الأخلاقية عند الكونفوشيوسية، وهو ليس تعليمات جامدة لا تقبل التبديل في أي حال من الأحوال، بل نجد فيه مرونة وتكيفاً في التطبيق

١٣٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوشي، الصفحة ٣.

العملى به مع الواقع حسب الضرورة، فلا بد للرجل الفاضل أن يتجنب عند تطبيقه والعمل به الجمود والصلابة، وهذا مهم جدًا.

وفى نظر المؤلف "تم سي" أن الرجل الفاضل ليس فقط يتوسط في أموره وسلوكه بلا إفراط ولا تفريط، بل عليه أن يقتصد فيها مع التكيف في وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال، ويتخذ إجراءات ملائمة في ضوء الظروف الخاصة، وهذا التكيف موافق لمعنى منهاج الوسطية الحقة، فجد المثال الحى في الحياة الواقعية في كتاب "منشئوس" لتفسير هذه المرونة والتكيف، حين يجيب منشئوس عن سؤال التالى: هل يجوز أن يساعد الأخ زوجة أخيه غارقة في الماء يمدّ يده إليها لإنقاذها ؟ وكان الحوار يجرى بين منشئوس و تونغ يو كونغ^{١٣٣} كما يلى:

سأل " تونغ يو كونغ " الشيخ منشئوس: " أليس للملامسة بإلبد بين الرجل والمرأة عند الأخذ والعطاء أمرا ممنوعا في نظام الآداب؟ "

أجاب منشئوس: " بلى ، وهو كذلك. "

وقال تونغ يو كونغ: " إذن، لو وقعت زوجة الأخ في الماء، فهل يجوز لأخي زوجها أن يمد يده إليها، حتى ينقذها من الغرق؟ "

فأجابه منشئوس: " إذا حدث كذلك، وهو لم يمدّ يده إليها للمساعدة والإنقاذ، لكان عمله من عمل بنات الأوى والذئاب المتوحشة (أى تناقض الإنسانية والعقلانية)، وإن الاختلاط بين الرجل والمرأة ممنوع بنظام الآداب وحرام بحود الأخلاق، ولكن إنقاذ زوجة الأخ الغريقة من الهلاك فهذا هو أسلوب التوسط والاقتصاد مع التكيف في وقت الحاجة حسب الظروف؛ لأن الضروريات تبيح المحظورات. " ^{١٣٤}

وهذا المثال يدل على أن الرجل الفاضل توسطه واقتصاده لا يقوم على أساس القواعد

١٣٣- تونغ يو كونغ: عاش بين ٢٨٦ ق.م - ٣١٠ ق.م في عصر الممالك المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م)، سياتر منشور

ومفكر واسع المعرفة ومتعدد المراهب يعرف ببراعة المجادلة.

١٣٤- ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، إير جينغ بيان و لين سونغ و يو كا كون، كتاب منشئوس، الفصل السابع، الصفحة ٤٩٧.

والأصول الثابتة فقط بل عليه أن يدخل التعديل ويجرى بعض التغييرات متكيفا مع الظروف والأحوال، وبعبارة أخرى أنه يلزم أن يجمع بين ثبات المبادئ ومرونة الأساليب معا، ويتخذ إجراءات ملائمة في ضوء الظروف الخاصة، حتى لا يكون من أصحاب الجمود العقائدي والصلابة في التزام النظام.

第三章

原文：子曰：“中庸其至矣乎！民鲜能久矣。”

今译：孔子说：“中庸之道最高最完美啊！可惜人们很少能够长久实行它了。”

الفصل الثالث

التمهيد:

أورد المؤلف "نيس سي" في هذا الفصل قولاً للأستاذ كونفوشيوس، مدحاً لصلاحية منهاج الوسطية والاعتدال، وتأسفاً على قلة صبر الناس على هذا المنهج المثالي، وعدم مداومتهم على العمل به في حياتهم منذ زمن طويل.

النص :

قال الأستاذ كونفوشيوس: " ما أعطى منهاج الوسطية والاعتدال سنةً وأكملهُ طريقاً ! يا للأسف، فلما يثابرون عليه العوام بالصبر والمداومة منذ زمان ! "

الشرح :

قال العلامة " جو شي " في بيان مقاصد هذا الفصل: " إن الإفراط يؤدي إلى المجاوزة على حد الوسطية، فقد تعدى عنه، والتفريط يؤدي إلى التقصير في حد الوسطية، فلم يبلغه؛ بل كان منهاج الوسطية والاعتدال يتمسك بأوسط الأمور بلا إفراط ولا تفريط بين طرفيها، فهو المثل الأعلى فضيلةً وسلوكاً. إنما الاهتداء بمنهاج الوسطية والاعتدال كان أمراً طبيعياً يمكن لكل واحد أن يتمسك به، ولكن مع تدهور العصور والحطاط التعلم والتربية، انحدر الناس العوام خلقياً وسلوكياً، فلما يثابرون على هذا المنهاج المثالي بالصبر والمداومة منذ زمن بعيد. " ١٣٥

١٣٥- الفهرج الجامع للكتب الأربعة- قسم كتب الوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤٤، مكتبة تشي لود، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

كان منهاج الوسطية والاعتدال صراطاً مستقيماً في إرشاد الإنسان وإسعاده حياته الواقعية عند الكونفوشيوسية، كما احتلت فكرة الرحمة مكانة جامع مكارم الأخلاق في تحقيق الإنسانية الفاضلة وتأسيس المجتمع المثالي. فكل واحد من فكرة الرحمة ومنهاج الوسطية والاعتدال مع مثاليتهما الخلقية والمنهجية، لم يكن بعيداً عن الإنسان وحياته الواقعية، بل كان أمراً طبيعياً يقدر كل واحد منهم على أن يتمسك به. وذلك كما قال كونفوشيوس عن بساطة فكرة الرحمة لدى الإنسان: "أ تكون الرحمة شيئاً بعيداً عن منالها ؟ إن رغبْتُ فيها فسُـلـِـصـِلْ إليها حالا." ^{١٣٦} وكما تحدّث عن أقرب طريق الحق من حياة الإنسان الواقعية قائلًا: "إنَّ طريق الحق ^{١٣٧} ليس ببعيد عن الناس وحياتهم، وإنما أبعد الذين جاوزوا بالتطرف والتقصّف، فذلك ليس بطريق الحق بئساً." ^{١٣٨}

فالمشكلة ليست في فكرة الرحمة وعبارة منهاج الوسطية والاعتدال عن الناس وحياتهم، بل كان الذنب هو قلة صبر الناس وعدم مداومتهم عليها، ولكن هناك جماعة مثالية من الرجال الفضلاء الذين يعرفون حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، ويعملون به وهم صابرون. وذلك كما ذكر المؤلف في الفصل السابق صفة الرجل الفاضل في امتدائه بمنهاج الوسطية والاعتدال بأنه يقتصد في كل أموره بالتكيف في وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال بلا إفراط ولا تفريط.

وأما العوام الذين لا يعرفون حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال إلا معرفة قليلة سطحية، فهم لا يصابرون عليه من قلة الصبر وضعف العزم، فلم يطبقوه في حياتهم منذ زمان طويل، فلذلك قد تأسّف كونفوشيوس عليهم ودعاهم إليه، ومبينا سبب قلة صبرهم وعدم مداومتهم عليه من خلال العبارات التالية في الفصل القادم حيث قال: " ما من أحد إلا وهو يأكل ويشرب، ولكن قليلاً منهم يميّز حقيقة طعم ما يأكل ويشرب! "

١٣٦- كتاب الحرار، الفصل ٧ الصفحة ٩٦.

١٣٧- طريق الحق: هنا يشير إلى منهاج الوسطية والاعتدال.

١٣٨- كتاب الوسطية والاعتدال، بشرح جوشي، الفصل ٧ الصفحة ٨.

第四章

原文：子曰：“道之不行也，我知之矣；知者过之，愚者不及也。道之不明也，我知之矣；贤者过之，不肖者不及也。人莫不饮食也，鲜能知味也。”

今译：孔子说：“中庸之道不能实行的原因，我知道了，明智的人常常超过了中庸，愚笨的人未达到中庸。中庸之道不显明于世的原因，我也知道了，贤能的人超过了限度，无才德的人却达不到。就像人没有不吃喝的，但很少能够分辨滋味啊。”

الفصل الرابع

التمهيد:

هذا الفصل يربط بالنقل عن كونفوشيوس أيضاً ما ذكر في الفصل السابق من قلة صبر الناس العوام على منهاج الوسطية والاعتدال وعجز مدارمتهم عليه، فكان المؤلف يؤكد هنا أسباب صعوبة تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال وغرض حقيقته عن أعين الناس، حتى يدركوا مدى صلاحية منهاج الوسطية والاعتدال في حياة الناس وتوجيهها نحو الخير في الحياة الإنسانية فردياً واجتماعياً.

النص :

قال الأستاذ كونفوشيوس: "إنما منهاج الوسطية والاعتدال لم يطبقه الناس ولم يحقق في المجتمع إجراء وتنفيذاً، وقد عرفت سبب ذلك؛ إذ إنه كان العقل بذكائه مفرطاً عليه فجاوزه، وكان الجاهل بجهالته مقصراً عنه فلم يبلغه. وإنما منهاج الوسطية والاعتدال لم تتكشف حقيقته في المجتمع إظهاراً وتبييناً، وقد عرفت سبب ذلك؛ إذ إنه كان قوى الكفاءة بكثرة فضيلته يفرط عليه فعذاه، وكان ضعيف الكفاءة بقلة فضيلته يفرط فيه قلم ينله. ألا ترى أنه ما من أحد من الإنسان إلا وهو يأكل ويشرب، ولكن قليل منهم يميز حقيقة طعم ما يأكل ويشرب ! "

قال العلامة " جوشي " في شرح معاني الفصل الرابع : " طريق الحق هي السنة السماوية التي فطرت عليها حياة الإنسان، والمراد بالسنة السماوية هنا منهاج الوسطية والاعتدال. وفي هذه القضية كان العاقل والجاهل، وكذلك قوى الكفاءة وضعيفها، كل واحد منهم يقع في مشكلة الإفراط أو التفريط ولم يصب حد الوسطية باختلاف سجيته وعادته. فالعاقل يقتخر بحدته نكاته وبراعة ذهنه، ويظن أن منهاج الوسطية والاعتدال كان أمرا بسيطا مبتذلا على رجل عاقل مثله، فلم يهتم بحقيقة علمه، ولم ينشغل باله بالتباعد واقعي، حتى يفرط في أمور حياته فتجاوز حد الوسطية. أما الجاهل فهو بقلة ذكائه يقتصر علميا إلى معرفة حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، كما كان هو بسخافة عقله يعجز عمليا عن تطبيقه على وجه صحيح، حتى يفرط في أمور حياته فلا يستطيع الوصول إلى حد الوسطية. وهكذا كان إفراط العاقل وتفريط الجاهل يسبب صعوبة تنفيذ منهاج الوسطية والاعتدال في المجتمع. ونفس الشيء يحدث لمن هو قوى الكفاءة، فهو يتشرف بفضائله، ويظن أن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال كان عملا بسيطا مبتذلا على رجل مثله، ولا يستحق معرفة حقيقته، فأفرط في حد حق الوسطية. وأما من هو ضعيف الكفاءة، فهو بقلة أهليته ينقصه تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال عمليا، كما أنه بسخافة خلقه لا يحاول معرفة حقيقته علميا، فقد فرط في حد الوسطية. وهكذا كان الإفراط من قوى الكفاءة والتفريط من ضعيفها يؤدي إلى فقدان حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال بإظهاره بين عوام الناس. وأما منهاج الوسطية والاعتدال كطريق الحق لا يستغنى عنه الإنسان في إرشاد حياته الواقعية وإصلاح شؤونه الاجتماعية، فإنه لم يحاسب الناس أنفسهم علميا وعمليا، فوقعوا في مشاكل الإفراط والتفريط عند تطبيق هذا المنهاج المثالي".^{١٣٩}

وأما مناسبة الفصل الرابع هذا للفصول القادمة، فقد تناولها " هو بينغ وون " ^{١٤٠} من أجل

^{١٣٩} انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا مونغ، الصفحة ١٥٩.
^{١٤٠} هو بينغ وون: علش (١٩٥٠م - ١٩٩٢م)، وهو عالم تزيين وأديب مشهور كان يعمل بطول حياته على البحث والدراسة في فكرة العلامة جوشي العقلية و على الإشاعة والدعوة لها. انظر: الصفحة ٥٥٠، موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعة بكينغهاي، ورئيس التحرير جالغ دي ليل، سنة ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.

كشف المناسبات بعضها ببعض حيث قال: " هذا الفصل ينقسم إلى قسمين: القسم الأول يتحدث عن صعوبة إجراء منهاج الوسطية والاعتدال في المجتمع، والقسم الثاني يتناول عدم إظهار حقيقته فيه. فنسق المؤلف في هذه المأساة كلام الملك الحكيم ' شون ' في الفصل السادس باعتباره قدوة حسنة في بيان تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال؛ كما ورد الحديث في الفصل الثامن حول صلاحية التلميذ الأفضل لكونفوشيوس ' يان هوى ' ومثابرتة على منهاج الوسطية والاعتدال وزهده في حياته المادية في سبيل إكمال طريق الحق، نموذجاً مثالياً في كشف إظهار منهاج الوسطية والاعتدال. وأيضاً ناقش المؤلف صلب الموضوع في الفصول السادس والثامن والعاشر يتحدث عن معالي العلم والرحمة والشجاعة المثالية، وكان الفصل الرابع كمقدمة تمهيدية لهذه الفصول الثلاثة المتتالية.

وقد كشف المؤلف من خلال مناسباتها بعضها ببعض أنه إفراط العاقل يرجع إلى الغرور بنفسه ذكاء، حتى يستكبر على بساطة منهاج الوسطية والاعتدال، فهو رجل ناقص الرحمة خلقياً؛ وكذلك قوئ الكفاءة كان إفراطه يرجع إلى الغرور بنفسه وينسب إلى نفسه الفضيلة، حتى يستخف بعلم حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، فهو غير عارف بالعلم الحق؛ وأما بليد العقل وكذلك ضعيف الكفاءة الذي مر ذكره في النص، فهم يكتفون بتقصيرهم في منهاج الوسطية والاعتدال علمياً وعملياً ولا يشجعون أنفسهم على طلب معرفة العلم الحق، ولا يقنمون على كسب كيفية العمل الصحيح، فهم غير أهل للشجاعة والمروءة أيضاً. " ١٤١

第五章

原文：子曰：“道其不行矣夫！”

今译：孔子说：“中庸之道恐怕很难在世上实行啊！”

الفصل الخامس

التمهيد:

إن منهاج الوسطية والاعتدال باعتباره طريق الحق بين وواضح، وهو ليس يبعد عن الناس وحياتهم الواقعية، بل كانوا يباعدون بينه وبين أنفسهم بإقراط أو تفريط فيه. كما أنه لا يوجد من الإنسان إلا وهو يأكل ويشرب حاجة وطبعاً، ولكن قليل منهم يستطيع أن يعرف ويميز حقيقة ذوق ما يأكل ويشرب. فهذا المثل يصور لنا فقدان المعرفة الحقيقية لديه، وهو فقدانهم معرفة منهاج الوسطية والاعتدال، حتى يصعب عليهم تطبيقه في حياتهم الواقعية كما ينبغي له أن يكون عليه، وهذه هي المبادئ الواردة في الفصل الرابع كما بيّناه فيما سبق. ونجد في هذا الفصل نداءات كونفوشيوس وتوجيهاته للناس نحو الالتزام بمنهاج الوسطية والاعتدال، كما حزن وتأسف على من تأخر عن فهم المنهاج وتطبيقه عملياً في حياته.

النص :

قال الأستاذ كونفوشيوس: " عسى أن يصعب تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في

المجتمع ! "

الشرح :

قال العلامة المجدد "جو شي" في شرح هذه العبارة: " لأن مبادئ منهاج الوسطية

والاعتدال كانت غير مفهومة حقّ فهمها عند الناس، فقد أصبح تطبيقه صعباً عليهم. " ^{١٢} وكان

١٤٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الفصل ٥ الصفحة ١٧.

"تَشِين تَشُون" وهو تلميذ لـ "جو شي" قد بين هذا النص بأبسط تعبير حيث قال: "إنما يصعب على الناس أن يطبقوا منهاج الوسطية والاعتدال في حياتهم الواقعية، وكان السبب في ذلك يرجع إلى عدم معرفة حقيقته." ١٤٣

والجدير بالذكر هنا على وجه الخصوص أن نداء كونفوشيوس وإيراد المؤلف كلامه هذا في هذا الفصل ليس من باب اليأس وفقدان الرجاء والأمل في الناس، حيث إنهم ابتعدوا عن طريق الحق بل كان ينادي ترخيا وترخما لإرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع، فيقيم المؤلف القراء في الفصول التالية قدوة حسنة للعلم الحق من الملك الحكيم "شون" ونموذجا مثاليا للعمل الكامل من التلميذ الأفضل لكونفوشيوس "يان هوى"، كما بين للقراء في الفصول التالية حقائق العلم والرحمة والشجاعة التي أسس عليها مبادئ منهاج الوسطية والاعتدال تعظيما وتربية للناس جميعا.

第六章

原文：子曰：“舜其大知也与！舜好问而好察迩言，隐恶而扬善，执其两端，用其中于民，其斯以为舜乎！”

今译：孔子说：“舜真是算得上具备大智慧的人啊！他能虚心地向人请教，即使浅近的话也必认真体察。听到不合理的恶言便隐藏起来，听到合理的善言便加以宣扬。他能把握事物的两个极端，而用其中道施与老百姓。由于舜能吸收天下人的智慧变成自己的智慧，所以舜就能成其为舜了！”

الفصل السادس

التمهيد:

بعد أن سجل المؤلف تأسف كونفوشيوس لصعوبة تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في المجتمع، وفقدان الناس معرفة حقيقته في الفصل السابق، قدم لنا المؤلف في هذا الفصل شخصية مثالية من الملوك الحكماء القدامى في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال كاملا، وهو الملك الحكيم "شون"، كقدوة حسنة ونموذج في تطبيق هذا المثل الأعلى في الحياة الواقعية، ولأنه قد جمع بين العلم الصادق والخلق العظيم في الكونفوشيوسية، كما كشف هذا الفصل أيضا أسباب النجاح العلمية والعملية، وصور لنا أن الملك الحكيم "شون" كان بارعا في السؤال والاستفادة من الآراء البسيطة، وأميناً في إخفاء الآراء السيئة وإظهار النصائح الحسنة، وكان صاحب عزم وإرادة في اتخاذ الرأي وتقريره بلا إفراط ولا تفريط، مع اعتصامه بمنهج الوسطية والاعتدال، وسنسلط الأضواء على شخصية الملك الحكيم المثالية فما يلي.

النص:

قال كونفوشيوس: "ما أعظم الملك 'شون' بعلمه وحكمته | إنه يحب أن يطلب النصيحة من غيره، ويستمع إلى الناس تواضعا، ويحب أن يتفكر في الكلام المسموع ويتدبر في الرأي المعروض، وإن كان الرأي المعروض بسيطا وعاديا. وإذا سمع قولا مينا سكت عنه وأخفاه؛

وإن حصل على كلام طيب أعلنه ودعا الناس إليه. وكان يتأمل في أموره الإدارية من كل جوانبها حتى يتمسك بأوسطها دون إفراط ولا تفريط بين طرفيها، ثم يطبقه في رعاية الشعوب وسياسة البلاد. ها هو 'شون' أصبح ملكاً حكيماً يجمع بين العلم الصادق والخلق العظيم !

الشرح :

قال العلامة "جوشي" في شرح معاني هذا الفصل: "إنما الملك 'شون' وصف بأنه حكيم ذو علم صادق؛ لأنه لا يستعبر برأيه، بل يستمع إلى نصح الآخرين وآراء الجمهور، ثم يتخذ أوسطها. والمراد بالرأي البسيط هنا في النص هو القول البين والاقتراح السهل، فبدل ذلك على أن الملك الحكيم 'شون' لم يستخف بأي نصيحة من الناصحين من الناس؛ يستمع إلى نصيح أتباعه ولو كان يسيراً، ثم يرجع ويفكر في مضمونه وحكمه، ويستخرج الفوائد منه، حتى يمكنه أن يحصل على كل حسنة وخير من الآراء والاقتراحات الموجهة إليه، وفضلاً عن ذلك فإنه إذا سمع كلاماً سيئاً أو رأياً غير مرضي، سكت عنه ولا يظهره أمام الناس، وإن حصل على قول طيب أو اقتراح صالح، أعلنه ولا يستره أبداً، حتى يستفيد منه الناس. فهو بفضل سماحته وصراحته في القول وعدم الاستبداد برأيه يعامل الناس على حد سواء، وإذا كان الأمر كذلك، فمن لا يحب أن يقتمه رأياً مفيداً وتصبحة حسنة ؟ أما الكلمة الواردة في النص "من طرفين"، المراد بها الإفراط الأشد والتفريط الأبلغ في الآراء والنظريات المختلفة، فإن لكل شيء من جفسيته طرفان متضادان من حيث الكمية والتنوعية، مثل صفة الكثرة والقلة، والقلل والخفة، والرفقة والسفكة إلخ، وإن كانت الآراء حسنة مفيدة يتوسط الملك الحكيم "شون" بين طرفيها الأعلى والأدنى حتى يتخذ ويتمسك بأوسطها، ثم يطبقه مراعيًا لمصالح الشعوب وسياسة الدولة، ويفضل اختياره للمتوسط بعد التأمل والتكيف، يمكنه أن يطبق منهاج الوسطية والاعتدال كما ينبغي له أن يكون عليه، وهذا هو العلم الصادق الخالص من الإفراط والتفريط، وبفضله يعمل بمنهاج الوسطية والاعتدال ظاهراً وجلياً." ١٤٤

وعلى أساس قراءتنا لنصّ هذا الفصل مع شرح العلامة " جو شى " له، يمكن أن نستنتج الأسباب التالية من نجاح الملك الحكيم " شون " فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال فى أرجاء بلاد الصين وقتئذ كما يلي:

والأوّل: أنّ الملك الحكيم " شون " يارع فى السؤال ومستفيد من الآراء البسيطة، وهو يحبّ أن يستشير رعيته متواضعا، ويستمع إلى النصائح مصغيا، حتّى يجمع آراء الجماهير الصائبة، ويستفيد من الحكمة والدهاء منها. والجدير بالذكر أنّ الملك الحكيم " شون " كان لا يستخف بأى رأى أو اقتراح ولو كان بسيطا، بل يدرسه من كل ناحية، ويترصد فيه الجوانب الإيجابية والسلبية لكي يتّمكن من كسب القدرة فى التمييز بين الحق والباطل، ويزيد له الكفاءة فى إدارة أمور البلاد ورعاية شؤون الرعية.

والأمر الثانى من أسباب النجاح للملك الحكيم " شون "، إخفاء الآراء السيئة وإظهار النصائح الحسنة، وإذا سمع كلمة طيبة أعلنها، ودعا الناس إليها، وإن حصل على قول سيئ سكّته عنه ولا يظهره أمام الناس؛ حتّى يشجّع العقلاء من قومه فى تقديم النصيحة والاقتراح عليه بحماسة، ويرغب الجهلاء منهم فى إبداء الرأى بصراحة، فيستمع إلى الآراء والمقترحات من جوانب شتى إيجابا وسلبا عن طبقات المجتمع المختلفة، لكي يعرف جميع الحاجات والمصالح من أبناء المجتمع، وكلّهم على السواء عنده.

والسبب الثالث: هو اتخاذ الرأى وتقريره بلا إفراط ولا تفريط، وإدراك الملك الحكيم " شون " مغزى الطرفين من الأسباب الإيجابية والأسباب السلبية، ثم يأخذ أوسطه لمصلحة رعيته، وكان بعد استماع النصائح وتقليب الآراء بالتأمل والتدبّر فيها إيجابا وسلبا، يتّخذ طريقا وسطا، ويقتصد فى تقرير رأيه، ويطبّقه فى مياسة البلاد مراعاة لجميع مصالح طبقات المجتمع بلا إفراط ولا تفريط، ويعمل بمنهاج الوسطية والاعتدال فى إرشاد الجماهير والمجتمع.

ها هو الملك الحكيم " شون " شخصية مثالية فى الحرص على استماع النصيحة والمشورة، والتزود بالخبرة والاطلاع، وهو واسع الصدر كثير السماحة، جامع بين العلم الصادق والخلق

العظيم، وكان قدوة حسنة في إظهار حقيقة منهج الوسطية والاعتدال وتطبيقه العملي لهذا المنهج الوسطي، كما يسعى وراء المؤلف "تس سي" وعلماء الكونفوشيوسية تاريخيا وواقعا.

第七章

原文:子曰:“人皆曰予知, 驱而纳诸罟獲陷阱之中, 而莫知辟也。

人皆曰予知, 择乎中庸, 而不能期月守也。”

今译: 孔子说: “人们都说: 我是明智的, 但是如果将他驱赶到祸机四伏的罗网、木笼或陷阱中去, 而不知道如何躲避。人们都说: 我是明智的, 但是选择了中庸之道, 却不能谨守一个月的时间。”

الفصل السابع

التمهيد:

بعد بيان العلم الصادق للملك الحكيم " شون " في الفصل السابق، وكشف أسباب نجاحه في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، واتخاذ كأسوة حسنة للناس من الملوك الحكماء المتقدمين ترغيباً وتشجيعاً على الاقتداء به في الحكمة ومكارم الأخلاق، وقد أشار المؤلف " تس سي " في هذا الفصل بأسلوب التشبيه ترهيباً وموعظة لمن يعتز بنفسه ويغرق في شهواته، ثم يدعى لنفسه الحكمة والذكاء، وهو في الحقيقة بعيد عن العلم اليقين، وقليل الصبر والهمة عن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال.

فكثير من الناس يزعم الذكاء لنفسه وسعة العلم فخراً وتكبراً، ولكنه إذا خدعه أحد وأشواه بالخطر والهلاك بالجاه والمال... إلخ، فمن النادر أن يبعد نفسه عن الوقوع في مثل هذه الخديعة والغرور، وهو يعرف أضرارها وأخطارها بشكل واضح. مثله مثل الذي يزعم أنه يتهدى بمنهاج الوسطية والاعتدال، ولكنه إذا غرته نفسه وشهواته، فهو فقد صبره في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، ولا يواظب عليه ولو لمدة قليلة. وهكذا قد كشف المؤلف جهل الإنسان بعدم العلم اليقيني نظرياً وقلة صبره تطبيقياً.

النص:

قال الأستاذ : " ما من أحد إلا وهو يدعى دائما أتى عارف وعقل، ولكنه إن غره الآخر بحيلة ومكيدة كما يمكر الصياد بصيده بحيله وشبكته، فقد انخدع بهذا الغرور، ولوقع نفسه في الخطر والهلاك، وهو لا يعرف ولا يعقل كيف يجنب نفسه منه. وما من أحد إلا هو يدعى دائما أنه عارف وعقل، ولما اختار منهاج الوسطية والاعتدال هدى ورشدا فما استطاع أن يصير على تطبيقه شهرا أو بعضه."

الشرح:

قال العلامة " جو شى" فى شرح مقاصد هذا الفصل: " التوسط بين الطرفين الإيجابى والمصلى، وتمييز الحق من الباطل، والسعى فى تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال، وكل هذه هى الأهداف المذكورة فى الفصل السابق (الفصل السادس) أى من حسن السؤال وحسب النصيحة (عند الملك الحكيم " شون ") فى سبيل تمسكه بأوسط الأمور فى رعاية شعوبه. وأما فى هذا الفصل، فيبين أن الإنسان يدرك بنفسه أنه معرض لغرور الشهوات والأهواء، ومع ذلك يصعب عليه أن يقي نفسه من الوقوع فيها، وكما كان الإنسان يستطيع أن يختار منهاج الوسطية اهتداء به، ولكنه يعجز عن المثابرة على تطبيقه على صورة الدوام. وكلتا الحالتين ترجع إلى فقدان الإنسان علم اليقينى ومعرفة حقيقة الوسطية والاعتدال." ١٤٥

من النص مع شرحه للعلامة " جو شى " نستفيد أن منهاج الوسطية والاعتدال باعتباره المعيار الأعلى فى الكونفوشيوسية نظريا وعمليا، مع التركيز على قيمته التطبيقية، فهو يحتاج إلى تمسك الإنسان به دائما، والمثابرة عليه فى كل أوقات حياته، وهذا الفصل يبين المؤلف بأسلوب التشبيه أن الإنسان يدعى بأنه يتمنع بالتعقل والتمكن، ولكنه فى الحقيقة جاهل وعاجز؛ لأنه لو سقط فى شبكة أو فخ أحاط به فيها الخطر والهول لما عرف كيف يجنب نفسه ذلك ولا يستطيع أن يتجنب البلاء والمصيبة التى تواجهه؛ لأنهم ما أدركوا ماذا يحيط بهم، وهذا كمن لا

١٤٥- الشرح الجامع للكتب الأربعة، هم كتاب اوسطية والاعتدال، جو شى، الفصل ٦، الصفحة ٥.

يصبر على تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال ولو شهرا واحدا. وقد أشار العلامة " جو شي " إلى أهم الأسباب في هذه القضية، وذلك لأن الإنسان لا يعرف منهاج الوسطية والاعتدال حق المعرفة ولا يفهمه حق الفهم، ولأنه لا يقف عليه وقفا حقيقيا، فلا يكون له موقفا ثابتا منه، ولا يكون مستقرا عليه، وإن الموقف الثابت لا يأتي إلا بعلم يقين. فلذلك من ليس له علم يقين ومعرفة حقيقية لمنهاج الوسطية والاعتدال فلا يستطيع أن يثابر على التمسك به وقتا طويلا؛ فلذا جاء الفصل السابق بنموذج الملك الحكيم " شون " في معرفته لمنهاج الوسطية والاعتدال معرفة حقيقية، وليس من الغرابة أن الملك الحكيم " شون " عظيم الحكمة والعقل وكامل الخلق والفضيلة وقد كان يقف على منهاج الوسطية والاعتدال وقفا حقيقيا؛ لذا يمكنه أن يتمسك به بلا انقطاع وبثابر عليه دائما.

ولقد كشف العالم الكونفوشيوسى " يانغ شينغ أن " ^{١٦٦} سر المناسبات في هذه الفصول المتتالية من الفصل الخامس إلى الفصل السابع إرشادا وإفادة للقراء قائلا: " أورد المؤلف في الفصل الخامس قول الأستاذ كونفوشيوس ' عسى منهاج الوسطية والاعتدال يصعب تطبيقه في المجتمع، ' متأسفا على فقدان الناس معرفة حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال من أجل التنبية و الموعظة، ثم أعقبه في الفصل التالى بتمثيل العلم اليقين للملك الحكيم " شون " كقدوة حسنة تشجعا للناس فى الاقتداء به، وبعد ذلك أورد قول الأستاذ كونفوشيوس: " ما من أحد إلا وهو يدعى بأنى عارف وعاقل فى الفصل السابع الذى عالجه الآن، متعجبا معجز الناس عن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، وفيه مزيد من تنبيههم و دعوتهم إلى التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال والاهتداء به، ثم قرن الفصل السابع بالفصل القادم بذكر التلميذ الأفضل للأستاذ كونفوشيوس " يان هوى"، وتطبيقه المخلص لمنهاج الوسطية والاعتدال، وذكره كأموة نموذجية

١٦٦- يانغ شينغ أن : عاش (١٤٨٨م - ٥٩٩م) فى عهد مينغ ، وكان فيلسوفا ، عالما سياسيا راجعا مشهورا فى عهد، انظر إلى الصفحة ٥٥٠ ، موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعة بشانغهاى، ورئيس التحرير جيانغ دى نيان، سنة ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.

أخرى بعد الملك الحكيم" شون " ترغيبا لامتنال الناس به. وكلّ هذا من التنبيه والترغيب،
والتأسف والتعجب يدل على أنّ المؤلف قد بذل فيه أقصى جهوده في إرشاد الناس إلى معرفة
حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال وتطبيقه على الدوام والعمل به على أحسن صورة.^{١٤٧}

١٤٧- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا خونغ، للصفحة ١٥٨.

第八章

原文：子曰：“回之为人也，择乎中庸，得一善，则拳拳服膺，而弗失之也！”

今译：孔子说：“颜回做人处世，能审察选择中庸，如果领悟到中庸的一个道理，就牢记在心，不让它失去了！”

الفصل الثامن

التمهيد:

في هذا الفصل أورد المؤلف "تس سي" ثناء أستاذه كونفوشيوس على أفضل تلاميذه "يان هوى" مدحا على علمه اليقيني في منهاج الوسطية والاعتدال وثناء على صبره الجميل في تطبيقه ومداومته عليه.

النص:

قال الأستاذ: "ومن بين تلاميذي إنما ميزة شخصية 'يان هوى'^{١٤٥} يختار منهاج الوسطية والاعتدال ويطبقه في تهذيبه النفسي وتركيبه الذاتية، ويعمل به في معاملة الآخرين بالقامل والتحفظ، ولما فهم الحسنة والفضيلة اعتصم بها، وثبتها واحتفظ بها في أعماق قلبه متمسكا بها، ولن يتخلى عنها أبدا."

الشرح:

قال "تشنغ هاو" في بيان أفضلية "يان هوى" العلمية والعملية: "إن السيد 'يان هوى' اختار وطبق منهاج الوسطية والاعتدال، ويعتصم به في كل أمور الفردية والاجتماعية، ويداوم عليه بالصبر الجميل والعزم الثابت. وأما الآخرون فلا يستطيعون أن يواظبوا على تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال دون شهر؛ لأنهم لم يدركوه إدراكا حقيقيا، ولم يعلموه علما يقينا، وإن السيد

١٤٨ - ارجع بتعريفه إلى صفحة ٥٠ في الفصل الأول لهذه الرسالة.

'يان هوى' اعتصم به ويثبت في صدره، فلن يتخلى عنه أبداً، لأن له علم يقين على منهاج الوسطية والاعتدال، وهذه هي أفضليته التي لا يماثله فيها أحد غيره.^{١٤٩}

وقد شرح العلامة "جو شى" هذا الفصل بأفصح العبارة، وقال: "إن علم السيد 'يان هوى' هو العلم الصادق مصحوباً باليقين، فاستطاع أن يختار به منهاج الوسطية والاعتدال، وتأثير على تطبيقه بالصبر، وقد بلغ تطبيقه العملى قمة الكمال والإبداع، فكان علمه الصادق اليقيني هو العلة الأساسية للنجاح فى تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال مدى طويلا بلا إفراط ولا تفريط وإظهار طريق الحق واضحا وبيّنا".^{١٥٠}

وكما بيننا فى الفصل السابق أن الأستاذ كونفوشيوس قد أبدى تأسفه على نقصان الناس من ناحية المعرفة الحقيقية والإدراك اليقيني لمنهاج الوسطية والاعتدال، وقلة صبرهم وعزمهم على التطبيق والمداومة عليه طويلا الأجل، وفى هذا الفصل أورد المؤلف مدح كونفوشيوس لتلميذه الأفضل "يان هوى" مثالا نمونجيا فى اختياره منهاج الوسطية والاعتدال وتطبيقه المثابرة عليه. وفى هذا النص يرى كونفوشيوس أن فى كل أمر حقيقة التوسط ولكن الناس لا يدركونها، وهناك من يتأمل فيها ويدركها ولكن لا يقدر على أن يثابر على التمسك بها، وإنما يتفكر "يان هوى" بدقة فى أموره اليومية ويدرك حقيقة التوسط فيها، طالما عرف واستوعب واحدة من حقيقة التوسط، أثبتنا فى صدره ويطبقها فى واقع حياته بجديّة واهتمام، وفضلا عن ذلك حافظ عليها بعزم لا يتزعزع به، ولا يتركها فى أية حالة من حالات حيلته، وقد مدح الأستاذ كونفوشيوس هذا التلميذ غير مرّة، وكان يمدح عزمه على طريق الحق وقال: "إن 'يان هوى' لا يخالف فكرة الرحمة إطلاقا ثلاثة أشهر متتالية، أما الباقون من تلاميذى فمنهم من يتمسك بها يوما واحدا ثم يخالفها، ومنهم من يواصل سيره شهرا واحدا، ثم يخالفها بعد ذلك، ولا يثابر عليها أحد غيرهم أكثر من ذلك".^{١٥١}

١٤٩- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لمؤلف كا خونغ، الصفحة ١٥٩.

١٥٠- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شى، الصفحة ٥.

١٥١- كتاب الحوار: الفصل السادس، الصفحة ٧٨.

وهذا إدراك جيد من كونفوشيوس لطبيعة الإنسان، وضيق الالتزام بالمناهج الأخلاقية، وأن المخالفة لبعض الوقت لا تعني سقوط الإنسان وعجزه عن التطبيق، وإنه كان يلزمه التصويب وحسن المتابعة حتى يضيق على سوء الخلق كل طريق.

وكان السيد "يان هوى" يدرج على رأس اثنين وسبعين تلميذا ملتزما لكونفوشيوس، وقد صاحب أستاذه في السفر إلى الإمارات المختلفة لينشر نظريته - سياسة الرحمة - بين الأمراء والرؤساء وقتئذ، وتحمل المصاعب والويلات أثناء السفر، وقد استغرقت هذه الرحلة أربع عشرة سنة، وكان "يان هوى" اتبع أستاذه بثبات واطراد بينما شك بعض التلاميذ في مذهبه الفكري وغادره لآخرين، كما أن "يان هوى" اشتهر بالتقشف والزهد بين زملائه، فأنهى عليه الأستاذ كونفوشيوس في كتاب الحوار، فقال: "ما أصلح 'هوى' ! وليس عنده إلا سائلة من الطعام ونصف جرعة من الشراب، وهو يقنع بها، ولكن الناس لا يقدرّون على الصبر والتحمل مع هذا التقشف والزهد، ومع ذلك نجد أن الفقر لم يؤثر في 'هوى' ولم يغير عزمه ولم ينقص سيره على طريق الحق رضا وسرورا، ما أصلح 'هوى' ! " ١٥٢

第九章

原文: 子曰: “天下国家可均也, 爵禄可辞也, 白刃可蹈也, 中庸不可能也。”

今译: 孔子说: “天下国家是可以平定治理的, 爵位和俸禄是可以推辞的, 利刃是可以踩踏的, 但中庸是很难做到的。”

الفصل التاسع

التمهيد:

تحدث المؤلف " تس سي" في هذا الفصل عن الأمور الثلاثة العظيمة التي يصعب على الإنسان تحقيقها وتنفيذها، وهي: الأول سياسة الدولة بالحكمة والكفاءة وتحقيق الاستقرار والأمن فيها. والثاني رفض المناصب الشريفة والرواتب العالية في سبيل التعفف والتزهد. والثالث وطء حذ السيف مشياً عليه بشجاعة ومروءة (مجازاً عن التضحية بنفسه بدون خوف الموت) من أجل تحقيق فكرة الرحمة والعدل.

فهذه هي المبادئ الثلاثة العظيمة، غير أنها صعبة المنال على الإنسان، ولكن يمكن لمن يتأهل من أصحاب الكفاءة والقدرة أن يحققها ويتقنها، ويرى " تس سي " أن الصعوبة لهذه الثلاثة ليس بأكثر من صعوبة تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال وإكماله، مع أنه حقيقة عامة وبصفته الشمولية يمكن للإنسان أن يفهمه ويعرفه بدون صعوبة، فإن الإنسان ليس بمقدوره أن يحققه ويطبقه لزمناً طويلاً المدى إلا نادراً.

وفي نظر الأستاذ كونفرشيوس فإتما الملك الحكيم " شون " قد وصل إلى هذه المرتبة، كما أن تلميذه الأفضل " يان هوى " يواصل تطبيقه لمدة ثلاثة أشهر فقط، لأن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال هو جهد النفس يومياً، فيحتاج الإنسان إلى تحقيق التهدب الذاتي والتزكي النفسية، ويلزمه أن يكافح الأهواء والشهوات، ويتغلب عليها في كل الأوقات في حياته، ويتمسك في أموره

اليومية بمنهاج الوسطية والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط فيها، ومن أجل الوصول إلى هذه الدرجة الأخلاقية والهدف النبيل يحتاج الإنسان إلى بذل الجهد المتواصل طوال حياته.

النص:

قال الأستاذ: " إن البلاد وما تحت السماوات يمكن أن تحكم وتستقر، وإن المناصب والرتب العالية يمكن أن ترفض وترد، وإن حد السكين والسيوف الحاد يمكن أن يوطأ ويداس، ولكن منهاج الوسطية والاعتدال هو أصعب الأمور من حيث التحقيق والثبات عليه إلى مدة أطول. "

الشرح:

قال " جانغ جو جينغ " ^{١٥٣} في تعليقه لهذا النص قائلا: " إن الدولة شؤونها متنوعة ومعقدة، والمجتمع مجموعة من الأجناس وأخلاق من الناس، فسياسة الدولة وإقرار المجتمع مسؤوليات كبيرة عظيمة، ولكن من يتمتع بأهلية الذكاء وصفاء الحكمة، يمكن أن يتحمل هذه المسؤولية العظيمة. وإن المناصب المرموقة والرواتب العالية هي التي يرغب فيها الإنسان، فتركها والتعفف عنها أمر في غاية الصعوبة، ولكن الذي يتصف بالعفة والرحمة، فهو يقدر على رفض هذه المكائنة المرغوبة. وإن السيف حده قاطع ومخيف، يهلك حياة الإنسان، فالجراحة على حد السيف ومقاومته بالحياة أمر خطير، ولكن الذي يتصف بالمروءة وصفة الشجاعة، يستطيع أن يقف أمام السيف القاطع بدون الخوف والقلق، وذلك ليس بنادر الأمثال. " ^{١٥٤}

وإن سياسة البلاد تحتاج إلى الحكمة والعقل، ورفض المناصب الشريفة والرتب العالية في حالة تعارضها مع طريق الحق يحتاج إلى الأخلاق الحميدة، والمشى على حدة السيف يحتاج إلى الشجاعة والمروءة. وهذه الأخلاق الثلاثة من الحكمة والرحمة والشجاعة عند الكونفوشيوسية

١٥٣- " جانغ جو جينغ "، حاش ١٥٢٥م- ١٥٨٩م، عالم كونفوشيوسى وسياسى كبير فى عهد مينغ، له الكتاب " الشرح والتعليق لكتاب الحوار وكتاب الوسطية والاعتدال "، انظر الى الصفحة ٥٥٧، موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعية بتيانجوى، ورئيس التحرير جونغ دى نيلن، سنة ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.
١٥٤- الشرح والتعليق لكتاب العولر وكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جو جينغ، الصفحة ٦٥، دار الكتب والمعاجم بتيانجوى، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

أخلاق أساسية وكبيرة، ممكن أن يصل الإنسان إليها، غير أنها صعبة جدا في تحقيقها، ولكن بالنسبة إلى الدرجة الصعبة لهذه الثلاثة في نظر المؤلف " تس سي"، كان منهاج الوسطية والاعتدال أكثر صعوبة على الإنسان بتطبيقه، مع أنه حقيقة بسيطة وسهلة للفهم، ولم يصل إليه إلا النادر من الناس كالملك الحكيم " شون" والتلميذ الأفضل " يان يوان" عند الكونفوشيوسية، وإنهما قدوة حسنة للناس في تطبق منهاج الوسطية والاعتدال علميا وعمليا.

وكشف العلامة " جو شي" مقاصد هذا النص وقال: " هذه الأمور الثلاثة تتناول عموما قضايا الحكمة والرحمة والشجاعة، وهي من الأمور صعب تحقيقها وتنفيذها في حياة الإنسان، وإن حققها بعض الناس، فيمكن أن لا يوافق فيها مطالب منهاج الوسطية والاعتدال. وهذه الأمور الثلاثة يمكن أن يحققها صاحب الحكمة والرحمة والشجاعة في مدة معينة إن بذلوا جهودهم بجد واجتهاد. وأما منهاج الوسطية والاعتدال فهو أصعب منها حيث إنه يطلب من الإنسان تطبيقه في أمره اليومية كلها طول حياته، وهذا يبدو أنه لا يكون عسيرا كالأمور الثلاثة المذكورة، ولكنه لن يبلغ فيه حد الوسطية والاعتدال إلا أصحاب العزم والإرادة الذين يتصفون بالرحمة، ويتركون أنفسهم من الأهواء والشهوات نزكية تامة." ^{١٥٥}

وقد ألحق " جالغ داي" ^{١٥٦} نقطة مهمة في شرح العلماء السالفين لهذه العبارات، وتحدث عن صعوبة تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال من ناحية موضوعه المنهجي الأخلاقي، حيث قال: " صعوبة تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال تعطي استحالة تطبيقه بالقوة الجسدية، وإلا لا يعتبر أعلى الأخلاق الفضيلة، وإن الإفراط مثل التفريط كل شيء زاد عن حده، انقلب إلى ضده، فمنهاج الوسطية والاعتدال يطلب إلا يزيد شعرا فيفراط، ولا ينقص خطوة فيفراط، بل يتخذ ما بين الطرفين فهو يحتاج إلى الضبط والإحكام." ^{١٥٧}

١٥٥- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، الصفحة ٦، دار الكتب " تشي لو" الطبعة الثاني، سنة ١٩٩٢م.
١٥٦- " جالغ داي": عالم كونفوشيوس وإديب، مئتي ١٥٦٧م- ١٦٧٩م في نهاية عهد مينغ (١٣٦٨م- ١٦٤٤م) وبداية عهد تشينغ (١٦٤٤م- ١٩١١م). انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعة بكينغ، ورئيس التحرير جالغ داي تيان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٠م.
١٥٧- انظر: الشرح للنظري لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٦٢.

ومن هذه الشروح القيمة نفهم النقطتين المهمتين في صعوبة تطبيق وتحقيق منهاج الوسطية والاعتدال على الإنسان :

والنقطة الأولى هي: إن منهاج الوسطية والاعتدال يحتاج الإنسان إلى تطبيقه في كل امر من أموره اليومية وفي كل وقت من أوقات الحياة، وهو يتمثل في شؤونه العامة المختلفة فريدًا واجتماعيًا، والإنسان لا يستطيع أن يثابر على التمسك المتواصل به طول حياته.

النقطة الثانية هي: من ناحية موضوعه التطبيقي المنهجي يستحيل على الإنسان أن يحقق التوسط في كل أموره اليومية دون الإفراط أو التفريط فيها، وأن لا يتجاوز حدّ منهاج الوسطية والاعتدال فيها، وهذه هي الأسباب التي لا يقدر على إكمالها إلا قليل من أولى العزم والإرادة الذين يتصفون بـ " الرحمة " .

第十章

原文：子路问强。子曰：“南方之强与？北方之强与？抑而强与？宽柔以教，不报无道，南方之强与，君子居之。衽金革，死而不厌，北方之强也，而强者居之。故君子和而不流，强哉矫！中立而不倚，强哉矫！国有道，不变塞焉，强哉矫！国无道，至死不变，强哉矫！”

今译：子路问孔子：“怎样才算是强呢？孔子回答说：“你问的是南方的强呢，还是北方的强呢？或者是你自己的强呢？用宽容柔顺的方法教化人，不报复对自己蛮横无理的人，这是南方的强，君子拿这种忠厚、宽容的道来指导自己的行动。用武器甲冑当卧席，即使战死也毫不惧怕，这是北方的强。北方的强者拿这种强力胜人的道来指导自己的行动。所以君子对大家和蔼可亲而又不失之于流俗，岂不可算是矫强吗？中立而不偏倚，岂不可算是矫强吗？处在国家政清明的时候，不改变显达以前的操守，岂不可算是矫强吗？处在国家政黑暗的时候，至死不变平生的志愿，岂不可算是矫强吗？”

الفصل العاشر

التمهيد:

في هذا الفصل ظهر تلميذ آخر للأستاذ كونفوشيوس، وقد كان معروفًا ببسائطه وشجاعته بين التلاميذ الآخرين، وهو "تس لو". وعندما سمع مدح الأستاذ لزميله "يان يوان" بمثابة على منهاج الوسطية والاعتدال وعلى تمسكه بطريق الحق بلا انقطاع ولا تزعزع جاء "تس لو" إلى أستاذه يسأله عن ماهية القوة الحقيقية أو الشجاعة الكاملة التي توافق منهاج الوسطية والاعتدال. وفي هذا النص قد حلّل الأستاذ لتلميذه "تس لو" معنى القوة الحقيقية والشجاعة الكاملة بمعنى الكلمة عند الرجل الفاضل، وبين صفات مختلفة بين من يتمتع بقوة مثينة البنية وشدة البأس وبين من يتصف بقوة مثينة الروح وصلابة الإرادة والعزم عند الرجل الفاضل، كما حثّ فيه

الأستاذ "تسى لو" على أن يتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال، ويهذب نفسه بقوة متينة البنية؛ حتى يتجزو ويكمل القوة والشجاعة الروحية التي هي من صفة الرجل الفاضل المثالي.

النص:

سأل "تسى لو"^{١٥٨} أستاذه كونفوشيوس عن معنى القوي والشجاع، فأجابته وقال: "إن أي نوع من القوى والشجاع تسأل؟ أتريد القوى من أهل جنوب الصين؟ أو القوى من أهل شمال الصين؟ أو القوى الذي ينبغي أن تتمتع به نفسك أنت؟ فإنّ تعليم الناس وتهذيبهم بالسماحة والمرونة وعدم الانتقام مثن يعامله فظاً غليظاً، فهذا هو معنى القوى من أهل جنوب الصين، وكان أصحاب الفضائل الحميدة يتصفون بهذا النوع من القوة. وأما من حمل السلاح واضطجع على درعه مستعداً للقتال في أي وقت ومواجهة الموت والهلاك في ميدان المعركة بلا خوف ولا قلق، فذلك هو القوى من أهل شمال الصين، وكان أصحاب الشجاعة والبسالة يتمتعون بهذا النوع من القوة ويدعون إليها. وبجانب كل منهما، كان الرجل الفاضل يعامل الناس جميعاً باللطف والوداد، ولكنه لا يتبع شهواتهم الرديئة، ولا يعشّى مع التيار الاجتماعي السخيف، أليس هو القوى الحق والشجاع الكامل؟ ويأخذ دائماً في أمره بأوسطها، ويقصد في تصرفاته بلا إفراط ولا تفريط، أليس هو القوى الحق والشجاع الكامل؟ وعندما كانت الدولة عادلة سياستها ومستقر مجتمعها، كان الرجل الفاضل إذا حصل على المنصب والشرف، فلم يغير أخلاقه الفاضلة وسلوكه الحسن الذي ثابر أن يعتصم به في عصر خموله، أليس هو القوى الحق والشجاع الكامل؟ وإذا صارت الدولة ظالمة سياستها ومضطرباً مجتمعها، كان الرجل الفاضل لا يبذل سعيه الثابت في طريق الحق خلقياً وسلوكياً، ولا يخاف الموت والهلاك في سبيل الاهتداء إلى طريق الحق والتمسك به، أليس هو القوى الحق والشجاع الكامل؟ !"

١٥٨- "تسى لو"، على ٥٤٢ ق.م - ٤٨٠ ق.م، وهو من أفضل التلاميذ عند الأستاذ كونفوشيوس، وقد اشتهر بالقوة والشجاعة بين البابقيين؛ وكان مائراً في الأمور السياسية، وقد ساق لأستاذه عربة خيل وقام بالحرص له خلال طلبه العلم عنده، كما صاحب أستاذه كونفوشيوس في سفره إلى مختلف الممالك ليقتر مذهبه السياسي بين أمراءها، وقد تجرّه على تنقيح رأى أستاذه وتعلّي بالشجاعة والقوة على اعترافه بأخطائه نفسه والتصحيح لها، قال تقديرًا سانيًا من الأستاذ كونفوشيوس، وقال فيه: "إن وجهه نظري إذا لا يرفع في البلاد، فسوف أسافر بالرفق إلى بلاد ما وراء النهر، وفي ذلك الوقت لا أحد معي إلا تلميذي "تسى لو".

الشرح :

قال " تشينغ هاو " فى بيان مقاصد هذا الفصل: " يكثف هذا الفصل حقيقة القوى فى منهاج الوسطية والاعتدال؛ فالقوى فى جنوب الصين لم يبلغ حقيقته، والقوى فى شمال الصين قد بلغ حقيقته. والجنوب هنا المراد به جنوبى الصين وأهله، وكان القوى من أهله وإن لم يبلغ حقيقته فإنه من سجيته اللطيفة والمرنة لا ينتقم ممن يعامله فظاً غليظاً، وهذا لا يضر صفات الرجل الفاضل وأخلاقه. وبجانبه كان القوى من أهل شمال الصين يبلغ فى القوة والجرأة، ويبرز بصفات البطل الشجاع. وأما من أصبح ثابت جأشه على أساس منهاج الوسطية والاعتدال فقد حصل على حقيقة القوة والشجاعة التى ينبغى للرجل الفاضل أن يتصف بها. فالكلام فى النص نقول: " كان الرجل الفاضل يعامل الناس جميعاً بالطف والوداد، ولكنه لا يتبع شهواتهم الرديئة، ولا يتمشى مع التيار الاجتماعى المسخيف... " وما بعدها من عبارات النص، تتكلم عن مبادئ القوة الحقة وصفات الشجاعة الكاملة التى يعرّز بها الرجل الفاضل نفسه خلقياً وسلوكياً. ^{١٥٩}

وقد شرح العلامة " جو شى " هذا النص بأدق العبارات الإشارية وقال فى ذلك: " إن عبارة النص ' تعليم الناس وتهذيبهم بالسماحة والمرونة ' تعنى أن يعاملهم بالليونة والموانسة تهذيباً لهم على ما فرطوا. وعبارة النص ' وعدم الانتقام ممن يعامله فظاً غليظاً ' تعنى أنه إذا واجهه الأذى والضرر، قبله بصبره و صلاحيته، وترك الانتقام والإضرار بفاعله. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن جنوب الصين وبيئته كانت تتمتع بالهدوء ورعاية الإنسانية تميل إلى اللطف والليونة، فأصبح أهل الجنوب بهذه الصفة معروفة بأن يغالب الواحد منهم العنف والقهر بصبره وعفوه وهو صاحب القوة والحق، وهذا يوافق ما يدعو إليه الرجل الفاضل المثالى فى الأخلاق والقيم. وأما شمال الصين فكانت بيئته وثقافته تميل إلى الثبات والبسالة، فصار أهل شمال الصين يتصفون بصفة أنهم قد غلبوا على غيرهم بالجرأة، يعتبر هؤلاء بأنهم أصحاب القوة والحق، وذلك يوافق ما يتصف به البطل القوى من الشجاعة والمروءة. وبالنسبة إلى

١٥٩- انظر : الشرح التلخيصى لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ١٦٤.

شخصية الرجل الفاضل المثالية، يبين النص أنه إذا عاش في عصر يتمتع بعدل سياسة الدولة وحصل على الشرف والمناصب، فلم يتجاوز ما كان يثابر عليها في خموله من أخلاقه الفاضلة وسلوكه الحسن، وإذا تحولت الدولة إلى سياسة ظالمة واضطرب مجتمع بظلمه، ظل الرجل الفاضل ثابتاً على طريق الحق خلقياً وسلوكياً متمسكاً بمنهاج الوسطية والاعتدال؛ لم يتزعزع، ولم يقوان في ميثرته، حتى يتغلب على أهواء وميول، ويثابر على الشدائد هذا يعتبر شجاعاً وقوة للآخرين. وهكذا كان الأستاذ كونفوشيوس ينصح تلميذه الحبيب ' تس لو ' موجهها إلى بسالته الخلقية الجسمية ومرغياً لمروءته الخلقية الروحية. " ١٦٠

ويعطينا هذا الفصل فكرة عن الوسطية والاعتدال في القوة والشجاعة عن طريق إجابة الأستاذ كونفوشيوس على سؤال تلميذه " تس لو " . فقال الأستاذ: " أي قوة وشجاعة تعني؟ هل تعني القوة التي يتصف بها أهل جنوب الصين؟ أم القوة التي يدعو إليها أهل شمال الصين؟ أم قوة من عند نفسك وأنت تتفخر بها؟ وبذلك يستخدم الأستاذ كونفوشيوس الطريقة الاستنباطية في تدريسه، فلم يجب على سؤال " تس لو " مباشراً، بل يوجهه إلى التفكير في ماهية القوة والصلابة والمقارنة بينهما، ثم يفهمه بمهارة وصبر، وحلّل له المعنى والميزة الخاصة للقوة من أهل جنوب الصين والقوة من أهل شمال الصين، وأخبره أن هذين النوعين من القوة والشجاعة لا تصل إلى القوة التي توافق منهاج الوسطية والاعتدال؛ لأنّ الأولى أفرط فيها والثانية قد فرط فيها، فكلاهما قد تجاوزا الحد لمنهاج الوسطية والاعتدال، فما هي القوة الحقيقية لمفهوم منهاج الوسطية والاعتدال عند كونفوشيوس؟

بعد توضيح الأستاذ كونفوشيوس للنوعين من القوة والشجاعة وأنه لم يوافقاً طريق الحق، بين تلميذه أن القوة الحقيقية هي قوة توافق منهاج الوسطية والاعتدال، ولا يمكن أن يتصف بها إلا الرجل الفاضل، وهو يظهر في أربع صور:

١٦٠ - الشرح الجامع للكتب الأربعة - قسم كتاب الوسطية والاعتدال، ج ١، الصفحة ٦ - ٧.

الأولى: أن الرجل الفاضل يعامل الناس جميعاً بـ " الرحمة " والطفة، ولا يتبع العادات
الرديئة الشائعة في المجتمع، ولا يسير مع التيار السخيف.

والثانية: أنه يحكم بمنهاج الوسطية والاعتدال لا إفراط ولا تفريط في تصرفاته ، بل يتخذ
دائماً لوسط الأمور.

والثالثة: أنه لا يغير مبادئه الأخلاقية وقواعده السلوكية التي يسعى وراءها طول حياته
سواء كان في المنصب العالية ع بأن سياسة البلاد في حالة العدل و الاستقرار و السلامة أو
بعكسه.

والرابعة: أنه ثابت ومثابر على الحق، لا تصرفه حوائث الزمان ولا جور الحكام عن
عزمه على إصلاح الحكومة وأهلها.

第十一章

原文:子曰:“素隐行怪,后世有述焉,吾弗为之矣。君子遵道而行,半途而废,吾弗能己矣。君子依乎中庸,遁世不见知而不悔,唯圣者能之。”

今译:孔子说:“现在有一种人,喜欢追求隐僻不正的道理,好做奇异怪诞的事情。由于能欺世盗名,所以后代还有赞许这种言行的人,我是不做这种事的。君子遵照中庸的大道行事,有人却做到半途竟然废止,我是绝不肯在半途停止的。君子依照中庸的道理去做,假使终身不被世人所了解,也绝不懊悔,只有圣人才能够这样做。”

الفصل الحادى عشر

التمهيد:

فى هذا الفصل انتقد كونفوشيوس نوعين من الناس: نقد بأسلوب توبيخى على النوع الأول الذين يحبون الاستقصاء فى الأفكار الخفية الغامضة والإتيان بالسلوكيات الغريبة الشاذة، وهم يظنون انفسهم على رأس عباقرة أنكياء، طمعا فى نيل السمعة والشهرة الدنيوية، وهؤلاء قد خالفوا تماما منهاج الوسطية والاعتدال فكريا وعمليا. كما نقد بأسلوب تحذيرى على النوع الثانى الذين يرغبون فى اتباع طريق الحق والتمسك به، ولكنهم بقليل الصبر والمزم، فلم يثابروا عليه دأبا، بل تركوا وتوقفوا عنه فى منتصف الطريق، وهؤلاء قد قصرُوا وفَرَطُوا فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، فعجزوا عن المداومة على طريق الحق عملا.

وأخيرا شجع كونفوشيوس الإنسان على اقتدائهم برجل فاضل فى سعيه وراء منهاج الوسطية والاعتدال طول حياته بدون شكوى ولا ندم فى سبيل التمسك به، بل يثابر ويداوم على تطبيقه، وإن كان فى الظروف المعاكسة التى تواجهه، نزيها عن الرياء وكسب السمعة الحميدة عند الآخرين. وإنما هذه الدرجة الخلقية العليا هى الحالة المثلى التى لا يحقُّها إلا الحكيم المقتدى للقرون والأجيال.

النص:

قال الأستاذ: " هناك نوع من الناس يحبون أن يتقصّوا في الحقائق الغامضة ويتأثروا بالسلوكيات الغريبة (وقد يحصلون عند الناس على السمعة والشهرة خداعاً) حتى نكتب لهم عند الأجيال الخلف سيرة حسنة للذكرى؛ ولكنى لن أفعل أى شيء من هذا السبيل ولا أسلكه! والرجل الفاضل يثبّيع بمنهاج الوسطية والاعتدال سعياً، ولكن بعض الناس يعمل به حيفاً ويتركه حيناً آخر فيتوقّف عنه في منتصف الطريق، وإني لا أستطيع أن أتخلّى عنه وإن أتوقّف أبداً! بل الرجل الفاضل يتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال دأباً، وإن كان لم يثبّ الجاه والسمعة لدى الناس طول حياته، فلا يتأسف ولن يندم أبداً؛ وهذه هي الدرجة الخلقية المثلى التى لا يصل إليها إلا الحكيم (شينغ رين 聖人) ^{١١١} وحده! "

١٦١- " شينغ رين 聖人 ": هو مصطلح هام عند الكونفوشيوسية، فيذكر مراراً وتكراراً في جميع الكتب الكونفوشيوسية المقدسة، والمراد به المثل الأعلى في الإنسانية الذى يجمع بين كامل الأخلاق وبين ذم الجكم (معجم اللغة الصينية الحديث، نشر للطباعة التجريبية، بكين، ١٩٩١م، الصفحة ١٠٣١).

ومن أجل ترجمة كلمة " شينغ رين 聖人 " بصورة أحسن في اللغة العربية، راجعت أولاً إلى ترجمة الأستاذ الرجل محمد مكين (MA JIAN) لكتاب الحوار وإلى ترجمة الدكتور زهر الدين (MA XIAOPEI) لكتاب المعرفة الكبرى، وهما كتابان راجعان من بين الكتب الكونفوشيوسية المقدسة. قد تفتت ترجمتهما من لغتها الصينية الأصلية مباشرة إلى اللغة العربية حتى يومنا هذا، فوجدت أن الأستاذ محمد مكين قد اتخذ اللفظ " الحكيم " في اللغة العربية معنى مترجماً للكلمة " شينغ رين 聖人 " في اللغة الصينية، حينما اتخذ الدكتور زهر الدين اللفظ " النبى " في العربية مدلولاً مترجماً لهذه الكلمة الصينية.

ثم راجعت ثانياً إلى ترجمة القسيس جيمس ليوه (١٨٩٧-١٨١٤) للأسفار الخمسة والكتب الأربعة الكونفوشيوسية من اللغة الصينية إلى الإنجليزية، وإلى ترجمة الأستاذ " تشن رونج جيا " (CHEN RONGJIE ١٩٠٦-١٩٩٤) في تأليفه بالإنجليزية " جامع المصادر في الفلسفة الصينية "، وجدت أن كلهم اتخذوا اللفظ " Sage " في الإنجليزية معنى مترجماً للكلمة " شينغ رين 聖人 " في الصينية. وإذا راجعنا القاموس الإنجليزي والعربية، وجدنا أن المورد الحديث (الطبعة الثانية، دار العلم للملايين-بيروت، ٢٠٠٩م، الصفحة ١٠١٩) ترجم اللفظ " Sage " في الإنجليزية إلى اللفظ " الحكيم " في العربية. وعلى أساس بحثي العلمى في الترجمات المختلفة لمعنى كلمة " شينغ رين 聖人 " في اللغة الصينية إلى العربية والإنجليزية، حاولت أن أجمع هذه الترجمات المختلفة بأسلوب مناسب توفيقاً لوجه الخلاف بينها، وخاصة بين ترجمة الأستاذ محمد مكين وبين ترجمة الدكتور زهر الدين باللغة العربية.

فجعلت اللفظ " النبى " في العربية هذا أعلى لتعريف معنى الكلمة " شينغ رين 聖人 " في الصينية، كما اتخذت اللفظ " الحكيم " في العربية هذا أدنى لتعريف معنى هذه الكلمة في الصينية، ويعلمة أخرى: جعلت اللفظ " الحكيم " وسماه في العربية جنساً عامّاً لتعريف الكلمة " شينغ رين 聖人 " في الصينية، حينما اتخذت اللفظ " النبى " في العربية نوعاً خاصاً من هذا الجنس العام لتعريف هذه الكلمة في الصينية.

وأما ميزة هذا التعريف بالحد الأعلى باعتباره النوع الخاص والحد الأدنى باعتباره الجنس العام في ترجمة الكلمة " شينغ رين 聖人 " في الصينية، فمبنيتهما من ناحيتين عقلية وفنية فيما يلي:

الشرح :

هذا الفصل يتكون من ثلاث جمل، حذر فيه الأستاذ كونفوشيوس الإنسان عن التفتي في الغرائب والعمل على السلوك المتطرف لكسب الجاه والشهرة، كما نبه الناس عن تركهم للتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال في منتصف الطريق، بل شجّعهم على الصبي لهذا المنهاج وبذل الجهد في اتّباعه بالصبر والمداومة.

وقال العلامة " جو شى " فى شرح معانى النص هذا: " إن قوله ' يتقنوا فى الحقائق الغامضة ويأتوا بالسلوكيات الغريبة '، المراد به أن هذا النوع من الناس يحتون البحث فى أمور عجيبة مبهمة والإتيان بأعمال شاذة متطرفة، مما يجعلهم حاصلين على السمعة والشهرة خداعا، فقد يكون هناك من فى القرون المستقبلية يذكرونهم مدحا. وفى الحقيقة، هذا النوع من الناس أفرطوا فى العلم ولم يميزوا الخير والفضيلة فيه، وبالفرا فى العمل ولم يسلوكوا مسلكا وسطا فيه، فهم الذين يصرون على ما لا يستحق لهم من بذل الجهد فيه، وأنى للحكيم (كونفوشيوس) أن يأتى بمثل هذه التصرفات المفرطة | ١٦٦ "

وواصل العلامة " جو شى " كلامه فى شرح للنص التالى وقال: " إنما الرجل الفاضل يتبع منهاج الوسطية والاعتدال فى سعيه، فهو قادر على تمييز الخير والفضيلة لنفسه. ولكن هناك بعض الناس يكتفون عن التمسك بهذا المنهاج فى منتصف الطريق، حيث يفرطون ويتقاصرون عن الجهد والدأب عليه. وهذا النوع من الناس وإن كان علمهم يمكن أن يدرك

ومن الناحية العقلية نقول: إن إثبات عمومية الجنس يعنى جميع أنواعه بما فيها النوع الخاص، ولكن نفى خاصية النوع الخاص لا يعنى نفى عمومية الجنس لجميع أنواعه بما فيها النوع الخاص، ومن مثال ذلك: إذا نستى أحدا بأنه طالب لنجاح، وهذا يعنى أنه قد ينجح بدرجة القبول أو ينجح بدرجة الامتياز، ولكنه عندما نفينا هذا الطالب بأنه ليس طالبا ممتازا، فهذا النفى يامتياز لا يعنى أننا نفى كونه طالبا ناجحا بدرجة القبول التى هى أعلى الحد فى نجاح الامتحان، فنقول: إن كل طالب ممتاز كان ناجحا وليس كل طالب ناجح ممتازا.

وأما من الناحية العقلية، فلنأت إلى قصة لقمان الحكيم وأراء العلماء المسلمين فى شخصيته: " كان نبيا أم لا؟ فذهب كثير منهم إلى إثبات نبوته، وحينما قال الآخرون بنفوها، ولكن مهما كان الأمر بينهم جدلا ونقاشا، لم يكن أحد واحد منهم - سواء كان مثبتا أو معارضا - ينكر أن لقمان كان حكما.

وعلى أساس المبدأ العقلى والعقلى، هنا، يمكننا أن نستنبط منه القول بأن كل نبى كان حكما (أى المثال الأعلى فى الإنسانية الذى يجمع بين كامل الأخلاق وبين تلم الحكيم عند مفهوم الكونفوشيوسية)، ولكن كل حكيم ليس نبيا. ٩٦٢- المشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شى: الصفحة ٤٢.

أهمية منهاج الوسطية والاعتدال ولكن أعمالهم تقصر عن تحقيق المرام، فهم الذين يعجزون عن ما يستحق لهم من بذل الجهد فيه. وأما الحكيم (كونفوشيوس) فلن يتركه أبدا بل يثابر عليه طوعا، حيث كان إخلاصه الصادق في السعي للحق والخير يندفع ثابثا فيستمر دأبه عليه بدون توقف.^{١٦٣}

وتم العلامة "جو شي" شرحه لأخر النص هذا وقال: "إنما الرجل الفاضل إذا تجنّب عن النقص في أمور غريبة والإتيان بأعمال متطرفة فقد تمسك بموجب منهاج الوسطية والاعتدال، وإن يثابر عليه طوعا ولا يتوقف في سعيه دأبا فذلك يؤدي بصاحبه إلى عدم التأسف ولو أنه لم ينل الجاه والسمعة لدى الناس طول حياته. وإنما هذه الدرجة هو المثل الأعلى في فضائل منهاج الوسطية والاعتدال، حيث يجمع بين قمة العلم وغاية الرحمة ووسع أوفر من الشجاعة البذرية المجردة، فشأنه شأن أساتذنا كونفوشيوس في أحواله بالضبط، ولكنه لم يدع بذلك لنفسه متعففا، بل قال في النص: ' وهذه هي الدرجة الخلقية المثلى التي لا يصل إليها إلا الحكيم وحده! '^{١٦٤}

وعلى أساس شرح العلامة "جو شي" القيم لمعاني النص هنا، نقول إن هذا الفصل يحوى على ثلاث جمل نفا وإثباتا، وهي: في الجملة الأولى نقد كونفوشيوس ونفى على موقف من ينقص في الأمور الخفية الغامضة ويسلك مسلكا غريبا شاذًا، وكان هذا النوع من الناس قد أفرطوا في العلم وبالغوا في العمل، فما استطاعوا على تمييز الخير والفضيلة. فيهما حسب موجب منهاج الوسطية والاعتدال.

وفي الجملة الثانية أنكر وانتقد أيضا على موقف من يكف عن التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال في منتصف الطريق. وكان هذا النوع من الناس إن يدركوا الهدف المسعى بعلمهم، ولكن فرطوا في العمل وقصروا في بذل الجهد، فعجزوا عن الصبر والمثابرة على منهاج الوسطية والاعتدال طول حياتهم.

١٦٣- الشرح الجامع للكتب الأربعة. قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤٢.

١٦٤- المصدر السابق نفسه.

وفى الجملة الثالثة أثبت كونفوشيوس وشجع الرجل الفاضل على التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال طول حياته بالدأب والصبر، بحيث لا يندم ولا يتأسف على اعتقاده بهذا الطريق المستقيم واتباعه له، وإن لم يعرفه أحد ولم يفهمه غيره فى محافظته عليه.

فالرجل الفاضل إذا أراد أن يكمل أخلاقه المحمودة على أساس منهاج الوسطية والاعتدال، عليه أن يدركه حق الإدراك، ويفهمه غاية الفهم، كما عليه أن يصل إلى تحقيق فكرة الرحمة ويتَّصف بالصفات الحميدة من العزم والصلابة والشجاعة ببذل جهوده القصوى، لكى يتحدّى بجامع مكارم الأخلاق الثلاثة (الحكمة والرحمة والشجاعة) الصعوبات والمشقات التى تواجهه فى سبيله لطلب طريق الحق.

وهذا كله ما ينشده الأستاذ كونفوشيوس وما يسعى وراءه ويعمل عليه طول حياته، ولكن هنا فى النص لم يفتخر بنفسه أنه قد وصل إلى تلك المثل الأعلى، بل اعتبر متعففا بأسلوب إنشائى وقال: " وهذه هى الدرجة الخلقية المثلى التى لا يصل إليها إلا الحكيم وحده ! "

第十二章

原文：君子之道， 费而隐。

今译： 君子中庸的道理，其效用广大无涯，无穷无尽，其本体却极其微小，无处不有。

الفصل الثاني عشر

التمهيد:

إن الأستاذ كونفوشيوس والمؤلف " نى سي " لم يرا أن منهاج الوسطية والاعتدال مجرد أفكار أو فلسفات غامضة ومغلوبة تبعد عن الحياة الواقعية، بل تظهر نتائجها الشاملة الفعالة فى المجتمع البشرى، إذا طُنق عمليا فى حياة الإنسان اليومية، فهذا المنهاج المثالى يعطى ثماره لمن جعله فى حيز الاتباع والتطبيق العملى.

فهذا الفصل جاء لتبيين كيفية تطبيق الناس منهاج الوسطية والاعتدال فى حياتهم اليومية، ووضح فيه مرة أخرى، وأعاد التأكيد على أن منهاج الوسطية والاعتدال يحتاج إليه الإنسان فى كل لحظة من لحظات حياته، ولا يستغنى عنه فى أموره الفردية والاجتماعية، كما بين الفصل هذه الخصائص الكلية الشاملة والجزئية الدقيقة لمنهاج الوسطية والاعتدال وفسرها بأمثلة حية. وكان هذا الفصل يقسم إلى ثلاث قطع، وهى كما يلى :

نص القطعة الأولى :

" إن طريق الرجل الفاضل^{١٦٥} منافعها كبيرة واسعة لا حد ولا نهاية لها، وإنها فى حدّ

ذاتها دقيقة وعميقة، وفى نفس الوقت هى عامة وشاملة تشمع فى كل مكان. "

١٦٥- طريق الرجل الفاضل: هنا يراد بها منهاج الوسطية والاعتدال، لأن الرجل الفاضل هو الذى يفرق طريق الحق ويطلبه فى حقيقة اليوميّة، ويخصم به طول صرعه فيجتر المؤلف هنا بسمة الرجل الفاضل أو طريقه نهاية عن منهاج الوسطية والاعتدال. انظر إلى: الشرح والتعليق لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جو جينغ، دار الكتب والمعاجم بشانغهاى ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى، الصفحة ٧٠.

الشرح :

قال " جانغ جو جينغ " فى شرح النص: " الكلام فيه بأن ' سنة الرجل الفاضل منافعها كبيرة وواسعة، لا حد ولا نهاية لها '، يراد به أن منافع سنة الرجل الفاضل تتمثل فى حياة الإنسان اليومية فردا واجتماعا، وتظهر فى أمورهم المختلفة كلها، فلا يمكن أن يفصل عنها فى كل وقت من الأوقات. والعبارة التالية فى النص ' وفى نفس الوقت هى عامة وشاملة تسع كل مكان '، تقصد بأن حقائق هذه السنة تخبأ وتخفى فى الأمور المتنوعة وفى الشؤون المختلفة من حياة الإنسان اليومية، وليس فى إمكان أحد أن يدركها إدراكا حقيقيا إلا بعد إمعان النظر والتأمل فيها تأملا عميقا، فلذلك على الإنسان أن يهتم أولا بهذه الحقائق فى حياته اليومية اهتماما بالغا، ويمعن فيها نظره ويفكر فيها بالقلب والعقل، وبعد ذلك يستطيع أن يعرفها معرفة حقيقية، ويتركها إدراكا عميقا، فذلك يؤدى به إلى أن يطبقه تطبيقا كاملا.^{١٦٦}

فهذا الفصل يؤكد أن منهاج الوسطية والاعتدال، أو سنة الرجل الفاضل منافعها واسعة وعظيمة وذاتها دقيقة وعميقة، تظهر حقائقها أولا فى الأمور اليومية للحياة الإنسانية، كما نلاحظ تلك الحقائق وتواجدها فى السماوات والأرض، وهذا يدل على أنها واسعة لا حد ولا نهاية لها، وأنها دقيقة وعميقة، لا يخلو منها مكان إلا يمتلئ بها مرة أخرى.

وكان العلامة " جو شى " يرى أن هذا الفصل هو من كلام المؤلف " تس سي " نفسه، لأنه لم يبدأ بعبارة " قال الأستاذ... "، ومن سياق النص يبدو أن المؤلف استأنف هذا الفصل وبدأ فيه يتكلم بنفسه من جديد، ولكن فى الحقيقة، أراد أن يبين ويؤكد فيه الغرض المقصود من الفصل الأول، حتى يركز على أهم فكرة فى الفصل الأول بقوله : " وهو أن طريق الحق يحتاج إليه الإنسان فى كل لحظة من لحظات حياته، ولو كان استغناء الإنسان عنه ممكنا لما كان بمسناه حقا. " والجدير بالذكر أن الفصول الثمانية التى تلى بعد هذا الفصل، أى من الفصل الثالث عشر

١٦٦- الشرح والتعليق لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جو جينغ، دار الكتب والمطبع بشانغهاى ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى، الصفحة ٧٠.

إلى الفصل العشرين، ذكر المؤلف " تن سى " فى هذه الفصول المتتابعة أقوال الأستاذ كونفوشيوس، ويثن مرارا وتكرارا هذا المنطلق الفكرى الذى ذكرناه قبيل الآن.^{١١٧}

原文: 夫妇之愚，可以与知焉，及其至也，虽圣人也有所不知焉；夫妇之不肖，可以能行焉，及其至也，虽圣人也有所不能焉。天地之大也，人犹有所憾。故君子语大，天下莫能载焉；语小，天下莫能破焉（诗）云：“鸢飞戾天，鱼跃于渊”言其上下察也。

今译: 夫妇中即使愚笨的人，一般也可以知道中庸的一些浅近的道理，但推究中庸之道到达精微深奥处，即使圣人也有不知道的地方；夫妇中即使不贤的人，一般也可以实行中庸的一些浅近的道理，但推究中庸之道到达精微深奥处，即使圣人也有不做不到的地方。天是如此的广大，但人们对天地有不满意的地方，所以君子对中庸的道理，说到它的大处，天下不能载得起它；说到它的小处，天下不能看破它（诗经，大雅，旱麓篇）说：“老鹰冲翅飞翔到天的最高处，鱼儿跳跃到水的最深处”这句诗主要说明中庸之道上达于高天，下及于深渊，鲜明昭著，弥漫充塞，无处不在，无所不包。

نص القطعة التالية :

" (بالنسبة إلى معرفة طريق الرجل الفاضل) وإن كان مرءا جاهلا وامرأة جاهلة فهما يقدران على أن يعرفا بعض حقائقه البسيطة والسهلة^{١١٨}، غير أن الوصول إلى غاية عمقه ودقته فهذا لم يتيسر لإدراكه وإن كان عداده فى زمرة الحكماء. (وبالنسبة إلى تطبيق طريق الرجل الفاضل) وإن كان مرءا ضعيف الكفاءة وامرأة ضعيفة الكفاءة فهما يستطيعان على أن يعملتا ببعض مطالبه البسيطة والسهلة، غير أن البلوغ إلى قمة شموله وكماله فهذا لم يتيسر لاستيعابه

^{١١٧} - الفهرج الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جوشى، الصفحة ٨.
^{١١٨} - وعلى سبيل المثال: يرى مذهب الكونفوشيوسية أن الزوج على زوجته أن تحترمه وتحبه مع طاعته فى الأمور العائلية كلها، كما كان عليها أن تربي الأولاد وتحتل ترتيب القربى العائلية وإدارتها. ولما الزوج فيجب أن يحب زوجته ويتصل الاتفاق على الأسرة. وبمثل هذه الحقوق الأسلمية والواجبات العامة بين الزوج والزوجة يمكن لرجل وامرأة أن يعرفاها لأنها من الأمور البديهية، وكذلك يمكن لهما أن يودياها عانى ولو ألها من الجهلاء أو غير اللطيفين لأنها من الحقائق البسيطة والسهلة بالنهم والتطبيق فى مناهج الوسطية والاعتدال.

وإن كان عداده في زمرة الحكماء.

ما أكبر السماوات وما أوسع الأرض (بكثرة عجائبيهما الظاهرة والخفية) ! ولكن ما زال الإنسان يشعر بالتأسف وعدم الاقتناع بين حين وآخر^{١٦٩} . ولذلك كان طريق الرجل الفاضل إذا تحدث عنه من ناحية كبره الكلي، فلا يشمل أحد بين السماوات والأرض؛ وإذا تكلم عنه من ناحية صغره الجزئي، فلا يخفى عنه أحد بين السماوات والأرض. وكما قال سفر القصائد في ذلك: ' العقاب يطير إلى قبة السماء عليا، والحوث يسبح في أعماق البحر خفيا. ' ^{١٧٠} وهذا البيت قد أشار مستعارا إلى أن طريق الرجل الفاضل يتجلى وينكشف سواءً على كل كبير ظاهر وصغير خفي بين السماوات والأرض. "

الشرح :

قال الحبر " جينغ شوان " في بيان مقاصد النص من ناحيته الأخلاقية: " ومن عامة الناس وإن كان مرءا جاهلا وامرأة جاهلة، ومع ضعفهما في العلم والعمل، يقدران على أن يعرفا ويطبقا بعض جوانب منهاج الوسطية والاعتدال، وذلك يرجع إلى قمة عموميته المطلقة للجميع بلا حد. وهذه القمة العامة قد لا يبلغها وإن كان حكيما. ألا وكان السماوات بغاية علوها والأرض بغاية وسعها سيرا وحمل لكل الموجودات بينهما، ومع ذلك ما زال الإنسان يتأسف ولم يرض بين حين وآخر، فكيف للحكيم أن يعلم ويتقن كل شيء بكامله؟! وأما قوله في النص ' كبير ظاهر ' فين أمثاله مآثر الملوك الحكماء القدامى؛ والمراد بقوله ' صغير خفي ' مثل ما يعرفه ويطبقه مرء جاهل وامرأة جاهلة من منهاج الوسطية والاعتدال في حياتهما اليومية؛ وقد تمتك الحكيم بكليتهما - سواء أكان كبيرا منه أو صغيرا. ولذلك أصبح الحكيم مثله بسمو فضائله مثل العقاب يطير إلى قبة السماء عليا، وبسعة مآثره مثل الحوث يسبح في أعماق البحر خفيا. " ^{١٧١}

١٦٩- ومن أمثلة: الجفاف والفيضان، شدة البرد في الشتاء وهبوة الحرارة في الصيف، وما إلى ذلك.

١٧٠- قصيدة " عند مفتح الجبل للبطي " من جزء الألباق الكبرى في سفر القصائد، الصفحة ٣٢٩.

١٧١- انظر إلى: الثبرج اللفظي لكاتب الوسطية والاعتدال، لي كا هوتغ، الصفحة ١٧١.

ويبين العلامة " جو شي " معاني النص من الناحية الفلسفية وهو يقول: " إنما طريق الرجل
الفاضل يبدأ قرباً من العلاقة الزوجية بين المرأ وامرأته وينتهي بعداً إلى حد أقصى لا يفتنه
الحكيم ولا يسعه السماوات والأرض، وهو طريق كان كبره واسع لكل الحدود وصغره داخل كل
الحدود، وذلك يرجع إلى شموليته العامة. وأما حقيقته الذاتية فهي دقيقة وخفية عن الأبصار.
وذلك لأنه كان هذا الطريق من ناحيته الجزئية ممكن أن يعرفه ويطبقه وإن كان زوجين من
علمة الناس، وأما الوصول إلى قمة كماله الشامل فلا يستطيع أن يبلغه وإن كان حكيمًا، ونظرًا
لناحيته الكلية المطلقة، لا يمكن للحكيم أن يستوعبه بسأله. وكان المؤلف ' تم سي ' يورد هنا
هذا البيت من سفر القصائد مستدلًا على أنه ما من حدوث والنشوء والتغير في كل الموجودات
بين السماوات والأرض إلا وهو يتبين وينكشف لتأثير منهاج الوسطية والاعتدال، ولذلك يسمى
بأنه شامل وكامل. وأما ذاكيته الفعالة فيكون خارجاً عن مدى إدراك الأذان والأعيان، ولذلك
يسمى بأنه دقيق وخفي. " ١٧٢

واستفدنا من هذه الشروح أن المؤلف " تم سي " كان في هذه القطعة النصية يتركز على
بيان اتحاد العلم والعمل من ناحية أخلاقية وعلى اتحاد الذات والأعراض من ناحية ميتافيزيقية،
متوكداً على أهمية منهاج الوسطية والاعتدال في إرشاد حياة الإنسان من حيث أنه طريق كان
كبره يتسع لكل شيء وصغره لا يخلو كل شيء إلا في حيزه، فلا يستغنى عنه الإنسان في أي لحظة
من لحظاته طول الحياة.

فطريق الرجل في تمسكه بمنهاج الوسطية شامل وعام في مآثره، وهو في نفس الوقت
خفي ودقيق في ذاته، ولذلك كان من ناحية شموليته الكلية يمكن لعامة الناس - وإن كان مرءاً
جاهلاً وامرأة جاهلة - أن يعرفوه ويطبقوه في حياتهم اليومية؛ وأما قمته الخفية الدقيقة فلا يستطيع
الإنسان على استيعابها وإن كان حكيمًا، وذلك ليس عيباً على الحكيم وهو المثل الأعلى في
الإنسانية، ألا وكان السماوات والأرض يكبرهما وسعتهما لقنوعات عجائبيهما الظاهرة والخفية

١٧٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤٣-٤٤.

يتألف منها الإنسان ولم يفتنع بها حينا وبين حين آخر؟! وإذا كانت هذه الحال هو حال السموات والأرض، وكيف يفرض للحكيم أن يتقن كل علم ويستوعب كل عمل خلافا لإنسانيته المقدورة؟! وقد تبين هذا النص أيضا - من الناحية الميتافيزيقية - علاقة الوحدة بين الشمولية الظاهرة والخفية الذاتية في منهاج الوسطية والاعتدال. فكان خفاؤه الذاتي يتحد وينضم إلى شموله الظاهر معاً، ولا وجود خفائه الذاتي خارج شموله الظاهر باستقلال. ومثل ذلك مثل شجرة تظهر بأوراقها وأغصانه في الخارج وتصبح مرئية للناظرين، بينما تخفى بجذورها في الباطن وتكون غير مرئية للأعين، وكلاهما سواء كان ظاهراً مرئياً أو خفياً غير مرئياً يشتمل على وحدة متحدة باتفاق. وكل ذلك يتبين ويتأكد لنا علاقة الوحدة بين ظهور الملائر الشاملة وخفاء الحقيقة الذاتية لمنهاج الوسطية والاعتدال، وهو طريق فلا يستغنى عنه الإنسان في أى لحظة من لحظاته.

原文: 君子之道，造端乎夫妇，及其至也，察乎天地。

今译: 君子中庸之道的道理，是从夫妇之间的浅近道理开始的，但推究到精微深奥之处，就能明察天地上下一切事物了。

نص القطعة الثالثة :

" فإن طريق الرجل الفاضل ينطلق مبتدئاً من العلاقة الزوجية بين المرء وامرأته، ولكنه عندما يبلغ إلى قمة منتهاه ينكشف له كل شيء بين السموات والأرض. "

الشرح :

قال العلامة " جو شى " فى شرح العبارة هذه: " قوله ' ينطلق مبتدئاً من العلاقة الزوجية بين المرء وامرأته '، أى بالنسبة إلى جزئيه الأولى؛ وقوله ' ينكشف له كل شيء بين السموات والأرض '، أى نظراً لكليته الكاملة. ^{١٢٢} " وبين تلميذه " تشين كونغ شو " هذه العبارة بأسلوب أدق وقال: " المراد بمنطلقه ابتداء من العلاقة الزوجية بين المرء وامرأته أنه كان طريقه

١٢٢- الشرح اللفظي لمكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا مونغ، الصفحة ١٢٣.

مقتربا جدا للحياة الواقعية ومنتشرا في كل جوانبها الجزئية؛ ولكنه عندما يصل إلى قمة منتهاه بشموله وكماله تتجلى حقيقته لسائر الموجودات بين السموات والأرض بكل ظهور.^{١٧٤}

وفي آخر القطعة النصية هذه أكد المؤلف "تس مى" مرة أخرى على أن طريق الرجل الفاضل في تمسكه بمنهاج الوسطية والاعتدال كان مبتدأ من العلاقة الزوجية بين المرء وامراته، وهى أشد القرابة والمحبة من بين العلاقات الأخلاقية الاجتماعية كلها، وذلك كما قال سفر الآداب في باب الزواج: "إنما الزواج يقرن أسرتين قرابة ومودة من الخارج، ومن الداخل يتبع نسب آباء الزوج لاحقا ويواصل نسل نفسه مستقبلا، فكان الرجل الفاضل يهتم بآداب الزواج اهتماما كبيرا... وكل ذلك ليظهر حرمة الزواج وكرمه.... فلينتظر العريس خارج الباب وليخبر عروسه تحية محترمة عند دخولها إلى بيته، وفي وليمة العرس فليأكل من طبقا واحد ومن كأس واحد مبشرا لاختلاط اللبن بالماء منهما ماديا وروحيا بالمحبة والاحترام، حتى يقترب إليها على أساس حرمة الزواج وكرمه. وكان كل ذلك من أصول نظام الآداب والطقوس، فرقانا بين ميزة الرجل وميزة المرأة، وتبيينا للحقوق والواجبات بين الزوجين. وعلى أساس اختلاف ميزات الرجل وامراته بعضهما بعضا، يترتب عليه اعتدال العلاقة الزوجية لهما في الحقوق والواجبات؛ وعلى أساس اعتدال العلاقة الزوجية للرجل وامراته يترتب عليه اتحاد الرافة والبر بين الأب وابنه بعضهما بعضا؛ وعلى أساس اتحاد علاقة الرافة والبر بين الأب وابنه، يترتب عليه اتفاق الأمر والطاعة بين الراعى ورعيته. ولذلك يقال: 'الزواج مبدأ أساسى لنظام الآداب كلها'.^{١٧٥}"

ألا وكانت العلاقة الزوجية بين المرء وامراته أقرب القرابة وأحب المحبة فى حياة الإنسان بأكملها ؟ فهى مبتدا أولى مستحق للرجل الفاضل أن يتمسك به فى طريق سعيه لمنهاج الوسطية والاعتدال نظرا لأساسيته الدقيقة وعموميته البدائية، فلينطلق الرجل الفاضل منه ويتقدم أبعد ويتطور أعم حتى يبلغ أخيرا إلى قمة شموله وكماله حيث يتجلى لكل ما بين السموات والأرض سعة ووعيا بلا حدود.

١٧٤- الشرح اللفظى لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ١٧٢.

١٧٥- مجموعة ميسرة للكتب الكلاسيكية الصينية، بتمريض يو هاي دي، قسم سفر الآداب الصفحة ٢٣٤.

ونورد هنا الشعر من سفر القصائد يمدح أهمية الزواج في إصلاح حياة الإنسان كمبتدأ

لمياسى لسانر جوانبها حيث قال الشاعر :

" ازهرت شجرة الخوخ جمالا،	وازدانت البراعم زينة ؛
أعرست هذه الفتاة بركة،	وعايشت عريسها مودة .
نورت شجرة الدراق ضحكة،	وتكاثرت الثمار بسمة ؛
نكحت هذه الفتاة سعادة،	وعاملت زوجها محبة .
ازدهرت شجرة الدراق حمرة،	وتكاثفت الأوراق خضرة؛
تزوجت هذه الفتاة فرحة،	تلائمت مع عائلة زوجها رافة. ^{١٧٦} "

١٧٦- قصيدة " ازدهار الدراق " من جزء ديوان جنوبي العاصمة لأسيرة تشينغ، سفر القصائد، الصفحة ١٤٩.

第十三章

原文：子曰：“道不远人，人之为道而远人，不可以为道。（诗）云：“伐柯，伐柯，其则不远，”执柯以伐柯，睨而视之，犹以为远。故君子以人治人，改而止。”

今译：孔子说：“道存在于人们之中，并不远离大家。但有人修道却故作高深，使中庸之道日益与大家远离了。（诗经 豳风 伐柯）云：“有一个人拿着斧头去砍树杆来做斧柄，照那旧斧柄做新斧柄的方法就在眼前。”但是拿着旧斧柄去砍树枝做新斧柄，由于没有用旧斧柄的尺寸，所以斜着眼睛看去，觉得两者相差甚远。这个比喻说明，君子治人的方法，就是用人的良知良能，去启发人的思想，以好人为式样来治理别人，别人改正了就停下来。”

الفصل الثالث عشر

التمهيد:

يأتى هذا الفصل تكملة للسابق، وقد سرد فيه المؤلف "نس سي" بعض كلام الأستاذ كونفوشيوس، وأكد فيه أن منهاج الوسطية والاعتدال يتصل بالناس اتصالاً وثيقاً، ولا ينفصل عن حياتهم الواقعية. فالرجل الفاضل عليه أن يتبعه ويطبقه في تهذيب نفسه أولاً، ويرشد به غيره ثانياً، كما يبين ههنا منهاج الوسطية والاعتدال يترسخ من فطرة الإنسان الطبيعية، وهو يتمثل في أنفس الإنسان والعلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية، لذلك فإن طريق الحق غير بعيد عن الناس وعن حياتهم الواقعية. والرجل الفاضل كما يتبع منهاج الوسطية والاعتدال، ويهذب الناس بما يقدرون عليه، كما نجد هذا المعنى في كتاب المعرفة الكبرى في فصله الأول لبيان مقاصده الأساسية، وهي تجلية الأخلاق المفطورة على طبيعة الإنسان أولاً، ثم إصلاح المجتمع وإرشاد الشعوب، حتى يتعدوا عن الفقر، ويفكروا من الخير تربية وتعلماً.^{١٧٧}

١٧٧- انظر: الشرح اللفظي لكتاب منهاج الوسطية والاعتدال، لي: كا مونغ، الصفحة ١٧٥.

وهذا الفصل ينقسم إلى ثلاث قطعات، والأولى منها تتكلم عن مبدأ البساطة والاقتراب
لمنهاج الوسطية والاعتدال من الحياة الواقعية بدون أى تباعد وتعميد، ووفقا لطبيعة الإنسان
الفطرية فى طريق تهذيبه وإرشاده. ولتأت إلى نص القطعة الأولى كما يلى :

نص القطعة الأولى :

قال الأستاذ: " إن الطريق^{١٧٨} يبقى مدى الحياة الإنسانية، وهو غير بعيد عن الناس
أجمعهم، ولكن من الناس من يعتقد البسيط ويُبهم الواضح فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال،
فقد جعله مبتعدا عن الناس وحياتهم، وذلك ليس يُسمى بالطريق حقاً. وقال سفر القصائد :

' ذهب بفأسه لقطع مقبض فأس جديد مطبأ،

ألا وكان القديم فى يده مقياسا للجديد قريبا. ' ^{١٧٩}

فالحاطب عندما يأخذ بمقبض فأسه ليقطع مقبضا جديدا من غصن الشجرة، وإن ينظر إلى القديم
بمائل طرفة مقياسا قريبا للجديد، ولكنه ما زال يرى أن هلاك بينهما بعد وفرق. ولذلك كان
الرجل الفاضل إذا قاد الناس يقودهم بطبيعتهم الإنسانية إرشادا؛ وإن يعودوا إليها ويتركوا
السيئات يتوقف معتبرا. "

الشرح :

قال الحبر " كونغ بينغ دا " فى شرح النص: " يتحدث هذا الفصل عن أن منهاج الوسطية
والاعتدال ليس ببعيد عن الناس وحياتهم الواقعية، وإذا استطاع المرء أن يطبقه فى حياته نفسه
معتدلا فقد أصاب وتوسط؛ وإنما موجب تطبيق المرء لمنهاج الوسطية والاعتدال يكونه بقرب
إلى حياة عامة الناس اتفاقا، وعندما وافق مطلب سلوك المرء فى حياته الفردية مطالب سلوكيات
الجماهيم الاجتماعية فذلك يسمى بالطريق القاصد. وبالعكس، إذا خالف طبيعة الإنسان الفطرية

١٧٨- الطريق فى النص هنا يشير إلى منهاج الوسطية والاعتدال.

١٧٩- قصيدة " قطع المقبض الجديد " من جزء أخفى بلدة " بين " فى سفر القصائد، الصفحة ١٨٨.

وابتعد عن حياتهم الواقعية فلا يستطيع أن يعمل به في حياته الفردية خاصة ولا يمكن أن يعمل به الناس عامة، وكيف يسمى ذلك بالطريق القاصد؟! ^{١٨٠} "

وبين العلامة " جو شى " معنى النص ويقول: " إن الطريق القاصد (أى منهاج الوسطية والاعتدال) يتأصل في فطرة الإنسان، يقدر الناس جميعا على معرفته وتطبيقه، وهو غير بعيد عن متناول الناس وعن حياتهم الواقعية، ومن أراد أن يسع للطريق القاصد من وراء البعيد، ويترك القريب الموجود في نفسه، ظنا بأنه لا يستحق عمله لقربه البسيط، بل تطرق إلى عمل فوق قدراته، ويسعى إلى أصعب المنال، فقد ابتعد عن الطريق القاصد تماما. ^{١٨١} "

وكان العلامة " جو شى " يرى أن الطريق القاصد يتجلى في سلوك الناس وفي أمور حياتهم اليومية ويظهر في معالجة العلاقات الإنسانية بينهم ومعاملاتهم الاجتماعية العامة، فإذا أدى الناس واجبات أنفسهم أداءا بتهذيب الذات ورعاية الأسرة وخدمة المجتمع على أساس منهاج الوسطية والاعتدال، فقد أصابوا في تطبيق الطريق القاصد وصاروا قريبا منه.

وفي هذا النص استدلل المؤلف " تس سي " بمثال حي من سفر القضاة على الالتزام بالطريق القاصد وتطبيقه في نفس الإنسان وفي ضميره، وهو غير بعيد عن الإنسان، وبين أن مقبض الفأس الذي كان في يد القاطع هو المثل والنموذج للمقبض الجديد الذي يريد أن يصنعه، فلماذا يطلبه من مكان بعيد، وينظر إلى هنا وهناك؟ وفي الحقيقة أن النموذج هو بين يديه غير بعيد عنه. ومن هذا المثل يستنتج أن الرجل الفاضل في عمله للتهذيب الذاتي وإصلاح النفس والمعاملة مع الآخرين بالنسبة إلى الرجل الفاضل لا بد أن كل ذلك على أساس ما يُفطر عليه الناس من عند السماء (تيآن)، ولا يمكن أن يطلب الرجل الفاضل من نفسه أو من غيره بإفراط أن يفعل ما فوق الطاقة له أو العادة، بل يجب أن يطبق ما ثبت في فطرته الإنسانية وفي ضميره المستقيم، وينبغي أن يبدأ بتزكية نفسه وتحسين الأمور القريبة الأقرب منه والشؤون البسيطة التي بجانبه، ولا يمكن التطلع إلى ما فوق قدرته والسعي إلى ما يصعب الوصول إليه.

١٨٠- الشرح للفظي لكتاب منهاج الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٥.

١٨١- الشرح الجامع للكتب الأربعة جو شى، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٤٤.

原文: “ 忠恕为道不远 , 施诸己而不愿 , 也勿施于人。”

今译: “ 能够做到忠和恕, 那就离中道不远了。如果加在自己身上是自己所不愿意接受的东西, 由此推想到别人, 也就不能强加在别人身上。”

نص القطعة الثانية :

" إن استطاع الإنسان أن يلتزم بصفة الأمانة وبصفة العفو، فقد اقترب من منهاج الوسطية والاعتدال، وإذا لم يرض واحد لنفسه بشيء، يستنتج منه أن غيره لا يحب ذلك أيضاً، فلا يكره غيره على أمر يكرهه نفسه. "

الشرح :

وفي هذه القطعة بين المؤلف " تش سي" وأكد قرب الطريق القاصد لتطبيق منهاج الوسطية والاعتدال من مثال الناس، وعدم بعده عن حيلتهم الواقعية، وقد تحدث عنه بصورة معينة من ناحية تطبيق الأخلاق الأساسية والأولية، وهما صفة الأمانة وصفة العفو. وكان صاحب المذهب كونفوشيوس يرى أن الإنسان إذا طبقهما في حياتهم اليومية بجد واجتهاد، فقد اقتربوا من الطريق القاصد إلى التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال.

إن، ما هي صفة الأمانة وصفة العفو على مفهوم الكونفوشيوسية ؟ وقد فسرهما " كونغ بينغ دا " وهو يقول: " المراد بصفة الأمانة أن يكون الإنسان يؤمن ويخلص لضميره الواعي باطناً، ور عليه، المراد بصفة العفو أن يكون الإنسان يعفو ولا يحدع غيره خارجاً. وإذا حقق الإنسان هذين الصفتين في حياته اليومية، فقد اقترب من منهاج الوسطية والاعتدال. وإذا عاملك غيرك بشيء وأنت راعب عنه، فلا تعامله بمثله، لأنه يرغب عنه مثلك أيضاً، فلتصنع مع غيرك ما تحب أن يصنع غيرك لك." ^{١٨٢}

١٨٢- الشرح التفصيلي لكتاب منهاج الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٦.

وقال العلامة "جوشي" في شرح النص: "إن الطريق القاصد هو ما يقترب إلى الإنسان وحياته الواقعية. وقوله: ' وإذا لم يرض واحد لنفسه بشيء يستتج منه أن غيره لا يحب ذلك أيضا، فلا يكره غيره على أمر يكرهه نفسه. ' وهذا يتكلم عن مبادئ صفتي الأمانة والعفو. وفي الحقيقة أنه إذا قايت قلوب غيرك بمقياس قلبك فلا تجد بينهما اختلافا، وهذا دليل على أن الطريق القاصد يقترب إلى كل شخص على سواء. فلا تكره غيرك على شيء تكره نفسك. " ١٨٣

وفي هذه القطعة كان المؤلف " تس سي " يرشد الناس إلى صفة الأمانة في مواجهة قلبه باطنا، وإلى صفة العفو في معاملة غيره خارجا، حتى يقتربوا من منهاج الوسطية والاعتدال بهذه الأخلاق الأسلمية. وكانت صفة الأمانة وصفة كالقيم الأخلاقية الأولية في الكونفوشيوسية، وقد لخص هذا النص بإيجاز كل ما يعلمه الأستاذ كونفوشيوس وما يذهب إليه، حين قال لتلميذه " تسينغ تس " صاحب كتاب المعرفة الكبرى: " إنما لطريقتي وحدة أولية تنظمها. " وقال التلميذ: " لجل. " ولما خرج الأستاذ سأل التلاميذ قائلين: " ما معنى قول الأستاذ؟ " فأجابهم " ستينغ تس " قائلا: " ما طريقة أستاذنا إلا الأمانة والعفو. " ١٨٤

ومن موجب صفة الأمانة وصفة العفو على كل واحد أن يضع نفسه مكان غيره في أقواله وأفعاله، ويطبق هذه الأخلاق الحميدة في معاملة غيره مثلا بمثل. وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة بأخلاقهم الحسنة، فلم يكن يبعد عن منهاج الوسطية والاعتدال، بل بلغ إلى مطالب الرجل الفاضل في سعيه لطريق الحق.

原文: " 君子之道四， 丘未能一焉， 所求乎子以事父， 未能也；
所求乎臣以事君， 未能也； 所求乎弟以事兄， 未能也； 所求乎朋友
先施之， 未能也； 庸德之行， 庸言之谨， 有所不足， 不敢不勉， 有
余不敢尽。 言顾行， 行顾言， 君子乎不慥慥尔！ "

١٨٣- اشرح للجامع للكتب الأربعة، جو شي، قسم كتب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٤٥.

١٨٤- كتاب الحوار بترجمة محمد مكي، الفصل الرابع، الصفحة ٦٨.

今译：“君子的道理有四条，我孔丘一条也不能做到，我要求做儿子的要尽孝道，但反求我自己侍奉父母却不能尽孝道；第二，我要求做臣子的应该尽忠心，但反求我自己事事君主却不能尽忠心；第三，我要求做弟弟的应该恭敬，但反求我自己服侍兄长却没有做到恭敬。第四，我要求做朋友的应该要有信实，但反求我自己却没有能先对朋友做到信实不欺。平常的道德，要着力实行，平常的语言，要谨慎地说，所言所行或有不足之处，不敢不尽力奋勉，所言所行或尚有余力，也不敢说尽做绝，要留有余地。口里讲的话，要顾到身体所行的事；身体所行的事要顾到口里讲的话。如果言行一致，岂不可称是忠厚笃实的君子？”

تص القطعة الثالثة :

قال الأستاذ: " إن الرجل الفاضل يجب عليه أن يلتزم بأربعة أخلاق عامة، ومن الأسف أنني 'كونغ تشيو'^{١٨٥} لم أكمل أي واحدة منها، والأولى: طلبت من الإنسان أن يبر بالوالدين كالابن، ولكن حين أراجع نفسي أنا في هذا الأمر، أجد أنني لم أقدر على إكمالها، والثانية: سألت الناس أن يخلصوا أولى الأمر لهم كالرعايا، ولكن حين أراجع فيه نفسي، أجد أنني لم أقدر على إتمامها، والثالثة: طلبت من الناس أن يحترموا أخاهم الكبير كأخيه الصغير، ولكن حين أراجع فيه نفسي، أجد أنني لم أقدر على إكمالها. والرابعة: سألت الناس أن يعاملوا الصديق بالأمانة والوفاء كصديقه، وحين أراجع فيه نفسي، أجد أنني لم أقدر على إتمامها.

فإن الأخلاق الأساسية العامة لا بد للإنسان أن يلتزمها ويطبقها بالجد والاجتهاد، والكلمات البسيطة العادية لا بد للإنسان أن ينطقها ويعبرها بالحقيقة والصدق، وإذا وجد ضعفه ونقصه في هذه الأخلاق الأساسية العلمية فعليه ألا يتأخر عن بذل كل جهوده فيها، وإنا نصيب في كلامه فعليه ألا يبالغ ويفرط فيه بل أحق له أن يقتصد ويعتدل؛ وينبغي له أيضا أنه إذا تكلم وافق قوله عمله، وإن يعمل يترجم عمله قوله، ألا وذلك هي حال الرجل الفاضل بكل أمانته وجده؟ ! "

١٨٥- "كونغ تشيو": كان اسم عائلة كونغ تشيو "مو" كونغ، و"تشيو" اسمه، يقال في نفسه هنا باسمه للتعبير والإنذار.

الشرح:

قال " جينغ شوان " فى بيان النص : " إنما تأستف كونفوشيوس على عدم إكماله فى هذه الأخلاق الأربعة، فيه ترغيب وتشجيع لكل الناس على التمسك بها بالصبر والمثابرة. ولا شك أن الأستاذ كونفوشيوس قد طبق هذه الأخلاق الأساسية العامة تطبيقاً عملياً، وقد كان يعلم تلاميذه بالقوة الجيدة ويرشدهم معاً، وقوله : ' وإذا وجد ضعفه وتقصيره فى هذه الأخلاق الأساسية العامة فعليه ألا يتأخر عن بذل كل جهوده فيها '، فيه نصيحة مؤثرة وقوة حسنة للناس بعدم ادخار الجهد فى تطبيق هذه الأخلاق الأساسية العامة " ١٨٦

بين " تشينغ هاو " مقاصد النص وقال : " من إيجاب الولد بيز والده يحتر الرجل الفاضل نفسه من إكمال واجب البر لوالد نفسه أولاً، وكذلك من المطالب الأخرى فى طاعة الرعية لراعيه واحترام الأخ لأخيه وأمانة الصديق بصديقه، استفاد منها الرجل الفاضل أن يرجع نفسه وإصلاح ذاته أولاً. فإن المداومة على الحسنات العادية والاعتدال فى الشؤون اليومية والتمسك بالواجبات الواقعية، ما هى إلا من أسس تهذيب النفس وترقية الذات. " ١٨٧

وقال العلامة " جو شى " فى شرح النص هذا : " كلمة الطلب والسؤال هنا المراد بها التكليف والإيجاب. وإن الطريق القاصد لم يكن يبتعد عن حياة الإنسان اليومية (بل يبدأ من أنفسهم). وعندما كلف الشخص غيره أمراً فمن الأحق أن يرجعه إلى نفسه حتى يصلح ذاته أولاً. وكان الرجل الفاضل إذا وجد ضعفه ونقصانه فى الأخلاق الحميدة شجع نفسه على إكمالها فسيبذل أقصى جهوده فى تطبيقها. والرجل الفاضل إذا تكلم فكلامه قلّ ودلّ، وما زاد عليه ذلك إلا حذراً واحتياطاً، ومع ازداد حنره وحيطته يوافق قوله عمله، ومع ازداد البذل والجهد يلام عمله قوله. وموافقة قوله عمله تمنحه أمانة ووفاء، وملاءمة عمله قوله تكسبه جدّاً وكرماً. وذلك كما أثنى عليه كونفوشيوس: ألا وذلك هى حال الرجل الفاضل بكل أمانته وجدّه ؟ " ١٨٨

١٨٦- الفرج النطق لكتاب الوسطية والاعتدال، لم كا هونغ، الصفحة ١٧٨.

١٨٧- المرجع السابق نفسه.

١٨٨- الفرج الجلس للكتب الأربعة، جو شى، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٤٥.

كان المؤلف "تس سي" يستدل بكلام كونفشيوس هنا ويؤكد مرة أخرى على أن الطريق القاصد إلى مذهب الوسطية والاعتدال ليس بعيدا عن الإنسان وحياتهم الواقعية، بل هو يتمثل في الأخلاق الأربعة الأساسية تقرب من حياة الإنسان اليومية وتعم كل العلاقات الاجتماعية، وهي: البر للوالدين، الطاعة للراعي، والمودة للإخوان، والوفاء للأصدقاء. فحث المؤلف "تس سي" الناس على تطبيق هذه الأخلاق الأربعة الأساسية في تهذيب أنفسهم أولا قبل تكليفها على الآخرين، حيث أنه إذا أراد أحد أن يحصل على بر أولاده وهو لم يقم بذلك تجاه والديه - ونفس الحال في الأمور الثلاثة الأخرى - فهو يحلم دون الحقيقة ومثله مثل من بنى بناءه على الهواء.

وفي أواخر النص كان المؤلف "تس سي" يحث الإنسان على أن يجتهدوا على أعمالهم، يقتصدوا في أقوالهم، مبتدءا من الأمور الصغيرة والكلمات البسيطة، على أساس اتفاق الكلام مع الفعل بعضهما بعضا. وذلك كما أثنى كونفشيوس على الرجل الفاضل في كتاب الحوار حيث قال: "الرجل الفاضل لا يطلب الشيع إذا أكل، ولا يطلب الراحة والرفاه إذا سكن، وإنما هو يجتهد في عمله ويحترم في قوله ويستشير بإرشاد العلماء الصالحين، ومثل هذا الرجل خلاق بأن يسمى بحسن السؤال والطلب في العلم." ١٨٩

第十四章

原文: “ 君子素其位而行，不愿乎其外。素富贵，行乎富贵；素贫贱，行乎贫贱；素夷狄，行乎夷狄；素患难，行乎患难。君子无入而不自得焉。”

今译: “ 君子安心于现在的地位，做本分的事，不存份外之想。向来身处富贵的地位，就行富贵的道理；向来身处贫贱的地位，就行贫贱的道理；向来身处夷狄的地位，就行夷狄的道理；向来身处患难的地位，就行患难的道理。君子没有一处不悠然自得，自乐而安于其位的。”

الفصل الرابع عشر

التمهيد:

لقد فسر المؤلف " تس مى " فى هذا الفصل روح منهاج الوسطية والاعتدال من ناحية تركية النفس وتهذيب الذات، وبين الأخلاق الحميدة للرجل الفاضل فى رضائه بما قدر له وقناعته بحالات حياته، مع بيان مواظبته على التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال فى كل حالة من حالات حياته، سواء أكان فى السراء والضراء أم كان فى الفقر والغنى والعسر واليسر. والفصل منقسم إلى قطعتين رئيسيتين كما يلى :

نص القطعة الأولى :

" إن الرجل الفاضل يكون مرتاح البال ومطمئن القلب، يؤدى الواجب دائما بجدية واهتمام، وهو لا يتطلع إلى ما فوق قدرته، ولا يحرص على ما لا يناسبه. فالرجل الفاضل عندما يكون فى حالة اليسر والغنى، يؤدى واجبه أبما يناسب ثنائه وسعته؛ ولما يكون فى حالة الفقر والعسر، يؤدى واجبه بما يلاءم لفسره وفقره؛ وعندما يعيش فى الظروف البدائية، يؤدى واجبه بما يناسب تلك الظروف؛ وحينما تصيبه الضراء والشدائد، يؤدى واجبه بما يلائم تلك الحالة.

فالرجل الفاضل أينما يكن يعيش مرتاح البال ومطمئن القلب بلا غم ولا هم، مهما تتغير الظروف والأحوال. "

الشرح:

بين " كونغ بينغ دا " مقاصد النص هذا وهو يقول: " إن الرجل الفاضل - مهما يكن في وضعه الاجتماعي - يؤدي واجبه بما يتناسب تلك المكانة، ولا يتطلع إلى ما فوق قدرته، ولا يطمع فيما لا حق له فيه، فالرجل الفاضل في أية حالة مهما في أية مكانة، يتبع طريق الحق ويهتدى إليها. ^{١٩٠} "

وعلق " جونغ جو جنغ " على هذه القطعة أيضا بقوله: " أشار هنا المؤلف " تشي سي " إلى أنه في أثناء العمل بطريق الحق وتطبيقه، يتعرض الإنسان لظروف متعددة من يسر وعسر ولين وشدة وتعويق وصفاء وتعكير، وهناك ظروف مؤاتية وغير مؤاتية، ولكن لا يثابر على العمل به ولا يواظب على التمسك به غير الرجل الفاضل، فالرجل الفاضل يهتدى إليها أبدا في أية مكانة وفي أية حالة، فحينما يكون في حالة الوفرة والغنى، يؤدي واجبه بما ينبغي للأغنياء أن يؤثروا به، فهو لن يكون إباحيا وعابثا، ولن ينغمس في اللهو والمجون، وعندما يكون في حالة الفقر والعلم، يؤدي واجبه بما يجب على الفقراء أن يفعلوه، فهو لن يفرط في حياته بلامتياز، وإذا كان في " بي دي "، ^{١٩١} يتصرف بما يلائم مكانته تلك، فلن يتغير موقفه الثابت من طريق الحق، ولن ينقص منه العمل به، وحين تصيبه المصيبة والضراء، فهو يؤدي واجبه بما يتناسب حالته تلك، ولن يقبل ما يتمسك به وما يهتدى إليه. فالرجل الفاضل يسير على طريق الحق أينما يكون، ويعتصم بمنهاج الوسطية والاعتدال في أية حالة من حالات تواجده، وطالما يهتدى إلى طريق الحق، فهو في الرضى والسعادة، وعلى ذلك أنه مرتاح البال ومطمئن القلب، فلذا تقول: إن الرجل الفاضل يرضى بحالته كلها، ويتمشى مع ظروفه جميعها في معيشته. وهذا النص يدل

١٩٠- الشرح للفظي لكتاب الوسطية والاعتدال لي تشي هونغ، الصفحة ١٨٠.

١٩١- " بي دي " : اسم لبعض التومينات القديمة في شرق الصين، وقد يشير به إلى بلاد لجنبيّة. انظر معجم اللغة الصينية الحديثة، الصفحة ١٣٦٠.

مزيد دلالة على أنه من يهتد إلى منهاج الوسطية والاعتدال يكون مرتاح البال ومطمئن القلب، ويعيش بلا هم ولا غم. ١٩٢ "

والقطعة التالية تواصل المدح و الثناء على تلك الأخلاق الحسنة للرجل الفاضل وبيانها على صورة معيقة.

原文：在上位，不凌下，在下位，不援上。正己而不求于人，则无怨。上不怨天，下不尤人。故君子居易以俟命，小人行险以徼幸。子曰：射有似乎君子，失诸正鹄，反求诸其身。"

今译：君子身处上位的候，不作威作福，欺凌下面的人，身处下位时候，不钻营攀附，乞求上面人的奥援。只求端正自身而不乞求于人，那么心中泰然而无怨恨，上不怨恨苍天，下不责怪别人，所以君子安分守己，等待天命的安排，而小人专做冒险的事，想侥幸得到不得的好处。孔子说："射箭的事情，好像同君子修道一样，箭没有射到箭靶的中心，应该反责自己用心不专，立身不正，不能怨恨别人。"

نص القطعة الثانية:

" إن الرجل الفاضل عندما يكون في مناصب عالية، فلا يهين من أدنى منه متكبراً، وحينما يكون في منازل سافلة، فلا يتملق من أعلى منه مستعطفاً. فالرجل الفاضل إنما يريد قبل كل شيء أن يذهب نفسه ويصلح ذاته بالأخلاق الحسنة، وبذلك يكون في قلبه رصانة ومكينة بلا بغضاء وحقد، وهو لا يشكو حظ السماء (تيان) المقدر له وإن كان مراً، ولا يخاف لومة الآخرين وإن كانت ظالمة. فالرجل الفاضل هو الذي يقع بحالته التي يعيش في وقته الحاضر ويرضى بما قدر له، حتى ينتظر مشيئة السماء (تيان) والتوفيق منه في أمره؛ وبالعكس، كان الرجل الطالح يرغب في التعرض للمخاطر والخوض المغامرات، ويرجو أن يحصل بالصدفة العفوقة على المصلحة غير المستحقة له. وقال الأستاذ كونفوشيوس: ' إن الرجل الفاضل في تركية نفسه

١٩٢- للشرح والتطبيق لكتاب الوسطية والاعتدال وكتاب المعرفة الكبرى، جالغ، جونغ، الصفحة ٤٦.

وتهذيب ذاته مثله مثل الرامي في رميته بالمهمل، إن لم يصب مركز غرضه يرجع سبب الفشل إلى نفسه، فيأخذ حذرَه من ترقية النفس وإصلاح الذات. " "

الشرح :

هذه القطعة تتابع النص السابق، وتواصل بيان الأخلاق الحميدة للرجل الفاضل في قناعته بحالاته التي يعيش فيها، ويرضى بما قُدر من السماء (تيان)، ولا يتطلع إلى ما فرّق قدرته، ولا يحرص على ما لا ينبغي له أن يناله.

وقال العلامة " جو شي " في ذلك: " يتحدث هذا النص كله عن أن الرجل الفاضل يعتمد على ترقية نفسه وتهذيب ذاته، بدلا من أن يرجو ويشكى ما في الخارج. وكان قوله في النص: 'الرجل الفاضل هو الذي يقع بحالته التي يعيش في وقته الحاضر ويرضى بما قُدر له، حتى ينتظر مشيئة السماء (تيان) والتوفيق منه في أمره ' المراد به أن الرجل الفاضل يتحرك ويعمل حسب مكانته وظروفه، منتظرا لتوفيق السماء (تيان) له، لا يشكى ما في الخارج ولن يحرص على ما لا ينبغي له الحصول عليه. وقوله: ' كان الرجل الطالح يرغب في التعرض للمخاطر والخوض المغامرات، ويرجو أن يحصل بالصدفة العفوية على المصلحة غير المستحقة له. ' مراده أن الرجل الطالح يريد كسب المنصب والمصالح الذاتية بالتعلق والتقرب الغزري، ويسعى إلى أن يكتسب من باب الصدفة ما لا ينبغي له الحصول عليه من الجاه والمال. وإنما أورد المؤلف " تس تسى " هنا كلام الأستاذ كونفوشيوس في تمثيله للرجل الفاضل تلخيص مؤثر لجميع مقاصد النص في هذه القطعة بأكملها. " ١٩٢ "

ويمكننا أن نلاحظ أن هذه القطعة قد فسّرت ثلاث نقاط كما يلي :

أولا: صوّرت أن الرجل الفاضل يؤدي واجبه أبداً بجدّ واهتمام في كل وقت ومكان، وهو لا يحرص على ما لا ينبغي له الحصول عليه. كما قال الأستاذ كونفوشيوس في كتاب الحوار :

١٩٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤٦.

"إننى لأجد راحتى فى طعام خشن أكله، وماء صاف أشربه، وذراع مثنية أتوسدها، وأما ما يكتسب بطريقة غير شريفة من المال والجاه فهو عندى كالزبرج"^{١٩٤} ورقيق السحاب.^{١٩٥}

ثانياً: الرجل الفاضل له نفس تلومه وتخاصمه فى أعماله، ولا يطمع فى غيره ولا يحسده، ولا يشكو من ظلم السماء (تيآن) ولا من ظلم البشر، فإن قلبه مفعم بالهدوء والرضا ومملوء بالوقار والسكينة بأن يسير على منهاج الوسطية والاعتدال.

ثالثاً: قارن النص بين الرجل الفاضل والرجل الطالح، وكشف موقفهما المختلفين من الحياة، وذلك أن الرجل الفاضل يقنع بحالته التى يعيش فيها، ويرضى بما قدر له السماء - "تيآن"، وينتظر مثيبتة وتغييره فى أموره والتوفيق منه فيها، فى حين أن الرجل الطالح يرغب فى التعرض للخطر، وبحب أن يفعل المقامرات؛ لكى يحصل بالصدفة العفوية على المنفعة والمصلحة التى لا يجوز له نيلها.

رابعاً: وفى النهاية أورد "تس سي" كلام الأستاذ كونفوشيوس فى رماية السهم على سبيل الخلاصة: فالرماية عند الأستاذ كونفوشيوس مثلت التربية الذاتية والتزكية النفسية وفقاً لمنهاج الوسطية والاعتدال لدى الرجل الفاضل، كرامي السهم، إذا لم يصب الهدف فلا يلوم غيره، وذلك يرجع إلى نفسه بقلة التدريب المهني وضعفه. ومن هذا التشبيه قد استدل أن الرجل الفاضل يحاسب نفسه ويعاين أخطائه فى تطبيقه العملى بمنهاج الوسطية والاعتدال.

١٩٤- الزبرج: سحاب خفيف يسفوه الريح. ويشير به هنا إلى شيء ناله لا قيمة له.

١٩٥- الزبرج: سحاب خفيف يسفوه الريح. كتاب العوار بترجمة محمد مكيان الفصل السابع، الصفحة ٩٠.

第十五章

原文：君子之道，譬如远行，必自迩，譬如登高，必自卑。（诗）

曰：“妻子好合，如鼓瑟琴。弟既翕，和乐且耽。宜尔室家，乐尔妻孥。”

子曰：“父母其顺矣乎。”

今译：“君子修道由浅入深，譬如到远方去，一定先从近处启程，譬如登到高处去，一定先从低处起步。（诗经 小雅 棠棣）说：‘妻子儿女感情融洽，好像弹琴鼓瑟一样节奏和美。与兄弟友爱和合，浸沉在快乐之中。全家非常和睦，妻子儿女都非常欢乐。’孔子说：‘一家人如此欢乐，做父母的就自然舒心了。’”

الفصل الخامس عشر

النميد:

هذا الفصل يخبرنا بأنه الرجل الفاضل أن يأخذ الطريق إلى منهاج الوسطية والاعتدال بخطوات هادئة متدرجا إلى الأمام شيئا فشيئا من الأدنى إلى الأعلى ومن البسيط إلى المركب، وعلى أساس ذلك يجب عليه أن يطبق طريق الحق أولا مع أسرته، ومن معالجة العلاقة بينه وبين أفرادها، وإدارة شؤون العائلة اليومية بطريقة جيدة، وإزالة التناقضات بين أفراد الأسرة بأسلوب أحسن. ونظرا لأهمية التطبيق التدريجي لمنهاج الوسطية والاعتدال والعمل به خطوة خطوة، فقد أورد الأستاذ "تس سي" قصيدة من سفر القصائد تصور انسجام الحياة العائلية، وتلائم العلاقات بين أفراد الأسرة.

النص:

" إن تطبيق الرجل الفاضل لطريق الحق والعمل به لا بدأ أن يتدرج من السهولة إلى الصعوبة، ومن البساطة إلى العمق، ومثله مثل المرء إذا سافر إلى مكان بعيد، يجب عليه أن ينطلق برحلته من مكان أقرب له، وإذا صعد مكانا عاليا، عليه أن يبدأ من مكان منخفض له.

وقال سفر القصائد في ذلك :

' يتفق مع زوجته وأولاده انسجاماً،
ويتلاقى مع إخوانه محبة ووداً،
وليعامل كل أسرته سلاماً ووفاء،
فليتمتع منه زوجته وأولاده سعادة وفرحاً. ' ١٩٦

وقد علق عليه كونفوشيوس وقال: ' (إن يتعالب جميع أفراد الأسرة بالرافة والمودة) فسيبقى
الأبوان بهجا وارثيها. ' ١٩٧

الشرح:

بين الحبر " كونغ بينغ دا " معنى النص هذا: " القاصد إلى البعيد كان مبتدأ من القريب،
والطامح إلى المرتفع كان منطلقه من المنخفض، فيتدرجان أكثر وأكثر حتى يصل إلى قمة
البعد والارتفاع. فكان الرجل الفاضل إذا بدأ يبتدأ من نفسه لمدامته على منهاج الوسطية
الاعتدال تهنيئاً وترقية، ثم يضيء ويهدي غيره نفعا ولورا، وذلك أيضا يسمى بالطريق القاصد
إلى البعد والارتفاع. ' ١٩٧

وقال العلامة " جو شي " في شرح النص: " إذا استطاع الإنسان أن يتألف مع زوجته
وأولاده، ويتواءم مع إخوته، فسيرتاح الوالدان بسعادة البر ونعمة اتفاق الصلة العائلية. وقد أورد
المؤلف " تس سي " هذا البيت من سفر القصائد تبيناً لحقيقة النجاح في وصول الرجل الفاضل
إلى البعيد من المبتدأ للقريب و بلوغه إلى القمة المرتفعة من المنطلق البسيط. ' ١٩٨

وجدنا هذا أن المؤلف " تس سي " أكد مرة أخرى على بساطة منهاج الوسطية والاعتدال
وقربه من حياة الإنسان الواقعية، يبتدأ من ائتلاف الزوج بالزوجة والأولاد ويتطور إلى تواد
الإخوة ويتدرج إلى بر الوالدين وينتهي إلى انسجام العلاقات الاجتماعية والبيئية كلها.

١٩٦- شعر تونغ دي، قسم لليلة الصغرى، سفر القصائد، الصفحة ٢١٢.

١٩٧- الشرح اللغوي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٨٥.

١٩٨- الشرح للجمع للكتب الأربعة- قسم كتاب لوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤٧.

ونتيجة نألف الرجل الفاضل مع زوجته وأشقائه مع العشيرة، يؤدي به الأمر إلى قصد البرّ لوالديه، فالبرّ للوالدين تهتم به الكونفوشيوسية أعظم اهتمام ويولونه بأكثر عناية، حتى يعتبر من أساس طريق الحق، كما وصف البرّ بأنه أصل الأخلاق الفاضلة، فتحقيق البرّ عند الكونفوشيوسية أصبح رسالة إنسانية عظيمة يحتاج إلى أن يؤديها بطوال حياته، وتدل على ذلك نصوص موثوقة من كتاب الحوار، وقد بين الأستاذ كونفوشيوس فيها معنى البرّ من مختلف النواحي، ولندكر بعضها على سبيل المثال، سأل التلميذ "تس يو" ^{١٩٩} "عن البرّ، فقال الأستاذ: " صار معنى البرّ في هذا العصر يقتصر على عيال الرجل والديه، ولكنه يعمل كذلك كلبه وفرسه، فما الفرق بين العيالتين إن لم يحترم الوالد والوالدة؟ " ^{٢٠٠} وسئل عن البرّ أيضا فأجاب كونفوشيوس: " صعوبة البرّ إنما هي تظاهر الولد بالطلاقة والبشاشة بين والديه، أ يعتبر برا كل المبرة أن يحتمل الولد المشاق في قضاء حاجات والديه ويقدم لهما الطعام والاشربة. " ^{٢٠١} وعلى هذا الأساس قد جعل النص الخطوة الأولى لتطبيق الرجل الفاضل على طريق الحق تبدأ من الأسرة بمعالجته العلاقة بينه وبين زوجته أولا، ثم العلاقة بينه وبين أخيه الشقيق؛ لكي يكون والداه مرتاحي البال ومنتزحي الصدر، يعيشان في الصفاء و السرور بلا هم ولا قلق عليه. وبعبارة أخرى: أن العمل بمنهاج الوسطية والاعتدال عند الرجل الفاضل يبدأ من بر الوالدين، وكان البر أساس طريق الحق وأصل الأخلاق الفاضلة؛ إذ تقوم عليه سعادة الأسرة وأمن المجتمع عند الكونفوشيوسية.

وهذا الفصل قد تابع أيضا ما قبله من النص على " أن حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال في نظر الرجل الفاضل يبدأ بالعلاقة بين الزوج والزوجة وبالأمر البسيطة للفهم والسهولة للعمل بها بينهما؛ لأن العلاقة بين الزوج والزوجة أقرب العلاقات الإنسانية، ومنها ينتج

١٩٩- " تس يو " : عاش ٥٠٦ ق.م - ٤٤٣ ق.م من أشهر تلاميذ كونفوشيوس، وكان يعرف بعلمه الواسع في الأدب وقد سمي بكونفوشيوس الجنوبي؛ لأنه من جنوب الصين؛ ولأنه بلغ أفكار أسقده في جنوب الصين، ودعا إليها بالقوة لقا حصل على المنصب العلى الحكومى في يادده فالت أفكار كونفوشيوس سمعة واسعة بسببه في جنوب الصين وقتئذ.

٢٠٠- كتاب الحوار بترجمة محمد مكي، الفصل الثاني، الصفحة ١٤.

٢٠١- المصدر السابق نفسه.

العلاقات الإنسانية الأخرى من العلاقة بين الأب و ابنه والعلاقة بين الإخوة وأخوات، ويمتد منها العلاقة بين الأصدقاء والعلاقة بين الحاكم وأتباعه، وغيرها من العلاقات الإنسانية الاجتماعية عند الكونفوشيوسية كما ذكرناه من قبل، فالإنسان إذا أراد التألف مع شخص من خارج الأسرة بعيدا عنه في المجتمع، فلا بد له أولا أن يتألف مع زوجته و يتلاءم مع أخيه الشقيق القريب منه في أسرته أولا، كما قال كتاب المعرفة الكبرى: "إذا أراد الرجل الفاضل أن يحسن حكم البلاد وإدارة شؤونها، فليصلح شؤون عائلته أولا؛ وإن يرد إصلاح شؤون عائلته فليهدب نفسه أولا؛ وإذا قصد إلى تهذيب نفسه أولا فليستد قلبه أولا...." ٢٠٢ "

第十六章

原文：子曰：“鬼神之为德，其盛矣乎！视之而弗见，听之而弗闻，体物而不可遗。使天下之人齐明盛服，以承祭祀。洋洋乎！如在其上，如在其左右。（诗）曰：‘神之格思，不可度思！矧可射思。’夫微之显，诚之不可揜如此夫！”

今译：孔子说：“鬼神行德，可说是极盛的了。鬼神的德，看它没有形迹，听它没有声音，但世间万物没有一物不是鬼神所化育，所以体察天下万物是不能遗弃鬼神的。鬼神使天下的人悚然敬畏，他们虔诚斋戒，清洁身体，穿着隆重而华丽的祭服奉承祭祀。祭祀的时候，感觉到鬼神真是无处不在啊，好像就在你的上面，又好像在你的左右。（诗经·大雅·抑篇）说：‘神明之来，难以预测，岂可懈怠不敬？’鬼神既看不见又听不到，十分隐微，而善赐福、恶降祸却很明显。鬼神赐福降祸的诚信不可遮掩，竟是如此啊！”

الفصل السادس عشر

التمهيد:

مع أن قدماء أهل الصين كانوا يعبدون السماء الأعلى (تيان) باعتباره الإله الأكبر ورب الأرباب للعالم كله، فقد كانوا يعتقدون أن هناك ملائكة متعددين يساعدون السماء (تيان) في إدارة أمور العالم، فللنجوم والجبال والبحار والغابات والأنهار حتى بيوت الناس ملائكة، لكل واحد شأن يختص بالإشراف عليه، ولهم قدرة خارقة العادة تضرهم وتنفعهم، فكان قدماء الصين يقدسونهم ويقدمون لهم القرابين رجاء النفع وتجنباً عن الضرر. فضلاً عن ذلك، كانوا يؤمنون بوجود الروح وأزليته أيضاً، فيقدسون أرواح الآباء بطقوس القرابين، ويعتقدون أنه إذا توفي الرجل الصالح فسترفع روحه إلى السماوات وتتمتع هناك بحياة النعيم، وإذا مات الشخص الطالح فستصير روحه شبحاً مشرداً في البادية.^{٢٠٢}

٢٠٢- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير تشانغ نائى نان، الصفحة ٦٦.

وقد انفرد هذا الفصل من بين جميع فصول الكتاب (الوسطية والاعتدال) ببيانه هذه القضية، تناول فيه المؤلف "تس سي" العقائد الكونفوشيوسية في تقديس الملائكة وأرواح الآباء، فأورد هنا كلام كونفوشيوس في غاية الدقة والغموض يمدح الملائكة والأرواح وصفاتها الخلقية، ولهم أثر كبير فعال في جميع مراحل الحياة الإنسانية.

النص :

"قال الأستاذ كونفوشيوس: ما أعظم صفات الملائكة والأرواح خلقيا وخلقيا ! فإذا أردت أن تنظر إلى حركاتهم، لما قدرت على رؤيتهم، وحاولت أن تسمع أصواتهم، فلن تقدر على سماعها، ولكن كان تأثيرهم الجوهرى يعم جميع الموجودات بكل وضوح. فالملائكة والأرواح بصفاتهم العظيمة الخلقية والخلقية تجعل كل الناس يتطهرون ويصومون باحترام الطقوس، ويلبسون ثياب الطقوس المهيبة الفاخرة حتى يقدموا القرابين بكل تواضع حينئذ، وما أقدم عظمة الملائكة والأرواح حضورا ونزولا ! كأنهم ينزلون على رؤوس الناس الحاضرين للطقوس، ويطوفون بهم يمينا ويسارا. وذلك كما قال سفر القصائد فيهم: 'إن الملائكة والأرواح مستحيل لنا من تقدير نزولهم أو ظن وقته، فما علينا إلا أن نتقى منهم متدينا !' فإن الملائكة والأرواح مع صفاتهم الخلقية بأشد الخفاء والدقة يُظهرون تأثيرهم الخلقى تماما. وهكذا كان صدق الملائكة والأرواح، ولا يخفى إخلاصهم إلى هذه الدرجة !"

الشرح :

فى هذا الفصل صور لنا المؤلف صفات الملائكة والأرواح حسب اعتقاد الكونفوشيوسية للعالم الغيبى والروحى، مع بيان تأثيرهم الخلقى والخلقى فى حياة الإنسان الواقعة. فيتناول بالحديث أولا تعريف الملائكة والأرواح، وأنها كانتات خفية غيبية لا ترى ولا تُسمع بحواس الإنسان تأثيرا شاملا فى نفعه أو إضراره، وثانيا يتبين أن الملائكة والأرواح مع خفاء ذواتهم تأثر فى حياة الإنسان الواقعة أثرا شاملا فى نفعه أو إضراره، كناية عن الصفة الذاتية لمناهج الوسطية والاعتدال بشدة خفائه ودقته وتأثيره الظاهر الكامل للإنسان وعالمه بكل وضوح.

وكان كونفوشيوس يهتم بالطقوس والقرابين ويؤكد ضرورة خلق الإخلاص والصدق فيها. وجاء هذا النص في كتاب الحوار: "كان كونفوشيوس يقيم القرابين بنفسه إلى أرواح آبائه كأنهم حاضرون، ويقدم القرابين إلى الملائكة كأنهم ينزلون. وقال: إذا قدم القرابين أحدٌ غيري نائباً عني فكأنه لم يقدم قط." ٢٠٤

وكان كونفوشيوس - مع تأكيد أهمية التعليمات المعنوية في هذه الطقوس الاعتقادية - يحرم تلاميذه عن الاستقصاء في أمور الأرواح الغيبية، بل يحثهم على العناية بشؤون حياتهم الواقعية أولاً، فقال في ذلك: "قدسوا أرواح الآباء، وتجنبوا عن أضرارهم، فأتت حينئذ تصبح عارفاً." ٢٠٥

ومن الجدير بالذكر هنا أن كونفوشيوس مع اعتقاده بتقييس الملائكة والأرواح، لم يخلط بينها وبين عبادته للسماء الأعلى (تيان)، بل يعتبره الإله الأكبر والموجد المنير وهو رب الأرباب، كما ذكرناه في الفصل الأول. وعلى سبيل المثال، عندما سئل الأستاذ: "ما معنى هذا المثل: ' التملقُ ملك الكنور في المطبخ أفضل من تملق ملك معبد البيت.' ؟ فأجاب: كلا ! من أجزء عنادا عن رضوان السماء الأعلى (تيان)، فلا محل له من الدعاء والمغفرة." ٢٠٦

وهذا هو موقف كونفوشيوس الاعتقادي من طقوس القرابين للملائكة والأرواح، وأما كشف أسرار المقاصد المعنوية واستخراج الروابط المضمرة بينها وبين حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، فلنراجع شرح العلماء الكونفوشيوسيين لهذا الفصل بأسلوبهم الفلسفي فيما يلي:

قال العالم الكونفوشيوسي " كُونغ يِنْغ دَا " في كشف مغزى هذا الفصل: " وهذا النص يتبين منه عن حقيقة صفات الملائكة والأرواح أن فواتهم لا تُرى ولا تُسمع، وهي في شدة الخفاء والغيب، ومع ذلك كانوا صادقي الوجود وظاهري التأثير. وهكذا حقيقة منهاج الوسطية

٢٠٤- كتاب الحوار، الفصل ٣، الصفحة ١٠٩.

٢٠٥- المصدر السابق نفسه، الفصل ٦، الصفحة ٢٥٣.

٢٠٦- المصدر السابق نفسه، الفصل ٣، الصفحة ١١٠.

والاعتدال صفةً ونفعاً، فهو خفى مضمون في ذاته وظاهر واضح في تأثيره، لا جدال في حقيقته هذه، وهو قائم بذاته بكل صدق وإخلاص. " ٢٠٧

وقد شرح العلامة " جُو مِي " حقيقة صفات الملائكة والأرواح على أساس نظرية للوحدانية والثنائية، فقال: " والتمية إلى نظرية الجوهر الثنائية، كانت الأرواح ذوات قوة سلبية، في حين كانت الملائكة ذوات قوة إيجابية؛ وأما من جانب نظرية الجوهر الوجدانية، فكان الآتى الباسط هو صفة الملائكة، وكان ال ذاهب القابض هو صفة الأرواح، وهما في الحقيقة حالتين لجوهر واحد. فالملائكة والأرواح ليس لهما شكل مرئي وصوت مسموع، ولكن جميع حدوث الموجودات في العالم وحركاتها ونهايتها ما هي إلا تجمع القوتين الإيجابية والسلبية وتفككهما. فذلك هو جوهر الذوات لا يستغنى عنه في أى حال من الأحوال. وأما كلمة الصدق والإخلاص في النص فالمراد بها المقصود لا باطل فيه، لأن تجمع القوتين الإيجابية والسلبية وتفككهما مؤثر في ظواهر الحوادث، وهو أمر مصدق بلا جدال، فكان انكشاف حقيقتها لا يخفى إلى هذه الدرجة. " ٢٠٨

ونستفيد من هذه المذاهب القيمة للعلماء الكونفوشيوسيين الكبار أن ذوات الملائكة والأرواح خفية وغائبة غير متحركة للعين والأنف، في حين أن تأثيرهم ظاهر وكامل في الحياة الواقعة كلها، فنجب على الإنسان أن يُصدق بوجود ذواتهم الخفية، ويُخلص في الإيمان بتأثيرهم الظاهر الشامل، وهي حقيقة متماثلة في الصفة الذاتية لمناهج الوسطية والاعتدال بشدة خفائه ودقته مع تأثيره الظاهر الكامل في الإنسان وعالمه بكل وضوح.

٢٠٧ - ارجع إلى الشرح التفصيلي لكتاب التوسط لأني كا مؤرخ، الصفحة ١٨٧

٢٠٨ - انظر المصدر نفسه، الصفحة ١٨٨.

第十七章

原文：子曰：“舜其大孝也与！德为圣人，尊为天子，富有四海之内。宗庙飨之，子孙保之。故大德必得其位，必得其禄，必得其名，必得其寿。故天之生物，必因其材而笃焉。故栽者培之，倾者覆之。诗曰：‘嘉乐君子，宪宪令德！宜民宜人，受禄于天。保佑命之，自天申之！’故大德者必受命。”

今译：孔子说：“舜是做到大孝的人了。德行至于圣人之境，贵于天子之位，富裕到拥有四海之内的一切。有宗庙来祭祀他，有子孙来继承他。因此，德行伟大的人必定得到高位，必定得到厚禄，必定得到声名，必定得到长寿。所以，上天造生万物，必定就一物的材质来增益他。所以，对种植者，就加以培育，对倾斜者，就让他覆亡。《诗，大雅，假乐》说：善良快乐的君子，充分彰显了美德。安顿百姓又领导众人，他承受上天赐予的禄位。上天保佑他又任命他，这是上天一再重复的使命。”

الفصل السابع عشر

التمهيد:

بين المؤلف في هذا الفصل أن صاحب الأخلاق الحميدة العظيمة كتب عليه أن ينال العزة والشرف كالسنة السماوية، مع تقديم شخصية مثالية في هذه الناحية، وهو الملك "شون" ١٠٩ الذي يتصف بالأخلاق الفاضلة، وخاصة بخلقه العظيم المعتدل في برّ الوالدين، وفقا لمنهاج الوسطية والاعتدال علميا وعمليا، حتى يتلقى ملكوت بلاد الصين من إرادة الإله الأعلى - السماء (تيان)، فصار ملكا حكيما وقنوة حسنة يستنير بها تاريخ الصين الثقافي منذ أكثر من أربعة آلاف سنة. كما كان المؤلف في هذا النصّ يشجع القراء على الاقتداء بهذا الملك الحكيم في تعويد النفس على الأخلاق الفاضلة بالصبر، مستدلا بما في سفر القصائد أن أصحاب مكارم الأخلاق هم من أهل عناية السماء - تيان، يُقدّر لهم بالشرف والعزة تقديرا خاصا من عنده.

١٠٩- الملك الحكيم "شون"، قد سبق بيان سيرته في الفصل السادس، ممكن ترجع إليه.

النصر:

" قال الأستاذ إن الملك 'شون' ما أعظم خلقه في البر لغاية كماله ! حتى أصبح فاضلا حكيما في الأخلاق، وملكا عظيما معسّى يابن السماء (تيان) في الشرف والعزة، وخطيا مسيطرا على تروات ما بين البحار الأربعة^{٢١١}، وهو بعد وفاته يتمتع بالذكر وطقوس القرابين للملك في معبد الآباء، ويرثه ذريته جاها وشرفا جيلا بعد جيل. فصاحب الأخلاق العظيمة كُتب عليه أن ينال مكانة عابقة ورزقا واسعا وسمعة حميدة وعمرا مديدا. وذلك من سنة السماء (تيان) يقدّر على كل الموجودات في العالم، بأنّه يزيدنها ويثبتها حسب صفاتها المختلفة الإيجابية والسلبية. فمن يزرع حسنة يزدده السماء الأعلى فضيلة ونعمة، ومن يأت إلى المسينة يزدده خسارة وهلاك. كما قال يفر القصائد في ذلك :

' يا له من رجل فاضل فرحا وبشرا، ما أظهر أخلاقه حسنة وكريمة !
وقد آمن بفضلها شعوبه سلاما ورفاء، كُتب عليه نعمة و بركة عظيمة.
فقدّر له أن ينال العزة والسلطة، سنة السماء الأعلى قدرا مقدورا.
فهذا دليل على أن صاحب الأخلاق العظيمة كُتب عليهم غاية السماء الأعلى ونصره."

الشرح :

في هذا الفصل بيان لأربط ما ذكر في الفصل السادس من علم اليقين للملك "شون" بحقيقة منهج الوسطية والاعتدال، فيؤكد المؤلف في هذا الفصل فضائل الملك "شون" الخلقية في تطبيق منهج الوسطية والاعتدال، حتى يكون صاحب مكارم الأخلاق ومكانم العزة والشرف، وهو المثل الأعلى في الإنسانية يجمع بين فاضل الأخلاق باطنا وبين حاكم الملوك ظاهرا، كما يدعو ويسعى إليه الكونفوشيوسية قديما وحديثا.

٢١١ - لقب شون من القاب الإمبراطور أو الملك في بلاد الصين، إذ يرى قدماء الصين أن السلطة والملك هبة من غاية السماء (تيان) الأعلى ونصره لمن يرضيه، فكل الملك حل محلّ ابن السماء، مجازا لخلافته على الأرض وتعظيمه لقداسته ملكوته على الرعية المملوكة.

٢١٢ - البحار الأربعة : أسلوب مجازي في اللغة الصينية الأصلية، المراد به كل أرجاء البلاد، وقد يشير إلى كل أنحاء العالم. وكان قداماء أهل الصين يعتقدون أن بلاد الصين تحيط بها البحار من أربع جهاتها، ويقع في كل جهة بحر باسم جهته، مثل: بحر للشرق وبحر للغرب إلخ.

وفى هذا الفصل أكد المؤلف "ثس سى" أن صاحب مكارم الأخلاق تظهر عليه معالم العزة والشرف، مستدلًا بمثالية الملك "شون" فى هذا المجال، مع بيان تأثير منهاج الوسطية والاعتدال وفوائده فى إرشاد حياة الإنسان الواقعة خلقيا وسلوكيا. وسنحلل الموضوع فى هذا الفصل من ثلاث النواحي فيما يلى :

الناحية الأولى: كشف لنا المؤلف فى بداية الفصل أهم الأسباب لحصول الملك الحكيم "شون" على علامات العزة والشرف، وأن ذلك يرجع إلى أخلاقه الحميدة، وخاصة فى برّ الوالدين. وبعبارة أخرى: كانت الكونفوشيوسية يرى أن الخير والرزق والشرف حتى العمر المديد وكلّ نعم الحياة هذه ترجع أسسها إلى تهذيب النفس بالأخلاق الحميدة، وتهذيب النفس بالأخلاق الحميدة مدخله برّ الوالدين، وبرّ الوالدين خلق عظيم معتدل يوافق حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال فى إرشاد حياة الإنسان الواقعية، وهو حجر أساسى يبنى عليه سلامة الأسرة واستقرار المجتمع، فمن لا يبرّ والديه ولا يحب إخوته فى أسرته الواحدة كيف يكون رجلا صالحا وفردا مسؤولا فى المجتمع؟

يبين العلامة الكونفوشيوسى "تشيان مائو" مقاصد هذا الفصل قائلا: "إن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال فى حياة الإنسان الواقعية يتمثل خاصة فى خلق برّ الوالدين وحب الإخوة. فإن الملك "شون" الذى هو المثل الأعلى فى هذا الأمر كان يجمع بين مكارم الأخلاق وعلامات العزة والشرف، مع نوام مآثره فى أهليه ورعيته، ويستحق بأن يُسمى بأنه الذى قد أكمل خلق البرّ بكل معنى الكلمة، فكلّ نعم الحياة من الخير والرزق والشرف والعمر المديد مُلِحت له، فلا يحصل عليها إلا صاحب الأخلاق العظيمة المعتدلة. وذلك كما قال فى النصّ بالنسبة إلى منهاج الوسطية والاعتدال كان الزوجان العامّيان يمكن لهما أن يطبقا مبادئه الأساسية فى حياتهما الواقعية، وأما المثل الأعلى فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال بكلّ شموله وكماله فقد يكون للرجل الفاضل الحكيم ما لا يبلغ إليه غيره.^{٢١٢} " ٢١٣

٢١٢- المراد بالنص هو ما ذكر فى الفصل التالى عشره كما سبق بيّنه فى مكانه، ويمكن الرجوع إليه.

٢١٣- انظر: الشرح اللفظى لكتاب الوسطية والاعتدال، أن كا مولغ، الصفحة ١٩٠.

الناحية الثانية : بعد بيان أهمية خلق البر وتأييده في الحصول على نعم الحياة، كشف المؤلف فيما يلي عن السُّنة السماوية في تمسك الرجل الصالح بخلقهِ وتركه الرجل الطالح بخلقهِ بما نصّه: " فمن يزرع حسنة يزدده السماء الأعلى فضيلة ونعمة، ومن يأتي إلى السيئة يزدده خساراً وهلاكاً". فالقدوة الحسنة الأولى هو الملك الحكيم " شون " وخليفته الملك الحكيم " يو "، وهما من أصحاب الأخلاق العظيمة المعتدلة، فأجلسهما السماء الأعلى على عرش ملكوت بلاد الصين، ورزقهما نعمة وبركة، فكانت مآثرهما لم تقتصر على نشر السلام والاستقرار في مجتمع الصين القديم فحسب، بل تعم السعادة بين جميع الأبناء في البلاد. وبالعكس، هناك المثل السيئ أيضاً من ملوك الصين السابقين، فمنهم الملك " جي (Ji) " الطاغى^{٢١٤} والملك " جيو (zhou) " الفاجر^{٢١٥}، فلم يكونا غارقين بأنفسهما في المجون والفجور فقط بل عمّ ظلمهما المستبد كل أنحاء بلاد الصين أيضاً. فخلعهما السماء الأعلى (تيان) عن العرش، ودمر مملكتيهما تعذيباً. وذلك كما شرح العالم "جينغ شوان"^{٢١٦} في هذه السُّنة السماوية لتصر الصالح وطرده الطالح قائلاً: " هذا النص يتبين منه أن الصالح يُوفقه السماء الأعلى (تيان) بمنح البركة والنعمة له، وأما الفاسد فتمهل السماء (تيان) نزول الشرور والهلاك عليه؛ فكل مُيسر لما خلق له." ^{٢١٧}

٢١٤- الملك " جي (Ji) " الطاغى، الملك الآخر لمملكة " شيا " (٢٨١٨ ق.م - ١٧٦٦ ق.م)، وكان ملكاً جافراً وغارقاً في النسي والمطغان، وقضى عليه رئيس القبائل الشرقية بالصين المسمى بـ " فيانغ تانغ " الذي يعتبره المذهب الكونفوشيوسي من الملوك الحكماء كملوا الأخلاق، فهلك مملكة " شيا " بعد أن امتدت سلطتها لمدة خمسمئة سنة حوالي القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد وهي المملكة الأولى التي عملت بنظام للتوريث الملكي في تاريخ الصين المسجل.

٢١٥- الملك " جيو (zhou) " الفاجر (١١٠٥ ق.م - ١٠٤٦ ق.م)، الملك الأخير لمملكة " شيا " (حول القرن السادس عشر قبل الميلاد إلى حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد)، وهو معروف في تاريخ الصين بالاستبداد و بالفجور خلال حكمه لمدة ثلاثين سنة، وفي سنة ١٠٤٦ قبل الميلاد غلب عليه الملك " زو وانغ " أمير الأمراء في غربي الصين وقتل، ودمر مملكته بتأسيس مملكة أسرة " تشو " (١٠٤٤ ق.م - ٢٥٦ ق.م).

٢١٦- جينغ شوان: العلامة الكونفوشيوسي العظيم (١٢٧ - ٢١٠ ق.م) علق في عصر أسرة " هان الشرقية " (٢٥ - ٢٢٠ ق.م). وكان في عصره جدل شديد في شرح الكتب الكونفوشيوسية بين الشروح القديمة وبين التفسير الحديثة، فقام بشرح معظم مصادر الكونفوشيوسية على أسس الجمع بين شروحيها القديمة وبين تفسيرها الحديثة، وقد بنى محرمته علمية باسمه، ومع اتساع شهرته بنظر مؤلفاتها اعتمد عليها العلماء الكونفوشيوسيون نظرياً وفكرياً.

٢١٧- انظر: التشرح اللطيف لكتب الوسطية والاعتدال، لمؤلفها هونغ، الصفحة ١٩٠.

الناحية الثالثة : مع بيان السُّنة المملوكة في نصر الصالح وطرده الفاسد في أواخر هذا الفصل
أورد المؤلف عدة أبيات شعرية من سفر القصائد، دلالة على أن صاحب الأخلاق العظيمة
المعتدلة مكتوب عليه نصر السماء الأعلى (تيان) بالعرّة والشرف.

وهذا كما كشف مونشيوس - المعلم الثاني في الكونفوشيوسية - أسرار العلاقة المتلازمة
الثلاثية بين الأخلاق الحميدة ونعم الحياة ونصر السماء الأعلى قائلا: "إن المراتب والمناصب
نوعان: المراتب الروحية، والمناصب الدنيوية؛ فأخلاق الرحمة والعدل والأمانة والرفاء والجّد
في البرّ والإحسان؛ هي المراتب الروحية العلوية، وأما المناصب الاجتماعية الدنيوية فهي درجة
الأشراف كالأمرأء والوزراء والقادة. فكان الأسلاف الصالحين يجتهدون أولاً في تهذيب النفس
بالأخلاق الحميدة؛ حتى يتدرّجوا إلى المراتب الروحية التي يرضى بها السماء الأعلى (تيان)،
وفي نفس الوقت سينزل عليهم المناصب والنعيم الدنيوية تبعاً. وأما في عصرنا هذا، فإنما الناس
يتظاهرون بتهذيب أنفسهم الروحية ويُبطنون كسب المناصب الدنيوية، وإن حصل أحدهم عليها
يترك تهذيبه الروحي، فيأله من خسران وإخواء كبير! بل سيفقد من الجانب الدنيوي بنة." ٢١٨

وبالجملة، كان المؤلف "تس مي" في هذا الفصل يقدم للقراء الملك الحكيم "شون"
باعتباره قوة حسنة يجمع بين الأخلاق العظيمة المعتدلة وبين عزة الملك تحت عناية السماء
الأعلى، مبتدئاً أن الرجل الفاضل يجب عليه أن يهذب نفسه على أساس منهاج الوسطية والاعتدال
خلقياً وسلوكياً على سواء، فالمثالية الإنسانية لم تقتصر على تهذيب النفس بالأخلاق الحميدة
باطنياً فصعب، بل تشمل أيضاً على تطبيقها سلوكياً في معاملة الناس بالبرّ والإحسان وإدارة
شؤون المجتمع بالحكمة والعدالة.

وذلك كما سيبين لنا المؤلف في الفصلين القادمين حيث يتحدث عن مآثر الملوك الثلاثة
الحكماء القدماء : الملك "وون وانغ" الأب، والملك "وو وانغ" الابن، وأخيه الصغير الأمير
تيشو فونغ " وفضائلهم الخلقية والسلوكية في أمن المجتمع واستقرار البلاد.

٢١٨- مجموعة الكتب الأربعة شرح باللغة الصينية المعاصرة، كتاب مونشيوس، الفصل ١١، الصفحة ٣٦٣.

第十八章

原文：子曰：“无忧者，其惟文王乎！以王季为父，以武王为子；父作之，子述之。”

今译：孔子说：“没有烦恼的人，大概是周文王吧！他的父亲是王季，他的儿子是武王。父亲开创了基业，儿子绍述了理想。”

الفصل الثامن عشر

التعهد:

إن كان للجبال سلسلتها وللمياه منبعها، فإن أصل الحضارة الصينية يرجع إلى الإمبراطور العظيم " هوانغ دي " (٢٧١٣ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م) فتمتع بتاريخها العميق لمدة خمسة آلاف سنة تقريبا، ولقد بلغت هذه الحضارة الأصولية نضجها في عهد مملكة " تشو " (١٠٦٦ ق.م - ٢٥٦ ق.م) ، وفي القرن السادس قبل الميلاد أقام الأستاذ كونفوشيوس - مستثيرا بمصادر الثقافة القديمة لأسرة " تشو " علميا وعمليا - أسس مذهبه الذي تأثرت به بلاد الصين تأثيرا عميقا طوال خمسة وعشرين قرنا حتى يومنا الحاضر.

وفي هذا الفصل يرجع بنا المؤلف إلى بداية مملكة أسرة " تشو " ، وهي فترة مزدهرة بملوكها الحكماء القدماء - الملك الأب " وون وانغ " المؤسس الروحي للمملكة، والملك الابن " وو وانغ " المؤسس الحقيقي للمملكة، وأخيه الصغير الأمير " تشو قونغ " العصيل المعتمد للمملكة - وبين فيه فضائلهم الخلقية والسلوكية في استقرار المجتمع وأمن البلاد، وفقا لمناهج الوسطية والاعتدال نظاميا وسياسيا.

٢٦٩ - مملكة " تشو "، يقسم تاريخها إلى فترتين: فترة " تشو الغربية " (١٠٦٦ ق.م - ٧٧١ ق.م)، وهي عصر ازدهارها منتهية مع قتل الملك الظالم " يو وانغ "؛ فقتل ابنه " بينغ وانغ " عاصمته إلى شرقي الصين وبدأ فترة " تشو الشرقية " (٧٧٠ ق.م - ٢٥٦ ق.م) وهي عصر انحطاط نفوذ ملكوتها والكسلاء فتقسم إلى عهدين: عهد الزين والخريف (٧٧٠ ق.م - ٤٧٦ ق.م) وعهد الممالك المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م). وكل كونفوشيوس عاش في أواخر عهد الزين والخريف.

وهذا الفصل ينقسم إلى ثلاث قطع متتالية، فقد أثنى المؤلف في القطعتين الأولىين ممدوح
الملكين الأب والابن في استكمال مآثر الأجداد في إدارة البلاد بالأخلاق الحميدة والسياسة
الحكيمة؛ كما بين المؤلف في القطعة الثالثة فضائل الأمير " تشو فونغ " بعد وفاة أخيه الكبير
الملك " وون وانغ " في تثبيت أسس المملكة والأنظمة الاجتماعية وإصلاح عررة حكمها السياسية
بتحديد نظام الآداب والطقوس على أساس متهاج الوسطية والاعتدال.

ومن الجدير بالذكر أن خلق بز الوالدين ما زال - كما بينه المؤلف في الفصل السابق -
محورا رئيسيا تدور حوله مآثر هؤلاء الملوك الحكماء الثلاثة؛ ففي نظر الكونفوشيوسية أن
خلق بز الوالدين وحب الإخوة بالنسبة إلى الرجل الفاضل ليس مفتاحا لتوفيق علاقة أفراد
الأسرة ومدخلا إلى كل الأخلاق الحميدة فحسب، بل هو قطب أساسي في تصحيح الروابط
الاجتماعية وضبط الشؤون السياسية فكريا وسلوكيا.

نص القطعة الأولى:

" قال الأستاذ: لعل أمثل ملك حكيم عاش بلا هم ولا غم هو الملك " وون وانغ " ^{٢٢٠}، إذ
كان أبوه " وانغ جي " ^{٢٢١} أميرا مهتدا، وكان ابنه " وون وانغ " ^{٢٢٢} ملكا محققا، فمهد أبوه
الأسس العظيمة التي قامت عليها الإمارة " تشو " ازدهارا، وحقق ابنه الملك " وون وانغ " أمنيته
في تأمين البلاد واستقرار المجتمع بتأسيس مملكة " تشو " استكمالاً.

٢٢٠- الملك " وون وانغ " (١١٥٧ ق.م - ١٠٥٦ ق.م)، وكان حاكم إمارة " تشو "، وهو رئيس الأمراء في غربي الصين، اشتهر
بأخلاقه الحميدة وإنكسار الصالحين والأكفاء في إدارة إمارة " تشو "، حتى خلف من شهرته الفاضلة الملك " جيو (zhou) " الفاجر
- حاكم للمملكة " شينانغ " المركزية وقتئذ، وسجله عدة سنوات فسيّر على هذه المحنة صبورا جميلا، وبعد إطلاق سراحه ارتفعت
شهرته أوسع فقابل عليه الأمراء والشعوب ملتحين من قريب وبعيد، فبلغ في عهده الإمارة أشد قوتها حتى امتدت نفوذها إلى ثلثي
بلاد الصين، فهو أعظم المؤسس الروحي للمملكة " تشو " التي أسسها ابنه الملك " وون وانغ " بعد وفاته بسنوات قليلة.

٢٢١- الأمير " وانغ جي " (١٢١٠ ق.م - ١١٠٢ ق.م)، أبو الملك " وون وانغ "، أمير مصلح اشتهر بالأخلاق الفاضلة والسياسة
الرحيمة لمصالح الشعوب، فلانضم إليه الإمارات والقبائل حوله ويقدمون له ولانتم، وأصبح رئيس الأمراء في غربي الصين كما
لقبه الحكومة المركزية للمملكة " شينانغ " وقتئذ. وفي عهده دخلت الإمارة " تشو " في عصر ازدهارها، فهو مهتد ناجح
لمشروعات ابنه الملك " وون وانغ " في السياسة ملتحيا ومعنويا.

٢٢٢- الملك " وون وانغ " (١٠٩٧ ق.م - ١٠٤٣ ق.م)، ابن وعنده ثنى للملك " وون وانغ "، ووارثه الخفي والخلي
ومقيم أمنيته اليقية في إعادة الأمن والسلام لبلاد الصين مرة أخرى ضد ظلمات الملك الأخير " جيو (zhou) " الفاجر للمملكة
شينانغ " وقتئذ، فبعد وفاة أبيه بسنوات قليلة، شن الحروب التآديبية بالجيوش المتحدة من الإمارات والقبائل المندبة ضد الملك " جيو "
الفاجر، دحوا لإرادة السماء الأعلى تكلل ورجحت الشعوب فيها، وبخون ووزرانه الصالحين الأكفاء انتصر على الملك " جيو "
الفاجر وألغى ظلماته الطاغية على الشعوب بالسكائر ملكوته فحل محله ملطفاً وحقق أمنية أبيه المفقود في أمن البلاد واستقرار
المجتمع بتأسيس مملكة " تشو " التي امتدت سيطرتها لشمسية قرون في تاريخ الصين.

الشرح:

كان الملك "وون وانغ" وارثا لمثل لإمارة أبيه "وانغ جي" خلقيا وسلوكيا، وانتشرت شهرته في الفضائل والمكارم قريبا وبعيدا، فبلغت في عهده إمارة "تشو" عصره المزدهر الذهبي ماديا ومعنويا، وأصبح أمير الأمراء في غربي الصين، حتى اعترفت المملكة "شيانغ" بمكانته العالية هذه بين الأمراء الآخرين وهي باعتبارها الحكومة المركزية للصين وقتئذ. كما كان ابنه الملك "وو وانغ" وارثا مكملًا لأمنية أبيه في تأمين البلاد واستقرار المجتمع، بعد انتصاره على الملك "جيو (zhou)" الفاجر حاكم مملكة "شيانغ"، وحل محله سلطة وملكًا، فأعاد الأمن والسلام إلى بلاد الصين بأسرها بتأسيس مملكة جديدة لأسرة "تشو" التي امتدت سيطرتها لثمانية قرون في التاريخ الصيني.

فهذه الأجيال الثلاثة المثالية من الأمير "وانغ جي" الجد، والملك "وون وانغ" الأب، والملك "وو وانغ" الابن، في نظر الكونفوشيوسية كان فهم قدوة حسنة لا نظير لها، إذ ورث بعضهم بعضا خلقا كريما وسياسة حكيمة، فمهد الأب لاستقرار البلاد وازدهار المجتمع، وحقق الابن طموح أبيه بجذ واجتهاد، حتى يقول كونفوشيوس مدحا للملك "وون وانغ" الذي يتوسط بين الأب الممهد وبين الابن المحقق: "إنه ملك حكيم أمثل عاش بلا هم ولا غم".

وقال العالم "تشيونغ هان" في شرح النص: "هذا الفصل يكشف أن السلوك المعتدل ينبثق من بر الوالدين، فكل من الملك الأب 'وون وانغ' والملك الابن 'وو وانغ' وأخيه الأمير 'تشو' قولغ 'بار' بوالديه، وكل منهم ممهد ومحقق جيلا بعد جيل، فعاش الملك "وو وانغ" بلا هم ولا غم." ٢٢٢

وبين العلامة "جو شي" مقاصد هذا النص قائلا: "فالملك 'وو وانغ' كان هو وأسلافه منذ جد جده 'قولغ ليو' وجدته 'تاي وانغ'، يتوارثون جيلا بعد جيل خلقا كريما وسلوكا رحيما،

٢٢٢- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الرسطية والاعتقالات، لي كا هونغ، الصفحة ١٩٣.

فلذا عندما جاء عصر السلطة للملك "وُونْ وَانغ"، حان حظه السعيد تحت عناية السماء الأعلى،
فقال له ثناء ومدحا: "إنه ملك حكيم فريد عرش بلا هم ولا غم." ^{٢٢٤}

الـمـنـصـب : "武王纘大王，王季，文王之緒。壹戎衣而有天下，身不失天下之显名；尊为天子，富有四海之内；宗庙飨之，子孙保之。"

الـمـنـصـب : "武王承续了大王，王季，文王的事业，他一穿上甲冑讨伐商纣，就取得了天下，并且自身还保有天下的显赫名声。他尊贵至于天子之位，富裕拥有四海之内的一切，有宗庙来祭祀他，有子孙来继承他。"

نص القطعة الثانية :

"قال الأستاذ : إن الملك "وُونْ وَانغ" ورث أمنية عظيمة في تأمين البلاد وتوطيد المجتمع من جدّه الأعلى "تاي وانغ" وجده "وانغ جي" وأبيه "وُونْ وَانغ"، فما إن لبس درعه ورفع سلاحه مقلومةً لطغيان الملك الأخير "جيرو" الفاجر من مملكة "شيانغ"، حتى انتصر عليه، وحلّ محله سلطة وملكاً، بل نال من كل أنحاء بلاد الصين مدحا ومسعة، ففى قيد حياته وهو عزيز بمكانة السلطة والملكوت، وغني بثرو ما بين البحار الأربعة الواسعة، كما أنه بقى بعد وفاته شريفاً بتمتع القربان في المعبد ومحفوظاً ملكة إلهامي بذريته الصالحة."

الشرح :

مدح المؤلف فى هذه القطعة مآثر الملك "وُونْ وَانغ"، من حيث إنه ورث أمنية أبائه من ثلاثة الأجيال - الجد الأعلى والجد الأب - فى تأمين البلاد وتوطيد المجتمع، فشنّ الحرب التأديبية على طغيان الملك "جيرو" الفاجر من مملكة "شيانغ"، وحلّ محله سلطة وملكاً، فأعاد الأمن والسلام فى أنحاء بلاد الصين مرة أخرى، وهو ملك مؤسس لمملكة أسرة "تشو" التى امتدت سيطرتها لمدة ثمانية قرون فى تاريخ الصين. ومن ثمّ كان فى نظر الكونفوشيوسية أن مآثر الملك "وُونْ وَانغ" المذكورة كلها توافق مطالب الوسطية والاعتدال خلقياً وسلوكياً،

٢٢٤- انظر إلى الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٩٢.

قال العبر " كُونْغ يِنْغْ ذَا " لكشف سِرِّ أسلوب التعبير ب " ما إن ليس...حتى... " في النص قائلًا: " كانت الجملة ' فما إن ليس درعه ورفع سلاحه مقاومة لطغيان الملك "جيو" الفاجر من مملكة " شِيَانْغ " حتى غلب عليه وحل محله سلطة وملكا ' مشيرة إلى أن الملك " وُو وَانْغ " كان وارثاً لمآثر أبيه ومحققاً لآمنيتهم في أمن المجتمع واستقرار البلاد، وكل هذه الجهود ماديًا ومعنويًا ورثها من أبيائه لثلاثة الأجيال، ساعدته على مقاومة طغيان الملك "جيو" الفاجر والانتصار على هذا الحكم الاستبدادي؛ إذ كانت كل الجهود من أبيائه لثلاثة الأجيال متحدة في أمنية مشتركة هي استقرار بلاد الصين وازدهار مجتمعها، حتى حققها الملك " وُو وَانْغ " من ذريتهم في عصره دفعة واحدة بنصره العادل." ^{٢٢٥}

وكان المؤلف في هذه القطعة تركّز على بيان مزايا وإنجازات الملك " وُو وَانْغ "، وخاصة في انتصاره على الملك الملك "جيو" الفاجر من مملكة " شِيَانْغ "، وحل محله سلطة وملكا لإعادة الأمن والسلام في بلاد الصين من جديد، مع ذكر مآثر آباء الملك " وُو وَانْغ " الصالحين وجهودهم الأصلية المثمرة؛ لأن جذه الأعلى منذ انتقاله بقبيلته إلى واد جبل " تَشِي شَانْ " ^{٢٢٦} وتأسيس إمارة " تشو " في هذا الموطن الخصب، قد رعى رعيته بالأخلاق الحميدة والسباسة الحكيمة، حتى يشير إليه الناس قريباً وبعيداً بالرشد والفضل، ومع انتشار شهرته أوسع فأوسع انضم إلى إمارته شعوباً وقبائل من مملكة أسرة " شِيَانْغ " طُوعاً وتلقائياً، فصارت إمارته عظيمة ضخمة.

وهذه المآثر والفضائل قد توارثها الأجيال الثلاثة من الجد الأعلى والجد والأب حتى وصلت إلى الابن الملك " وُو وَانْغ "، وفي عصره بلغ طغيان مملكة " شِيَانْغ " المركزية بيد ملكها الآخر " جيو (zhou) " الفاجر أشدّ ظلماتها على كل أبناء المجتمع في بلاد الصين، وحينئذٍ قام الملك الحكيم " وُو وَانْغ " بحملة تأديبية على الملك " جيو (zhou) "، وحل محله سلطة وملكا لإعادة الأمن والسلام في بلاد الصين مرة أخرى.

٢٢٥- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لمّا كا هونغ، الصفحة ١٩٤.

٢٢٦- وادي جبل " تَشِي شَانْ "، يقع حالياً في مقاطعة " شَانْ شِي " بغربي الصين.

وكان المؤلف يرى أن كل ملأ الملك " وُو وانغ " وأبائه توافق روح منهاج الوسطية والاعتدال خلقيا وعمليا، فكان انتصاره على الملك " جيو " الفاجر نصرا للعدل والحق، وهو عمل فريضي يتفق عليه إرادة السماء (تيان) والرغبات الإنسانية معا، مستحقا للفكر والمدح كجيرة حسنة في التاريخ الإنساني. ومن ثم يلحق المؤلف في القطعة القادمة فضائل الأمير " تشو قونغ " بمأثر أخيه الملك " وُو وانغ "، كما سيذكر فيما يلي.

原文:

“武王末受命，周公成文王之德，追王大王、王季，上祀先公以天子之礼。斯礼也，达乎诸侯、大夫及士、庶人。父为大夫，子为士，葬以大夫，祭以士。父为士，子为大夫，葬以士，祭以大夫。期之丧，达乎大夫。三年之丧，达乎天子。父母之丧，无贵贱一也。”

今译：武王晚年受命成为天子，周公完成文王与武王的德业，追加大王，王季的王号。以天子之礼往上奉祀大王以上的祖先。他所制订的礼仪推广应用到诸侯大夫，士与平民身上。若父亲为大夫，儿子为士，则父亲去世时举行大夫的葬礼，并采用士的祭礼。若父亲为士，儿子为大夫，则父亲去世时举行士的葬礼，并采用大夫的祭礼。为旁系亲属的一年之丧，应用范围到大夫为止。为父母的三年之丧，则一直应用到天子。为父母守丧的期限，不分贵贱身份，天下人都一样。”

نص القطعة الثالثة :

"ولما تولى الملك " وُو وانغ " ملك الصين، وصار ابن السماء الأعلى، وهو قد بلغ من شيخوخته، كان أخوه الأمير " تشو قونغ " استكمل مأثر أبيه " وُون وانغ " وأخيه الكبير

٢٢٧- أمير " تشو قونغ "، وهو الابن الرابع لأبيه الملك " وُون وانغ "، وكان البذ الوصلي لأخيه الكبير الملك " وُو وانغ " في تأسيس مملكة " تشو "، وأصبح الوصي على العرش لابنه أخيه الملك " تشونغ وانغ " الصغير السن وقتئذ ومساعدته في إدارة البلاد بالأمير والاستقرار. والأمير " تشو قونغ " قد حدد نظام الأدب والطبوس في توليق الروابط الاجتماعية خلقا وسلوكا، وكان نظام الأدب والطبوس هذا لم يقتصر تأثيره في عهد مملكة " تشو " فقط، بل امتد نفوذه في تاريخ الصين منذ ثلاثة آلاف سنة حتى يومنا الحاضر. وكان الأستاذ كونغ تشيوس منذ شبابه يعتبر الأمير " تشو قونغ " قدوة حسنة له، ويراه دائما في رؤياه.

الملك " وُو وَانغ " التي لم يتمها في حياتهما، فلقب جدّه الأعلى " ثائى وانغ " ^{٢٢٨} وجدّه " وانغ جى " لقب الملك شرفاً ومدحاً لفضائلهم العظيمة، وأقام لهما الرسوم الملكية في تقديم القرابين للأسلاف القدامى من أجداده للذكرى والحميدة. وكان نظام الآداب والطقوس الذى وضعه الأمير " تشو قونغ " يعمّ نفوذُه كلَّ طبقات المجتمع من الأمراء والوزراء والمتقنين إلى عامة الناس، ومن أمثاله: إذا كان الأب وزيراً وابنه مثقفاً وعالماً وثوفاً الأب فسوف يدفن بطقوس جنازة الوزير ويقدم له القرابين بآداب المثقف فى معبد آبائه. وبالعكس، إذا كان الأب مثقفاً وعالماً وابنه وزيراً وثوفاً الأب فسوف يدفن بطقوس جنازة المثقف العالم ويقدم له القرابين بآداب الوزير. ومن أمثال نظام الآداب والطقوس أيضاً: إذا ثوفاً أحد من قرابة الحواشى كانت مدة الحزن عليه سنة كاملة يعمّ حدادها طبقات الوزراء والمتقنين وعامة الناس بدون الملك والأمراء. وأما إذا ثوفاً أحد من قرابة النسب المباشرة فتصبح مدة الحزن عليه ثلاث سنوات يعمّ حدادها جميع الطبقات حتى الملك بلا استثناء؛ إذ كان جنازة الوالدين سواء، فلذا على الملك والرعية فى حداده ذكر مناقبه والدعاء له.

الشرح:

يتحدث المؤلف فى هذه القطعة عن فضائل الأمير " تشو قونغ " فى استكمال مآثر أخيه الملك " وُو وَانغ " وأبيه الملك " وُو وَانغ " المفقودين، بتحديد نظام الآداب والطقوس وينشر خلق البرّ وفقاً لمنهاج الوسطية والاعتدال، فى سبيل توثيق الروابط الاجتماعية خلقياً وسلوكياً. قال العلامة " جُو شى " فى شرح مقاصد هذه القطعة: " يتحدث هذا النص عن مآثر الأمير " تشو قونغ " خاصة، ومن أهمها أمران: الأول هو تلقيب الجدّ الأعلى والجدّ بلقب الملك تشريفاً، إدراكاً لأمنية أبيه وأخيه المفقودين فى برّ الأبناء، وذكرنا لخدمات جدّه الأعلى وجدّه فى تمهيد أبس مملكة " تشو ". وقول النص: " الأسلاف القدامى من أجداده " المراد به من جدّ الجدّ

٢٢٨ - " ثائى وانغ "، اسمه " دان "، ولقبه " وُو قونغ " وكنيته " فو "، وهو من ميمى لإمارة " تشو " بعد انتقاله بقبيلته إلى وادى جبل " ثائى شان " (يقع حالياً فى مقاطعة " شان شى " بنرى الصين)، أصبح أول أمير لإمارة " تشو " بتعيين الحكومة المركزية للمملكة " شياوانغ " وقتئذ، وكان مسالماً الأخلاق ومجيد الأعمال، ثوباً لشخصيته الفاضلة انضم إليه القبائل الأخرى حوله، فصار لإمارة " تشو " قوة متينة للبنية يوماً بعد يوم. توفي الأمير " وُو قونغ دان فو " حوالى سنة ١١٤٦ ق.م.

حتى الجد الأول. والأمر الثاني هو تحديد نظم الآداب والطقوس مع تعيينه على كل أبناء طبقات المجتمع في أنحاء بلاد الصين، فنقام الجنازة حسب منصب المتوفى، وتقام طقوس القرابين حسب منصب ابنه المزموق. كما كانت مدة الحداد لمدة كاملة وما أقل منها طبقة الأمراء وتخفف منها عن طبقة الوزراء. وأما حداد الوالدين فمدته ثلاث سنوات، وهو سواء على الملك والمملوك، بما فيه فرضية على الخاص والعلم بلا تفريق ولا تمييز.^{٢٢٩}

وقد أخبرنا سجل تاريخ الصين أنه لما صعد الملك "ووانغ" على عرشه كان قد بلغ سناً كبيرة، وتوفي بعد ثلاث سنوات، ومع وفاته كلف أخوه الأمير "تشو قونغ" بالوصية على عرشه لعون ابن أخيه الملك "تشينغ وانغ"^{٢٣٠} الصغير حينئذ. فأدى الأمير "تشو قونغ" واجبه بكل جد وإخلاص، وخاصة أنه قام بأمرين مهمين من أجل تأمين أمن مملكة "تشو" الجديدة: الأول: تثبيت شرعية مملكة "تشو" بتلقيب الأباء بلقب الملك تشريفاً؛ والأمر الثاني: هو إقرار كل أبناء طبقات المجتمع المختلفة على دورهم بتحديد نظام الآداب والطقوس.

ولقد حدد الأمير "تشو قونغ" نظم الآداب والطقوس في سبيل توفيق الروابط والعلاقات الاجتماعية خلقياً وسلوكياً، مشتملاً على كل جوانب حياة الإنسان الواقعية كبيرة كانت أو صغيرة. وعلى سبيل المثال: فمن جانب الطقوس الاعتقادية وقد بين نظام الآداب في عبادة السماء الأعلى (تيان)، وفي تقديم القرابين إلى ملائكة الجبال والأنهار وفي تقديس أرواح الأباء والخ؛ ومن جانب المبادئ الأخلاقية بين فضائل الرحمة والعدل والأمانة والعفة وغيرها تبييناً وتوضيحاً؛ ومن جانب إدارة شؤون الدولة، فصل نظام الإقطاعية وآداب الدبلوماسية وتخطيط المدن والخ؛ ومن جانب القواعد السلوكية في الحياة الواقعية، فصل آداب الزواج وبلوغ سن الرشد وآداب الضيافة

٢٢٩- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٩٧-١٩٦.

٢٣٠- الملك "تشينغ وانغ" (١٠٥٥ ق.م - ١٠٢١ ق.م) اسمه "جي شونج" وهو الملك الثاني لمملكة "تشو". وعندما ورث السلطة للملكية كان عمره اثني عشر سنة، فكان الأمير "تشو قونغ" كلف بالوصية على عرشه. فصار الملك "تشينغ وانغ" في حكمه بصورة رسمية عندما بلغ عشرين من عمره. وفي عصره وعصر ابنه الملك "كلغ وانغ" دخلت المملكة بعون الأمير "تشو قونغ" والوزراء الصالحين الأكتفاء في أشد قوتها وأكثر ازدهارها، فلذلك معروف في تاريخ الصين بـ "فترة الأوج لعهد تشينغ - كلغ".

ومراسم التأبين وإلخ.^{٢٣١} فلم يقتصر تأثير نظام الآداب والطقوس الذي حدّده الأمير "تشو قونغ"، على عهد مملكة "تشو" وقتئذ فقط، بل امتد نفوذه في تاريخ الصين منذ ثلاثة آلاف سنة، حتى يبقى كثير منها في يومنا الحاضر، ونراه في التقاليد والعادات اليومية عند أهل الصين.

وبالجملة، يبيّن القطع الثلاث المذكورة في هذا الفصل مآثر الملك "وون وانغ" الأب والملك "وو وانغ" الابن والأمير "تشو قونغ" الأخ، فكلّ منهم ورث عن سلفه خلقاً كريماً وسياسة حكيمة في تأمين البلاد وتوطيد أركان المجتمع، وفقاً لروح منهاج الوسطية والاعتدال مع تكيف ظروفهم المختلفة. وهم لقومهم قوة حسنة تتمثل في شخصية الرجل الفاضل المثالي عند الكونفوشيوسية، مستحقاً لأن يقتدى به واحد من الخلف سواء أ كان ملكاً أو مملوكاً. في حياتهم الواقعة مهما تتغير العصور.

ولقد أشار المؤلف في القطعة الثالثة أثناء بيان مآثر الأمير "تشو قونغ" إلى أن برّ الآباء ليس بالإحسان إليهم في الحياة فحسب، بل هو خلق وفضيلة يستمر تأثيره بعد وفاتهم أيضاً. فمهد المؤلف بهذه الإشارة إلى أهمية البرّ المعروف ومقاصده الاجتماعية والاعتقادية كما سيبيّنها في الفصل القادم.

٢٣١- تفاصيل نظام الآداب والطقوس مطبوعة في مجموعة الكتب الثلاثة لنظام الآداب عند الكونفوشيوسية. يمكن الرجوع إليه للبحث والدراسة.

第十九章

原文：子曰：“武王、周公其达孝矣乎！”

今译：孔子说：“武王与周公，大概是最孝顺的啊。”

الفصل التاسع عشر

التمهيد:

ألقى المؤلف هذا الفصل بالفصل السابق وبيّن مقاصده بأسلوب بليغ ومطّى أوسع، وذكر فيه أنه لم يرث الملك "وَوِثَّ" وأخيه الأمير "تَشُو قُونغ" مآثر آبائهم من الأخلاق الحميدة والسياسة الحكيمة فقط، بل قد بلغا أيضا أوج خُلق البرّ المعروف وأصبحا فيه قوة حسنة لأبناء المجتمع الصينى فيما بعد. وخاصة أنه كان الأمير "تَشُو قُونغ" يتخذ خُلق البرّ فكرة مرشدة فى تحديد نظام الآداب والطقوس وفقا لمطالب منهاج الوسطية والاعتدال، من أجل توثيق العلاقات الاجتماعية المتنوعة خلقيا وسلوكيا.

فخلق برّ الوالدين وإحسان مآثرهما خُلق معتدل فى نظر الكونفوشيوسية، وهذا الخلق للمعتدل متواجده عملا منذ أكثر ثلاثة آلاف سنة فى تاريخ الصين يرشد ويثبت الروابط الأخلاقية فى تنظيم شؤون المجتمع وإدارة أمور الدولة. وهو ليس خلقا عنصريا يعزل العلاقة النفسية بين الآباء والأبناء فى الأسرة فقط، بل يؤسس نظرية مستقلة فى فكرة المحيا والممات، ويقوى روح الاتحادية الاجتماعية فى بلاد الصين أيضا. ومع هذه الترابط المعنوية بين خُلق البرّ وبين النظرية الاعتقادية لفكرة المحيا والممات، أصبح معبد الآباء وطقوس القرابين عند الكونفوشيوسية ليس فيه فوائد معنوية وتعليمات تربية فسيح، بل صار أساسا ثابتا يعزّز الاتفاقية بين العلاقات الاجتماعية المختلفة، وأصبح جسرا معنويا ينظم الاعتدالية فى إدارة شؤون الدولة عندهم أيضا. وعلى أساس أهمية خُلق البرّ وضرورته فى استكمال مآثر الآباء السابقين خلقيا وسلوكيا، كان كل واحد فى مجتمع الصين التقليدى - سواء أكان ملكا أو مملوكا - يهتم بطقوس القرابين وآدابها غاية الاهتمام. كما يذكرها المؤلف فى أربعة قطع خلال الفصل، والقطعة الأولى هى:

نص القطعة الأولى:

" قال الأستاذ: لعل الملك 'وَو وانغ' وأخاه الأمير 'تشو قونغ' قد بلغا إلى البرّ المعروف بكامله."

للتّرح:

لقد بين المؤلف مجملًا في بداية الفصل السابق أن البرّ المعروف الذي أذاه الملك "وَو وانغ" وأخوه الأمير "تشو قونغ" هو البرّ الكامل الذي يشير إليه جميع أبناء المجتمع في بلاد الصين حمدا ووفاء، وهو قدوة حسنة في برّ الآباء واستكمال مآثرهم الخلقية والسلوكية.

قال العلامة "جُو شِي" في بيان معاني النصّ وكشف مغامبة الفصلين السابقين باللاحق بقوله: " كلمة المعروف هنا المراد بها معنى الكامل. وكان هذا النصّ يلحق بما ذكر في الفصل السابق من مآثر الملك "وَو وانغ" وأخيه الأمير "تشو قونغ" متركزا على الخلق العظيم في البرّ المعروف، وهو البرّ الكامل الذي يشير إليه جميع أبناء المجتمع في أنحاء بلاد الصين حمدا ووفاء. وكان الفصل السابق يذكر المؤلف فيه أن الملك "وَو وانغ" قد ورث الأخلاق الحميدة والسياسة الحكيمة من أبائه منذ ثلاثة أجيال، حتى جلس على عرش ملكوت بلاد الصين وأعاد الأمن والسلام فيها. وكان الأمير "تشو قونغ" بعد وفاة أخيه الكبير الملك، استكمل مآثر أبيه وأخيه الفقيدين بقلقيب الأجداد السلف بلقب الملك ذكرا ومجدا، وذلك هو أهم شيء في حسن متابعة أميّنات السلف. وأما إيراد فضائل الأمير "تشو قونغ" بتحديد نظام الآداب والطقوس في هذا الفصل، فذلك من أجل التوفيق بين ما ذكر في الفصل السابق وبين ما سيذكر هنا من طقوس القربان ومقاصدها المعنوية." ٢٤٢

وكان خلق برّ الآباء خلقا عظيما وقاعدة مرشدة في حضارة الصين قديما وحديثا، فاتخذ الكونفوشيوسية معيارا عنصريا في توفيق العلاقات الاجتماعية المختلفة خلقيا وسلوكيا، حتى يصرح مؤسس مذهب الكونفوشيوسية على الوجوب والالتزام بخلق برّ الوالدين حسب نظام الآداب، حيث سئل الأستاذ مرّة عن معنى البرّ، قال: لا منافاة. قيل: فما المراد بها؟ فلجأ:

٢٤٢- انظر: التّرح اللفظي لكتاب الوسيطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٩٧-١٩٦.

عندما كان الوالدان في قيد الحياة اخدمهما حسب نظام الآداب، ولما توفيا أقم الجنائز حسب نظام الآداب وقدم إليهما القرابين وطقوس الذكر حسب نظام الآداب. " ٢٢٢

فلندرس مقاصد خلق البر الاجتماعية والاعتقادية عند الكونفوشيوسية فما يلي من القطع

الثلاثة التالية، وهي:

الـمـنـصـب : 子曰: "夫孝者, 善继人之志, 善述人之事者也。春秋, 修其祖庙, 陈其宗器, 设其裳衣, 荐其时食。宗庙之礼, 所以序昭穆也; 序爵, 所以辨贵贱也; 序事, 所以辨贤也; 旅酬下为上, 所以逮贱也; 燕毛, 所以序齿也。"

الـمـنـصـب : 孔子说: "所谓孝顺, 是说好好继承先人的志向, 好好延续先人的事业。每逢春秋二季祭祀之时, 要修缮祖先的宗庙, 陈列祖先的器物, 安设祖先的衣裳, 供奉应时的食物。宗庙的礼仪, 是为了要安排昭与穆的顺序。排列爵位的等级, 是为了要分辨贵与贱的顺序。派任祭祀时的职事, 是为了要辨别贤能的人。众人聚会让晚辈为长辈斟酒之礼, 是为了让身份低卑的人也可以表达敬意。祭祀结束的宴会则依毛发颜色入座, 是为了分辨年龄的长幼。"

نص القطعة الثانية :

" إن البر هو حسن المتابعة لأمنيات الآباء السلف وحسن الاستكمال لمآثرهم الباقية. فلما جاء موسم تقديم القرابين في أربعة فصول لكل سنة, يجب على الأبناء أن يرتبوا معبد الآباء احتراماً, ويعرضوا آنية الآباء الهامة رمزا لمآثرهم, ويأمنوا ملابسهم المستعملة في قيد حياتهم, ويقدموا لهم طعاماً طازجاً في الموسم قريئاً. كما في مناسبة إقامة الطقوس ينبغي على الأبناء والنسب أن يصفوا صفوفهم حسب نظام صف اليسار المتبوع وصف اليمين التابع, حتى يتبين الكبار من الصغار والقريب من البعيد في النسب؛ وعليهم أن يرتبوا مواقعهم في داخل الصف

حسب مكانتهم الاجتماعية حتى يتفرق رفع المنزلة من رذيلها؛ وأن يعينوا وظائف الطقوس حسب الكفاءة والأهلية حتى يتميز قوى القدرة من ضعيفها؛ وأن يقيموا الصغار من أفراد الأسرة كأسا في خاتمة الطقوس إلى الكبار حتى تتيح الفرصة لتشريف الصغار على احترام الكبار؛ وأن ينظموا مجالس الحفلة العائلية بعد إتمام الطقوس حسب بياض الشعر وسواده حتى يتفوق الشيوخ على الشباب إكراما وإحسانا.

الشرح:

لقد ذكر المؤلف في هذه القطعة مفاهيم البر المعروف باعتباره القوة الحسنة في الملك "وَوَإِنِّغ" وأخيه الأمير "تَشْو قونغ"، في حين متليتهما لأمنيات الآباء وحسن الاستكمال لمآثرهم، مع بيان كيفية طقوس القربان في معبد الآباء و تعاليمها الاجتماعية بالنسبة إلى الكونفوشيوسية. فكانت مقاصد خلق البر المعروف هنا تدور على ثلاث أفكار مهمة، وهي:

الأولى: تحديد معنى البر المعروف، وخاصة عن مضمونه المعنوي بعد وفاة الآباء. وذلك كما أخبرنا النص: حسن المتابعة لأمنيات الآباء السابقين، وحسن الاستكمال لمآثرهم الباقية إدراكا. فكان الملك "وَوَإِنِّغ" قد تابع أمنية أبيه العظيمة بعد وفاته بإعادة السلام والأمن في بلاد الصين عن طريق إزالة طغيان الملك "جيو" الفاجر وحل محله ملكا وسلطة. ولما ثوفي الملك "وَوَإِنِّغ" وترك المملكة مستحدث تأسيسها، قام الأمير "تَشْو قونغ" باستكمال مآثر أبيه وأخيه الكبير الفقيد، عن طريق تحديد نظام الآداب والطقوس من أجل تأمين أسس المجتمع وتثبيت قواعد الدولة خلقيا وسلوكيا.

الثانية: تبين كيفية طقوس القربان في معبد الآباء ومقاصد آدابها المعنوية. وذلك يتمثل في أربعة أمور، أولا- أن يجتد ويزين الخلف معبد الأجداد في كل موسم لأربعة الفصول السنوية، عبارة عن ورع الخلف واحترامهم للسلف باطنا وظاهرا. وثانيا- أن يعرض الأواني الهامة التي استعملها الأجداد في قيد حياتهم، إشارة إلى ذكر الخلف وحفاظهم على مآثر الآباء السلوكية. وثالثا- أن يعرض ملابس السلف الموروثة في المعبد، عبارة عن مراقبة الآباء الروحية

وعنايتهم على الأبناء. ورابعا - أن يقدم الخلف لسلفهم الفقيد طعما طازج الموسم قربانا متواضعا، إشارة إلى شوق الأبناء ونكرهم.

الثالثة : تفصيل تعاليم الطقوس الروحية ومنافعها الاجتماعية المرشدة. وذلك بالتركيز على خمس قواعد أخلاقية هامة، القاعدة الأولى- تعزيز درجات القرابة، متمثلا في تنظيم الصفوف حسب نظام أولية اليسار وثانوية اليمين، لبيان السلف من الخلف والقريب من البعيد في النسب؛ والقاعدة الثانية- تعظيم أولى الأمر والمناصب، منعكسا في ترتيب صفوف الحاضرين في الطقوس حسب رفيع المنزلة الاجتماعية ورنيلها. والقاعدة الثالثة- تقديم الصالحين والأكفاء، متمثلا في تعيين وظائف الطقوس حسب الأهلية والقدرة. والقاعدة الرابعة- تراحم الصغار والضعفاء، منعكسا في تأدية الصغير كاسا تحية إلى الكبير. والقاعدة الخامسة- إكرام الشيوخ وكبار الأسنان، متمثلا في تنظيم مجالس الحفلة حسب بياض الشعر وسواده لتفريق الشيوخ على الشباب.^{٢٢٤}

وكانت هذه القواعد الخمس الأخلاقية على أسس منهاج الوسطية والاعتدال، تصيح رابطة وثيقة لا تنفصم عروتها في استقرار المجتمع وتأمين البلاد خلقيا وسياسيا مع مرور الزمان ومواجهة عجالات تاريخ الصين منذ ثلاثة آلاف سنة.

وقد انقهننا من دراسة نص القطعة الثانية وفوائدها، ووصلنا إلى نص القطعة الثالثة، وهي:

原文：子曰：“践其位，行其礼，奏其乐，敬其所尊，爱其所亲。事死如事生，事亡如事存，孝之至也。”

今译：孔子说：“在祭礼中，登上昔日祖先行祭时的位置，行祖先之礼，奏祖先之乐，敬重祖先所尊敬的人，爱护祖先所亲爱的人。事奉死者有如事奉生者一般，事奉亡故的先人有如事奉尚存的长辈一般，这就是达到孝顺的最高标准了。”

٢٢٤- انظر: الشرح النظمي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا مولغ، الصفحة ٢٠٢.

نص القطعة الثالثة:

" قال الأستاذ: كان الملك الوارث^{٢٣٥} يرفع في معبد الآباء اللوحة المنقوشة التي عليها أسماء الملوك السلف تذكيراً، ويقوم بالطقوس التي أقام بها الآباء الفقيدون في قيد حياته ورعا، ويعزف على آلات الموسيقى الطقوسية وقارا التي عزف عليها الآباء السلف، ويحترم من احترامه، ويرحم من رحمته، ويخدم آباءه السلف كما خدمهم في حياتهم، ويعاملهم في فقدانهم كما يعامل الكبار الأحياء، حينئذ لقد بلغ إلى البر المعروف حقاً. "

الشرح:

لخص المؤلف " نس سي " في هذه القطعة مقاصد البر بعد وفاة الآباء في حسن متابعة آميات السلف الخلقية واستكمال مآثرهم السلوكية، مع بيان أنه إذا كان الابن يخدم أباه المتوفى كما خدمه في حياته، ويعامله في فقدانهم كما يعامل الكبار الأحياء، فذلك هو البر المعروف عند الكونفوشيوسية.

قال العالم " تشينغ هاو " في كشف مناسبة القطعة هذه بقوله: " يعتبر النص بأداب الملك في بر والده الفقيد كاسوة حسنة عامة في رحم الرعية المملوكة، وفي استكمال مآثر الآباء السلف خصوصاً، وذلك هو البر المعروف بكل معنى الكلمة. " ^{٢٣٦}

وهذه القطعة صوّرت لنا صورة حية من أسوة حسنة في خلق البر المعروف من الملك الابن " وو وانغ " وأخيه الأمير " تشو فونغ "، ويكشف المؤلف من خلالها جوانب الطقوس الاعتقادية والتعليمات الاجتماعية في خلق البر المعروف عند الكونفوشيوسية.

ومن جانب الطقوس الاعتقادية يتمثل في رفع اللوحة باسم الملك السالف الفقيد ذكراً له، وإقامة طقوس القران له ورعا، وعزف الموسيقى الطقوسية وقارا. وأما من جانب التعليمات الاجتماعية فذلك ينعكس في احترام من الذي احترامه الملك السلف، وهم أهله وذريته، وفي رحم

٢٣٥- يشير به إلى الملك " وو وانغ " وأخيه الأمير " تشو فونغ " كقدوة حسنة في هذا المجال.

٢٣٦- انظر: الشرح للطقن لكاتب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٠٣.

من الذي رحمه الملك السالف، وهم رعاياه وشعبه. وبذلك يحقق معنى العبارة في النص بقوله: "ويخدم أباه السلف كما خدمهم في حياتهم، ويعاملهم في قفدانهم كما يعامل الكبار الأحياء." فهذا هو المثل الأعلى لخلق البر المعروف في حسن متابعة أمهات السلف وحسن استكمال ماثرهم خلقيا وسلوكيا.

وعلى أساس النظرية المستقلة هذه في فكرة المحيا والممات، يعتبر الكونفوشيوسية أن خلق البر ليس رابطة أخلاقية تنظم العلاقات الاجتماعية المختلفة في حياة الإنسان الواقعة فقط، بل هو أيضا جسر مخوي يتواصل بين الماضي (الأسلاف المفقودين) والحاضر (الأبناء الوارثين) والمستقبل (الذريات القادمين).

ونظرا لهذه الأسباب الأخلاقية والاجتماعية والاعتقادية، كانت الكونفوشيوسية تهتم بخلق البر اهتماما كبيرا، كما يؤكد المؤلف "تس سي" في كتابه هذا من خلال فصوله الثلاثة المتتالية مع الشرح والتمثيل المفسر. والآن وصلنا إلى خاتمة الفصل هذا، وهي قضية أهمية طقوس القربان للسماء (تيان) باعتباره الإله الأعلى ومهمة تقديس أرواح الآباء، مبينا لفوائدها المؤثرة في إقرار أسس المجتمع وإرشاد شؤون البلاد، وهي:

原文: 子曰: "郊社之礼, 所以事上帝也。宗庙之礼, 所以祀乎其先也。明乎郊社礼, 禘尝之义, 治国其如示诸掌乎!"

今译: "举行郊社之礼祭拜天地, 是为了事奉上帝。举行宗庙之礼, 是为了祭祀祖先。只要明白郊社之礼仪节与禘尝之礼的意义, 治理国家就好像看着自己手掌那么简单。"

نص القطعة الرابعة:

" قال الأستاذ: إنما طقوس القربان التي قام بها الملك في ضاحية عاصمة البلاد لعبادة (شيبانغ دي)^{٢٢٧}؛ وطقوس القربان التي قام بها الملك في معبد الآباء بالفصول الأربعة بمثابة

^{٢٢٧}- شيبانغ دي: وهو اسم آخر للسماء " تيان " بمعنى المالك الأعلى. قال سجل التاريخ: " شيبانغ دي اسم آخر للسماء (تيان) لا يوجد إله آخر غيره. " انظر: الملف الثامن والعشرين، سجل التاريخ، ل " سي ما تشان ".

ذكرى الأجداد السابقين. وإذا فقه الملك مقاصد إقامة الطقوس في عبادة (شِيَانغ دِي)، وإذا يفهم معاني تقديم القرбан في تذكير الأجداد السابقين، ليعلم حقيقة إدارة شؤون البلاد بكل سهولة، كما يسهل له أن ينظر إلى بصمات كفيه لنفسه. "

الشرح:

كان المؤلف يذكر في هذه القطعة أهمية طقوس القرбан في عبادة (شِيَانغ دِي) وفي تذكير الأجداد السابقين ومآثرهم ، بيانا لمقاصدها الاجتماعية والاعتقادية في تنظيم أسس المجتمع وإرشاد شؤون الدولة عند الكونفوشيوسية.

كشف " جينغ شوان " أسرار المناسبة بين هذه الطقوس الاعتقادية وبين حقيقة إدارة شؤون البلاد وقال: " وكانت مقاصد الطقوس هذه لبيان القواعد الاجتماعية خلقيا وسلوكيا في تنظيم أصحاب المناصب واحترام الصالحين وإكرام توى القرى، وإذا فهم الحاكم حقيقتها يسهل له إدارة شؤون بلاده وهذا مثلما يدور كرة صغيرة في يده بكل سهولة. " ٢٣٨

وفي مجتمع الصين التقليدي كان القدماء يعتبرون أن إقامة طقوس القرбан وإعداد الجيش لدفاع الوطن أمرين كبيرين لا يستغنى عنهما الحكومة في إدارة شؤون الدولة ٢٣٩. فطقوس القربان ما كان دورها يتمثل في تنظيم المجتمع من جانب الاعتقاد فقط بل أيضا تلعب دورا رئيسيا في توفيق العلاقات الاجتماعية حسب نظام الآداب. ومن أهمها تقديم القرбан في طقوس عبادة (شِيَانغ دِي)، وطقوس القربان لذكرى الأجداد السابقين. ولقد بين لنا المؤلف للنوع الثاني في القطعات السابقة بالتفصيل، وهو نظام يعم قاديته على كل طبقات أبناء المجتمع من الملك إلى الرعية على سواء.

وأما النوع الأول فهو طقوس القربان في ضاحية العاصمة لعبادة (شِيَانغ دِي)، وهي طقوس تخص الملك وحده بإقامته على صورة رسمية فخمة. فكان الملك يستحم ويصوم قبلها لمدة

٢٣٨- انظر: الفهرس لللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٠٤.
٢٣٩- ارجع إلى: سفر الزبيح والخريف برواية السيد زو، دار الطباعة لمكتبة الصين، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م، الجزء ٢٧، الصفحة ٩٣١.

ثلاثة خلوة، ويأمر وزير الكهنوت بكتابة كلمات الدعاء والحمد، ويقرأها الملك - يستمع إليها جميع وزرائه والحاضرين - في معبد (ثييانغ دي) بكل احترام وتقوى، ثم يبدأ بتقديم القرابين العظيمة وغيرها من الأمور المتعلقة بهذه المراسيم المقدسة.^{٢٢٦}

ففي نظر الكونفوشيوسية أن المقاصد الاعتقادية والاجتماعية في طقوس القربان لعبادة (ثييانغ دي) وفي تذكير الأباء السابقين ومآثرهم الخلقية والسلوكية، لم تقتصر على توفيق العلاقات الاجتماعية فحسب، بل يلهم الإنسان أيضا إلى التفكر في أصل وجوده ومسؤوليته للآخرين في العالم. فكانت هذه المقاصد الروحية في تلك الطقوس المقدسة تتفق مع مبادئ تأسيس البلاد وتثبيت أسس المجتمع، وذلك كما ينص في خاتمة القطعة هذه بقول: " وإذا يفهم معنى تقديم القربان في تذكير الأجداد السابقين، ليعلم حقيقة إدارة شؤون البلاد بكل سهولة، كما يسهل له أن ينظر إلى بصمات كفته لنفسه."

ولقد اتخذ المؤلف هذه الجملة الخاتمة تمهيدا لطيفا للفصل القادم - سؤال الأمير " آي قونغ " عن السياسة وإدارة الدولة، وهو الفصل القيم لبيان مفاهيم الكونفوشيوسية للسياسة المثالية والمجتمع المرشد، كما هو أطول الفصول حجما وأكثرها شرحا في هذا الكتاب، فلنأت إلى دراسته فيما يلي :

٢٢٦- يمكن الإرجاع إلى كتاب الأدب، دار الطباعة لمكتبة اللصين، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م، الفصل ١٢، الصفحة ٧٧٩.

第二十章

原文：哀公问政，子曰：“文武之政，布在方策。其人存，则其政举；其人亡，则其政息。人道敏政，地道敏树。夫政也者，蒲卢也。”

今译：鲁哀公向孔子问政治。孔子回答说：“文王武王所推行的政治，都记录陈列在木版和竹简上，现在仍明明白白可以稽考。圣君贤臣存在着，那么政治就顺利推行；圣君贤臣没有了，那么政治就会停息。用君臣协德的人道推行政治就会立即见效，正像树木种在地上就会迅速成长一样。文王武王时的政治，由于圣君贤臣相配合，就会立即产生治国平天下的效果，好像蒲苇生长一样迅速。”

الفصل العشرون

التمهيد:

وهذا الفصل يحتوى على موضوعات كثيرة، ويقسم نصته إلى أربع عشرة قطعة، وهو أطول الفصول في هذا الكتاب. صنفه المؤلف "ثس سي" على أسلوب الحوار، وفيه سؤال الأمير "آي فونغ" ^(٢٤١) للأستاذ كونفوشيوس عن سياسة الدولة الرشيدة ومناهج إدارتها، وأجابته كونفوشيوس أن السياسة الرشيدة والقوية بالنسبة إلى الدولة، تعتمد على وجود الحكام الصالحين فيها، فالحاكم لا بد منه أن يهذب نفسه بالأخلاق الفاضلة ويتبع طريق الحق في حياته السياسية، ويختار موظفي الحكومة ذوي الخلق والكفاءة، ولا بد منه أن يعطي من نفسه مثلاً في التطبيق العملي بالمبادئ الأخلاقية الخمسة الأساسية وبالأخلاق الثلاثة الكبيرة، ويبدأ في تطبيقه العملي الخلق بنفسه أولاً، ثم يطلب الآخرين من الوزراء وموظفي الحكومة ورعيته الجماهير. كما بين فيه الأستاذ كونفوشيوس للأمير "آي فونغ" القواعد التسعة الرئيسية في إدارة الدولة وسياساتها الرشيدة مع بيان طريق تنفيذ هذه القواعد التسعة ومنافع ممارستها. وفي آخر هذا الفصل أشار

٢٤١- "آي فونغ"، هو أمير إمارة "لر" التي ولد فيها الأستاذ كونفوشيوس، وكان حاكم الإمارة من بين ٤٩٤ ق. م إلى ٤٦٨ ق. م. لقد اتخذ الأمير "آي فونغ" للأستاذ كونفوشيوس مستقبراً له، بعد ما عاد إلى مسقط رأسه بدعوته في عام أربعين وأربعة وثمانين قبل الميلاد من جولته لمدة طويلة في الإمارات الأخرى تابعاً إلى أفكار مذهبه الإصلاحية السياسية.

الأستاذ كونفوشيوس إلى مفتاح التهذيب النفسى والإصلاح الذاتى بالأخلاق الحميدة، وهو "الإخلاص والصدق" فى قلب الإنسان الباطن، ويرى تطبيق العمل بهذه القواعد التسعة السياسية بدون "الإخلاص والصدق" فهى تجعل الأنظمة والمناهج السياسية كلها فارغة معناها وقيمتها، كما أشار فى الفصل أيضا إلى كيفية الوصول إلى الإخلاص والصدق وأسلوب ممارسة تلك القواعد السياسية.

وإذا نقرأ نصوص هذا الفصل لأول مرة، ربما نجدها مقراخ المضمون ومتباعد بعضها عن الآخر، ولكن فى الواقع أنه دقيق محكم فى الترتيب وعميق المعرفة والتحليل يشمل الجوانب المختلفة، ويقتل بعضه ببعض آخر فى تناسق النصوص. فضلا عن ذلك كان "الإخلاص والصدق" هو محور الفصل كله. وهذا هو الفكر الأساسى ومنعه المؤلف فى طريق منهاج الوسطية والاعتدال. فلذا قد إحتوى هذا الفصل على الأمور الكثيرة يتناولها من أمر التهذيب النفسى ويرى الوالدين وتنظيم علاقات أفراد الأسرة إلى تأسيس العلاقات الإجتماعية الإنسانية كلها حتى إلى أمور إدارة الدولة وسياساتها الداخلية وبناء العلاقات الدولية الخارجية. نأتى الآن إلى نصوصها بما يلى:

نص القطعة الأولى:

"سأل الأمير ' آئ فونغ ' الأستاذ كونفوشيوس عن سياسة البلد، فأجابه وقال: " منهج السياسة والإدارة للملك " وون وائغ" والملك " و و وائغ" ما زال محفوظا ومسجلا فى ألواح يامبو، فمنكن لنا المراجعة إليها بالدراسة والاسترشاد. وإذا يوجد الحاكم الصالح والوزراء الطيبون المتمثلون بهؤلاء الملوك السلف الصالحين، فسوف تحقق السياسة الرشيدة فى البلاد، وسوف يصير المجتمع ثابتا ومستقرا، ولو غاب الحاكم الفاضل والوزراء المخلصون المقنون بهؤلاء الحكام الصالحين، لزلت السياسة الرشيدة القويمة، وحدثت الاضطرابات والقلق فى المجتمع. ومن أجل تحقيق السياسة الرشيدة، لو تعاون الحاكم مع وزرائه تعاونا وثيقا، واتحد معهم اتحادا قويا، لكانت الأمور السياسية كلها سريعة مفعولها وتنفيذها، وهذا مثل النبات إذا

زُرعت في الأرض الخصبة، فهي تنمي بسرعة وحيوية. فلذا، إنمثل رعاية الحاكم الصالح لرعيته بالسياسة الرشيدة وإثبات المجتمع بمحاسن أخلاقه، كمثل صلاحية الأرض الخصبة لنمو نبات التيف والقصب وخروجها منها بسرعة ونشاطاً.

الشرح:

وفي هذه القطعة تحدث المؤلف عن أهم الاتجاهات السياسية في الكونفوشيوسية، وهي أن السياسة الرشيدة القوية في البلاد لا تبقى إلا مع بقاء الحكام الصالحين، ولا تذهب إلا مع ذهابهم، وقد أكد أهمية الدور العظيم للحكام الصالحين في قوة الدولة واستقرار المجتمع، والنص هنا يبين وجهة السياسية الكونفوشيوسية هذه على أسلوب إجابة الأستاذ كونفوشيوس عن سؤال "آي قونغ"، ويخبره: إذا يريد أن يحقق السياسة الرشيدة في بلده، فيكفي له أن يتمثل بالملوك الحكماء القدامى في مناهجهم الإدارية في بلاد الصين القديمة، مثل الملك "وون وانغ" و الملك "وو وانغ"، وهما الملكان الحكيمان في الزمن القديم قبل الأستاذ كونفوشيوس لخمس قرون، ولكنهما أعطيا مثلاً من أنفسهما، وقد جمعا بين الحكمة العظيمة وبين الكفاءة الفاتحة، مع جمعهما بين العلم الواسع وبين الأخلاق الفاضلة، كما كان عندهما وزراء أفاضل مثل الأمير "تشو قونغ" ^{٢٤٢} والأمير "تشاو قونغ" ^{٢٤٣}، وحيث كان آنذاك من بين الملك والوزير اتحاداً قوياً وتعاوناً وثيقاً، فلذلك لقد حققوا السياسة الرشيدة في بلاد الصين، وكان حكمهم الإداري ومنهجهم السياسي قد سجل في الكتب الكلاسيكية، ونحن الآن يمكن أن نرجع إليها بالدراسة استقاراً منها، ولكن اليوم لا نجد مثل هؤلاء الملوك الصالحين والوزراء المخلصين في بلادنا، فزالَت السياسة الرشيدة مع ذهاب هؤلاء الحكام الحكماء القدامى.

وهذه النظرية السياسية عند الكونفوشيوسية معروفة بـ "السياسة الرحيمة"، تؤكد أهمية صلاحية رجال الدولة خلقياً وسلوكياً في إدارة شؤون أبناء المجتمع، وهي تقوم على أساس فكرة

٢٤٢- الأمير "تشو قونغ" : ارجع إلى الصفحة ١٤٢ من مائشة الفصل الثامن عشرة .

٢٤٣- الأمير "تشاو قونغ" ارجع إلى الصفحة ٣٩، الهامش للفصل الأول.

الرحمة والعدل ونظام الآداب القديم، وفي سياسة أمور المجتمع، هذه النظرية السياسية تبرز أهمية أخلاق الحكّام وتأثير سيرتهم في تنفيذ السياسة، وجدير بالذكر أنّها لا تشجّع الحكّام على استخدامهم أسلوب العقوبة الشديدة، كما قال الأستاذ كونفوشيوس: "إذا حكم الحاكم رعاياه بالشدة والقسوة القانونية وفرض عليهم العقوبات العنيفة، فربما يجنب الناس عن الجريمة خوفاً من الحدود القانونية، ولا حياة لهم من قبائح الجريمة وفواحشها؛ ولكنه إذا بهّذب الحاكم رعيته على الفضائل ويحتلهم بنظام الآداب، فسوف يمنع الشعب أنفسهم تلقائياً من ارتكاب الجريمة حياة وعفة، يرضون بإدارته الرشيدة وحكمه الرحيم سمعاً وطاعة." ٢٤٤

وكلام الأستاذ كونفوشيوس هذا يطلب الحاكم من أن يكون واسع الرحمة لرعيته وطيب الأخلاق ومستقيم السلوك، أي يطلب منه أن يكون قدوة حسنة بالأخلاق الحميدة لكي يقتدى بها رعيته، ويحكمهم بالطريق التهذيبى على الأخلاق والفضائل بدلاً عن العقوبات الشديدة القاسية. وعلى هذا الأساس، الكلمة "السياسة" هي الاعتدال والإصلاح، كما بينها الأستاذ كونفوشيوس عندما لسؤال "جى كائغ تش" ٢٤٥ عن معنى كلمة السياسة، وقال: "السياسة بمعنى الاعتدال والإصلاح، فإن تجعل اعتدال نفسك وإصلاحها كنسوة حسنة لرعيته، فمن الذى يجترء على الظلم ويأتى بالقصاص؟" ٢٤٦

فإنّ الحاكم هو ولى الأمر للشعب جميعاً، فلا بد أن يصلح نفسه أولاً، وبهّذب ذاته بالأخلاق الحميدة قبل أن يطلب ذلك من غيره. وإذا هُتّب نفسه وصار هو نفسه مستقيماً للإقتدى به الناس جميعاً فى بلاده. كما قال الأستاذ كونفوشيوس فى كتاب الحوار: "مثل الذى يحكم البلاد بالفضائل كمثل نجمة القطب تثبت فى محلها والنجوم تحوم حولها متوجهة إليها." ٢٤٧ وهذا يعنى أن الحاكم إذا بهّذب نفسه ويقوم ذاته بالفضائل، ويختار موظفى الحكومة الصالحين وطيبى

٢٤٤- كتاب الحوار بشرح جوشى، الفصل الثامن، الصفحة ٩٢.

٢٤٥- "جى كائغ تش"، المتوفى ٤٦٨ ق.م، رئيس الوزراء الجّار فى إمارة "لو" وكنته.

٢٤٦- كتاب الحوار بشرح جوشى، الفصل الثامن عشر، الصفحة ٢٣٦.

٢٤٧- كتاب الحوار بترجمة محمد مكي، الفصل الثامن، الصفحة ١٢.

الأخلاق، فلا يحتاج الحاكم إلى أن يحضر كل شيء بنفسه ويكفى له بأن يجلس على عرشه مستقيماً ومخلصاً، لأن كل واحد تحته يقتدى به ويزدنى ما ينبغي عليه بجد وإهتمام.

原文：子曰：“故为政在人，取人以身，修身以道，修道以仁。仁者，人也，亲亲为大，义者宜也，尊贤为大。亲亲之杀，尊贤之等，礼所生也。”

今译：孔子说：“所以说治理国家在于贤人。在于君主先要修养自身，修养自身要遵循中庸之道，遵循中庸之道要以仁爱之心为本，仁的本义就是爱人，亲爱自己的亲人是仁中最重要的事情。义的本义就是处事合于道理，其中尊敬贤人最为重要。亲爱自己的亲人要分远近，尊敬贤人要分等级，这些都是由礼产生的。”

نص القطعة الثانية:

” قال الأستاذ: لذلك إن حكم البلاد بالسياسة الرشيدة يتوقف على الحاكم يختار موظفي الحكومة ذوي الخلق الحسن والكفاءة الفائقة، وإن اختيار الأشخاص ذوي الخلق الحسن والكفاءة الفائقة يتوقف على تهذيب الحاكم نفسه وإصلاح ذاته أولاً بالأخلاق الفاضلة، وإن تهذيب النفس وكمال الذات بالفضائل لا مفر له إلا أن يهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال ويتمسك به دائماً، والاهتداء بمنهاج الوسطية والاعتدال والتمسك به لا مناص منه إلا أن يطبقه على أساس فكرة الرحمة (رين)،^{٢٤٨} وما هو أصل فكرة الرحمة إلا وهو محبة الناس عامة، وأهم محبة الناس وأولها حب الوالدين والأهل وإحسان الأقارب؛ وأما فكرة العدالة (يي)^{٢٤٩}، فمعناها الأصلي هو

٢٤٨- الرحمة “رين”: يرجع إلى ٥٠ صفحة وبعده من الفصل الأول.

٢٤٩- العدالة: وهي في اللغة الصينية “يي”، أي عدالة و معروف ريز وبأثرة حميدة، وهو من أهم المفاهيم الأخلاقية في المذهب الكونفوشيوسي، وقد خبئته الرحمة (رين). عند الأستاذ كونفوشيوس، وهذا في هذا النص يشير إلى معناه الأصلي، وهو العدالة، يعني مناسب وملائم وصحيح، أي جعل السلوك لائقاً مع المعيار المعين مقتضداً ومناسباً في محله لا أكثر ولا أقل، وهذا يوافق معنى منهاج الوسطية والاعتدال. ولما جاء الأستاذ الثاني منشور طوّر فكرة لستاده “الرحمة - رين”، وقدم الحقيقة الأربعة الأخلاقية الأهم على أساس الرحمة - رين، وهي قلب الشفق وقلب الحياة وقلب التواضع وقلب التمييز الحق من الباطل، ومنها أن قلب الحياة مستتب العدالة، ويذكر دائماً “الرحمة - رين” و “العدالة “يي” معاً، ويتصل بهما اتصالاً وثيقاً. إذا فريد الشرح المفصل للثلاثة الأربعة الأخلاقية الأهم عند منشور، فنفضل بالرجوع إلى الفصل الأول للرسالة.

أن توافق الأمور حقيقتها. وأهم الأمور في العدالة هو احترام الصالحين وتقديرهم. فلا بد من التفريق في محبة الأهل وإحسان الأقارب؛ وهناك تمييز بين القريب والبعيد بالنسبة إلى النسيب، فلذا كان حبّ الوالدين وإحسانهما وحبّ أفراد الأسرة هو أولى الأمر وأهم شيء في تطبيق فكرة الرحمة؛ وأما احترام الصالحين وتقديرهم ففيه أيضا تمييز وتفرّق، فاحترام الصالحين لا بد من أن يقوم على أساس اختلاف الرتبة والدرجة بينهم. وما كان هذه الأمور التي ذكرناها الآن إلا تصدر عن نظام الآداب^{٢٥٠}."

الشرح:

وقد تحدث المؤلف في القطعة الأولى من الفصل عن الوجهات السياسية الكونفوشيوسية، وقد بيّن أن السياسة الرشيدة القويمة لا تبقى إلا مع بقاء الحكّام الصالحين، ولا تزيل إلا مع ذهابهم، وقد أكد النص أهمية تهذيب الحاكم نفسه وإصلاحه الذاتى بالفضائل؛ لأنّه كأولى الأمر يلزمه أن يكون قدوة حسنة لرعيته جميعا. وأما هذه القطعة فهي تتابع القطعة السابقة بمواصلة التحدث عن السياسة الرشيدة وشروطها، فأخبرنا هنا طريق التهذيب للحاكم وأسلوبه، وتحدث عن هذا الطريق على صورة واضحة ومعينة، وهي تشتمل على النقاط المهمة التالية:

أولا: إن الحاكم إذا أراد أن يحقق سياسته الرشيدة القويمة في بلاده، فهو لا بد أن يختار الوزراء والموظفين نوى الخلق الطيّب والكفاءة الممتازة لكي يستخدمهم في سبيل خدمة البلاد والمجتمع، وإذا اقتنع بحكمه هؤلاء الأشخاص نوى الخلق الطيّب والكفاءة الممتازة، فعليه أولا أن يهذب الحاكم نفسه بالفضائل، ويصلح ذاته بالأخلاق الحميدة.

وهنا مرة أخرى رجع النص إلى موضوع تهذيب النفس وإصلاح الذات وذكر أهميته بالنسبة إلى أولى الأمر جميعا وخاصة إلى الملك الحاكم للبلاد، لأنّ هذا الموضوع هو لب الموضوع وأساس الأمن في تحقيق القيم الأخلاقية عند مذهب الكونفوشيوسية. فقد أكد المؤلف هذا الموضوع مرارا وتكرارا؛ لأنّه إذا استقام الحاكم نفسه وصلح ذاته فصار له فكريا ومعيارا للوقوف

٢٥٠- نظام الآداب: ارجع إلى الصفحة ١٤-١٦ من الفصل الأول.

الصحيح على اختيار الأشخاص ذوي الخلق الطيب والكفاءة الممتازة وفي استخدامهم من أجل تحقيق السياسة الرشيدة في البلاد، وكذلك إذا صار الحاكم نفسه رحيماً ورشيداً، أحبّه الصالحون جميعاً يرغبون في الخدمة للبلاد بكل الإخلاص والجهود. كما قال تشنغ كونغ شى: "والحاكم مع أنه قد حصل على الأشخاص ذوي الخلق والكفاءة، ولاكنه إذا لم يكن نفسه يتّصف بصفات الرحمة والأخلاق الحميدة، ولم يكن له موقفاً سديداً ومعبّراً ثابتاً لإختيار موظفي الحكومة، فسوف يقع في الغلط بالأخذ والرفض لهم." ^{٢٥١}

ثانياً: قد أشار المؤلف في النص إلى أهمية العمل بـ "الرحمة - رين" وجعلها أساساً في تهيئته النفسي، كما نعرف أن فكرة الرحمة بمعناها الأصلية هي محبة الناس عامة، كما قال الأستاذ منشويس: "والمُتَّصف بصفة الرحمة هو الإنسان بكل معنى الكلمة." ^{٢٥٢} ولكن الكونفوشيوسية يرى أن حب الناس لا يمكن أن يقوم على درجة واحدة، بل فيه نظام الترتيب للمفاضلة على أساس تفريق القريب من البعيد نسبياً، فالوالدان والإخوة أولى بالاحسان والمحبة، وقال كتاب الحوار: "بِرّ الوالدين واحسانهما وحبّ الإخوة أساس فكرة الرحمة." ^{٢٥٣} فالحاكم إذا أراد أن يكون رحيماً، عليه أن يحبّ والديه حباً جماً ويحسنهما إحساناً كثيراً، ثم يحبّ الإخوة ويصلح العلاقة بينه وبينهم، ثم يأتي إلى محبة الأقرب فالأقرب بحسب القرابة، وهذه خطوة أساسية من تهيئ النفس للحاكم ولجميع الناس.

ثالثاً: أشار إلى أن العدالة هو أن توافق الأمور حقيقتها، وبعبارة أخرى أن يعطى الحق لمن يستحقّ به. وأهم شيء في تحقيق العدالة عند الأستاذ كونفوشيوس هو احترام الصالحين وتقديرهم على أساس الرتبة والدرجة خلقاً وعلماء، فالأصلح يستحقّ بالحصول على أكثر تقدير وأعظم احترام. وإذا كان برّ الوالدين واحسانهما وحبّ الإخوة صدرت من العواطف الإنسانية راسخاً في كيان

٢٥١- التشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٥٩.

٢٥٢- التشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شى، كتاب منشويس، الصفحة ٢١٢.

٢٥٣- كتاب الحولر بترجمة محمد مكي، الفصل الأول، الصفحة ٢.

الإنسان، فاحترام الصالحين وتقديرهم وإعطاء الحق إليهم، وهذا استنباط للعقل الإنساني الصحيح يقبله الناس جميعاً.^{٢٥٤}

رابعاً: وفي آخر النص قد بين المؤلف النقطة المهمة، وهي أن بين الوالدين واحصائهما وحب الأهل وكيفية هذه المحبة، وكذلك إحترام الصالحين وتقديرهم وإعطاء الحق إليهم وكيفية ذلك الاحترام والتقدير، وكل هذه الأمور الأصولية عند الكونفوشيوسية ليست إلا صادرة عن نظام الآداب. ومن هذه النقطة المهمة نلاحظ أن المؤلف وضع لنا في هذا النص أهمية معرفة الحاكم لنظام الآداب وضرورية التطبيق العملي بهذا النظام؛ لأن نظام الآداب هو ما جاء به الملوك الحكماء القدامى إمتثالاً بإرادة السماء (تيان) وإحكاماً للشؤون الإنسانية^{٢٥٥}، فالحاكم هو ولي الأمر، وعليه أن يعطى من نفسه مثلاً للشعب في اتباعه لنظام الآداب، فلا يمكن أن يخالفه.

وكذلك نلاحظ أن المؤلف بين في هذا النص أهمية تهذيب الحاكم النفسى على أساس منهاج الوسطية والاعتدال؛ وما كان منهاج الوسطية والاعتدال في نظرة المؤلف نطاقاً مثالياً للقيم الأخلاقية فحسب، بل هو منهج صحيح في مجال التطبيق العملي للأخلاق، والإنسان إذا لم يتخذ في الأخلاق والفضائل الوسط بين الجائين ولم يقتصد فيها، فقد يكون إما مفرطاً وإما مفرطاً فيها، وكلاهما لا يوافق مطلوب منهاج الوسطية والاعتدال عند الكونفوشيوسية.

原文: “在下位，不获乎上，民不可得而治矣！故君子不可以不修身。思修身，不可以不事亲；思事亲，不可以不知人；思知人，不可以不知天。”

今译: “在下位的人，如果不先得到君主的信任，就不可得民心，就不能治理人民，所以，君子不可以不修养自身，要想修养自身，就不能不事奉亲人，要想事奉父母亲人，就不能不了解人，要了解人，就不能不了解天。”

٢٥٤- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال لى ك خونج ، الصفحة ٢١٠.

٢٥٥- بيان نظام الآداب التكصيلي في الصفحة ١٥- ١٦ لهذه الرسالة، يمكن أن ترجع إليه.

" وإن الموظف الحكومي إذا لم يحصل على ثقة الحاكم أولاً، فهو لا يقدر على أن ينال ثقة الشعب ولا يستطيع أن يقوم بإدارة أمورهم وسياستها، فالرجل الصالح إذا أراد أن يحصل على ثقة الحاكم، فلا يسمع إلا أن يهذب نفسه ويصلح ذاته بالفضائل، وإذا يريد أن يهذب نفسه ويصلح ذاته بالفضائل، فلا يسمع إلا أن يخدم الوالدين وأهله، وإذا يريد أن يخدم الوالدين وأهله، فلا يسمع إلا أن يعرف الإنسان، وإذا يريد أن يعرف الإنسان، فلا يسمع إلا يدرك إرادة السماء (تيان) في بداية أمره."

الشرح:

وهذه القطعة تواصل بالتحدث عن طريق التهذيب النفسى عند الحاكم والإصلاح الذاتى على أساس معرفة الإنسان للسماء (تيان)، وقد سبق لنا أن الحاكم إذا يجيد إدارة البلاد ويحقق سياستها الرشيدة القوية فى البلاد، فهو لا يسمع إلا أن يهذب نفسه أولاً، ويكمل ذاته بالفضائل على منهاج الوسطية والاعتدال؛ لأن فى نظرة الكونفوشيوسية تهذيب النفس وإصلاح الذات للحاكم هو أساس الأمن للضمن من سلامة البلاد وأمن المجتمع.

إذن، كيف يبدأ الحاكم تهذيبه النفسى وإصلاحه الذاتى، وما هو طريقه فى هذا التهذيب على الصورة المعينة ؟ والجواب: عليه أن يشرعه من حب الوالدين وإحسان الأهل؛ لأنه هو أساس فكرة الرحمة (رين) فى نظرة الكونفوشيوسية، أى لا يسمع الحاكم فى تهذيبه النفسى إلا أن يبر والديه ويحسنهما أولاً، ويحب الإخوة ويحسن أفراد أسرته جميعاً. ومن بر الوالدين ومحبة الإخوة جاءت العلاقات النسبية بين الأقرباء، ومن علاقات القرية هذه أن يعرف الإنسان معنى العدالة، وأهم شيء فى العدالة هو احترام الصالحين ومصاحبة الطيبين استرشاداً بهم على طريق الحق، فلذا على الإنسان أن يعرف أخيه الإنسانى، أى عليه أن يتميز منهم الصالح والطالح، ويعلم الطيب والسيئ، ومن أجل معرفة الناس والتمييز بينهم، لا بد أن يعرف الإنسان السماء (تيان) وإرادته، ويفهم الحقائق التى قد خلقها على الإنسان. وهذا تفسير المؤلف " تس سي "

الاستنباطي عكسي للجملة الأولى من نص الفصل الأول بكتاب الوسطية والاعتدال، وهي: " ما يهبه السماء (تيان) للإنسان يسمى بـ " للطبيعة الفطرية (شينغ) "، واتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمى بـ " طريق الحق (دأو) "، وتهذيب الإنسان لنفسه وتركيبته لذاته على طريق الحق يسمى بـ " للتعليم والقريبة (جأو) ". وإذا تريد إعادة النظرة مرة أخرى إلى هذه الجملة الأولى من نص الفصل الأول، فسوف تدرك معنى القطعة هذا و سر علاقتها الوثيقة بتلك الجملة الفاتحة إدراكا عميقا.^{٢٥٦}

وجدنا هنا أن أساس الموضوع هو تهذيب النفس وتركيبه الذات بالأخلاق الفاضلة على أساس منهاج الوسطية و الاعتدال، و هذا التهذيب النفسي يصدر عن معرفة الإنسان لإرادة إله السماء، ومن هذه المعرفة للإله الموجد الخالق، عرف الإنسان طبيعة نفسه الخيرة الصالحة وحقائق الأسرار، ومنها عرف حقيقة بزر الوالدين وحب الأهل واحترام الصالحين والاقتراب منهم سدادا ورشادا، ومن هنا نلاحظ أن الفضائل ومكارم الأخلاق في الكونفوشيوسية لها مصدر راسخ ولها أساس ثابت يقوم على أساس معرفة الإنسان للسماء (تيان) وإرادته باعتباره الإله الأكبر الموجد للكون والإنسان جميعا.

إذن، ماذا يرى العلماء الكونفوشيوسيين في موضوع معرفة الإنسان للسماء (تيان) -

الإله الأكبر، نأتى إلى آراءهم فيها ما يلي:

وقال العالم الكونفوشيوسى " جينغ شوان " إنما يعرف الناس هنا أى يميز الإنسان الصالح من الطالح بين الناس، ومن تمييز الإنسان الصالح من الطالح يمكن أن يدرك ما يحافظ عليه بأمر السماء- تيان إدراكا جيدا.^{٢٥٧} ونلاحظ أن العالم " تشنغ شوان " هنا يشير بكلامه هذا إلى أن الصالح من الناس هو الذى يحفظه السماء- تيان بمكارم أخلاقه من تجلية فطرته الخيرة وإظهار هذه الفطرة بفضائله، وأما الطالح فهو بالعكس على ذلك. فلذا قصد معرفة الناس هو أى التمييز

٢٥٦- يرجع إلى النص من الفصل الأول وشروحه.

٢٥٧- الشرح التفصيلي لكتاب الوسطية والاعتدال لى كه غونغ، الصفحة ٢١٠ - ٢١١.

الصالح من الطالح بين الناس، وتقدير الصالحين والإقتراب منهم والصعوبة بهم، لكي يفهم من عندهم ما يحافظ عليه بأمر السماء (تيان).

ولشار بعض العلماء إلى أن " معرفة السماء (تيان) " في النص يراد به معرفة حقائق الأمور التي ينبع عن السماء- تيان، يحى إذا عرف الإنسان هذه الحقائق، فهو قد عرف العلاقات الإنسانية، وفهم حقائق الأمور في المجتمع الإنساني. فقال " تشنغ كونغ شوى " في شرح هذه القطعة: " لو كان التهذيب النفسى والإصلاح الذاتى بالفضائل لا يقوم على أساس برّ الوالدين وحب الأهل، لفقد حبّ الناس ترتيبه ونظامه، وصارت الرحمة - رين لا أساس لها، وإذا قد أكمل برّ الوالدين وحبّ الأهل لقد حقّق أساس الرحمة - رين، ولكن لو لم يفهم أحد معنى العدالة فى احترام الصالحين وتقديرهم، لما قدر على تمييز الحقّ من الباطل، ولا يستطيع تفريق الخير من الشر، فلذا لا يعرف كيف عطاء الحق لمن يستحقّ به، ولا يفهم كيف ممارسة الأمور توافقا لحقيقتها. إذن من يهذب نفسه ويصلح ذاته بالفضائل ولم يكن على أساس برّ الوالدين وحبّ الأهل، ومن يعرف الناس ولم يتميّز الصالح من الباطل بينهم، فهو الذى لم يعرف بطل حقائق الأمور التي ينبع عن السماء (تيان)."^{٢٥٨}

原文: “天下之达道五，所以行之者三。曰：君臣也，父子也，夫妇也，昆弟也，朋友之交也。五者，天下之达道也。知，仁，勇三者天下之达德也。所以行之者一也。”

今译: “自古及今天下通行的道理有五，用来实行这理的方法有三。君臣，父子，夫妇，兄弟，朋友之间的交往，这五件，是天下通行的道理。知，仁，勇这三件，是天下通行不变的美德。要实行它就靠一个诚字。”

٢٥٨- الشرح اللفظى لكتاب لومطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢١١.

نص القطعة الرابعة:

" هناك خمس مبادئ أخلاقية أساسية في العلاقات الإنسانية معمولاً عاماً بها منذ زمن قديم إلى يومنا الراهن، والطريق الذي يطبق به هذه المبادئ هو ثلاثة: أمانة المحكوم للحاكم، وبر الابن للأب، والصبر والتحمل بين الزوجين، والمودة والشفقة بين الإخوة، والوفاء بالعهد بين الأصدقاء، وهذه الخمسة هي المبادئ الأخلاقية الأساسية. وإن المعرفة والرحمة والشجاعة هذه الأخلاق الثلاثة هي الأخلاق الثابتة العظيمة. وهذه الأخلاق الثلاثة وتلك المبادئ الخمسة لا يحقق تطبيقها العملي تحقيقاً كاملاً، إلا أن يعتمد تطبيقه على شيء واحد. "

الشرح:

يبين هذا النص العلامة " جو شى " وقال: " إن ' المبادئ الأخلاقية الأساسية ' في هذا الفصل يراد بها القواعد السلوكية العامة والمقررة بالناس جميعاً في الدنيا كلها. وتحدث الأستاذ الثالثي " منشيوس " عن هذه العلاقات الخمسة الإنسانية بقوله: (إن علاقة الابن بالأب علاقة أصلية وفرعية من ناحية الولادة، فالأب يرحم الابن والابن يبر الأب. وعلاقة الحاكم بالمحكوم تقوم على العدالة ونظام الأدب، وعلى الحاكم يعتنى بالمحكوم ويهتم بأمورهم، وعلى المحكوم أن يكون أميناً للحاكم. وعلاقة الزوج بزوجته تقوم على المحبة والمودة، وعلى الزوج أن ينفق على الزوجة، والزوجة عليها أن تطيعه. وعلاقة الأخ بأخيه تقوم على النصب، فالأخ الكبير عليه أن يحب أخيه الصغير، وعلى الأخ الصغير أن يحترم أخيه الكبير. وأما العلاقة بين الأصدقاء فهي تقوم على الوفاء بالعهد والمحافظة على الوعد). " ويستمر " جو شى " في شرحه وقال: الكلام في النص: " وإن المعرفة والرحمة والشجاعة هذه الأخلاق الثلاثة هي الأخلاق الثابتة العظيمة. " والكلمة " المعرفة " في هذا القول يعنى إدراك هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية ومعرفة مرادها معرفة حقيقية، و " الرحمة " فيه يعنى تحقيق هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية وإظهارها كاملاً في حياة الإنسان الواقعية، وأما " الشجاعة " في هذه الجملة يراد بها التطبيق العملي بهذه المبادئ الأخلاقية الأساسية بالقوة وبالجهد الأقصى. وأما " الأخلاق الثابتة العظيمة " في النص

يراد بها الأخلاق المشتركة في الثناء عند الناس جميعا في الدنيا بأمرها. وفي النص الأخير " إلا أن يعتمد تطبيقه على شيء واحد " واللفظ فيه " شيء واحد " إنما يراد بها الإخلاص والصدق. فالمبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة مع أنها هي القواعد السلوكية العامة والمقررة بالناس جميعا في الدنيا كلها، ولكن لو لم تخلط الأخلاق الحميدة الثلاثة في تطبيق هذه المبادئ، ولم تجمع في التطبيق العملي بين هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة وبين تلك الأخلاق الحميدة الثلاثة، لما حققت تحقيقا كاملا، فصار المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة شكليا بلا معنى لها. وكذلك الأمر في تطبيق هذه الأخلاق الحميدة الثلاثة، لو نقص من تطبيقها شيء واحد وهو " إخلاص والصدق "، لكان النفس والهواء يخلط بهذه الأخلاق العظيمة خلال تطبيقها، فأصبحت هذه الأخلاق الحميدة أخلاقا باطلة وكاذبة. " ٢٥٩

إن المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة في العلاقات الإنسانية التي ذكرت في هذا النص هي أهم القيم الأخلاقية عند مذهب الكونفوشيوسية، كما هي طريق مهم لا يستغنى عنها أي واحد يريد التهذيب النفسي والإصلاح الذاتي على الأخلاق الفاضلة، فلذا تأخذ هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة مكانة عظيمة جدا في كتاب الوسطية والاعتدال؛ لأن من خصوصيات مذهب الكونفوشيوسية أنه يهتم اهتماما كبيرا بتأسيس العلاقات الإنسانية الاجتماعية ويعتني بإصلاح هذه العلاقات الاجتماعية على أساس الطبيعة الإنسانية الخيرة، فربطت هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة هي أهم شيء يجب لكل واحد أن يدرس حقائقها وأن يفهمها جيدا.

والجدير بالذكر أن " المعرفة والرحمة والشجاعة " هذه الأخلاق الثلاثة الصيدة هي أهم الأخلاق وأعظمها عند المذهب الكونفوشيوسي، وقد أثنى الأستاذ كونفوشيوس على من عنده خلق المعرفة وخلق الرحمة وخلق الشجاعة في كتاب الحوار وقال: " من الذي يملك الرحمة فهو لا يحزن، ومن الذي يملك المعرفة فهو لا يضل، ومن الذي يملك الشجاعة فهو لا يخاف. " ٢٦٠

٢٥٩- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوشي الصفحة ١٧.
٢٦٠- كتاب الحوار الفصل الرابع عشر، ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة ص: ٢٦٨.

وقد سبق بياننا أن تهذيب الإنسان النفس وتزكيته الذاتى على الفضائل هو القاعدة الأساسية لتطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، وهو أهم الموضوع الأخلاقى فى مذهب الكونفوشيوسية، وكيف الإنسان يهتدى بطريق الحق ويتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال ؟ وخاصة كيف يطبق الإنسان تطبيقاً عملياً لهذه الأخلاق العظيمة الثلاثة وتلك المبادئ الخمسة الأخلاقية على أساس منهاج الوسطية والاعتدال بدون الإفراط ولا التفريط فيه ؟ يرى الكونفوشيوسية أن التعلم والدراسة هو الطريق الموصلى الذى يؤدى به الإنسان إلى معرفة هذه الأخلاق الحميدة العظيمة والمبادئ الأخلاقية المفطورة من السماء - تيان، فمن أجل تهذيب نفسه وتزكيته ذاته على هذه الأخلاق العظيمة وتلك المبادئ الخمسة الأخلاقية الأساسية، يحتاج الإنسان إلى التعلم والدراسة فيها على الدوام والاستمرار، فالتعلم والدراسة هو الطريق الذى يؤدى به الإنسان إلى طريق الحق - طريق السماء - تيان، أى إلى طريق طبيعة الإنسان الخيرة و فطرته السليمة، والإنسان يخلق أخلاقه الفاضلة ويظهر فطرته السليمة التى قد غطاها النفس والهواء من حب الشهوات، فمن هنا قد أكد المذهب الكونفوشيوسي أهمية كسب الإنسان للأخلاق الحميدة عن طريق التعلم والتربية، وهو ضرورى فى تكميل طبيعته الإنسانية وتأمين حياة الإنسان الاجتماعية على الأمن والسلام. والقطعة التالية سوف نتحدث عن البحث والدراسة فى هذه الأخلاق العظيمة وتلك المبادئ الخمسة الأخلاقية الأساسية، وعن أساليبها المختلفة حسب مواهب الإنسان الطبيعية، وهى:

原文: “或生而知之，或学而知之，或困而知之，及其知之一也。或安而行之，或利而行之，或勉强而行之，及其成功一也。”

今译: “有人天生聪明不待学习而知此天下的道理，有经过学习之后而知的，有经过困惑发愤之后而知的，但最后达到有知则是一样的。有安适而去实行这达道的，由贪求利益而去实行的，有勉强用力而去实行的，但最后达到有知则是一样的。

" من الناس من يعرف بطبيعته الحقائق العامة المقررة ^{٢٦١} وهو لم يدرسها و لم يبحث فيها بالجهود، ومنهم من يعلمها بعد الدراسة و البحث فيها بجذ واجتهاد، ومنهم من يشعر بالحيرة و مشوش ذهنه في هذه الحقائق، فبدأ بالبحث و الدراسة فيها، ثم عرقيا بعد دراسته الصعبة والمجدة، وهذه الأنواع الثلاثة من الناس يختلفون باختلافهم في الدراسة والحصول على العلم صعبا أو سهلا في سبيل معرفة الحقائق، ولكن في الأخيرة يصل كل واحد منهم إلى معرفة الحق وإدراكه، وهم على السواء من هذه الناحية، وأما التطبيق العملي لهذه الحقائق، فبعض الناس يطبقها من أجل كسب المعيشة والرخاء، والبعض يطبقها لكي يطمع به في المنفعة لنفسه، والبعض الآخر لم يطبقها إلا بالجهود والصعوبات، وهذه الأنواع الثلاثة من الناس يختلفون في تطبيقها أيضا وتعاني فيه العسر والسر في سبيل العمل بهذه الحقائق، ولكن في الأخيرة يمكنهم أن يصلوا جميعا إلى التطبيق العملي للحق، وهم على السواء من هذه الناحية. "

الشرح:

هذه القطعة تبين لنا اختلاف الإنسان في مواهبه الطبيعية وبذلك يؤدي إلى اختلافهم في درجات طلب العلم ومعرفة طريق الحق، وكذلك يؤدي إلى اختلاف تطبيقهم العملي لمنهاج الوسطية والاعتدال، مع هذه الأحوال المختلفة بين الناس في مواهبهم الطبيعية ودرجات معرفة طريق الحق وطلبهم فيه، كان الهدف الذي يسعى الإنسان وراءه في طلبه العلمي و تطبيقه العملي واحد موحد، وهو يهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال و يكمل إنسانيته بالأخلاق والفضائل.

وقال العلامة " جوشي " في شرح هذا النص: " الحقائق " في النص التي يطلبها الإنسان بالبحث والدراسة ويطبقها بالقوة والجهد هو طريق الحق، فلذا، الذي حصل له العلم عنه فهو عالمه والذي طبق هذا العلم فهو رحيم، والذي وصل إلى قمة هذا العلم ونجح في تطبيقه العملي

٢٦١- هنا يشير إلى معرفة المبادئ الخمسة الأخلاقية الأساسية وتطبيقها مع تطبيق الأخلاق الثلاثة العظيمة من المعرفة والرحمة والشجاعة.

فهو شجاع. وأما من درجة العلم به ورغبة التطبيق العملي لطريق الحق، فمن أدركه بموهبته الطبيعية، ثم طبقه وهو مطمئن القلب، فهو عارف وعالم، ومن عرفه بالبحث والدراسة، ثم استفاد من علمه هذا سلوكيا وتطبيقيا، فهو رحيم صالح، ومن عرفه بالصعوبة والمشقة، ثم طبقه بالجهد والقوة، فهو شجاع. وإن الإنسان جميعهم مفطور على طبيعته الخبرة وفطرته السليمة، ولكنهم في مواهبه الطبيعية يختلف بعضهم عن بعض آخر، إذن كانت معرفة الإنسان عن طريق الحق مختلف بعضهم عن البعض، عرفه البعض مبكرا والبعض الآخر علمه متأخرا، وكذلك تطبيق الإنسان لطريق الحق مختلف بعضهم عن البعض، وهذا الإنسان يطبقه سهلا وذلك بحقه صعبا. ولكن أي واحد ما دام يحاول أن يبذل الجهود في طلب العلم عن طريق الحق، ثم يتمكن به بالقوة والدوام، ولا يقف عن تطبيقه العملي في طول حياته، فهو في الأخير يستطيع أن يصل إلى طريق الحق، ولذا كان الهدف الذي يصل إليه واحد ومحدد. " ٢٦٢

وقد لاحظنا في هذا النص أن الأستاذ كونفرشيوس قسم مواهب الإنسان الطبيعية إلى ثلاثة أصناف، الأول عرف طريق الحق بالفطرة دون التعلم والدراسة فيه، والثاني عرفه بطريق البحث والدراسة، والثالث عرفه بطريق التعلم أيضا، ولكن تعلمه وبحث فيه بالجهد والمشقة وبذل الجهود الكثيرة في سبيل الحصول عليه. كما رأى أن الناس مع أنهم على هذه الأصناف بمواهب الطبيعة، ولكن ما دام يصرّ على أن يطلب العلم في سبيل طريق الحق ويثبت به ويثابر على أن يتبع طريق الحق سلوكيا وعمليا، فهو على السواء مع الآخرين؛ لأن العلم الذي حصل عليه وطريق الحق الذي وصل إليه واحد ومحدد.

原文：子曰：“好学近乎知，力行近乎仁，知耻近乎勇。”

今译：孔子说：“喜欢学习就接近于知了，用力去实行就接近于仁了，知道羞耻就接近于勇了。”

نص القطعة السادسة:

" قال الأستاذ كونفوشيوس: من أحب العلم، وواظب على الدراسة، وهو لا يشعر بالتعب في سبيل دراسته، فقد تقرب من المعرفة، ومن طبق ما تعلمه بالقوة وعمل الخير، فقد تقرب من الرحمة (رين)، من استحيى وعرف الحياء، فقد تقرب من الشجاعة."

الشرح:

هذه القطعة من النص قد تابعت القطعة السابقة وأخبرت أن حب العلم والتعلم وتطبيق العلم وعمل الخير ومعرفة الحياء، هذه الصفات الثلاثة هو المدخل للأخلاق الفاضلة كلها، ومن اتصف بهذه الصفات الثلاثة فقد اقترب من الأخلاق الحميدة الكبيرة، وهي " المعرفة والرحمة والشجاعة." وهذه الثلاثة من أهم الأخلاق الفاضلة وأكبرها عند مذهب الكونفوشيوسية كما ذكرناها سابقاً، فالرجل الصالح لا بد منه أن يتصف بهذه الثلاثة، وهي ركن أساسي لا يستغنى عنه في تهذيبه النفسي وإصلاحه الذاتي على طريق الحق.

والعالم الكونفوشيوسى " كونغ بينغ دا " قال في شرح هذه القطعة من النص: " الإنسان مادام يحب العلم ويرغب في التعلم فهو يصير عارفاً بكل شيء، ولا تخفى عليه الأمور، فقل النص " فقد تقرب من المعرفة " وإذا طبق ما تعلمه تطبيقاً عملياً في حياته الواقعة قولاً وفعلاً، ويحث نفسه على الخير والمعروف، فقد تقرب من الرحمة - رين، وبما علم ودرس يستحيى و يعرف ما هو الحياء والعار، ويبذل أقصى الجهود في سبيل عمل الصالح والمعروف، فقد تقرب من الشجاعة." ٢٦٢

وبالنسبة إلى الأخلاق الثلاثة الكبيرة من المعرفة والرحمة والشجاعة، يقول النص: إنحب العلم والاستمرار في التعلم يجعل صاحبه قريباً من الحكمة، وتطبيق العلم وعمل الخير يجعل صاحبه قريباً من الرحمة - رين، والاستحياء وعرف الخجل يجعل صاحبه قريباً من الشجاعة، لما إذا يستعمل الأستاذ كونفوشيوس هنا كلمة " التقرب " نجد العلامة الكونفوشيوسى " تشنغ هاو "

٢٦٢- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ٢١٦.

شرحها على أحسن وجه، فقال: " إن الذي يحب العلم ويرغب في التعلم مع أنه لا يصل إلى المعرفة تماماً، ولكن يكفه أن يرفع عن الجهل بعيداً عنه، وإن الذي طبق ما تعلمه بالقوة وعمل الخير مع أنه لا يصل إلى الرحمة رين تماماً، ولاكن يكفه أن يتغلب على الأنانية المضمومة، وإن الذي يستحيي ويعرف ما هو الخجل، مع أنه ليس بشجاع تماماً، ولاكن يكفه أن يرفع عن الضعف والجنون." ٢٦٤

ويرى الأستاذ كونفوشيوس هنا أن الإنسان إذا هذب نفسه وأصلح ذاته على طريق الحق، فلا مفر منه أن يحب العلم والتعلم، ويطبق ما علمه عملياً، ويعمل الخير والمعروف بقوة، وكذلك لا بد منه أن يتصف بصفة الحياء، فحب العلم وتطبيقه العملي بما علمه والاستحياء من الأخلاق المضمومة، هذه الصفات الثلاثة هي اجتياز العتبة للأخلاق الفاضلة ومفتاح الطريق الذي يؤدي إلى طريق الحق، لأن الإنسان إذا أحب العلم ثم تعلمه بالقوة فهو يمكن أن يفهم الحقائق ويميز الحق من الباطل ويفرق الخير من الشر، وإذا طبق ما علمه تطبيقاً عملياً، فسوف يتقدم في طريق الحق يوماً فيوم؛ ولأن معرفة الحياء والخجل يجعل صاحبه قوى الإرادة وعقد العزم على تهذيب نفسه وإصلاح ذاته بالأخلاق الحميدة، وإذا كان الإنسان مجتهداً ومواظباً في هذه الصفات الثلاثة، فهو ممكن على وجه التقريب أن يصل إلى مقام المعرفة، والرحمة (رين)، والشجاعة هذه الأخلاق العظيمة.

原文：“知斯三者，则知所以修身，知所以修身，则知所以治人。知所以治人，则知所以治天下国家矣。”

今译：“知道好学，力行，知耻这三件事，就知道用来修养自身的方法了，既知道用来修养自身的方法，就知道用以治理他人的方法了，既知道用以治理他人的方法，就知道用来治理天下国家的方法了。”

" إذا عرف الإنسان أهمية هذه الأمور الثلاثة، فقد وقف على أسلوب يهتّب به نفسه وقد عرف طريقا يصلح به ذاته على منهاج الوسطية والإعتدال، وإذا عرف أسلوب التهذيب النفسى والإصلاح الذاتى، فقد عرف السبيل الذى يمكنه أن يعرف به كيفية إدارة شؤون الناس وسياستها، وإذا عرف كيفية إدارة شؤون الناس وسياستها، فقد عرف أسلوب سياسة شؤون أمور المجتمع والدولة كلها. "

الشرح:

قال العلامة " جوشى " فى شرح هذه القطعة: " إن الكلام فى النص ' إذا عرف الإنسان أهمية هذه الأمور الثلاثة. ' وهى الأمور الثلاثة التى تكرها نص القطعة السابقة، والأول منها: حبّ العلم والمثابرة على الدراسة دائما بدون تعب ولا ملل منها. والثانى: التطبيق بالقوة ما تعلّمه وعمل الخير والمعروف. الثالث: عرف الحياء والعار. ثم كلمة ' الإنسان ' فى النص هى تعم كل واحد من الناس، سواء أ كان إدارة أمور البلاد أو إدارة شؤون المجتمع، والإنسان يلعب أهم الدور فيها، فلذلك إن إدارة أمور البلاد أو إدارة شؤون المجتمع لا مفرا منها أن يهتّب الإنسان نفسه ويصلح ذاته أولا، ومن هذه النقطة اتصل هذا النص بالنص السابق يتحدّث حول لبّ الموضوع فى هذا الفصل، وهو تهذيب الحاكم نفسه وإصلاحه الذاتى على طريق الحق، كما فتح الحديث هنا عن الأصول التسعة فى القطعة القائمة فى مجال إدارة الحاكم لأمر البلاد وسياستها. " ٢٦٥

وهذه القطعة قد لخص ما أراد النص السابق بأن حبّ العلم وتطبيقه على طريق عمل الخير والاستحياء، وهذه الأمور الثلاثة هى الباب الذى يدخل به كل واحد فى الأخلاق الفاضلة، وهى أساس الأسس الذى يقوم عليها تهذيب الإنسان النفسى والإصلاح الذاتى له، لأن تهذيب الإنسان النفسى لا يكمل ولا يحقق إلا بالأخلاق الحميدة الأساسية وهى المعرفة والرحمة وبن

والشجاعة، وإذا اتصف الإنسان بهذه الثلاثة من الأخلاق الفاضلة وأكملها بصورة كاملة، فهو يقدر على أن يدير أمور البلاد ويقود أهل البلاد إلى الأمن والسلام؛ لذا أن تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الحميدة هو أول واجب على جميع الإنسان عامة وعلى الحاكم خاصة عند مذهب الكونفوشيوسية، لأن الحاكم إذا بهتّب نفسه وبسّلع ذاته أولاً على طريق الحق، فسوف تكون أسرته متنسقة ومنظمة بسبب قدوته الحسنة، وإذا تسقّى كل أسرة في البلاد وتحسن مثل أسرة الحاكم، فالبلاد كلها تصبح متنسقة ومنظمة فننتشر الأمن والسلام في البلاد بأسرها، وبالتالي العالم كله يتمتع بالأمن والسلام، وهذا هو اعتقاد الكونفوشيوسية الأساسي في القيم الأخلاقية وفوائد تهذيب النفس الحاسمة على سعادة الإنسان الفرد ومستقر المجتمع وأمن الدولة وصلاحها.

原文: “凡为天下国家有九经，曰：修身也，尊贤也，亲亲也，敬大臣也，体群臣也，子庶民也，来百工也，柔远人也，怀诸侯也。”

今译: “凡是治理国家有九条准则，就是修养自身，尊敬贤人，亲爱亲族，礼敬大臣，体谅群臣，慈爱老百姓，招集百工技艺，优待边远的外族来客，安抚四方的诸侯。”

نص القطعة الثامنة:

“ وكل حاكم من الحكام عليه أن يتبع تسعة قواعد أساسية ثابتة في إدارته البلاد وسياسته لها، والأولى من هذه القواعد التسعة: تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الحميدة؛ والثانية: احترام الصالحين وأصحاب الخلق الكفاء؛ والثالثة: التقرب من الأقرباء جميعاً وإحسانهم؛ والرابعة: تكريم الوزراء وتشريفهم؛ والخامسة: تفاهم الموظفين عنده والتعاطف معهم؛ والسادسة: حنان عامة الشعب والشفقة عليهم؛ والسابعة: اجتذاب أصحاب الفن والمهارة واستجلاب العقال الحرفيين؛ والثامنة: تنفيذ سياسة التقريب والتسامح بالأجانب من أنحاء العالم ومنح الأفضلية في المعاملة لهم؛ التاسعة: إقناع الأمراء في البلاد وإرضائهم بالسياسة العادلة.”

الشرح :

قال العالم الكونفوشيوسى " كونغ بينغ ذا " فى بيان معنى النص: " فى هذه القطعة من النص قد بين الأستاذ كونفوشيوس للأمير ' أي قونغ ' الخطوط الكبرى لسياسة البلاد وإدارة أمور الدولة، فهناك تسعة خطوط هامة يجب على الحاكم أن يأدبها دائما بالتنفيذ والتحقيق، وقد قسم هذه الخطوط الكبرى إلى تسعة نقاط على صورة الفهرست. " ٢٦٦

وفى النص ذكر هذه الخطوط التسعة بترتيب أهميتها الكبرى، فأهمها بالنسبة إلى الحاكم هو تهذيب النفس وإصلاح الذات على طريق الحق، كما قال العالم " ليو زو تشان " فى ذلك: " أساس إدارة البلاد وسياستها هو تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الحميدة، فلذا بالنسبة إلى الحاكم برأس الخطوط التسعة الكبرى فى سياسة البلاد هو تهذيب نفسه قبل كل شيء وإصلاح ذاته بالأخلاق الفاضلة، والحاكم لا يتقنم فى طريق تهذيب النفس وإصلاح الذات إلا أن يتعلم من الصالحين وأصحاب الخلق والكفاءة، ويصاحبهم دائما ويشاورهم فى شؤون البلاد؛ فلذا جاء بإحترام الصالحين وأصحاب الخلق والكفاءة فى الرتبة الثانية من الخطوط التسعة. وبالنسبة إلى الحكومة إن حنان عامة الشعب والشفقة عليهم شيء مهم فذكره قبل اجتذاب أصحاب الفن والمهارة وإستجلاب العمال الحرفيين، وبالنسبة إلى البلاد ومكائنها فى العالم كلها، سياسة التقريب والتسامح بالأجانب من أنحاء العالم ومنح الأفضلية فى المعاملة لهم هو شيء مهم جدا، فلذا جاء هذا قبل إقناع الأمراء وإرضائهم بسياسته العادل، وهكذا ذكرت الخطوط التسعة الكبرى على ذلك الترتيب من وجهة أهمية الأمور فيها. ومعاملة الوزراء بالتعاطف والتفاهم كأنهم يدا الحاكم وساقاه، ومعاملة عامة الشعب بالحنان والشفقة عليهم كأنهم أبناءه وبناته، وهذا هو الفرق بين معاملة الحاكم به الوزراء له ومعاملته به عامة الشعب. " ٢٦٧

وهنا عرض الأستاذ كونفوشيوس للأمير " أي قونغ " الخطوط الكبرى على صورة الترتيب والتنسيق، وهذه الخطوط التسعة قد دلت على الحكم القائم على الأخلاق الفاضلة فى

٢٦٦- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ٢١٩.

٢٦٧- المصدر السابق نفسه، الصفحة ٢١٩ - ٢١٠.

الكونفوشيوسية، وكل شيء فيه يقوم على أساس الأخلاق، فليس البلاد وكل شيء منها إلا تحت رعايته بالأخلاق الحميدة وتربيته بالفضائل. وعلى أساس تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الفاضلة، وقد صور لنا المؤلف "نفس سي" الطبعة للزرقاء للحكم القائم على القيم الأخلاقية عند الكونفوشيوسية، أي "يقود الحاكم رعيته بالفضائل ويصلحها بالأداب"، كما وجدنا نفس الفكر في النظرية المشهورة بكتاب المعرفة الكبرى، وهي "تهذيب النفس وإصلاح الذات أولاً، وتنسيق الأسرة وتنظيمها ثانياً، وإدارة البلاد وسياستها على الأمن والسلامة ثالثاً، ونشر الأمن والسلام في العالم أخيراً".^{٢٤} وعلى أساس هذه النظرية كان علماء الكونفوشيوسيون يضعون تهذيب النفس وإصلاح الذات على الباب الأول، ويرجون نيل الوظيفة من الحكومة لكي يحملوا واجباتهم في إدارة البلاد ونشر الأمن والسلامة فيها. وهذه صارت أمنيته العظيمة على طول تاريخ الصين القديم.

原文: “修身则道立，尊贤则不惑，亲亲则诸父昆弟不怨，敬大臣则不眩，谅群臣则士之报礼重，子庶民则百姓劝，来百工则财用足，柔远人则四方归之，怀诸侯则天下畏之。”

今译: “君主修养子身就能确立中庸之道，尊敬贤人，做事就不至于迷惑，亲爱亲族，伯叔兄弟就不会怨恨，礼敬大臣，遇事就不会慌乱，体恤百官士人竭尽全力报恩，像儿子一样爱护老百姓，百姓就会服从、并努力生产，若招来百工技艺，就会货物充足，财源茂盛。优待边远的外族来客，安抚四方的诸侯慈爱老百姓，、招集百工技艺，优待边远的外族来人则四方就会归顺。若安抚四方的诸侯责天下之人都会畏服。”

نص القطعة التاسعة:

"إذا هدَّب الحاكم نفسه ويصلح ذاته بالأخلاق الفاضلة، فقد أرسى قواعد طريق الحق وأقام نفسه على منهاج الوسطية والاعتدال، وأعطى المثل فيه، وإذا احترَم الصالحين وأصحاب الخلق

٢٤٨- الشرح الجامع للكتاب الأربعة، ج ٢، كتاب المعرفة الكبرى، الفصل ٢، الصفحة ٥.

والكفاءة، فهو لا يتحيز ولا يرتكب في أموره. وإذا حب الأقارب جميعا، فكل من الوالدين والأعمام والإخوان لا يتأمر ولا يشكوى عليه. وإذا كرم الوزراء و يشرفهم، فهو لا يكون مضطربا ومشوش الذهن عندما يواجهه المشاكل، كما لا يضل بالطالحين ولا يسم بالفاسدين. وإذا تفاهم الموظفين ويتعاطف معهم، فإنهم يقدمون الخدمة العظيمة عرفانا بالإحسان والجميل منه. وإذا حب عامة الشعب مثل ما يحب أبنائه، فإن الشعب يطيعونه ويعملوا له بجد واجتهاد ولا يقاومونه أبدا؛ لأنهم قد استفادوا منه نعمة. وإذا اجتذب أصحاب الفن والمهارة، فسوف تكون السلع والبضائع متوفرة ولا تنفد أبدا. وإذا تعامل الأجانب بسياسة التسامح والتقريب، فسوف يأتي وفود التجار والضيوف إلى بلاده من مكان بعيد. وإذا أقتع الأمراء وأرضاهم فسوف يتحد أنحاء البلاد، والأمراء من الإمارات المختلفة يأتون إليه ويقدمون له ولاءهم سمعا وطاعة."

الشرح:

وهذه القطعة تتبع القطعة السابقة وقد بين لنا فيها المؤلف "تس سي" فعالية تنفيذ الخطوط التسعة الكبرى وفائدة تحقيقها في سياسة الدولة وإدارتها.

وقال العلامة "جر شي" في شرح للنص: " هذه القطعة تتحدث عن نتيجة تطبيق الخطوط التسعة الكبرى والعمل بها. والقول في النص: ' وإذا هذب الحاكم نفسه ويصلح ذاته بالأخلاق الفاضلة فقد أرسى قواعد طريق الحق وأقام منهاج الوسطية والاعتدال وأعطى المثل فيه،' يراد به أنه إذا اتبع الحاكم بنفسه طريق الحق وأقامه بالتطبيق العملي والتمسك به بجد في القول والفعل، لصار قدوة حسنة لعامة الشعوب بأخلاقه الفاضلة؛ وهو الخلق المثالي الذي يستحق أن يقتدى به رعيته جميعا. والقول " وإذا احترم الصالحين وأصحاب الخلق والكفاءة، فهو لا يتحيز ولا يرتكب في أموره." يراد بهذا الكلام أنه إذا صاحب الصالحين والطيبين وأصحاب الخلق والكفاءة، فهو لا يتحيز في حقائق الأمور ومعرفة، ولا يضل بها أبدا. والقول في النص " وإذا يكرم الوزراء ويشرفهم، فهو لا يكون مضطربا ولا مشوش الذهن"، يعني أن الحاكم إذا يثق بالوزراء ويوزع الوظائف لهم على أساس هذه الثقة والصدق، فالرجل الطالح من الموظفين لا

يستطيع أن يزرع الخلاف بينه وبين وزراءه، فالحاكم لما يواجهه المشاكل، فهو لا يصل فيها، بل يكون متزفا في حلها من مناقشته مع الوزراء. والكلام "إذا تعامل الأجانب بسياسة التقريب" أي بتسامح الحاكم ويمنح الأفضلية في المعاملة لهم، حتى يعجب سياسته السديدة بالتجّار والوقود من مكان بعيد، يأتون إلى بلاده ويقدمون الولاء له. والقول "وإذا قطع الأمراء فسوف يوحد البحار الأربعة، ويلتئ إلى إليه الأمراء من الإمارات المختلفة يقدمون له ولاءهم سمعا وطاعة." وهذا يعنى أن الحاكم إذا ارتضى الأمراء بخلقه الطيب وسلوكه الحسنة فسوف يسمعون له رضاء بأخلاقه الفاضلة ويطيعونه قناعا بالسلطة والجاه له.^{٢٦٩}

وإنّ الخطوط التسعة الكبرى قد بيّنها المؤلف في هذا النص، وفوائد تنفيذها هي مجموعة شاملة مثالية في سياسة الدولة وإدارتها عند الكونفوشيوسية، وقد بدأت هذه الخطوط بتهديب الحاكم نفسه بالأخلاق الحميدة وهولب الموضوع في الفلسفة الكونفوشيوسية، ثم تناولت المناهج السياسية الداخلية والخارجية كما بيّناها الآن، وقد كان العلماء الكونفوشيوسيون يهتمون بهذه الخطوط التسعة الكبرى اهتماما كبيرا، ويرون أنها لن يمكن أن يتركها الملوك إلى الاعتماد على غيرها إذا يريدون أن يحسن سياسة الدولة وإدارتها، وقد رأوا إن هذه الخطوط التسعة الكبرى هي الحقيقة الراسخة والقاعدة الثابتة في إدارة الدولة وسياستها، وهي لا تتغير مع مرور الزمن.

原文: “齐明盛服，非礼不动，所以修身也。去饕远色，贱货而贵德，所以劝贤也。尊其位，重其禄，同其好恶，所以劝亲亲也。官盛任使，所以劝大臣也。忠信重禄，所以劝士也。时使薄敛，所以劝百姓也。日省月试，既稟称事，所以劝百工也。送往迎来，嘉善而矜不能，所以柔远人也。继绝世，举废国，治乱持危，朝聘以时，厚往而薄来，所以怀诸侯也。凡为天下国家有九经，所以行之者一也。”

今译: “斋戒净化心志，衣着庄重以示诚敬，不合于礼的事，不敢妄动，这样用来修身。驱逐馋邪的小人，疏远妖丽的女色，轻贱财货，珍贵道德，用来劝勉贤人。尊崇他们的地位，增厚他们的俸禄，用同一好恶标准以示大公，用来劝勉亲族。多置小官供大臣指挥，使大臣不亲细务，集中尽力考虑国家大事，用来抚慰大臣。待他们有忠信，养他们有重禄，用来慰勉士人。征役有定时，税收有定制，轻徭薄赋，用来关怀老百姓。每日考其勤惰，每月查其成就，结合做事的勤惰，颁发肉米的多少，用来鼓励和惩罚百工。护送他们去，欢迎他们来，奖励有才能的人，同情和容纳才能不足的人，用来安抚远方蕃客和商旅宾客。有绝代的诸侯，取旁支的人继续宗嗣，有灭亡的国家，帮助他们复兴起来，整饬腐败乱政，尽力支持弱小，诸侯按时朝聘天子，对其厚赠薄纳，是用来安抚诸侯的。总之，治理天下国家有上面所讲的九条定理，但实行的方法归结起来只有一个“诚”字。”

نص القطعة العاشرة:

"إن الصوم بالقلب الوقور، والارتداء بالثياب المهيبة يدل على الإخلاص والاحترام، فلا يجرى الحاكم على تخطى حدود نظام الأدب، وهكذا يهذب نفسه ويصلح ذاته على الفضائل. وهو يبعد نفسه عن اقتراء الأرزال والأئمة، ويتناظر عن جمال النساء، ويحظر الكنوز والأموال، ويحرص على الأخلاق الحميدة ويفضل الأخلاق على الجواهر، وهكذا يشجع الحاكم الصالحين من رعيته على هذه الفضائل. وهو يحترم عشائره ويُعطيهم مكانة كريمة ويزيد لهم رواتباً رسمية، ويعاملهم بالمعيار الواحد حتى يُظهر عدله بين عشائره، وهكذا يشجع الحاكم أقربائه ويسلّهم تسلياً. وهو يربّب الوظائف المختلفة للوزراء بأن يستخدم الوزراء أصحاب هذه الوظائف في الأمور البسيطة اليومية لكي تُقرعهم إلى تركيز الجهود على شؤون البلاد العظيمة وإلى التفكير فيها والعمل عليها، وهكذا يشجع بها الحاكم وزرائه. وهو يعامل العلماء بالأمانة والإخلاص ويكلفهم بالمهمة الكبيرة ويعطيهم الدرجة العالية، وهكذا يشجع الحاكم طبقة العلماء في بلاده. وهو يجتد الشعب في الوقت المناسب لهم، ويفرض الضريبة عليهم بالانتظام المحدد والمعقول، ويخفف الضرائب عنهم، ويقلل التجنيد منهم، وهكذا يعتنى بعمامة الشعب. ولا بد أن يُسجل الحضور والغياب لأصحاب الحرف في عملهم كل يوم، وفحص أعمالهم كل شهر،

ويوزع الأرز واللحم إليهم بحسب إجتهدهم و تكاسلهم في العمل، وهكذا يشجع بها أصحاب الحرف المختلفة مكافأة أو عقوبة لهم. وبالنسبة إلى الضيوف يأتون من مكان بعيد، فلا بد أن يكون هناك نظاما رسمياً لمواكبة الضيوف واستقبالهم ترحيباً بهم مع مكافأة أصحاب الخلق والكفاءة منهم، والشفق على المستضعفين تسامحاً ورحمة لهم، وهكذا يشجع الحاكم بها الضيوف التجار من مكان بعيد. وإذا يوجد أمير في بلاده ليس له وارثا يرثه سلطة، فالحاكم عليه أن يختار وارث الحكم من فرع غير قريب من أسرته لكي يرث الأمير نسبا وسلطة. وإذا هناك دولة تتلاشى وتضمحل، فالحاكم عليه أن يساعد أهلها على النهضة من الفساد والاضطراب ويساعدهم على تقوية سياستها، وينصر المظلوم بكل جهوده على الظالم من الأمراء في بلاده. ولما الأمراء عليهم أن يزوروا الحاكم ويقللوا له لكي يظهروا الولاء له، و الحاكم عليه أن يهديهم هدية قيمة خلال زيارتهم له ويعطيهم كثيرا و يأخذ منهم قليلا، وهكذا يشجع بها الحاكم الأمراء في بلاده إرضاء وإطاعة لهم. وعلى كل حال أن سياسة الدولة وإدارتها لا بد من تنفيذ هذه الخطوط التسعة الكبرى وتنفيذها الواقعي، ولكن طريق تطبيقها وتحقيقها بالاختصار على كلمة واحدة، وهي كلمة "الإخلاص والصدق".

الشرح:

وفي هذه القطعة قد بين المؤلف "تمس سي" وسيلة تطبيق الحاكم للخطوط التسعة الكبيرة وتنفيذها في الأمور المختلفة شخصيا وسياسيا، داخليا وخارجيا، ولشرحها على ترتيبها كما جاءت هذه الخطوط فيما يلي:

أولا: ليس الحاكم يهذب نفسه ويصلح ذاته فقط، بل يكون تهذيبه النفسى وفقا لنظام الآداب وقد ينكشف هذا النص النقطتين المهمتين، الأولى: وهي خطرة تهذيب الحاكم نفسه باطنا، عن طريق الصيام، والصوم يزكى النفس ويطهر القلب ويحافظ على حالة الصدق بلا شائبة؛ وأما الثانية فهي خطوة إظهار وقار الحاكم وعزته خارجا عن طريق لبس الملابس الطقوسية الفاخرة بهيئة جادة كريمة.

والجدير بالذكر أن الصيام كان من طقوس تقليدية في مجتمع الصين القديمة، وقدماء الصين كانوا يصومون قبل إقامة طقوس القرابين لكي يجتروا عنا الإخلاص والتقوى فيها، وكان صيامهم يشمل الاستحمام قبل الصوم وعدم تضاجع الزوجة أثناءه والإمتناع عن الخمر والأشياء مكروه طعمها مثل الثوم والسمك وكذلك الممتنع من اللحم.^{٢٧٠} وكان الأستاذ كونفوشيوس يهتم بالصوم كثيرا وقال عنه: " إذا استحم أحد فليلبس ثوبا قطنيا بعد غسله، وإذا نوى الصوم، فليغير طعامه الذي يأكله يوميا و يغير الغرفة أيضا." ^{٢٧١} وهنا تغيير الطعام يعنى امتناع عن الأشياء مكروه طعمها والخمر وغيره، وتغيير الغرفة يراد بها إلى غرفة أخرى غير متضاجع الزوجة. وقد تحدث المعلم الثانى منشيوس عن الصيام وقال: " والإنسان ولو كان مخطئا ليمكنه أن يخدم " شينغ دى " ^{٢٧٢} بعد أخذ الاستحمام والصيام." ^{٢٧٣} كما كان الأستاذ كونفوشيوس يؤكد معنى الصوم فى تزكية القلب وتطهيره أكثر من الصوم نفسه كما قال فى هذا النص إن الصوم يزكى النفس ويظهر القلب ويحافظ على الحالة النفسية بلا شائبة.

وأما خطوة إظهار وقار الحاكم وعزته خارجا، فهي بأن يلبس الحاكم الثياب الجليلة والمهيبة يدل على الإخلاص والاحترام، أى: والحاكم الملك لابد من لبس بزة التشريفات ليكون جليلا بمظهره، وزكيا فى القلب ومتقيا فى باطنه، ويوافق سلوكه لنظام الآداب ويهذب النفس به حسب مطلوب نظام الآداب، لكي يكون قدوة حسنة لجميع الشعب، وهذه هى المهمة الأولى وأساس الأساس بالنسبة إلى الملك الحاكم.

ثانيا: الحاكم يشجع الصالحين على الفضائل بأنه يبتعد عن اقتراء الأرذال والأئمة، ويتناظر عن أحاسن النساء، ويحقر الكنوز والأموال، ويحرص على الأخلاق ويفضلها على الجواهر. وقال العالم الكونفوشيوسى " تشينغ هاو" فى ذلك: " إن الاقتراء وفتنة النساء وجمع الكنوز كلها يؤدي إلى الأخلاق الفاضلة، لو يترك الحاكم هذه الثلاثة ويعتز بالفضائل ويفضلها على هذه الثلاثة كلها

٢٧٠- انظر: كتاب الآداب الفصل الرابع وعشرون والفصل الخامس: عشرون، الصفحة ٢٣٦-٢٣٦.

٢٧١- ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، كتاب الحوار، الفصل العاشر، الصفحة ٤٠٤.

٢٧٢- " شينغ دى": إله الأكبر وهو السماء - تيان، ولقد من تعريفه فى الفصل السابق لهذه الرسالة.

٢٧٣- انظر: القروح للكتب الأربعة، جو شى، كتاب منشيوس، الصفحة ١٢٠.

ويبذل أقصى جهده في سبيل نيل الفضائل لصار حاكما صالحا. ^{٢٧٤} فالحاكم عليه أن يبعد عن إفتراء الطالحين والفاستدين وعن فتنة الأحاسن وعن جمع الجواهر والكثوز، وعليه أن يقر الصالحين بتعيينهم على الوظيفة المهمة ويشجعهم بالرواتب الرسمية العالية.

ثالثا: الحاكم يحترم عشائره ويرفعهم مكانة كريمة ويزيد لهم رواتبا رسمية، ويعامل جميعهم بالمعيار الواحد العادل حتى يظهر عدله بينهم. وفيه قد تبيّنت أهمية تحسين الأسرة وإحسان الأهل في الفلسفة الكونفوشيوسية، وإنّ الإنسان من طبيعته أن يحب الأهل ويريد لأهله كل الحسنة، وهذا يوافق طبيعة الإنسان الخلقية، كما يقول المعلم الثاني منوشيسوس: "غالبا أن الإنسان يحب أهل بيته برابطة الدم، ويريد لهم بالعزة والتشريف قبل أن يريده للآخر، كما يحب لهم بالثروة والجاه أكثر ما يحبه بها للغير". ^{٢٧٥} فذلك، إن الكونفوشيوسية تؤكد فكرة الرحمة وتطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في الأسرة أولا، وقد ذكرها مرارا في هذا الكتاب، فيحب الإنسان أولا والديه وأخيه الشقيق وأفراد أسرته ثم يوسع محبته هذه إلى محبة الآخرين خارج الأسرة في المجتمع، وإلى محبة الوطن حتى محبة الإنسان كله، فالملك الحاكم عليه أن يعتنى قبل كل شيء بحشرفته، ويرفعهم مكانة ويزيدهم الرخاء ويعاملهم بالعدل ومعيار واحد ويثد القلوب والقوى بين الأقرباء حتى يحصل على الدعم والتأييد من أسرته.

رابعا: غاية الحاكم بوزرائه بأن ينظم لهم الوظائف المختلفة حتى يشتغل أصحاب هذه الوظائف في الأمور البسيطة اليومية الحكومية لكي تفرغهم إلى تركيز الجهود على شؤون البلاد العظيمة وإلى التفكير في هذه الشؤون المهمة والعمل عليها خاصة، وهكذا يشجع بها الحاكم وزرائه؛ لأنّ الوزراء هم عماد الدولة وركيزتها، يمثلون نورا مهفا في إزدهار البلاد ومستقرها. ونظرا لأهمية مكانة الوزراء للدولة قال العلامة "جو شي" في شرح هذا النص بقوله: "ومن حق الوزير أن يزود له بكثرة الموظفين لكي يسمعوا إرساله وتوجيهه؛ لأنّ الوزير عليه أن لا يسرف

٢٧٤- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، أبي كا هونغ، الصفحة ٢٢٤.

٢٧٥- انظر: كتاب منوشيسوس من ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، الصفحة ٥٣٠.

نشاطه في ممارسة الشؤون الرسمية الدقيقة البسيطة، بل علمه أن يركز كل القوات والنشاطات على صياغة السياسة والتفكير في ممارسة الشؤون الرسمية العظيمة للبلاد.^{٢٧٦}

خامسا : والحاكم يعامل العلماء بالأمانة والإخلاص ويكلفهم بالمهمة الكبيرة ويعطيهم الراتبة العالية، وهكذا يشجع بها طبقة العلماء في بلاده؛ لأن العلماء هم الموظفون الكبار في الحكومة عند الكونفوشيوسية فالحاكم علمه أن يعاملهم بالأمانة والإخلاص ويكلفهم بالمهمة العظيمة ويعطيهم الرواتب العالية.

وكان العالم " جانغ جو جينغ " يقول في شرح هذا النص: " وعلى الحاكم أن يعامل كل الموظفين بالإخلاص والأمانة؛ لأنه لو لم يعاملهم بالإخلاص لحدث التخوف والارتياح في قلوبهم، فهم لن يعملوا من كل قلوبهم ولن يجتهدوا في عملهم. وإذا لم يحصلوا على الراتب الرسمي الذي يكفي لهم بالإتفاق على الوالدين والأهل، فسوف لا يعملون للحاكم بجد وإهتمام؛ لأنه لم يستطيعوا أن يرتبوا أمور المعيشة لأهلهم، بل هم على القلق وتشتيت الانتباه من أهلهم. فلذا، يعامل الحاكم الموظفين بالإخلاص، وهذا يجعلهم فاتحين الصدور أمام الحاكم ومجتهدين في تأدية الواجبات والعاملين عليها بالإخلاص والصدق. ويعطي الحاكم الراتبة العالية لموظفيه فهذا يؤدي بهم إلى اطمئنان القلوب لأهلهم ويفرغ أنفسهم منها إلى خدمة البلاط الملكي والدولة. وهذا هو الطريق الذي يشجع به الحاكم الموظفين.^{٢٧٧}

سادسا : الحاكم علمه أن يعتنى برعيته ويهتم بمنفعة الشعب، ترى الكونفوشيوسية أن الشعب بالنسبة إلى البلاد هو أهم ركن أساسي يتكون منه الدولة، والدولة لا يمكن أن تنشأ من دون وجود الشعب، وكذلك الحاكم لا يطمئن في عرشه إذا لم يؤيده الشعب ولا يطيعه. فقال الأستاذ المعلم مفسريوس: " ومن أهم أركان الدولة التي تتكون منها هو الشعب، ثم يأتي بعده الدولة في الرتبة الثانية بأهميتها، والحاكم يأتي بعدهما في الرتبة الأخيرة بأهميته. " ^{٢٧٨} وهذا النص قد أشار إلى

٢٧٦- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسيطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٢٨.

٢٧٧- الشرح والتعليق لكتاب الوسيطية والاعتدال، جانغ جو جينغ، دار الكتب والمعاجم بشتغهي، السنة ٢٠٠٧، الطبعة الأولى، الصفحة ١٠٦-٢٠٢.

٢٧٨- كتاب مفسريوس من ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، الصفحة: ٦٣٧.

النقطتين المهمتين في حناية الحاكم برعيته، والأولى منها الحاكم لابد منه أن يجتد ويستخدم الشعب في الوقت غير موسم الزرع والحصاد، لكي يشتغلوا بالفلاحة مطمئنين. والثانية الحاكم عليه أن يقلل الضرائب للشعب ويلغى الرسوم المرفقة والإتاوات المتنوعة لكي يخفف عنهم عبء المعيشة ويشجعهم على نشاط العمل.

سابعاً : تشجيع الحاكم أصحاب الحرف والعمال في البلاد. وكيف يشجع أصحاب الحرف؟ والطريق هو بمراقبة أعمالهم يومياً، ويفحص نتائجها شهرياً، فالمجتهد والممتاز منهم في العمل عليه أن يكافئ، وبحسب أعمالهم يوزع الأرز واللحم، من عمل كثيراً أخذ كثيراً، وليس بالعكس. وهنا تشير إلى نقطة مهمة وهي في عصر مملكة " تشو " في زمن الصين القديم كان أصحاب الحرف والعمال كلهم يعملون تحت أمر الحكومة وسيطرة الدولة، فالدولة يوزع الحبوب الغذائية عليهم، فلذا توزعها وفقاً لنتيجة العمل هو من وسائل تشجيع أصحاب الحرف والمهنة.^{٢٧٩}

ثامناً : والحاكم يعامل الناس الذين أثوا من مكان بعيد بسياسة التسامح والتؤدة، وكما ذكر في النص " الناس الذين أثوا من مكان بعيد " وله معان، الأول: وفي الزمن القديم أن بعض القوم هجروا من بلادهم إلى بلاد أخرى بسبب الحرب أو الكارثة، وهنا يطلب الحاكم من التسامح مع هؤلاء المهاجرين، ومن هذه السياسة المتسامحة يظهر للحاكم رحمته وعذله أولاً، ويقوى بلاده بوجود هؤلاء الناس ثانياً؛ لأنه في العصر القديم كان عدد السكان الكثير دليلاً على قوة الدولة وإزدهارها. والمفهوم الآخر لـ " الناس الذين أثوا من مكان بعيد " هو في الزمن القديم كان القافلة التجارية تأتي من مختلف الأماكن، إذا أخرج الحاكم سياسة التسامح تيسيراً لهم، يحبون أن يتجروا في بلاده، فتستفيد الحكومة من القافلة التجارية اقتصادياً. وكذلك هو معنى الرسل من الدول الأخرى يجب للحاكم أن يستقبلهم ويكرمهم ترحيباً حاراً بهم.^{٢٨٠}

تاسعاً : يتقرب الحاكم الأمراء في بلاده ويتوحددهم، وهذه النقطة بيّتها هذا الفصل بدقة ووضوح على حد ما، وتحدث فيها عن أمرين مهمين؛ الأول: الحاكم عليه أن يراقب أحوال الإمارات

٢٧٩- انظر: التشرح للنظري لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٢٥.
٢٨٠- الوصول إلى البر الكامل - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة: ٢٦٠.

باهتمام ويتابع الوضع السياسى فيها بعناية، لو كان هناك أمير لا يوجد له ولد يرثه حكما وسلطة فالحاكم عليه أن يتوسط بينهم ويبحث الوارث من فرع غير قريب من أسرته، لكى لا تكون أوضاع الإمارة مضطربة سياسية بسبب غياب الأمير الوارث، كما عليه أن يساعد الإمارة التى تلاشت أو فقدت أراضيها بسبب ما، والحرب مثلا، فمساعدها على استرجاع الأراضى المفقودة وتعزيز سلطتها ونهضة الإمارة من الضعف والاضطراب. والأمر المهم الثانى تحدث النص عن مقابلة الملك الحاكم الأمراء فى قصره واستدعاهم للمشاورة معهم فى شئون البلاد الخطيرة، وغالبا إن الأمراء يقابلون ملك الصين مرة واحدة بعد كل خمس سنوات، فالأمراء يقفون إلى العاصمة لهذه المقابلة ومعهم الجزية، فهنا يطلب النص الحاكم من إهتمام الأديب عند هذه المقابلة ويطلبه من أن لا يأخذ الجزية من الأمراء كثيرا ولا يتجاوز الحد فيه، لكى لا يأتى قوة إماراتهم من أخذ الجزية الثقيلة، والحاكم الملك عليه أن يمنح الأمراء خلال هذه المقابلة ويهدى الهدايا إليهم، لكى يرضى جميع الأمراء بالحاكم ويطيع حكمه ويظهر له ولاءهم.^{٢٨١}

وكان الكونفوشيوسيون فى العصور اللاحقة فى تاريخ الصين يهتمون اهتماما كبيرا بهذه الخطوط التسعة السياسية، ويرون أنها حقيقة ثابتة وقاعدة مثالية فى إدارة الدولة وسياساتها، مع مرور الزمن وتغير المجتمع الصينى، بعض الخطوط التسعة هذه قد مضت وفقدت قيمتها العملى، ولكن من الخطوط التسعة هذه فهمنا الفكر السياسى الكونفوشيوسى فى حكم بلاد الصين العظيمة وإدارة شؤنها تحقيقا لشعبها الطمأنينة والسلام فى تاريخ الصين القديم.

والجدير بالاهتمام فى آخر هذا النص ذكر أنه لا يمكن تنفيذ هذه الخطوط التسعة العظيمة وتطبيقها العملى إلا بكلمة واحدة، وشرح العلامة "جوشى" فيه وقال: " بكلمة واحدة " المراد بها صفة " الصدق والإخلاص "، لأنه لو ينقص الحاكم عن الإخلاص والصدق فى تطبيقه لهذه الخطوط التسعة الكبرى وعمله بها، فسوف تصير الأنظمة نصية بالية تفقد معناها الحقيقية.^{٢٨٢} وكان صفة " الإخلاص والصدق " نظرية هامة وموضوع أساسى فى كتاب الوسطية والاعتدال،

٢٨١- المرجع السابق، والصفحة: ٢٦١.

٢٨٢- النظر: الشرح الجلمع للكتب الأربعة، جوشى والصفحة ١٨.

سوف يتحدث المؤلف "تس سي" عن هذا الموضوع في الفصول: بعد الفصل العشرين بصورة خاصة، وقد ذكرها هنا في نهاية هذا الفصل لكي يكون تمهيدا لبيان الموضوع في الفصول التالية.

وعلى كل حال، إذا كان الحاكم يطبق هذه الخطوط التسعة كلها بالإخلاص والصدق، لتحقيق منهاج الوسطية والاعتدال، وإلا لصارت هذه الخطوط أنظمة بالية ومملة لا تلعب دور القدرة في سبيل تحقيق الأمن والسلام للدولة وتحقيق السعادة والطمأنينة للشعب، وإن الإخلاص والصدق أثناء تطبيقه العملي لهذه الخطوط التسعة السياسية له مكانة عظيمة في قلب الحاكم لا يستغنى الحكام عنها جميعا.

原文：“凡事豫则立，不豫则废。言前定则不殆；事前定则不困，行前定则不疚，道前定则不穷。”

今译：“凡事预先作好准备就能成功，不预先作准备，就会失败，譬如发言，事先想定，就不会说不下去；譬如做事，事先计划好，就不会发生困惑；譬如行动，事先筹措好，就不会做不下去而抱愧；譬如要实行中庸之道，必须事先用功愤勉，然后实行，道就无穷无尽了。

نص القطعة الحادي عشر:

"إن الاستعداد في كل أمر يضمن نجاحه، وإن الارتجال فيه يؤدي إلى فشله. والكلام مثلا، لو فكرت في التكلم بعناية وتهيأت له قبل القول، لما كلمته بعدم السلاسة، وكذلك معالجة الأمر مثلا لو خططت قبل أن تبدأ به، لما كنت حائرا ومشوشا الذهن، وتنفيذ العمل مثلا، لو أعددت ونبرت قبل الألوان لما أكملت ممارسته وشعرت بتأنيب الضمير. وكذلك تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال، فلا بد من عقد العزم الثابت قبل كل شيء، ثم تحقيقه بالتطبيق العملي والمواظبة عليه بقوة، فهكذا يكون منهاج الوسطية والاعتدال لا حدا ولا نهاية له."

الشرح:

وهذه القطعة تبين أن النجاح في كل الأمور لا يَد من الاستعداد والتحضير قبل أوامه، كما أشار النص إلى أن الإخلاص والصدق هو مفتاح النجاح في كل أمر؛ لأن كل شيء لم يعتد ولم يحضر قبل أوامه إلا أن يكون قاعله ينوي فيه بالإخلاص والصدق، وإذا ليس له إخلاصا وصدقاً، فهو يعمل ما حلا له أن يعمل، وهو مهمل بلا تفكير ولا تحضير، فلا يمكن أن ينجح فيه؛ لذلك، أن الإخلاص والصدق هو السبب الرئيسي من أسباب النجاح لكل أمر، وبالإخلاص والصدق يستعد الإنسان لكل أمر ويحضر فيها.

شرح العالم الكونفوشيوسى " جانغ جو جينغ " هذا النص وقال: " إن القول فيه ' الاستعداد فى كل أمر ' يشير به إلى الأخلاق الثلاثة العظيمة من الحكمة والرحمة والشجاعة والعلاقات الخمسة الأساسية والخطوط التسعة الكبيرة التي ذكرناها سابقاً وكذلك يشير به إلى شؤون الحياة اليومية كلها. وهذه القطعة تابعت الكلام الأخير فى نهاية القطعة السابقة وهو ' ولكن طريق تطبيق الخطوط التسعة وتحقيقها بالإختصار على كلمة واحدة، وهى كلمة الصدق والإخلاص '، يعنى أنه ليس تطبيق الخطوط التسعة وتحقيقها يتوقف على الإخلاص والصدق فقط بل فى جميع الأمور إذا ينقص عنها الإخلاص والصدق، فلا يمكن أن يحقق النجاح فيه، كيف ؟ مثلاً تكلم الإنسان، لو يثبت نفسه على الإخلاص والصدق قبل الكلام، فهو لا يمكنه أن ينطق عن باطل، بل يتكلم صادقاً، ولذا يكون كلامه بالسلامة والمنطق فكلامه لا يقبل الجدل والشك، ولو يثبت الإنسان نفسه على الإخلاص والصدق قبل معالجة أمره، فهو لا يمكن أن يتصرف بغير الحق، بل يفكر ملياً فى تصرفه قبل أوامه، ولذا يمارسه مقتصدًا بلا إفراط ولا تفريط فيه، ولو يثبت نفسه على الإخلاص والصدق قبل كل سلوكه، لكان يسلك سليماً لا غبار له، ولو يثبت نفسه على الإخلاص والصدق قبل تطبيقه العملى بطريق الحق أى منهاج الوسطية والاعتدال، لكان يجده لا حد ولا نهاية فى هذا الطريق. " ٢٨٣

原文：“在下位，不获于上，民不可得而治矣。获乎上有道，不信乎朋友，不获乎上矣。信乎朋友有道，不顺乎亲，不信乎朋友矣。顺乎亲有道，反诸身不诚，不顺乎亲矣。诚身有道，不明乎善，不诚乎身矣。”

今译：“在下位的人臣，如果得不到君王的信任，就不能得民心，也就不能治理人民。要想得到君王的信任是有方法的，应预先得朋友的信任。如果不能得到朋友的信任，就声誉不立，就不能得到君王的信任了，要想得到朋友的信任也是有方法的，应预先得父母的欢心，如果不能得到父母的欢心，就不能得到朋友的信任了，要想得到父母的欢心也是有方法的，应反求自身的诚实，如果不能诚身，外有事父母之表，内无爱父母之实，就不能得到父母的欢心。要想诚实自身也是有方法的，应预先明白至善。如果不能明善，善恶不分，就不能诚身了。”

نص القطعة الثانية عشر:

“ وإذا لم يحصل موظف الحكومة في السلطة الأدنى على ثقة الموظف في السلطة العليا، فهو يمكن أن لا يحصل على ثقة الشعب، فإن لا يستطيع أن يدير شؤون الشعب وسياستها على أحسن وجه. والحصول على ثقة السلطة العليا فيه طريق ووسيلة، وذلك لا بد من أن يحصل أولاً ثقة صديقه. وإذا لم يستطع أن يحصل على ثقة الصديق، فلا يقدر على أن يقيم حسن السمعة لنفسه، وإذا لم يقيم طيب السمعة لنفسه، فهو لا يستطيع الحصول على ثقة موظف السلطة العليا. وإذا أراد الحصول على ثقة الصديق، فيه طريق ووسيلة، وذلك لا بد منه أن يحصل أولاً على رضى والديه وبنات حبهما، ونيل حب الوالدين والرضى لهما فيه طريق ووسيلة، وذلك لا بد منه أن يحاسب نفسه بكل الإخلاص والصدق، وإذا لم يكن صادقاً ومخلصاً في قلبه، فلا يمكن له أن يحصل على رضى الوالدين والمسرة من قلوبهما؛ لأنه يخدم لهما ويعول معاشهما في ظاهره فقط، ولم يحبهما في باطنه. وإذا أراد الإخلاص والصدق في باطن قلبه، فيه طريق ووسيلة أيضاً، وذلك لا بد منه أن يفهم ما هو البر المعروف فهما حقيقياً، وإذا لم يقدر على تفهم البر المعروف ولم يميز الخير من الشر، فهو لا يستطيع أن يكون صادقاً ومخلصاً في باطن قلبه.”

الشرح:

وهذه القطعة تواصل بيان أهمية الإخلاص والصدق وتأثيرها في نفس الإنسان، وفهم البرّ وتمييز الخير من الشر كان أساساً أولياً يعتمد عليه موظفي الحكومة كلّهم، ويتوقف على هذا الأساس الخلقى نجاح إدارة الشؤون الشعبية وسياسة أمور الدولة. كما شرح المفكر "جينغ شوان" عن علاقة الإخلاص والصدق مع فهم البرّ الإحسان بقوله: "إذا اتبع الإنسان البرّ بعد أن عرف ماهيته وحقيقته وتفهمه فهما حقيقة ثم يطبقه تطبيقاً عملياً، ففي هذه الحال أن الإخلاص والصدق يترسخ ثابتاً ومستقراً في نفسه باطناً وفي تصرفاته ظاهراً".^{٢٨٤} وعلى هذا الأساس أن الإنسان هل هو مخلص وصالح في تصرفه؟ وهذا يتوقف على معرفته للبرّ وتمييزه الخير من الشر، لو لم يفهم ما هو البرّ ولم يقدر على التمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل، فهو لا يمكن أن يكون مخلصاً وصادقاً في تطبيق البرّ العملي وتحقيقه كاملاً.

وهذه القطعة حلّل المؤلف "تس سي" صفة الإخلاص والصدق في باطن النفس وتفهم البرّ المعروف والتمييز الخير من الشر تحليلاً عميقاً وعلّلت بالتنسيق الواضح أن الإخلاص والصدق أساس الأساس لإدارة الشؤون الشعبية وسياسة أمور الدولة. وقال الخير "كونغ بينغ دا" في شرح هذا النص: "وهذه القطعة من النص يبيّن لنا أن الإنسان سواء كان موظف الحكومة أو إنساناً عادياً لا بد من أول أمره أن يكون صادقاً ومخلصاً في باطن نفسه، وبعد ذلك يحصل على الوظيفة ويشغل بها. وإذا كان الموظف لا ينال ثقة السلطة العليا منه، ولا يفهم ما يريد من الإدارة وبرنامج السياسة، فهو لا يستطيع إدارة الشؤون الشعبية. وإذا أراد الحصول على ثقة السلطة العليا وفهم قصده في الإدارة وبرنامجها فلّول شيء هو أن يكون له السمعة الحسنة والثقة العالية من صديقه أو من رفيقه في العمل. وإذا ليس له السمعة الطيبة عند الناس وخاصة عند أصدقائه، فلا يحصل على ثقة السلطة العليا منه. وإذا أراد السمعة الطيبة عند أصدقائه، فلا بدّ منه أن يبرّ والديه أولاً؛ لأنه لو لم يبرّ الوالدين بالإخلاص، لما صاحب الأصدقاء بالصدق.

٢٨٤- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٢٩.

فالبر للوالدين لا بدّ من البار أن يحبهما باطناً ويخدمهما ظاهراً، وهذا يحتاج إلى أن يعرف ما هو طريق الحق وما هو المعروف؛ لأنه لو لم يعرف ما هو طريق الحق وما هو المعروف، لما كان مخلصاً وصادقاً في باطن نفسه. " ٢٨٥

ومن هنا ترى الكونفوشيوسية أنه لا بدّ من الثقة والأمانة بين الموظف التابع و الموظف المتبوع، وهذه الثقة والأمانة يأتي من الإخلاص والصدق بين الأصدقاء، والإخلاص والصدق بين الأصدقاء ينبع من بزه للوالدين، والإحسان بالوالدين يصدر من الإخلاص والصدق من الجبلة الإنسانية؛ لأنّ الإنسان خلق على الفطرة السليمة وهو مفتور على الخير، وكان هذا اعتقاداً أساسياً للكونفوشيوسية، فالإنسان يستطيع أن يصل إلى مقام مرتفع ودرجة عالية؛ لأنّ له الطبيعة الخلقية الخيرة التي ولد عليها.

بعد بيان الأفكار من الأخلاق الثلاثة الكبيرة والعلاقات الخمس الإنسانية الأساسية و الخطوط التسعة السياسية، أثار هذا الفصل هنا إلى نظرية أساسية وقاعدة أصلية لا يستغنى عنها في تطبيق تلك الأخلاق الثلاثة الكبيرة والعلاقات الخمس الإنسانية الأساسية والخطوط التسعة السياسية و هي نظرية " الإخلاص والصدق " في كتاب الوسطية والاعتدال، وقد بدأ المؤلف " تس سي " بحديثه عنها من هذا الفصل، وقام بتبيين هذه النظرية المهمة بصورة واضحة في القطعة التالية، فإني إليها الآن:

原文: " 诚者，天之道也；诚之者，人之道也。诚者，不勉而中，不思而得，从容中道，圣人也。诚之者，择善而固执之者也。 "

今译: " 诚，是上天本然的道理；诚之，是用功择善，明善的人的道理。诚的人是不用勉力下功夫而符合于中，不用思虑而有所得，从容达到中道，这样的人就是圣人。求诚的人，择众理而明善，固执坚守，用力追求，以达到诚的目的。 "

نص القطعة الثالثة عشر:

"الإخلاص والصدق هو من حقائق سنة السماء (تيآن)؛ والبحث عن الصدق والإخلاص والسعي وراءه هو واجب على الإنسان، وهو الطريق المستقيم له. " والمخلص الصادق يحسن ويعتدل في أفعاله بدون كسب وكلفة، وينال الحق واليقين بدون جهد ولا تفكر، ويوافق في أخلاقه وسلوكه مع منهاج الوسطية و الاعتدال بهدوء وأناة، ألا وهو الحكيم ! " وأما الذين من دونه فيكتسبون صفة الصدق والإخلاص بطريقة البحث والدراسة في الحقائق لمعرفة الخير والفضيلة، فيثابرون على تطبيقها بكل سعي وجهد، حتى يصلوا أخيرا إلى قصده الأعلى في تحقيق صفة الصدق والإخلاص. "

الشرح:

قال العلامة " جُو شِي " في بيان النص: " إن هذه القطعة تتصل بما سبقها من بيان في قضية تهذيب النفس. والكلمة ' الصدق والإخلاص ' هنا يراد بها معنى الحقيقة والأصالة ضد الزيف والكذب. فكان صفة الصدق والإخلاص من الصفات الأصلية الحقيقية للسماء (تيآن)، وعلى هذا الأساس كان طلب الإنسان لصفة الصدق والإخلاص والسعي لها لإزالة ما في نفسه من الصفات المدمومة الزائفة اكتسابا وتهذيبا، لكي يحاول أن يجعل نفسه مخلصا وصادقا، وهذا الطلب والكسب هو واجب الإنسان جميعا. وكان الحكيم الكامل الأخلاق بكل صدقه وإخلاصه متكثلا مع سنة السماء (تيآن) كتلة واحدة، وهو مخلص صادق بكل معنى الكلمة، لا زائف ولا كاذب في فضائله، فمستطيع أن يطبق منهاج الوسطية والاعتدال بوعي فطرته، ويحققه بدون جهد ولا مشقة. وأما الناس غيره، فلا يخلو في أنفسهم من الشهوات والأهواء الرذيلة، وأخلاقهم متدنسة من الزيف والكذب، مما يمنعهم عن الوصول إلى صفة الصدق والإخلاص بدون التفكر والتأمل بل يحتاجون إلى بذل الجهد فيها. فلذا على الإنسان أن يختار طريق الخير والمعروف، ويحاول أن يقف على حقيقتيهما، ثم يطبق ما وقف عليه. وإنه لا يمكن أن يصل إلى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال وتحقيقه إلا بعد أن يبذل أقصى جهوده، فلا بد منه أن يثابر على هذا التطبيق

العملي، وبعد بذله أقصى الجهود في معرفة طريق الحق وتطبيقه العملي يستطيع أن يصل إلى الإخلاص والصدق في باطن نفسه، وهذا يسمى بطريق الإنسان المكتسب.^{٢٨٦}

ومن شرح العلامة "جو شي" نفهم أن السماء (تيان) يملك صفة الإخلاص والصدق وهذه الصفة من صفاته الأصلية الحقيقية، ولأن هذه الصفة السماوية تظهر بسنة للسماء (تيان) في السماوات والأرض، نجدها تسير دائماً ولا تتوقف عن سيرتها، ولا نجد في سنة شيئاً من الزائفة والباطلة، بل تسير سيرة حقيقة بكل الحق ومنصفة بكل الإنصاف، فلذلك نقول أن الإخلاص والصدق هي سنة السماء (تيان). يرى "جو شي" أن الواجب المفروض على الإنسان هو طلب صفة الصدق والإخلاص، وأن يحاول جعل نفسه مخلصاً وصادقاً والسعي وراءه بدون توقف، وهذا يسمى بطريق الإنسان، أي الطريق الذي على الإنسان أن يسلكه؛ لأن الإنسان مخلوق من السماء (تيان)، فهو لا يستطيع مخالفة السنة السماوية، إذن فلا يمكنه أن يعيش بغير الإخلاص والصدق؛ فلذا لا بد من الطلب والبحث عن الإخلاص والصدق ومحاولة الوصول إليه. كما يرى "جو شي" أن الإنسان في وصوله إلى هذا النطاق الأعلى الخلق هناك اختلاف كبير بين الحكيم الكامل الأخلاق وبين الإنسان العادي؛ فالحكيم الكامل الأخلاق يصل إلى الإخلاص والصدق بطبيعته الفطرية، وهو لا يتعب في سبيل البحث والدراسة فيه؛ والإنسان لا بدّ يجاهد نفسه في سبيل البحث والدراسة، وي بذل الجهود العظيمة في الحصول عليه.

ولاحظنا هنا أن الفصل الأول لكتاب الوسطية والاعتدال قد أوضح ماهية النص "إن ما خلقه" السماء (تيان) "للإنسان يسمى" الطبيعة الفطرية (شيينغ)، "واتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمى" طريق الحق (دأو)، "وتهذيب الإنسان وتزكية نفسه على طريق الحق يسمى" التعليم والتربية (جأو). "يعني أن هذا النص قد أوضح العلاقات بين الطبيعة الفطرية (شيينغ) وطريق الحق (دأو) والتعليم والتربية (جأو)، وبحسب الشروح لهذا النص أن الطبيعة الفطرية هي الخلقة الأصلية وقد خلق السماء (تيان) الإنسان على هذه الطبيعة. وعندما

٢٨٦- الشرح الجامع للكتب الأربعة، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ١٩.

نعيد النظر إلى القول التالي: "الإخلاص والصدق هو من حقائق السماء(قيان)، والبحث عن الإخلاص والصدق والسعى وراءه هو واجب الإنسان، وهذا طريق مستقيم للناس جميعا" يمكننا أن نفهم علاقة الطبيعة الفطرية بالإخلاص والصدق هكذا: أى الإخلاص والصدق هو من صفات الطبيعة الفطرية وظواهرها التى يظهره الإنسان فى حياته الواقعة، وهو أساس التعايش الإنسانى مع الكون كله والقاعدة الأساسية يتعامل به الإنسان مع الآخرين، وبعبارة أخرى أن الإخلاص والصدق هو من أعلى الأخلاق الحميدة الطبيعية لا يصل إليه إلا بطريق الإكتساب الإنسانى والدراسة المجدة بعد أن يبذل الجهود الأقصى، ألا وهو بطريق التربية والتعليم كما قال النص الأول: تهذيب الإنسان وتركيز نفسه على طريق الحق يسمى "التعلم والتربية (خاتم)". وفى القطعة التالية قد أشار المؤلف "تس سي" إلى طريق الوصول إلى الإخلاص والصدق وأسلوبه فيه، وما هو الطريق؟ نأتى الآن إليها:

原文: "博学之，审问之，慎思之，明辨之，笃行之。有弗学，学之弗能弗措也；有弗问，问之弗知弗措也；有弗思，思之弗得弗措也；有辨弗，辨之弗明弗措也；有行弗，行之弗笃弗措也；人一能之，己百之；人十能之，己千之。果能此道矣，虽愚必明，虽柔必强。"

今译: "求诚的功夫，须经过五个层次。广博地学习，审慎地询问，慎重地思索，明晰地辨析，笃实地履行。有一种学问，没有学过，就尽力去学，不到融会贯通，不肯停止学习。有一件事情，没有去问过，就虚心询问，不到疑虑尽释，不肯停止询问。有一件事情，没有去思考过，就凝神静思，不到彻底明白，不肯停止思索。有一件事情，没有去辨析过，就悉心辨析，不到毫厘不爽，不肯停止辨析。有一件事，没有去实行过，不到践履笃实，不肯停止实践。有人用一倍工夫就能掌握，我用百倍的功夫同样可以掌握；有人用十倍工夫就能掌握，我用千倍的功夫同样可以掌握。如果有这样的毅力追求中庸之道，那么即使愚昧的人，必能变成聪明的人；即使柔弱的人，必能变成刚强的人。"

نص القطعة الرابعة عشر:

" الإنسان لا يمكن أن يصل إلى الإخلاص والصدق في قلبه كاملاً إلا بخمسة طرق، يتعلم نعلماً واسعاً، ويسأل فطنا وشديداً الإهتمام، ويتفكر حذراً وشديداً الإنتباه، ويحلّ واضحا وجلياً، ويحقّق العلم راسخاً وصادقاً. وإذا هناك علم لم يعرفه بعد، فله أن يتعلّمه بالجهود كلها، ولا يتوقّف عن هذا التعلّم إلا وقد استوعب موضوعاً ما عبر دراسة شاملة. وإذا كان هناك أمر لم يسأل عنه بعد، فله أن يستفسر عنه متواضعاً ورحب الصدر، وهو لا يتوقّف عن هذا الاستفسار إلا وقد تخلّص من شكوكه وهو تقصى فيه وأزال الشك تماماً. وإذا كان هناك أمر لم يفكر فيه بعد، فله أن يتأمّل فيه بإتّباه شديد ويناقش بينه وبين نفسه بالتفكير العميق، وهو لا يتوقّف عن تفكيره هذا، مهما يصعب عليه معرفة هذا الأمر. وإذا هناك شيء لم يحلّله بعد، فله أن يحلّله وهو مركّز كلّ انتباهه وإهتمامه عليه، ولا يتوقّف عن هذه التحليل إلا وقد وصل إلى كماله بلا عيب فيه. وإذا هناك شأن لم يحقّقه بعد، فله أن ينفذه ويحقّقه، ولا يتوقّف عن تحقيقه هذا إلا وقد نفّذه بكلّ الإخلاص والصدق. إذا كان هناك واحد يبذل جهوده بضعف لكى يستوعب ما يتعلّم، فإني سوف أبذل مائة ضعف لكى أستوعبه بكامل، لو كان يبذل جهوده بعشرة أضعاف فيه، فإني سوف أبذل ألف ضعف حتى أستوعبه بتمام، وإذا يبحث الإنسان عن حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال ويسعى وراءه وقد وصل إلى هذه الدرجة من عزمه وقوّة إرادته، لمحوف يصبح عارفاً ذكياً ولو كان جاهلاً من قبل، ويصير عزيزاً قوياً ولو كان ضعيفاً من قبل. "

الشرح:

وهذه القطعة تتّصل بما سبقها وبيّنت أهمية اختيار الإنسان الأفضل والخيرة وإتّباعه لها، وخاصة أشارت إلى الأساليب والطرق التي يصل بها الإنسان إلى مقام النفس الأعلى عند الكونفوشيوسية، وهو الإخلاص والصدق في قلبه الباطن. وقال " كونغ بينغ دا " في شرح النص: " وهذا النص يتحدّث عن تجلّية الإنسان صفة الإخلاص والصدق في نفسه، وعن إختياره طريق الحق وإتّباعه له بالعزم والقوّة. وإذا كان الإنسان يصمّم في بذل جهده بعفّة ضعف ويثابر عليه

بالدوام، لسوف يصل إلى إدراك الحقيقة ومعرفة كمالها مع أنه ضعيف الفهم وقليل العلم. وهنا ينصح الإنسان بتهديب النفس وبذل الجهد حتى يصل إلى منزلة نفسية سامية من الإخلاص والصدق. " ٢٨٧

وشرح العلامة "جو شى" معانى النص قائلا: " وهذه مواد تفصيلية لوصول الإنسان إلى الإخلاص والصدق وتحقيقه في الواقعة. والإنسان يبحث ويدرس، ويستسأل ويتفكر، ثم يحل ما حصل عليه، ويناقشه حتى يصل إلى معرفة الحقائق. وحينما يختار الخيرة من الحقائق فصار عارفا، وحينما تعلم فيها فصار عاقلا؛ ثم يطبق تطبيقا عمليا لما حصل عليه من العلم والمعرفة؛ ويصمم على هذا التطبيق العملي في سبيل تحقيق الرحمة (رين)، وإثمه لا يتسلك ولا يتصرف إلا وسلوكه وتصرفاته تكون نفعاً للناس جميعاً. والرجل الفاضل لا يبحث إلا أن يصل إلى حقيقة المعرفة؛ ولا يقف في بحثه إلا إلى أن ينجح فيه، فلذا أن الرجل الفاضل يبذل دائما في دراسته أضعاف الجهود. ولذا من يصل إلى المعرفة الحقيقية بعد بذله الجهود العظيمة، فهو يعتبر شجاعاً. ومن يختار الخيرة والمعروف فهو العارف المتفهم؛ ومن يكون القوى وصميم الإرادة فهو المثابر على طريق الحق. " ٢٨٨

وفي هذا النص وجدنا أن المؤلف قد أشار إلى أهم الخطوات للبحث عن العلم وعن طريق الحق واختيار الأفضل، وهذه الخطوات البحثية لها قيمة عظيمة بالنسبة إلى كل باحث وطالب، ولو في عصرنا هذا يمكنه أن يستفيد من هذه الطرق الدراسية.

الخطوة الأولى: هي التعلم الواسع، وهذا يجنب الباحث من أفاق معرفته محدودة، والعلم هنا في نظرة الكونفوشيوسية لا يشمل فقط المعلومات الحساسة، بل يشير إلى كثرة من الحجج والعلل في الحياة الإنسانية الاجتماعية مثلا العدالة والفضيلة والبر والمعروف والأمانة والتسامح وغيرها.

٢٨٧- الشرح التفصيلي لكتاب الوسيط والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٢٣.

٢٨٨- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شى، للصفحة ١٩.

والخطوة الثانية: هي الاستفسار والتساؤل، وفي استكشاف العلم ومعرفة الحجج والعلل يكون هناك أسئلة كثيرة يحتاج إلى جوابها، وهذا الاستفسار والتساؤل يراد به يفكر فيه ملياً مرات قبل أن يسأله، فالباحث الممتاز هو الذي يسأل الجوهر واللياب.

والخطوة الثالثة: هي التفكير والتأمل، وهنا يعني أن الباحث قد فهم ما يشكك به الاستفسار، ولكن من اللازم أن يفكر ويتأمل فيه بعدة حتى تترسخ تلك الحجج والعلل في أعماق قلبه.

والخطوة الرابعة: هي التحليل والمناقشة، بعد الاستفسار والتساؤل عن الشك والارتباب وبعد التفكير والتأمل فيما فهم من الحجج والعلل، ولكنها مجرد النظريات، فيحتاج الباحث في حياته الواقعية إلى تمييز الحق من الباطل وتفريق الخير من الشر، لكي يتذوق بنفسه معاني هذه العلال ويتلذذ بأسرارها.

والخطوة الخامسة: وبعد هذه الجهود الأربعة الكبيرة في البحث عن طريق الحق التي لا بد أن يبذلها الإنسان، وهناك خطوة أخيرة، وهي أهم الخطوات لا يستغنى عنها الباحث في سبيل طلب العلم والمعى وراء طريق الحق، ألا وهي الخطوة التطبيقية العملية لهذه الحجج والعلل؟ وهذه ما تركز عليها الكونفوشيوسية وتؤكد لها دائماً، فترى أن العلم لا بد منه أن يتم تطبيقه العملى فى حياة الإنسان الواقعية، والعلم بلا تطبيق اعتبار تجردى لا معنى ولا قيمة له، ولا يشجع الإنسان على تطبيق العلم فقط بل يشجعه عليه بالإخلاص والصدق خالصاً من الزيوف والكذب فى تطبيقه العملى لهذه الحجج والعلل. فقال " جُو شى " بإيراد كلام العالم " تشنغ تس " بقوله: ومن هذه الخطوات الخمسة لو ينقص منها واحدة لما اعتبرناه علماً حقيقياً. " أى العلم الحقيقى عند تشنغ تس لا بد من الجمع بينه وبين التطبيق العملى. " ٢٨٩

وإلى هنا قد انتهينا من نصوص الفصل العشرين وهو أطول فصل فى الكتاب، وفى هذا الفصل قد بين المؤلف " تس مي " النقاط المهمة لإدارة البلاد للحكام والسبل الصالحة لسياستها الداخلية والخارجية، والحاكم هو السبب الرئيسى لأمن البلاد واستقرار المجتمع، وهو قدوة حسنة

لرعيته جميعا. فلذا، أكد المؤلف أهمية تهذيب الحاكم للنفس وإصلاحه الذاتي، تتناول الأخلاق الثلاثة الكبرى في مجال تهذيب النفس، والمبادئ الخمسة العامة في مجال توفيق العلاقات الاجتماعية، والقواعد الفصص الشرعية في سياسة البلاد وإدارة شؤون المجتمع، وكلّ هذه - سواء أكان التهذيب النفسي باطنا أو إدارة البلاد وسياستها خارجا - لا يستغنى عن حجرة الأساس فيها، وهي صفة الإخلاص والصدق، التي يحصل الإنسان عليها عن طريق القلم الواسع، والاستفسار والتساؤل، والتفكر والتأمل، والتحليل والمناقشة، والتطبيق العملي بالإخلاص والصدق، كل هذه النقاط الخمسة هي الوسائل التي يصل الإنسان إلى صفة الإخلاص والصدق. كما فصل المؤلف حيث إن صفة الإخلاص والصدق هي القاعدة الأولى في الحكم والسياسة كلها.^{٢٦٠}

٢٦٠ - النظر: الوصول إلى البر الكفيل - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتفب الوسيطية والاعتدال ، الصفحة: ٢٦٠.

第二十一章

原文：自诚明，谓之性。自明诚，谓之教。诚则明矣，明则诚矣。

今译：有至诚而后有明德，是圣人的自然天性，所以叫做性。有明德而后有至诚，是贤人经过学习而达到至诚，所以叫做教。有了诚就无不明，有了明就可以算作诚了。

الفصل الواحد والعشرون

التمهيد :

ومن خلال تبیین المؤلف فی الفصل السابق، عرفنا عن العلاقة المتلازمة بين السياسة الرشيدة وبين تهذيب الحاكم الصالح نفسه على أساس المبادئ الخمسة الاجتماعية العامة والأخلاق الثلاثة الكبرى والنظم التسع الإدارية الجامعة. كما قدم لنا المؤلف فى أواخر الفصل العشرين قضيةً عظيمةً فى صفة الصدق والإخلاص وكيفية تحقيقها عند الحكيم الكامل الأخلاق بفطرته السماوية خاصةً وعند العلماء الصالحين عن طريق التعليم والتربية عامةً.

فهذه الأخلاق الكبرى والمبادئ العامة والنظم الهامة مع كمالها فى إصلاح مجتمع الإنسان أخلاقياً وسياسياً، كان كل بناءها يرجع إلى حجر أساسى مشترك، لنجاح تنفيذها علمياً وعملياً، وهو معروف بقضية " صفة الصدق والإخلاص " عند الكونفوشيوسية.

وبناءً على هذه الأهمية كان المؤلف " نس مى " يتخذ قضية صفة الصدق والإخلاص محورا مركزيا فى كتابه هذا، وأصبح الفصل الواحد والعشرون- الذى نحن بصدد بيانه- مفتاحاً ذهبياً لتطبيق منهج الوسطية والاعتدال فى حياة الإنسان الواقعة، وكانت الفصول التالية من بعد هذا الفصل تنور أحاديث كلها حول قضية صفة الصدق والإخلاص توضيحاً واستنباطاً من جوانبها الأخلاقية والميتافيزيقية حتى إلى نهاية الكتاب.^{٢٩١}

٢٩١- انظر: كتاب الوسطية والاعتدال بشرح جوشي، الفصل ٢١، للمصحة ٢٠.

النص :

" وبصفة الصدق والإخلاص يحصل صاحبها على فضيلة الحكمة والعلم، ذلك يسمى بفطرة الإنسان السماوية؛ وبفضيلة الحكمة والعلم يصل أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص، ذلك يرجع إلى طريق التعليم والتربية الكسبيّة. مع وجود صفة الصدق والإخلاص يحصل صاحبها على فضيلة الحكمة والعلم فطرياً؛ ومع وجود فضيلة الحكمة والعلم يصل أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص اكتساباً. "

الشرح:

بعد تقديم قضية الصدق والإخلاص مع بيان كيفية تحقيقها في أواخر الفصل السابق، كان المؤلف " نس سبي " يركّز حديثه في هذا الفصل على جانبين : الجانب الأول: العلاقة الوثيقة المتلازمة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم باطنة وظاهرة؛ والجانب الثاني: الترابط الوثيق في إشراق الإنسانية وإرشاد المجتمع بين موهبة الفطرة السماوية للحكيم وبين طريق التعليم والتربية المكتسب للعلماء الصالحين.

وهذا الفصل يتكوّن من أربع عبارات، واتخذ المؤلف العبارتين الأولىين كمقدمة منطقية في القضية، وهي موضوع الدراسة في الجانب الأول؛ كما خصّ على النتيجة النهائية للقضية، وهي مضمون البحث في الجانب الثاني. فلنأت إلى تفاصيلها كما يلي:

الجانب الأول: بيان العلاقة الوثيقة المتلازمة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم ظاهراً وباطناً.

قال العلامة " جو شي " في شرحه: " إن الذي يُقَصَف بصفة الصدق والإخلاص في كلّ خُلُق من أخلاقه، كان بحكمته المشرقة يقطن جميع حقائق الأشياء، فذلك من شمائل الحكيم، تصوير له فطرية في طبيعته، ويمكن أن نسمّيها بالسنة السماوية. وأما الذين يعرفون الحق والخير، ثم

يطبقونها عمليا بكل صدق وإخلاص، فذلك من مآثر جهود العلماء الأفاضل، حاصلة عن طريق التربية والتعليم، ونسبها بالأسلوب الإنشائية المكتسبة. " ٢٩٢

وقال المفسر " جينغ شوان " في شرح مقاصد الفصل هذا قائلا : " الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص القائمة يحصل على فضيلة الحكمة والعلم، هذا يصدر من فطرة الحكيم (聖人) موهبة؛ وأما الذين يحصلون على فضيلة الحكمة والعلم ومن ثمة يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص القائمة، ذلك يرجع إلى اكتساب العلماء الأفاضل عن طريق التعليم والتربية. فإن صفة الصدق والإخلاص القائمة تمنح صاحبها فضيلة الحكمة والعلم طبيعيا؛ حينما كانت فضيلة الحكمة والعلم يرشد أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص اكتسابا. " ٢٩٣

وكانت هذه الحالة الأولى في الفصل السابق وصفت بشمائل الحكيم بأنه يعتدل في أعماله بدون كلفة، ويحصل على معرفة الحق والحكمة بلا مشقة، ويسير بمقتضى منهاج الوسطية والاعتدال بكل سلام وكمال. فكان جميع شمائل الحكيم تصدر من فطرته الموهبة وفقا للسنة السماوية المقدرة.

وأما الحالة الثانية فهي موصوفة في الفصل السابق بمآثر العلماء الأفاضل بأنهم يجتهدون في معرفة الحق والخير في سبيل تهذيب أنفسهم بصفة الصدق والإخلاص. فكان كل مآثر العلماء الأفاضل يرجع إلى طريق الكسب في المواقف الخمس الرياضية (الواسع في طلب علمه، والفطن في حسن سؤاله، والمجد في تفكير حقائقه، والبصير في تمييز دقائقه، والراسخ في تطبيق مطالبه).

الجانب الثاني: الاتفاق المترابط في إشراق الإنسانية وإرشاد المجتمع بين موهبة الفطرة السماوية للحكيم الكامل الأخلاق وبين طريق التعليم والتربية المكتسب للعلماء الأفاضل.

قال " تشيانغ دأى " في شرح هذا الاتفاق بالتمثيل التالي: " إنها قضية مختلفة المنهج ومتحدة المطلب. إذ كان صاحب الحالة الأولى متصفا بصفة الصدق والإخلاص يحصل على فضيلة

٢٩٢- كتاب الوسطية والاعتدال بشرح " جوتسي "، الفصل ٢١، الصفحة ٥٩.

٢٩٣- يوامع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، جونغ بينغ دأ، الجزء ٢ الصفحة ٢٤٩.

الحكمة والعلم، مثله كمثل الذي أشعل نارا بحجر الزناد في يده، إذا اقتدح به حصل على مطلبه شرارا وتارارا. وبينما كان أهل الحالة الثانية من فضيلة الحكمة والعلم يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص، مثله كمثل الذي قد اقتبس النار من موقد ومشعل الآخرين وهو في نفس الوقت يبحث عن هجر القذاح، وإن حصل على القذاح فلا حاجة إلى الاقتباس من الآخرين. لحواء على هاتين الحالتين في نارهما المحصورة باختلاف المنهج والأسلوب. وعلى أساس التشبيه المثالي هذا وصلنا إلى نتيجة قضيتنا هنا فنقول: حصول الحكيم من صفة الصدق والإخلاص على فضيلة الحكمة والعلم فطرة، هذا لا ينافي ضرورة إقامة طريق التعليم والتربية المكتسب. كما كان وصول العلماء الأفاضل من فضيلة الحكمة والعلم إلى صفة الصدق والإخلاص كسبيا، ذلك لا يعارض وجوب اتباع فطرة الإنسان الموهوبة. " ٢٩٤

ومن خلال دراستنا في آراء العلماء الكونفوشيوسيين القيمة في شرح وتوضيح الفصل الواحد والعشرين، عرفنا العلاقة السببية المتفقة بين صفة الصدق والإخلاص وبين معرفة الحق والخير، ممثلة بين الموهبة الفطرية للحكيم وبين الطلب الكسبي للعلماء الأفاضل.

وكان الحكيم بصفة الصدق والإخلاص في نفسه يحصل على معرفة الحق والخير فطريا ويعمل على مطالبهما مطمئنا، فأصبح مثل حالته كمثل صدور الماء من أصله المتبوع إلى فرعه التابع طبيعيا. وبينما كان العلماء الأفاضل بفضل معرفة الحق والخير عن طريق التعليم والتربية يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص اكتسابا ويعملون على مقاصدها مجتهدين، فأصبح مثل حالتهم كمثل وصول الفرع التابع إلى أصله المتبوع رجعا.

فكلتا الحالتين الأولى والثانية - مع اختلافهما درجة واسلوبا - أصبحتا ممثلة في منافعهما رُشدا وهديا بإشراق الإنسانية وإصلاح المجتمع. فقدّم لنا المؤلف نتيجة القضية هنا قائلا: " مع وجود صفة الصدق والإخلاص يحصل صاحبها على فضيلة الحكمة والعلم فطرة؛ ومع وجود فضيلة الحكمة والعلم يصل أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص اكتسابا."

٢٩٤- انظر: الشرح التلخيصي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كيا مؤلف، الصفحة ٢٣٩.

第二十二章

原文：唯天下至诚，为能尽其性。能尽其性，则能尽人之性。能尽人之性，则能尽物之性。能尽物之性，则可以赞天地之化育，可以赞天地之化育，则可以与天地参矣。

今译：只有天下至诚的圣人，能够极尽天赋的本性。既然能够极尽天赋的本性，就能够兴养立教极尽众人的本性。既然能够极尽众人的本性，就能够兴樽节爱养极尽万物的本性。既然能够极尽万物的本性，就可以赞助天地生成万物。既然可以赞助天地生成万物，那么至诚的功用同天地并列成三了。

الفصل الثانی والعشرون

التمهيد:

بعد أن ذكرنا العلاقة الوثيقة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم فطرةً واكتساباً مع بيان اتفائيهما الغائية في إرشاد الإنسانية وإصلاح المجتمع في الفصل السابق، كان المؤلف "نس مى" يعرض في هذا الفصل - على وجه الخصوص - المثل الأعلى في صفة الصدق والإخلاص التامة، يتمثل بشخصية الحكيم الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص فطرةً فيحصل على فضيلة الحكمة والعلم موهوباً، ويبين شمائله المثلى في تهذيب نفسه إكمالاً وإصلاح المجتمع تربيةً وإحسان سائر الخليقة عنايةً، حتى يتعايش جنس البشر مع كل الموجودات في العالم بسلام ووفاء ويحقق القيم المعنوية الإنسانية العليا بين السموات والأرض شرفاً وعظماً.

النص:

"ما من أحد في العالم إلا الحكيم الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة، هو يستطيع على أن يحقق ويكمل فطرته السموية الخالصة. وإذا استطاع على إكمال فطرته لنفسه، يمكن له أن يرشد الناس في تحقيق فطرتهم الخالصة تربيةً وتعليماً. وإن استطع تحقيق الفطرة لجميع

الناس إرشاداً وتهذيباً، يقدر على إكمال سائر الخليقة في إظهار طبيعتها الخالصة عنانية ومراعاة. ومع إكماله لسائر الخليقة في إظهار طبيعتها الموهوبة، يمكن له أن يشارك السموات والأرض في تنمية جميع المخلوقات بينهما تربية وإزدهاراً. ومع مشاركته معهما في تنميتها يمكن له أن يتعايش معهما ويكون ثالث الثلاثة الكبرى - السموات والأرض والإنسان - عظمة وجلالة.

الشرح:

بعد بيان ما في الفصل السابق من العلاقة المتينة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم خلقية وخلقية، يفصل المؤلف خاصاً في هذا الفصل مآثر صفة الصدق والإخلاص القائمة، ممثلة بشمائل الحكيم الكامل الأخلاق التي تنبثق من فطرته الخالصة الموهوبة، ومشاركة في تنمية كل الخليقة بين السماوات والأرض توفيقاً وإكمالاً.

قال الحبر " جينغ شوان " في شرح معاني الفصل هذا: " العبارة في النص ' يقدر على أن يحقق ويكمل فطرته السماوية الخالصة. ' المراد بها أن الحكيم يتبع فطرته ويوافق مطالبها حتى لا يضل نفسه عن حقيقتها الموهوبة. والكلمة ' يشارك ' معناها يساعد. وأما الكلمة ' للتنمية ' فالمراد بها معنى التربية، أي يشارك ويساعد السماوات والأرض في تربية كل الخليقة بينهما تطورا وإزدهاراً. فأشار المؤلف بهذا النص إلى حقيقة مفروضة للحكيم وأهليته على السلطة والملوك حتى يتحقق المثل الأعلى الاجتماعي بنشر السلام والسعادة في كل أنحاء العالم على سوام. " ٢٩٥

وقال العلامة " جو شى " في تبیین المقاصد الأخلاقية والميتافيزية التي يكشفها المؤلف في هذا الفصل: " إن العبارة في النص ' ما من أحد في العالم إلا الحكيم الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص القائمة '، والمراد بها أنه كان كل أخلاقه صادقة ومخالصة للغاية فلا مثيل له تحت السماوات إلا وحده. وقوله في النص ' هو يستطيع على أن يحقق ويكمل فطرته السماوية الخالصة '، فالمراد بها أنه كان جميع مكارم أخلاقه صادقة بكل معنى الكلمة وهي خالصة من كل

الشهوات والأهواء الرذيلة، بل هي من فطرة الإنسان الموهوبة من عند السماء (天 - ييان)،
مكتشفة على حقيقتها بكل دقة وعمق، ومطابقة على جميع مطالبها باطنية وظاهرة. ولذلك نقول
إن فطرتي أنا كفرد متحدة مع كل أفراد جنس البشر ومشتركة مع طبيعة سائر أجناس الخليقة من
الحيوانات والنباتات والجمادات، إلا أن هناك اختلاف موهوب ومقدر بيني وأنا وبين هؤلاء
وأولئك في الخاصية والشكلية. وأما قوله ' يستطيع على تحقيق فطرة جميع الناس ' ويقدر
على إكمال طبيعة سائر الخليقة ' فالمراد بأنه يستوعب علمه كل حقائق هؤلاء وأولئك ويعاملهم
معاملة معتدلة بدون إفراط ولا تفريط. والكلمة في النص ' يشارك السموات والأرض ' تعني
يساعدهما. والعبارة في النص ' يتعايش مع السموات والأرض '، المراد بها أنه يساهمهما عظمة
وجلالة ويحل محلّ الثالث الثلاثة الكبرى. وكل الأحوال في النص يتحدث عن قضية الحكيم الذي
يتّصف بصفة الصدق والإخلاص وكيفية تحصيله على فضيلة الحكمة والعلم. " ٢٩٦

إن الكونفوشيوسية لم تقف على التهذيب النفسي والإصلاح الذاتي فحسب، بل كان المثل
الأعلى بالنسبة إلى الحكيم والعلماء الأفاضل هو تهذيب النفس أولاً، ورعاية الأسرة ثانياً، ونشر
الأمن والسلام تحت السموات ثالثاً، وهذه المثل الأعلى في الإنسانية قد كرّرها في الكتب الأربعة
وخاصة في كتاب المعرفة الكبرى بكل وضوح.

وعلى هذا الأساس، كانت صفة الصدق والإخلاص هو المثل الأعلى في مكارم الأخلاق
الإنسانية عند الكونفوشيوسية. فالصاحب الذي يكشف ويحقق فطرته السماوية الخالصة كان كل
خلق من أخلاقه صادقاً ومخلصاً عن شيء باطل ومخلوق، فهو بعيد عن كل الشهوات النفسانية
القيحية. وكانت هذه الفطرة السماوية الخالصة هي حقيقة ذاتية قائمة في كل نفس الإنسان مثل أنا،
وإذا أمكن لي أن أكتشف فطرتي السماوية الخالصة كما كل الحكيم حقها طبيعياً، فذلك يمكنني
أولاً - بصفتي أنا كفرد من أفراد الإنسان - من معرفة حقيقة فطرة الناس الآخرين كلهم كنوع
مشترك بيني وبينهم، ويمكنني ثانياً من إدراك ماهية طبيعة الحيوانات والجمادات جميعها كجنس

قريب وجنس بعيد بين الإنسانية الروحية وبين الحيوانية والمادية، على اختلاف الخاصية وانفراق الشكلية بينى وبين هؤلاء، مما يجعلنى أعامل جميع الكائنات فى العالم معاملة معتدلة بتورن إفراط ولا تفريط، حتى أساعد وأشارك السماوات والأرض فى دور تنمية كل الموجودات بينهما تطورا وتوقفا، فأصبح أخيرا بإنسانيتى أنا الكاملة ثالث الثلاثة الكبرى فى العالم والسماوات، والأرض، والإنسان- جلاله وعظمه.

وكان المؤلف " شس سبي " يتحدث فى هذا الفصل عن غائية الصديق والإخلاص التامة التى يتمثل بها الحكيم فى فطرته السماوية، فذلك هو السبب الدافع إلى احتلال الإنسان بمكانة ثالث الثلاثة الكبرى بين السماوات والأرض، لمشاركته معهما فى مجال تنمية جميع الكائنات بينهما تطورا وازدهارا.

第二十三章

原文： 其次致曲，曲能有成，诚则行，行则著，著则明，明则动，动则变，变则化。唯天下至诚为能化。

今译： 次于至诚的人，就尽力推致一个方面的功夫而达到诚。果能一件件推致，没有遗漏，就能得到全体的诚。有了诚，就能积中发外，形于四体。形于四体，就能日新月异，容止显著。容止显著，就能光辉四照，灿烂光明。灿烂光明，就能动好善之心。动好善之心，就能改过自新，改变气质。改变气质，就能日积月累，相化于善。要做到化，很不容易，只有天下至诚的圣人，才能够达到这个化的境界。

الفصل الثالث والعشرون

التمهيد:

بعد بيان غائية صفة الصدق والإخلاص التامة التي نقسّص للحكيم، ووصوله إلى المثل الأعلى بالإنسانية الكاملة التي تحمله يشارك السماوات والأرض في تنمية جميع الكائنات بينهما توفيقاً وإنسجاماً كان المؤلف "سبى" في هذا الفصل يتحدث عن أحوال جهود العلماء الأفاضل في تحصيلهم على صفة الصدق والإخلاص عن طريق الكسب والتهذيب، وهم يتدرجون من مبدأ من مبادئ مكارم الأخلاق جزئياً إلى استيعاب حقيقتها كلياً، فيكملون شخصية نفوسهم الأخلاقية أولاً ويرشدون عامة الناس إلى الخير والإحسان ثانياً، وأصبحوا أيضاً قوة حسنة تلعب دوراً متماثلاً بفضل الحكيم في خدمة المجتمع وإصلاحه رشداً وهدياً.

فلنبداً - أيها القراء الكرام معا - إلى الدراسة في مضمون الفصل هذا ونحاول على كشف

أسرار تفاصيله العلمية فيما يلي:

النص :

" وأما الذين من دونه ^{٢٩٧} ، فيمكن لهم أن يجتهدوا بأنفسهم في جانب من جوانب مكارم الأخلاق إقانا، حتى يندرجوا إلى كل جوانبها إكمالا، فيستطيعون أن يحصلوا على صفة الصدق والإخلاص باطنا. ومن تحصيلها باطنا تظهر فاعليتها في سلوكهم خارجا، ومن إظهارها خارجا يثبتون مآثرها في كل جوانب حياتهم راسخا، ومن تثبيتها راسخا يضيئون بها من حولهم رشدا، ومن إضاءتها رشدا يألون في نفوس الناس خلقيا، ومن تأثيرهم للجمهور خلقيا يغيرون تصرفاتهم إلى الخير والمعروف سلوكيا، ومن تغييرهم لعامة الناس خلقيا وسلوكيا يحولون المجتمع إلى حالة البر والإحسان تربية وتهذيبا. فما من أحد إلا من يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة، هو الذي يقدر على تحويل المجتمع إلى حالة البر والإحسان تربية وتهذيبا. "

الشرح:

إن الحكيم بصفته التامة في الصدق والإخلاص، يحقق فطرته السماوية أولا ويرشد جميع الناس في تحقيق فطرتهم الخالصة ثانيا ويكشف حقيقة طبيعة سائر الخليقة حتى يكون ثالث الثلاثة الكبرى بين السماوات والأرض شرفا وعظما، فهو كالمثل الأعلى في الإنسانية مستحق لكل واحد من جنس البشر بأن يقتد ويهتد به خلقيا وسلوكيا للأبد.

وهذه هي حالة أفضلية الحكيم خالصة في فطرته وصادقة في علمه وعمله كما بينه المؤلف سابقا، وذلك يسمى عند الكونفوشيوسية بالسنة السماوية المفروضة. وأما جمهور الناس - وعلى رأسهم العلماء الأفاضل - من دون الحكيم درجة وشرفا، فكيف يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص ويأتئ أسلوب ويحققون به فطرتهم السماوية كما حققها الحكيم بوعيه الذاتي، فهذه هي القضية التي يقدمها أمانا المؤلف في فصلنا هذا، وهي معروفة عند الكونفوشيوسية بالطريق الإنشائية المكتسبة، التي يوصف بها العلماء الأفاضل لدى كسبهم بصفة الصدق والإخلاص

٢٩٧- والضمير فيه هو الحكيم المذكور في الفصل السابق أي الذين من دون الحكيم درجة وشرفا هم العلماء الصالحون على وجه الخصوص، كما يدل في دلالة لفظه جمهور الناس عامة.

تهذيباً وترقية. فلنأت أولاً إلى آراء كبار العلماء الكونفوشيوسيين وشروحهم المعتمدة في هذا المجال وهي :

قال الحبر " جينغ شوان " في شرح معاني ألفاظ الفصل هذا: " الكلمة في النص ' وأما الذين من دونه '، أى الأصحاب الذين يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص من الحصول على فضيلة الحكمة والعلم؛ والكلمة ' يجتهدون '، يعنى السعى فى إتقانه؛ والكلمة ' جانب من جوانبه ' أى شيء صغير منه. فهؤلاء إن لم يمكن لهم أن يكتشفوا فطرتهم الخالصة موهوباً، فلقد حصلوا صفة الصدق والإخلاص اكتساباً، وهم أيضاً ناجحون فى تحصيل حقيقتها وتأدية مطالبها. والكلمة فى النص ' إظهارها خارجاً '، أى تنكشف فوائدها فى الخارج مرفوعة بعد ما كانت صفة الصدق والإخلاص مضمرة فى باطن النفس لا يراها أحد. والكلمة ' تثبيتها راسخاً ' تعنى أنها تبلغ إلى أشد الإظهار والعلانية فى إقامتها. والكلمة ' إضاءتها رشداً ' المراد بها تزداد تورا وهدى فى إثباتها. والكلمة ' تأثيرها لنفوس الناس خلقياً ' أى تتأثر بها قلوبهم باطنا معنوياً. وأما الكلمة ' تغييرها لعامة الناس سلوكياً ' فيعنى تفودهم فى ترك السيئات وتحبثهم بالسعى إلى الحسنات. وإذا تغيروا خلقياً وسلوكياً بصفة الدوام أكمّلوا تهذيب أنفسهم على الخير والإحسان طبعاً وعادة. ٢٩٨

وقال العلامة " جوشى " فى كشف مقاصد الفصل هذا: " إن العبارة فى النص ' وأما الذين من دونه '، والمراد بها العلماء الأفاضل وعامة الناس الذين لم يصلوا إلى صفة الصدق والإخلاص التامة، من حيث أن فطرة الإنسان كانت واحدة لا تختلف فى الجنس البشرى، إلا أن الخاصية الخلقية لكل فرد من أفرادها يتفاوت فيها بعضهم عن بعض. فما من أحد منهم إلا الحكيم وحده يستطيع أن يكشف ويتقن حقيقة فطرته الخالصة ذاتياً فى إقامة مطالبها كلياً. وأما الذين من دونه كالعلماء الأفاضل وعامة الناس فلا سبيل لأى واحد منهم فى استيعابها إلا أن يبتدأ بمبدأ

أساسي من مبدئ الخير والإحسان^{٢٩٩}، فيتدرج إلى إكمالها شيئا فشيئا حتى يتقن حقيقتها، ويستوعب مطالبها أخيرا. وإذا أتقنها استيعابا فيصبح ما من خلق من أخلاقه إلا صادقا ومخلصا، وبالتالي سوف يسرى مفعول صفة الصدق والإخلاص في باطنه، وتتجلى مآثرها الفعالة تلقائيا في إظهارها خارجا وإثباتها متينا وإضاءتها مرشدا وتأثيرها في نفوس الناس حسنة وتغييرها في سلوكهم حميدة، حتى يهذب بها كل أبناء المجتمع فيقتربون إلى الخير والإحسان سمعا وطاعة. وحيفت كانت مساهمات العلماء الأفاضل الذين يحصلون على صفة الصدق والإخلاص التامة عن طريق التدرج والترقي المكتسب، سوف تصبح متماثلة ومشاركة مع مآثر الحكيم الكامل الأخلاق في إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع نورا وهديا. " ٢٠٠

وكنز المؤلف " ثمن سبي " يرى أن العلماء الأفاضل وعامة الناس الذين كانوا من دون الحكيم الكامل الأخلاق درجة وشرقا في تحقيق فطرة الإنسان الخالصة، من حيث أنهم لم يقدروا على تهذيب أنفسهم عن ضرور الشهوات والأهواء في حياتهم الواقعة، إلا أن ضمير الإنسان ما زال متحركا وتسير على فطرته الخالصة، فلا بد أن يكون هناك نقطة الابتداء من مجال الخير والإحسان في قلبه للكشف والإظهار، وذلك يُسمّى بـ " جانب من جوانبه "؛ وإذا تدرج الإنسان في تهذيب نفسه على هذا المبدأ الخلقى الحسن وترقى شيئا فشيئا فيصير أخيرا إلى إتقان حقيقته وإكمال مطالبه كليا. وذلك يُسمّى بـ " الإتقان التدرجى ".

وعلى سبيل المثال، إذا انبثق من قلبه نية واحدة في الحنان والرحمة فليوسعها ويطبقها في كل جانب من جوانب حياته الواقعة حتى يصبح رحيفا بكل معنى الكلمة؛ وإذا انفجر من قلبه نية واحدة في حب الخير وكرامة الشرف فليثبتها ويعمل بها في كل جانب من جوانب حياته الواقعة حتى يصير عادلا بكل معنى الكلمة؛ وهكذا يتدرج في تهذيب نفسه على فضيلة الأديب والحكمة

٢٩٩- يرجع هذا الرأي أصله إلى نظرية المبادئ الأربعة الخلقية التي يجمع فيها أمهات معارف الأخلاق وأسسها، وهي صفة الرحمة والعدل والأديب والحكمة عند الكونفوشيوسية، وكان المعلم الطائى الكونفوشيوسى "منشيوس" يقدم نظرية خاصة لإثبات قضية حسن طبيعة الإنسان الفطرية والاستدلال على صحة هذه القضية، وهي تعرف بنظرية " المبادئ الأربعة الخلقية "، ولقد مزنت تفاصيلها في بداية الفصل الأول برسائنا هذه، ويمكن للقراء الكرام الرجوع إليه.

٢٠٠- كتاب الرسالية والاعتدال بشرح " جو شى "، الفصل ٦٣، الصفحة ٦٠.

أساسي من مبدئ الخير والإحسان^{٢٩٩}، فيتدرج إلى إكمالها شيئا فشيئا حتى يتقن حقيقتها، ويستوعب مطالبها أخيرا. وإذا أتقنها استيعابا فصيح ما من خلق من أخلاقه إلا صادقا ومخلصا، وبالتالي سوف يسرى مفعول صفة الصدق والإخلاص في باطنه، وتتجلى مآثرها الفعالة تلقائيا في إظهارها خارجا وإثباتها متينا وإضاعتها مرشدا وتأثيرها في نفوس الناس حسنة وتغييرها في سلوكهم حميدة، حتى يهذب بها كل أبناء المجتمع فيقتربون إلى الخير والإحسان سمعا وطاعة. وحينئذ كانت مساهمات العلماء الأفاضل الذين يحصلون على صفة الصدق والإخلاص التامة عن طريق التدرج والترقي المكتسب، سوف تصبح متماثلة ومشاركة مع مآثر الحكيم الكامل الأخلاق في إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع نورا وهديا.^{٣٠٠}

وكان المؤلف "تس سي" يرى أن العلماء الأفاضل وعامة الناس الذين كانوا من دون الحكيم الكامل الأخلاق درجة وشرفا في تحقيق فطرة الإنسان الخالصة، من حيث أنهم لم يقدروا على تهذيب أنفسهم عن غرور الشهوات والأهواء في حياتهم الواقعة، إلا أن ضمير الإنسان ما زال متحركا وتسير على فطرته الخالصة، فلا بد أن يكون هناك نقطة الابتداء من مجال الخير والإحسان في قلبه للكشف والإظهار، وذلك يُسمى بـ "جانب من جوانبه"؛ وإذا تدرج الإنسان في تهذيب نفسه على هذا المبدأ الخلقى الحسن وترقى شيئا فشيئا فسيصل أخيرا إلى إتقان حقيقته وإكمال مطالبه كلها. وذلك يُسمى بـ "الإتقان التدرجى".

وعلى سبيل المثال، إذا انبثق من قلبه نية واحدة في الحنان والرحمة فليوسعها ويطبقها في كل جانب من جوانب حياته الواقعة حتى يصبح رحيفا بكل معنى الكلمة؛ وإذا انفجر من قلبه نية واحدة في حب الخير وكراهة الشر فليثبتها ويصل بها في كل جانب من جوانب حياته الواقعة حتى يصير عادلا بكل معنى الكلمة؛ وهكذا يتدرج في تهذيب نفسه على فضيلة الأدب والحكمة

٢٩٩- يرجع هذا الرأي أصله إلى نظرية المبادئ الأربعة الخلقية التي يجمع فيها أمهات مكارم الأخلاق وأسسها، وهي صفة للرحمة والعدل والأدب والحكمة عند الكونفوشيوسية، وكان المعلم القائل الكونفوشيوسي "مفضيوس" يقدم نظرية خاصة لإثبات قضية حسن طبيعة الإنسان الفطرية والاستدلال على صحة هذه القضية، وهي تعرف بنظرية "المبادئ الأربعة الخلقية". ولقد ذكرت تفصيلها في بداية الفصل الأول برسائنا هذه، ويمكن للقراء الكرام الرجوع إليه.

٣٠٠- كتاب الوسطية والاعتدال بفهرج "جو شى" الفصل ٢٣، الصفحة ٦٠.

إلى إتقان حقيقتيهما استيعابا. إذ كانت هذه الأربعة - الرحمة والعدل والأدب والحكمة - هي لمهات جميع مكارم الأخلاق ومبادئها، فإذا تيقن مطالبها بالتدرج والترقية فسوف يحصل على حقيقة جميع مكارم الأخلاق بكل صدق وإخلاص. وذلك يسمى بـ " الحصول على صفة الصدق والإخلاص عن طريق الإتقان التدرجى ".

وإذا توفر فى قلبه صفة الصدق والإخلاص فسيظهر مآثرها خارجا، فيتبناها علانيا، فضيئها رشدا، فيؤثر بها غيره خلقيا فى حب الخير وكراهة الشر، فيغيرهم بها سلوكيا فى ترك السيئات والإقبال على الحسنات، فيهدبهم بها على مكارم الأخلاق تربية وتعلima، فيصبح بمساهماته المتدرجة وجهوده المكتسبة فى صفة الصدق والإخلاص التامة، مشاركا ومثملا مع الحكيم الكامل الأخلاق - الذى يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة فطريا - فى إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع نورا وهديا.

وبالجملة، من خلال بيان دور المبارزة الذاتية للعلماء الأفاضل فى تهذيب أنفسهم صادقا ومخلصا وإرشاد غيرهم قواما وهدايا، يكشف لنا المؤلف مهمة جماعة العلماء الأفاضل فى اكتساب صفة الصدق والإخلاص التامة عن طريق التدرج الخلقية والترقية السلوكية، حتى يشاركوا مع الحكيم الكامل الأخلاق فى رسالة إصلاح المجتمع وإشراق الإنسانية الفطرية بين السموات والأرض.

第二十四章

原文：至诚之道，可以前知。国家将兴，必有祯祥；国家将亡，必有妖孽。见乎蓍龟，动乎四体。祸福将至，善，必先知之；不善，必先知之。故至诚如神。

今译：只有至诚的道，可以用来知道未来的事。当国家将要兴盛的时候，一定有吉祥的预兆；当国家将要灭亡的时候，一定有妖孽出现。远取诸物，吉凶发现在蓍龟占卜之中，近取诸身，得失在四体上发生。祸福将要降临的时候，善，必定能够事先知道；不善，也必定能够事先知道。所以至诚的人能预先见到祸福的征兆，灵验如神。

الفصل الرابع والعشرون

للتمهيد:

بعد بيان أهمية صفة الصدق والإخلاص التامة في تهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع في الفصل السابق، جاء المؤلف "تس سبي" في هذا الفصل يتحدث عن مآثرها العجيبة في التنبأ بالآل والشوم للأُمور المستقبلية وفي التوقع بالحوادث العظيمة من خلال كشف دلائلها الخفية والدقيقة. ففي نظر المؤلف أن صفة الصدق والإخلاص التامة ليست قيما أخلاقية ترشد الإنسان إلى الخير والإحسان فحسب، بل هي أيضا تعطى صاحبها قدرة حَقَّائِيَّة يكشف بها حظ الدولة ودورة المجتمع في الازدهار والانحطاط بشيرا ونذيرا، يتمثل خاصة على الحاكم وملاؤه في سياسة رعاياهم عدلا أو ظلما، ويظهر عامة على كل أبناء المجتمع في العناية بسلوكهم الشخصية وتصرفاتهم اليومية صالحة أو طالحة. وكل ذلك كما بينه المؤلف "تس سبي" في النص التالي:

النص:

إنما مآثر صفة الصدق والإخلاص التامة مؤدية إلى معرفة الأمور المستقبلية عن طريق التنبأ والتوقع. وإذا كانت الدولة تقوم في الاستقرار وتنتج إلى الازدهار فلا بد من ظهور بشارة

الخير والقال الحسن لها ^{٢٠١} ، وإن صلوات تقع في الاضطراب وتقترب من الفساد فلا مفر من بروز علامة الشر ونذير الشامة عليها ^{٢٠٢} ، فهذه البشارات والنذر كانت تظهر فالأ أو شأما على الذئب والأخيليا الألبينية من خلال الكهانة والتنجيم بهما كالدلالة الرمزية ^{٢٠٣} ، كما كانت تبرز من بين سلوك الإنسان وتصرفات جوارحه الأربع محسوسة أو منمومة كالدلالة الاجتماعية. ولما أقبل الخير وأنزل الشر قيل حدوثهما كان صاحب صفة الصدق والإخلاص التامة يتنبأ فآله إن كان خيرا، كما يتوقع شؤمه إن كان شرا. حقا أن مآثر صفة الصدق والإخلاص التامة متماثلة ومستدركة بفضائل الملائكة المقدمة في علم الغيب والإحاطة بالمستقبل.

الشرح :

قال المفسر " جيئغ شوان " في شرح معنى اللفظ ' التنبأ ' في تسمية الفصل هذا: " المراد بالتنبأ في الأمور المستقبلية " هنا أن السماء (تيلن) لا يخيب صاحب صفة الصدق والإخلاص التامة في توقعه لها خيرا أو شرا. " ^{٢٠٤}

وعلق " كونغ بينغ نا " على كلامه هذا وقال: " الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة يمكن له أن يعرف الأمور الغيبية قبل حدوثها واقعا. " ^{٢٠٥}

وقال " تشينغ هاو " في بيان العلاقة المتلازمة بين صفة الصدق والإخلاص التامة وبين إثباتها للحق وعلم اليقين في قضية تنبأ الحكيم (圣人) وكشفه للمستقبل قائلا: " إنه كان الحكيم صادقا ومخلصا للحق وعلم اليقين ولم يبق في قلبه أي شك ولا ريب بنة، فكان جميع الموجودات

٢٠١- ومن أمثالها: وحيد القرن الصيني والعقلاء المغرب والذئب المحفوظ والصلب الميمون والبع، وفي اعتقاد قدماء أهل الصين كانت هذه الحيوانات العجيبة والمظاهر الطبيعية المباركة نادرة ظهورها في الدنيا، وإن يظهر بعضها في البلاد فذلك سعد الطالع و قال الحسن: يدل على استقرار المجتمع وازدهار الدولة.

٢٠٢- ومن أمثالها: هبوط الشهاب وزلزال الأرض وانهيار الجبل وتضروب النهر والبع، وفي اعتقاد قدماء الصين كانت هذه الحوادث الهائلة إن يظهر بعضها في البلاد فذلك سوء الطالع ونذير القدرم يدل على انحطاط المجتمع وفساد الدولة.

٢٠٣- قبل ألفين سنة وأكثر كان قدماء الصين يتخفون الذئب والأخيليا الألبينية واسطة الكهانة والتنجيم في التنبأ بالأمور الغيبية متفانين أو متشاكين. وكان رجال الكهانة عندما تكلموا بالعرافة جازوا بتنبأ كبير وخطروا عليه بضعة لآلاف ثم شؤوها حتى تتحقق فأنزلوا في أشكال تصاميم الشقوق وتنبأوا بنفها أو شؤمها. ولما التنجيم بالأخيليا الألبينية لجازوا يخمسون هودا منها وصنفوها حسب نظام الرموز الثمانية التي سجلت في سائر التبدلات، فاستنبطوا من تغير أرقامها وتوقعوا بخرها وشؤمها.

٢٠٤- مجامع الشرح والتعليق للأسماء والكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كونغ بينغ نا، الجزء ٢ الصفحة ٣٥٥.

٢٠٥- المصدر السابق نفسه ونفس الصفحة.

بين السماوات والأرض وكلّ الحوادث في الماضي والحاضر والمستقبل مثبتة حقائقها ومكتشفة أسرارها في نظره وعلمه كشيء واحد مترابط أجزائه ومتواصلة تفاصيله. فما من حظوظ الدولة والمجتمع بين الازدهار والانحطاط إلا أنّه يتنبأ قائله من شرمة بظهور البشارات والتذر الخفية الدقيقة قبل حدوثه واقعا".^{٢٠٦}

وفي نظر الكونفوشيوسية أن الحكيم - كالمثل الأعلى في الإنسانية - قد أتم ذاتيته في صفة الصدق والإخلاص علميا وعمليا، فأدرك بحالته الأخلاقية المثالية هذه واتحد مع إرادة السماء (تيان - 天) الأعلى اتحادا روحيا، حتى أشرق علم اليقين في قلبه على حقائق الكائنات اطلاعا كلياً، فيعرف خيرها وشرها ويتنبأ حظوظ الفأل والشوم فيها متوقفا على علامتها الخفية الدقيقة قبل حدوث الأمور المستقبلية، وهو بفضل إكفائته في التنبأ للغيبات متمثل ومستدرك بفضائل الملائكة المقدسة في علم الغيب والإحاطة بالمستقبل.

وإن حظوظ الدولة بين الازدهار والانحطاط ودور المجتمع بين الصلاح والفساد كل ذلك يرجع إلى العلاقة السببية الماثرة في بواطنها العميقة، ففي إقبال الخير وإنزال الشر علامة متفائل أو دليل متشائم للكشف والإدراك. ولكن للأسف، كانت عامة الناس تغتنى الأهواء والشهوات على أبصارهم وقلوبهم كذبا ومكرا، فيقعون أنفسهم في هذه الغرور الباطلة ولا يفقهون الأحوال المكشوفة أمامهم عبرة وعظة. وأما الحكيم الكامل الأخلاق بصفة صدقه وإخلاصه التامة ولا يغتر قلبه بشهوة ولا هوى، بل يستقر عقله في علم اليقين كالقمر المضيئ يشرف على كل الكائنات في الأرض كبارها وصغارها، فكشف أسرار الفأل والشوم ويتوقع الحوادث المستقبلية خيرها وشرها كما هو ينظر إلى البصمات في يديه بكل دقة ووضوح.

وذلك كما أكدّه العلامة "جوشى" في هذا المجال حيث قال: "وما من أحد إلا العتل الأعلى (الحكيم) في صفة الصدق والإخلاص التامة، الذي لم يبق في قلبه شيء من الباطل

٢٠٦- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا فونغ، الصفحة ٢٤٤.

والكذب سوى الحق واليقين، يستطيع أن يدرك، ويكشف بشاره الفأل من نذير الشؤم قبل حدوث الخير والشر واقعا.^{٢٠٧}

وجدير بالذكر هنا أن العلماء الكونفوشيوسيين كانوا لم يقتصروا على بشاره الخير وعلامة الشر في ازدهار الدولة وانحطاطها من ناحية حدوث بعض الظواهر الطبيعية العجيبة فحسب، بل يتناولون أيضا من المظاهر الاجتماعية المختلفة عبرة وعظة. وإذا كُن الحصاد الوفير في السنة الخصبة فال حسن لسعادة الدولة مائيا، فمن الناحية المعنوية اعتبروا وجود العرف الحسن المستقيم في إرشاد الجماهير العامة وتعيين رجال الصالحين والعنول بالمناصب في الحكومة بشاره وخيرا للاستقرار الدولة وصلاح المجتمع. وكما إذا كانت أضرار الطوفان والقحط في السنة النكبة علامة الشر لمحنة الدولة طبيعيا، فمن الناحية الأخلاقية اعتبروا حدوث البدعة الشاذة المتطرفة في تغيير الاتجاه العام واحتلال الوزراء الجشاع ورجال البلاط الظلمة بالمناصب في الحكومة شؤما ونذيرا على اضطراب الدولة وفساد المجتمع.^{٢٠٨}

٢٠٧- كتاب الوسطية والاعتدال يشرح خورشيد، الصفحة ٩٦.

٢٠٨- ومن أمثاله قال "وانغ فو تشي" (٢٦١٩م - ٢٦٩٢م) "ولقد بقوله: "إنما نذير الشؤم ليس المراد به بعض الغرائب والشواذ الطبيعية في الحيوانات والنباتات فحسب، بل كان الوزراء الخوفا ورجال السياسة الظلمة الذين يفسدون بغيان الدولة وصلاحية المجتمع هم الحق بهذه التسمية للعيلة أيضا." انظر: القرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لن كا خونغ، الصفحة ٢٤٥.

第二十五章

原文：诚者，自成也；而道，自道也。诚者，物之终始，不诚无物。是故君子诚之为贵。诚者，非自诚己而已也，所以成物也。诚己，仁也；成物，知也。性之德也，合外内之道也，故时措之宜也。

今译：诚，就是天命的性，是实心自成的；而道，就是率性的理，是应当自己去实行的。诚，天赋的本然之理，贯穿在万物的始终，没有诚，就没有万物了。所以君子把诚奉为最宝贵的东西。至诚的人，并非自己取得成就就算完事，还要及于万物，行于他人。成己的人，毫无私意，这是仁；成物的人，随物施教，这是知。天性的仁德，体用一致，符合外内一致的规律，所以随时实行，没有不适宜的了。

الفصل الخامس والعشرون

التمهيد:

بعد بيان مآثر صفة الصدق والإخلاص الثامة وأهميتها في حياة الإنسان الواقعة من خلال الفصول السابقة، كان المؤلف " شس سي " في هذا الفصل يتركز في حديثه على كشف فوائد الذاتية في فاعليتها، دالة على شمول صفة الصدق والإخلاص وعمومها وأثرها في توطيد العلاقة بين الفرد والمجتمع والبيئة العامة. وسندرس هذه القضايا المهمة في أثناء القطع الثلاث لهذا الفصل فيما يلي، وهو:

النص:

" إن صفة الصدق والإخلاص صفة ذاتية يهتّب بها الإنسان نفسه حسب فطرته السماوية. وطريق الحق فهو منهاج مستقيم يهتدى به الإنسان في تهذيبه الذاتي وفقا لفطرته السماوية. وإن صفة الصدق والإخلاص صفة جوهرية تتأصل في طبيعة كل الكائنات في العالم بداية ونهاية، فلا مقام لوجود الكائنات طبعاً ومعنى بدونها. ولذلك كان الرجل الفاضل يتخذ صفة الصدق والإخلاص عروةً وتقى لطول حياته تطبيقاً وتمسكاً. "

" وإن صاحب صفة الصدق والإخلاص لم يقتصر على تهذيب نفسه وإكمال ذاتيته وحده فقط، بل يسعى لهداية غيره^{٣٠٩} إلى إكمال شخصيتهم وتحقيق فطرتهم السماوية أيضا. فتهذيب نفسه في إكمال شخصيته أولا، وذلك يسمى بخلق الرحمة، وهداية غيره بها في إكمال شخصياتهم ثانيا، وذلك يسمى بخلق الحكمة. وكان كلاهما يصدر من الأخلاق الأصيلة في فطرة الإنسان السماوية، كصراف جامع بين إصلاح النفس وبين إحسان الغير ظاهرا وباطنا، وهو متفق مع تغير الظروف وتبادل الأحوال."

الشرح:

قال المفسر " جينغ شوان " في شرح معنى الفصل هذا: " هذا النص يتحدث بأن الإنسان إذا حصل على صفة الصدق والإخلاص التامة اكتسابا، فقد نجح في تهذيب نفسه وإكمال ذاتيته. وأن طريق الحق صراط ومنهج يهتدى به الإنسان نفسه في التهذيب الذاتي. فإن كبار الناس كحاكم الدولة ورجالها إن لم يتصف بصفة الصدق والإخلاص اضطرب المجتمع وفسدت البلاد، وأما عامة الناس فإذا بنقص عن صفة الصدق والإخلاص قلن ينال الفجاء والفوز في حياتهم الواقعة. وكان الإنسان إن هذب نفسه في إكمال شخصيته بصفة الصدق والإخلاص فلقد تمسك بخلق الرحمة عروة وثقى، وإذا أرشد غيره إلى إكمال شخصياتهم بصفة الصدق والإخلاص فقد أظهر خلق الحكمة رشدا ونورا. وكل من خلق الرحمة وخلق الحكمة أساس ثابت للفضائل الخمسة الإنسانية العامة (الرحمة والعدل- والأدب- والحكمة- والأمانة)، متفقا بين الموجبات الأخلاقية الباطنة وبين المطالب السلوكية الظاهرة، ومناسبا مع اختلاف الأحوال وتبادل الظروف."^{٣١٠}

وبين العلامة " جو شي " مقاصد الفصل هذا على موقف النظرية الذاتية المينافيزيقية وقال: " إن صفة الصدق والإخلاص صفة ذاتية تقوم عليها كل الموجودات في العالم كيانا ومعنى، وأما طريق الحق فهو صراط ومنهج يهتدى به الإنسان نفسه خلقيا وسلوكيا، وكانت

٣٠٩- اللفظ " غيره " هذا المراد به الناس الآخرون على وجه الخصوص، قد يدخل في دلالة لفظه غير الجنس البشرى من الحيوانات والنباتات والجمادات على وجه العموم.

٣١٠- مجامع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كولغ بينغ ذاك، الجزء ٢ الصفحة ٣٥٦.

صفة الصدق والإخلاص أصلا جوهريا بالنسبة إلى قلب الإنسان وذاته، حينما كان طريق الحق منهجا تطبيقيا بالنسبة إلى عقل الإنسان وإدراكه. وكان كل الكائنات تحت السماوات يصدر من حقيقته الذاتية، فلا وجود لأى شيء موضوعيا قبل وجود حقيقته الذاتية. وإذا نفضت حقيقته الذاتية زال وجود كيانه موضوعيا بالطبع. وبالتالي، إذا لم يكن قلب الإنسان يصدق ولا يخلص فى أعماله الراقعة فستصبح باطلة لا معنى لها فى حقيقتها الذاتية. ولذلك كان الرجل الفاضل يتخذ صفة الصدق والإخلاص مثلا أعلى فى أخلاقه وسلوكه سعيا وتطبيقا. وإذا كان قلب الإنسان صادقا ومخلصا فسينجح فى تهذيب نفسه وإكمال شخصيته، وبالتالي سيجرى طريق الحق فى نفس الإنسان ويهتدى به سبيلا ونهجا. وكان صاحب صفة الصدق والإخلاص لم يقتصر على إكمال شخصيته وحده فحسب، بل يتعدى بها إلى غيره على حد سواء فى إكمال شخصياتهم وهدىهم إلى طريق الحق أيضا. وإن خلق الرحمة يدل على قيمة الوجود الذاتى، وخلق الحكمة يدل على حدوث التطبيق الموضوعى، وكلاهما من فطرة الإنسان طبيعيا، لا خلاف بين ذاتية وجوده وبين موضوعية تطبيقه. وإذا حصل الإنسان عليه فى قلبه ذاتيا فسيظهره فى خارجه موضوعيا، مناسبة مع تغزير الأحوال وتبادل الظروف.^{٢١١}

ويعد أن استفدنا من شروح كبار العلماء الكونفوشيوسيين وأراءهم فى هذا المجال، نقول إن هذا الفصل من خلال قطعاتها الثلاث يتحدث عن أهمية صفة الصدق والإخلاص فى قضية تهذيب الإنسان فى إكمال ذاته أولا وهدى غيره فى إكمال شخصيتهم ثانيا، وإقامة العلاقة المنسجمة بين الإنسان وبين المجتمع والبيئة أخيرا.

من أجل تأكيد دور الفعالية الذاتية فى صفة الصدق والإخلاص، بين المؤلف فى القطعة الأولى أن صفة الصدق والإخلاص ليست بصفة جبرية خارجية، بل هى صفة فعالة واعية ترشد الإنسان فى تهذيب نفسه وإكمال شخصيته، وأن طريق الحق صراط ومنهاج يهتدى به الإنسان فى تهذيبه الخلقى وإكماله الذاتى. وذلك كما قال العلامة "جوشى" فى شرحه: "وكانت

٢١١- كتاب الوسيطية والاعتدال بشرح "جوشى"، المجلد ٢٢، الصفحة ٦٢.

صفة الصدق والإخلاص أصلاً جوهرياً بالنسبة إلى قلب الإنسان وذاته، حينما كان طريق الحق منهجاً تطبيقياً بالنسبة إلى عقل الإنسان وإدراكه.^{٢١٢}

ومن أجل بيان دور العمومية الخالدة لصفة الصدق والإخلاص، كان المؤلف يؤكد في القطعة الثانية أنه ما من أحد من كل الكائنات في العالم إلا وهو صادق في حقيقته ومخلص في طبيعته بدايةً ونهايةً، وإن لم يكن صادقاً ومخلصاً فلا مقام لوجوده كياناً ومعنى. وعلى سبيل المثال نقول: إن الماء صادق في حقيقته المائية المتكونة من ذرتين هيدروجينيتين وذرة أكسجينية (H_2O)، وهو مخلص في طبيعته بالسيلان والرطوبة. وكل هذه صادق ومخلص في مبدأ الماء وعنصره، وإن كان قطرة صغيرة، وفي منتهى الماء وإن يكن بحراً محيطاً. وإذا لم يكن الماء صادقاً بحقيقته ومخلصاً بطبيعته فسيفوت منه وجوده كياناً ومعنى.

وعلى هذه العمومية الخالدة، كان الرجل الفاضل يتخذ صفة الصدق والإخلاص عروةً وثقى لطول حياته تمتكاً وتطبيقاً. وعلى سبيل المثال: إذا كان ابناً فسيكون صادقاً ومخلصاً في برِّ والديه حتى يكمل بِنُوته بكل معنى الكلمة؛ كما إذا كان وزيراً فسيكون صادقاً ومخلصاً في الرفاء لخدمة ملكه ووطنه حتى يكمل مسؤولية الوزارة المعتمدة بكل معنى الكلمة.

وفي القطعة الثالثة كان المؤلف "نُس سِي" يثبت فيها ضرورة صفة الصدق والإخلاص في إكمال الإنسان نفسه وهدى غيره إلى إكمال شخصيتهم، في سبيل تحقيق العلاقة المتحدة بين الإنسان وبين المجتمع والطبيعة البيئية.

فكانت صفة الصدق والإخلاص بذاتيتها الفعالة تمكِّن الإنسان إلى تهذيب نفسه في إكمال شخصيته أولاً، حينما كانت عموميتها الشاملة تدفع الإنسان إلى هدى غيره في إكمال شخصيتهم ثانياً. وبالأول يحقق الإنسان قيمة وجوده الأخلاقية الذاتية، ويُسمى ذلك بخلق الرحمة؛ كما أن الإنسان يحقق بالثاني قدرة إدراكه القابلية الموضوعية، وذلك يُسمى بخلق الحكمة. وكل من خلق

٢١٢- كتاب الوسيلة والاعتدال بشرح "جو شِي"؛ الفصل ٢٣، والصفحة ٦٢.

الرحمة وخلق الحكمة متأصل في فطرة الإنسان السماوية، يساعد الإنسان في تحقيق العلاقة المتحدة المنسجمة بينه وبين المجتمع والطبيعة البينية.

وعلى سبيل المثال نقول: إن الرجل الفاضل الذي يتخذ صفة الصدق والإخلاص عروة وثقى لطول حياته تمسكا وتطبيقا، لم يقتصر على إكمال ذاتيته وحده فحسب، بل يتعدى إلى هدى غيره إلى إكمال شخصيتهم الإنسانية أيضا. فكان الرجل الفاضل كأنه جاز لم يكف بالبر لوالديه في إكمال بنوته فقط، بل يمتد إلى هدى غيره لإكمال بنوتهم في بز آباءهم أيضا، بينما كان الرجل الفاضل لم يكن أمينا في وظيفته الاجتماعية فحسب، بل يرشد غيره إلى أن يكونوا أمناء في وظائفهم أيضا.

وذلك كما قال كتاب المعرفة الكبرى في مبتدأ نصوصه: "إنما تعليمات المعرفة الكبرى تعلم الإنسان في إظهار مكارم الأخلاق إشراقا وإصلاح جميع الناس إكمالا وإعادة نفوسهم إلى الخير والإحسان إيواءا".^{٢١٢}

٢١٢- كتاب المعرفة الكبرى بشرح "جو نبى"، الفصل ٦١ الصفحة ١.

第二十六章

原文：故至诚无息。不息则久，久则征，征则悠远，悠远则博厚，博厚则高明。博厚，所以载物也；高明，所以覆物也；悠久，所以成物也。博厚配地，高明配天，悠久无疆。如此者，不见而章，不动而变，无为而成。

今译：所以，追求至诚的盛德，永远没有止息！追求不息，就历时久长；历时久长，就有效验，就能悠远无穷。悠远无穷，它的积德，就能广博而深厚；广博而深厚，发为事业，就能广大而高明。博大而深厚，就可以用来承载万物；高大而光明，就可以用来覆盖万物；悠长而久远，就可以用来使万物各按本性茁壮成长。博大而深厚，可以与承载万物的地相匹配；悠长而久远，可以与生成万物的天地一样无边无际了。如此说来，至诚功业，这样高大，从配地来说，它的彰著不是自己有意表露，而是自然昭明的。从配天来说，它的变化也不是自己有意鼓动，而是自然变化的。从无疆来说，它的无为并不是自己劳心去做，而是自然成功的。

الفصل السادس وعشرون

التمهيد:

بعد بيان ميزات الشمولية والموضوعية لصفة الصدق والإخلاص في الفصل السابق، كان المؤلف يؤكد في هذا الفصل أهمية خلود صفة الصدق والإخلاص التامة ومآثرها المستمرة في الأنفس والأفاق، تشجيعاً للإنسان على سعيه وراءها والتمسك بها كالمتل الأعلى في حياتهم الواقعة بالمتابعة والمداومة. وهي دعوة خالدة عند الكونفوشيوسية في مجال القيم الروحية والأخلاق الإنسانية لتَهذيب النفس وإصلاح المجتمع وإحسان الخليقة، حتى تعود بالإنسان والعالم إلى السلامة والسعادة وفقاً لعناية السماء الصمد (تيان).

ومن أجل توضيح هذا الهدف في هذا الفصل، كان النص ينقسم إلى ثلاث قطع، والقطعة الأولى تبين لنا أن فضائل صفة الصدق والإخلاص التامة تستمر في سيرتها بلا توقف، حتى

تترقى إلى قمة السعة العميقة والسمو المنير، مساهمة لبساطة الأرض الراسخ وعلو السماء
السائلة مجدا وشرفا، مع امتداد مآثرها في الأنفس والآفاق إلى حد لا نهاية له.

نص القطعة الأولى:

" ما أعظم صفة الصدق والإخلاص خلودا ودواما ! ومن يسع وراءها بلا توقف فقد داوم
على التمسك بالعروة الوثقى، وإذا داوم عليها متمسكا فستبين مآثرها ظاهرا؛ وإن تظهر مآثرها
مبيناً فستتمز بقاءها مديدا؛ وإذا يمتد بقاءها مستمرا فستزداد فضائلها سعة وعمقا؛ ومع زيادتها
سعة وعمقا تترقى مآثرها إلى سمو والضياء في الأنفس والآفاق. وبفضل سعتها وعمقها تقدر
على حمل الخليفة ثقلا ومسؤولية، وبفضل سموها وضياها تعمم جميع الكائنات حفظا وسترا،
وبفضل خلودها الأزلى تفيد سائر الموجودات نموا وازدهارا. فكان العمق الواسع في مآثر صفة
صدق والإخلاص التامة يماثل الأرض في رسوخه لحمل الخليفة ثقلا، وكان سمو المنير في
فضائلها يشارك السماوات في ستره لحفظ الكائنات حماية، وكان بقاءها الخالد تساهم السماوات
والأرض في صمودهما الدائم. وهكذا صفة صدق والإخلاص ومآثرها في الأنفس والآفاق: تتبين
فيهم واضحة، وهي في ثبوتها لم تقصد من إظهارها، يتغيرون بها طوعا وهي في سكوتها لم
تغير في حركاتها، ويستكملون بها خضوعا وهي في صمودها لم تجهد في إكمالها. "

الشرح:

قال الحبر " جينغ شوان " في شرح معاني النص هذا: " إن الكلمة ' فستبين مآثرها ظاهرا
' المراد بها معنى تتأثر في الأنفس والآفاق بكل وضوح. وهذه القطعة تتحدث عن أن صفة
الصدق والإخلاص التامة إذا ظهرت في كل أنحاء العالم بسطا ونشرا، فستزداد يوما بعد يوم في
فضائلها سعة وعمقا وتتكاثر في مآثرها سموا وضياءا. وإن تبلغ صفة الصدق والإخلاص التامة
إلى قمته في العمق الواسع والسمو المنير، تصبح شريكة للسماوات والأرض شرفا ومجدا،
تشجعا للإنسان على أن يتمسك بصفة الصدق والإخلاص ويأثر عليها دائما".^{٢١٤}

٢١٤ - مجامع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة حشر الكفر وشريعة، كرونغ بينغ دا، الجزء ٢ الصفحة ٢٥٧.

ولقد قال " كونغ بينغ دا " فى شرح كلام " جينغ شوان " تعليقاً: " هذا النص يتبين أن صفة الصدق والإخلاص التامة كانت متأثرة تجرى فى الأنفس والأفاق السجاما مع أحوالهم المختلفة، وتستمر فى سيرتها بلا توقف، حتى تصل إلى بقائها الخالدة، وتزداد فى سعتها وعمقها، وتترق إلى علوها وضيقها، وهى تصبح بفضائلها شريكة للسموات والأرض شرفاً ومجداً، " ٢١٥ وكشف العلامة " جو شى " فى مقاصد النص الأخلاقية هنا وقال: " إن صفة الصدق والإخلاص التامة صفة حقّة لا بطلان ولا كذب فيها، فلا تتوقف ولا تنقطع فى جرياتها واستمرارها طبعاً. وقد أشار المؤلف فيه إلى أن متأثر الحكيم الذى يحصل على صفة الصدق والإخلاص التامة كانت مشاركة مع فضائل السموات والأرض شرفاً ومجداً أزلياً فى رعاية الأنفس والأفاق. " ٢١٦

ومن شروح كبار العلماء الكونفوشيوسيين هؤلاء وآرائهم القيمة استفدنا أن مقاصد فى نص هذه القطعة تتحدث عن خلود صفة الصدق والإخلاص التامة وتتؤكد متأثرها الفعالة المستمرة فى الأنفس والأفاق، من حيث أنها بعينها الواسع تكون مهذا - كاللأرض الراسخ- للخلقة حملاً ومسؤولية، وتصبح بسفوها المنير ستوراً - كالسموات الصامتة- للكائنات حماية وحفاظاً، وتصير بخلودها الدائم ميعاداً باقياً للموجودات فى تنميتها وازدهارها. فلا شك أن صفة الصدق والإخلاص التامة فى نظر المؤلف " تشى شى " قد تكون المثل الأعلى فى القيم الروحية والأخلاق الإنسانية، مشاركة للسموات والأرض فى متأثرهما الخالدة فى الأنفس والأفاق.

وجدير بالذكر هنا أن الكلمات فى للنص- العمق الواسع والسمو المتير والخلود المديد، لقد استعار المؤلف " تشى شى " هذه الكلمات الوصفية لمذائح السموات والأرض العظيمة، واستعملها- بأسلوب الحقيقة - فى بيان ذاتية صفة الصدق والإخلاص التامة وفى الثناء على متأثرها الفعالة المستمرة، كما فى نفس الوقت استعملها المؤلف - بأسلوب المجاز- فى بيان

٢١٥- ارجع إلى المصغر السابق نفسه.

٢١٦- كتاب منهاج الوسطية والاعتدال بشرح " جو شى "، الفصل ٢٦، الصفحة ٦٢.

الشخصية المثالية للحكيم الذي حصل على صفة الصدق والإخلاص التامة مدحا لفضائلها المؤثرة المديدة في الأنفس والأفاق.

إنما صفة الصدق والإخلاص التامة متحركة في دوامها، موافقة لكل الأحوال والظروف المختلفة، ومناسبة لجميع العصور والأجيال المتعددة. وسيرتها المستمرة مثلها كمثل تبادل الفصول الأربعة واختلاف النهار والليل وتدارك الشمس والقمر في طلوعها وغروبها بلا توقف ولا انقطاع، وهي - صفة الصدق والإخلاص التامة - زكية وصافية من أي باطل وزائف، فتستمر في سيرتها من دون توقف ولا انقطاع.

وإذا نقيس بهذا المقياس الأخلاقي الإنسان وطبيعته فسند أن الإنسان مع ميله إلى الأخلاق الحميدة فطرياً وشوقه إلى الخير والإحسان معنوي، وأيضاً ينضم في طبيعته غرائز الشهوات والأهواء المادية، فيفتن بها في حياته الواقعة بين حين وآخر، وتحجزه عن تهذيبه الأخلاقي وتقطعه عن طلبه في الخير والإحسان. ومن أجل تشجيع الإنسان لمداومته على تهذيب نفسه وإكمال شخصيته دائماً بدون توقف، كان المؤلف "نس سبي" في القطعة الأولى لهذا الفصل قدم لنا قضية خلود صفة الصدق والإخلاص التامة مع مآثرها الفعالة الخالدة، لينصب أمامنا مثلاً أعلى في القيم الروحية والأخلاق الإنسانية، متمثلاً بالحكيم الذي حصل على صفة الصدق والإخلاص التامة مع فضائلها المؤثرة المستمرة في الأنفس والأفاق.

原文：天地之道，可一言而尽也。其为物不貳，则其生物不测。天地之道，博也，厚也，高也，明也，悠也，久也。今夫天，斯昭昭之多；及其无穷也，日月星辰系焉，万物覆焉。今夫地，一撮土之多；及其广厚，载华岳而不重，振河海而不泄，万物载焉。今夫山，一卷石之多；及其广大，草木生之，禽兽居之，宝藏兴焉。今夫水，一勺之多，及其不测，黿，鼉，蛟，龙，鱼，鳖生焉，货财殖焉。

今译：天地的道理，可以用一句话说尽，那就是一个诚字罢了。天和地的物体纯于一而不二，就是因为诚的缘故。能够诚，当然不息，并且能够生存万物，不可测度。天地的道，正由于纯一不二，所以能够各极其盛，达到广博，深厚，高大，光明，悠远，久长。现在拿天来说，就偏僻一隅讲，不过是明明朗朗的点点光明之多罢了；从全体而言，它是无穷无尽的，那太阳，月亮，星星都在它上面悬挂着，世界上的万物都被它覆盖着。现在拿地看，就局部讲，不过是一撮土之多罢了；从全体而言，它是极其深广而博厚的，载着西岳华山也不感到沉重，河海在它上面奔腾流荡也不见渗漏，世界上的万物它都能承载得起。现在拿山来，就一处看，不过是一拳石的多罢了；从全体而言，推想到它的广大，所有草木都生在山上，珍禽异兽都住在山上，还蕴藏着宝贵的矿藏，开发出来，造福于人民。现在拿水来说，就一处讲，不过是一勺水之多罢了；从全体而言，推想到它的不可测度，鼋鼍，蛟龙，鱼鳖，都生长在这片浩瀚而汪洋的水里，为人们增殖财富。

نص القطعة الثانية:

" إن السُّنة المفروضة في سيرة السماوات والأرض يمكن أن تعبر بكلمة واحدة، وهي: لا ثنائية في حركاتها إلا وحدانية بصفة الصدق والإخلاص التامة، مما تجعل حدوث الكائنات وتغير الموجودات بين السماوات والأرض متعددة ومتنوعة إلى حد لا يحصى فيه. وهذه السنة المفطورة في سيرة السماوات والأرض تتمثل في الأعراض التالية: الواسع العميق، العالي المنير، والخالد المديد. ألم تنظر إلى السماوات فوقنا، ما كان أصلها إلا قطعة صغيرة من الضياء في الفضاء، فتجتمع قطعة قطعة حتى تبلغ إلى كليتها في السمو والضياء إلى حد لا نهاية له، حتى تصبح فيها الشمس والقمر والنجوم، وهي ستور لكل الكائنات تحتها. وانظر إلى الأرض تحت أقدامنا، ما كان أصلها إلا قبضة من التراب الدقيق، فتتراكم قبضة قبضة حتى تصل إلى كليتها العميقة والواسعة، فتحمل عليها الجبال والأطواد بلا ضغط، وتجرى فيها الأنهار والبحار بلا رشح، وهي مهد لجميع الموجودات عليها. ثم انظر إلى الجبال أمامنا، ما كان أصلها إلا حجرة صغيرة من المعدن الصلب، فتتكاثر حجرة حجرة حتى تبلغ إلى كليتها الضخمة العظيمة، فتثبت عليها الأشجار والأعشاب، وتسكن فيه الطيور والوحوش المختلفة، وهي مخزن للكنوز المتنوعة.

ثم انظر إلى البحار بجوارنا، ما كان عنصرها إلا حفنة من الماء المائل، فتزداد حفنة حفنة حتى تصل إلى كليتها في البعد والعمق للغاية، فتعيش فيها التلن والحوت والرقوق والأسماك بأنواعها المتعددة، وهي منبع الثروة وميدان الصيد والتجارة.

الشرح:

من خلال التمثيل بالسموات العليا والقيحاء بالأرض الباسطة العميقة وبالجبال الضخمة العظيمة، وبالبحار واسعة الامتداد، فصل المؤلف "تس مي" في القطعة الثانية هذه الفوائد المؤثرة الشاملة لكمال صفة الصدق والإخلاص وأزليتها في الأنفس والأفاق، تأكيداً أن صفة الصدق والإخلاص الكامل هي السنة الحقيقية الجارية بين السموات والأرض لتطور الكائنات واستمرار حياتها في الكون.

وقد أعلن المؤلف نظريته هذه في بداية القطعة الثانية وقال: "إن السنة الخالدة في جريان السموات والأرض يمكن أن تختصر بكلمة واحدة." إشارة إلى أن صفة الصدق والإخلاص الكامل هي السنة الحقيقية الجارية بين السموات والأرض. ثم أكد المؤلف نظريته هذه من ناحيتين: ناحية البرهان العلمي وناحية التمثيل المحسوس. وقال من الناحية الأولى: "لا ثنائية في حركاتها إلا وحدانية من الصفة الصدق والإخلاص الكامل، فتجعل حدوث الكائنات وتغيرها في السموات والأرض متعددة ومتنوعة إلى حد لا نهاية فيه." لا ثنائية أي وحدانية خالصة لا باطل ولا كاذب فيها، وهي صفة الصدق والإخلاص الكامل؛ لأن تطورات الكائنات متعددة بين السموات والأرض وتغيراتها مستمرة إلى حد غير مقيد، ترجع سببها إلى دوام صفة الصدق والإخلاص الكامل ومآثرها الأزلية. وذلك كما بيته العلامة "جو شى" وقال: "العبارات التالية في النص يبين بها المؤلف مآثر دوام صفة الصدق والإخلاص الكامل بين السموات والأرض. فالسنة الحقيقية الجارية فيهما يمكن أن يلخص بكلمة واحدة، وما هي إلا صفة الصدق والإخلاص. من حيث أنه لا ثنائية فيها وهي صادقة مصدوقة، متحركة لا تتوقف في استمرارها،

فمن مثّرها المستمرة تتغير الكائنات بين السماوات والأرض، وتطور متعددة ومتنوعة إلى حد لا نهاية فيه.^{٣١٧}

وأما الناحية الثانية أى من ناحية التمثيل المحسوس فكان المؤلف "قُس سي" فصل فى هذا المجال مثّرها خلود صفة الصديق والإخلاص القائمة وأرّلتها فى الأنفس والأفاق تمثيلا من السماوات العالية المنيرة التى لم تترك قطعة صغيرة من الفضاء كجزءها الأساسى فى إكمال كليتها السامية، ومن الأرض الباسطة العميقة التى لم تهمل قبضة واحدة من التراب كجزءها الأساسى فى إتمام كليتها الراسخة، ومن الجبال الضخمة العظيمة التى تتجمع حجرة من المعدن كجزءها الأساسى فى زيادة كليتها الكبيرة، ومن البحار الواسعة ممتد البعد التى تتوفر حفنة واحدة من الماء كجزءها الأساسى فى سعة كليتها الممتدة. وكل هذه الأمثلة فى الأفاق بين السماوات والأرض يتخذها المؤلف تشجيعا للإنسان على سعيه إلى مكارم الأخلاق كالكل والكمال ابتداء من تطبيق حسنة صغيرة كجزءها الأساسى حتى يتم شخصيته الفاضلة خلقيا وسلوكيا بكمال صفة الصديق والإخلاص. وذلك كما أشار المفسر "جينغ موان" إلى قصد التمثيل هذا فى هذا النص وقال: " وكل هذه الأربعة العظيمة من السماوات والأرض والجبال والبحار تدل على أن حجر فوق حجر يبنى عمارة، ليس مثل ذلك مثل صاحب صفة الصديق والإخلاص فى كسب الفضائل لنفسه ونشر الهدى لغيره ؟ " ^{٣١٨}

诗云：“维天之命，於穆不已。” 盖曰：天之所以为天也。“於乎不显，文王之德之纯。” 盖曰：文王之所以为文也，纯亦不已。

今译： 《诗经·周颂·维天之命篇》说：“只有苍天之理深远悠久， 历经万古不会停息。” 这就是苍天之所以成苍天的道理呀！该篇中又说：“呜呼，岂不显著吗？

٣١٧- كتاب منهاج الوسطية والاعتدال بشرح "جو شين" الفصل ٢٦٦ الصفحة ٦٤.
٣١٨- مجامع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كوانغ بينغ ذاء الجزء ٢ الصفحة ٣٥٨.

文王的盛德多么纯粹啊！”这就是文王之所以成文王的道理呀！纯粹不二的至诚功夫，同天命一样，是不会停息的。

نص القطعة الثالثة:

" قال الشاعر في سفر القصائد حمدا: " ما أعظم عناية السماء (تيآن) سموا ووقارا تسقى في ميرتها بلا توقف. " ولذلك يقال ويُسمى: ها هو السماء (تيآن) الخالد الصمد. ثم قال الشاعر فيه وهو يمدح أيضا: " ويا للملك ' وون وانغ ' شرفا ومجدا، وما أزكى مكارم أخلاقه صدقا وإخلاصا ! " ولذلك يقال ويُسمى: وها هو الملك " وون وانغ " الحكيم الفاضل، وكان صدقه وإخلاصه يسير في مكارم أخلاقه مداومة بلا انقطاع، وهي مماثلة لعناية السماء (تيآن) في خلودها الصمد.

الشرح:

وفي هذه القطعة أورد المؤلف من سفر للقصائد شعرا طقوسيا يحمّد فيه الشاعر السماء (تيآن) وعنايته الخالدة، كما يمدح فيه أيضا الملك الحكيم " وون وانغ " ومكارم أخلاقه الخالصة. مبيّنا لخلود صفة الصدق والإخلاص ومآثرها الكاملة في الأنفس والأفاق هدى ونورا.

قال الحبر " جينغ ثوان " في شرح معاني القصيدة هذه: " إنما السماء (تيآن) تُسمى بالسماء (تيآن) الخالد الصمد، لأنه يسير في سموه ووقاره من دون توقف ولا انقطاع. فيسمى بالسماء (تيآن) الخالد الصمد. كما كان الملك " وون وانغ " يُسمى بالملك الحكيم الفاضل، من حيث يسلك في مكارم أخلاقه على صدقه وإخلاصه بالمتابعة والمداومة. وكانت مآثرها المستمرة في الأنفس والأفاق مثلها كمثل السماوات في مجدها العالی وكالأرض في عمقه الراسخ وكالجبال في عظمها الثابت وكالبحار في سعتها المديدة. وذلك كما قال ميفر التبدلات: " لم يكن للرجل الفاضل إلا وهو يترقى في أخلاقه الحميدة مثابرة، ومن الحسنات الصغيرة يتركب إلى مكارم أخلاقه علواً ومجدا. " أليس هو كذلك؟ " ٣١٩

ويبين العلامة " جُو شِي " مقاصد الشعر هذا وقال: " لفظ السمق والوقار في عناية السماء (تيان) حمدا لسعتها وعمقها؛ وكلمة ' أركي ' في مكارم أخلاق الملك الحكيم " وُون وَاَنغ " ثناء لإخلاصها من دون أي باطل وزائف فيها. ولقد أورد المؤلف هذا البيت لبيان خلود صفة الصدق والإخلاص الثابتة ومداومتها. وكان شيخنا ' تَشِيَنغ زِي ' يقول فيه: ' إنما سنة السماء (تيان) تسير في حركاتها خالدة بلا توقّف، وكذلك كان الملك الحكيم " وُون وَاَنغ " يسلك خالصا في مكارم أخلاقه تبعا لسنة السماء (تيان) دائما بلا انقطاع. ومع إخلاصه فيها تتخلص من أي باطل وزائف، ومع مداومته عليها بلا انقطاع تستمر مآثرها أبدا وأزلا من دون توقّف. " ٣٠

وكانت ممدوح عناية السماء (تيان) للعالي هي أن تستمر في سيرتها بلا توقّف، وبفضلها تتبادل الفصول الأربعة ميعادا وتتدارك ليلا ونهارا ميقاتا وتتجلى المخلوقات بعضها ببعض نموا وإزدهارا. كما كانت مآثر الملك الحكيم " وُون وَاَنغ " هي أن يداوم على مكارم أخلاقه بلا انقطاع فبلغ إلى قمة إخلاصه الأركي، مماثلة لممدوح عناية السماء (تيان) في خلوده الأزلي، متأثرة في الأنفس والافاق هدى ونورا مع مرور الزمان بلا توقّف. وبفضل صفة الصدق والإخلاص الثابتة في أخلاقه الزكية، يستحق للملك " وُون وَاَنغ " بتسميته ملكا حكيما قاضلا، وهو المثل الأعلى في الإنسانية يقتدى به جنس البشر جيلا بعد جيل.

ونعرف أنه من السهل لأي واحد من الإنسان أن يفعل خيرا في وقت ما، وقد يأتي به في حين ويتركه حيناً آخر؛ ولكن من الصعب أن نطلبه من مثابرتة عليه لطول حياته ويستمر فيه سواء أكان في السراء أو الضراء. فذلك مهمة عظيمة لا يقدر عليها إلا أولو العزم وأصحاب الإرادة الذين يتمثلون بمآثر الملك الحكيم " وُون وَاَنغ " الحكيم الفاضل في إخلاصه الدائم على مكارم الأخلاق من دون توقّف ولا انقطاع. وذلك كما بين الشيخ " تَسَانغ تْس " - وهو أسقا مؤلفنا " رى سى " - وقال: " ألا من الواجب أن يكون العالم الفاضل واسع الصدر وصاحب العزم ؟ فإن عبئه ثقيل وطريقه بعيد ! إذا كانت الرحمة - رين - هي العبء الذي يتحمّله أليس بثقيل

عبثاً؟ وإذا كان طريقه (أي طريق نشر الرحمة - رين) لا ينتهي إلا بقضاء نحيبه أليس بعيد
طريقه؟ " ٣٢١

٣٢١- كتاب الحوار يطرح "جوشي"، الفصل ٨، الصفحة ٧٧.

第二十七章

原文：大哉圣人之道，洋洋乎！发育万物，峻极于天。优优大哉！礼仪三百，威仪三千，待其人而后行。

今译：伟大啊，圣人的道理！像汪洋大海一样浩浩荡荡地流动着充满宇内，它产生和养育万物，高峻广大而通达于天。充足而有余啊！礼的大纲有三百条，礼的细目有三千条，等待圣人、贤人来行这样的大道。

الفصل السابع والعشرون

التمهيد :

وقد ذكرنا أن صفة الصدق والإخلاص التامة هو المثل الأخلاقي الأعلى عند الكونفوشيوسية، فأخذت مكانة رفيعة في كتاب الوسطية والاعتدال، وقد ثنى المؤلف " تشن سي" على هذه الصفة المثالية ثناءً عالية في ستة فصول سابقة بيانا وشرحاً.

وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن ستة الحكيم الفاضل على وجه الخصوص، نبيينا لشمولها على كل جوانب حياة الإنسان الواقعية خلقياً وسلوكياً. حيث بلغت هذه الستة المثالية بسموها العالي وسعتها العميقة إلى حد أقصى في الكمال والخلوص، ونصبت أسوة حسنة تشجع الرجال الأفاضل الخلف على سعيهم وراء صفة الصدق والإخلاص التامة في سبيل تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال وتهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع.

نص القطعة الأولى:

ما أعظم ستة ! وكل مخلوق مغمور بضياءها تنمية، وسموها يرتفع إلى السماوات كبرا. ويا لها من الكمال سعة ! تشتمل أداؤها على ثلاثمائة فصل كلي وتفرع أنظمتها إلى ثلاثة آلاف شرط جزئي، منتظرا لأهلها^{٢٢٢} تطبيقاً ورشداً.

٢٢٢- كلمة ' منتظرا لأهلها ' المراد بها الحكيم، ومن تبعه من الفضلاء والصالحين وعلى رأسهم الأستاذ كونفوشيوس الذي جاء

الشرح:

لقد كشف الحبر "جينغ شوان" مقاصد النصّ هذا قائلا: "إنما صلاحية السياسة تتوقف على صلاحية أهلها، والسياسة الصالحة تتأسس على نظام الآداب هديا." وأما العلامة "جوشي" فقال في بيان كلمات النص: "إن العبارة 'سموها يرتفع إلى السموات كبرا' تؤكد عظمة سعة الحكيم وعلوها، إشارة إلى كبرها الجامع فلا يستثنى منه شيء. وقوله 'وبالها من الكمال سعة' إشارة إلى شمولها الواقف تعجبا. وقوله 'تشتمل آدابها على ثلاثمائة فصل كلي وتنفرع أنظمتها إلى ثلاثة آلاف شرط جزئي'. فكانت الأولى المراد بها قواعد الآداب الطقوسية المجملة وأما الثانية فالمراد بها أنظمة الآداب اليومية المفصلة. وهذه العبارة تدلّ على شمول نظام الآداب وكماله الأنظمة يعم كل الأمور مهما كانت بصغرها." ^{٢٢٢}

وقد سبق ذكرنا مرارا أن الروعة الفلسفة للكونفوشيوسية هي حث الإنسان على تهذيب النفس وإصلاحه على الأخلاق الفاضلة، في سبيل تحقيق كمال إنسانيته الخلقية المثالية، وهي مقام الحكيم. وفي نظر الكونفوشيوسية أن الحكيم هو الذي يجمع بين الخلق العظيم والحكمة الجامعة، وهو أمثل الشخصية العليا عندهم كما ذكرناه سابقا. وإن الإنسان نال ما يصل إلى هذا المقام المثالي والدرجة العليا. وكان الأستاذ كونفوشيوس يرى أن هناك بعض من الملوك الحكماء القدامى في تاريخ الصين قد بلغوا هذا المقام المثالي، وكان على رأسهم الملوك الثلاث القدماء في المجتمع البدائي - "يائو" و"شون" و"يو" ^{٢٢٣}، وكذلك الملك "وون وانغ" المؤسس الروحي

من بعد الحكماء الكاملوا الأخلاق، وهم الملك الحكيم "وون وانغ" المؤسس لمملكة أسرة "تشو" وابنه الأمير "تشو فونغ" الممثل لنظام الآداب بفصولها الكلية وشروطها الجزئية، التي ورثها وتصب رايته الأخلاقية عليها نهضا وتجديدا بعد أكثر من خمسة قرون بينه وبين سلفه السابقين. وقد بذل الأستاذ كونفوشيوس جهوده طول حياته داعيا لحكام البلاد خاصة والطعام عامة إلى تهذيب نظام الآداب في إصلاح المجتمع وسياسة الدولة، وبعد وفاته ورث أمثاله كثير من تلاميذه وعلى رأسهم الاثنان وسبعون عالما فاضلا قاموا بنشر المذهب الفلسفي لاستلزام والدعوة إلى أفكاره الأخلاقية والسياسية، وجهود الطعام للكونفوشيوسيين جيلا بعد جيل - مثل "تسونغ تشي" و"تشو شي" و"ميتسويو" ومن تبعهم، انتهى الأمر في عهد الامبراطور "هان زو يي" بعد وفاة الأستاذ كونفوشيوس بثلاثة قرون ونصف إلى أن تعين حكومة الصين المركزية بالتحديد والتعيين للكونفوشيوسية كمذهب رسمي وحيد في الإيديولوجية ترشد وتنظم كل جوانب أمور الدولة وشؤون المجتمع خلقيا وسلوكيا، وقد امتدت هذه المكانة للسيطرة للكونفوشيوسية من خلال القرن سنة في تاريخ الصين التقليدية حتى إلى بداية القرن العشرين الماضي، وما زالت تتأثر في حياة شعوب الصين ف أثرا كبيرا إلى يومنا هذا.

٢٢٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوشي، الفصل ٢٧، الصفحة ٢٤.

٢٢٣- وقد مر تعريف الملوك الثلاثة القدماء هؤلاء في الفصل الأول لهذه الرسالة، فمعنى الرجوع إليه.

لمملكة أسرة " تيشو" وابناء الملك " وُو وأنغ " والأمير " تيشو قونغ ". وقد دعا الأستاذ كونفوشيوس بنفسه أنه لم يصل إلى ذلك المقام المثالي بعد، وقال في كتاب الحوار: " إنما الحكيم (聖) ليس من حظى أن أراه ويكفنى أن أرى رجلاً فاضلاً." ٣٢٥

وفي هذا الفصل ذكر المؤلف " تس سي" لأول مرة كلمة سنة الحكيم ، وأثنى عليها ثناءً فائقاً من حيث أن الحكيم لم يكف بتحقيق لنفسه صفة الصدق والإخلاص وإكمال شخصيته فحسب، بل يحمل ثقل المسؤولية الهامة في سبيل تجلية الفطرة السماوية لجميع الناس ودعوتهم إلى إعادتها عن طريق التعليم والتربية، وخاصة في مجال إظهار صفة الصدق والإخلاص هدى ونورا، حيث أنها قاعدة أساسية ترشد كل تصرفات الإنسان الفردية في بصره وسمعه وفكره وأعماله، كما أنها مبدأ أصولي لمجتمع البشر ضامناً على ميره إلى السلامة والأمن العام. وعلى هذا الأساس كان الكونفوشيوسية يعتبر أن سنة الحكيم هي سنة الإنسان المثالية التي يتحقق فيها السلامة والرخاء والأمن لسائر جنس البشر تحت السماوات كلها.

كما أخبرنا المؤلف هنا عن صورة متبينة عن سنة الحكيم، وأشار إلى أن هذه السنة الكاملة تتمثل في آدابها بثلاثئة فصل كلي وأنظمتها بثلاثة آلاف شرط جزئي. وقد عرفنا أن الآداب الكلية عند الكونفوشيوسية هي المبادئ والقواعد الأصولية تشمل على كل جوانب الحياة الإنسان الواقعية، مثلاً: طقوس التضحية والقرابن، وطقوس التأبين، ومراسم بلوغ سن الرشد، ومراسم الزواج وإلخ. ولما الآداب الجزئية فتحتوى على المسالك والمطالب الفرعية تتناول جميع تفاصيل المعيشة اليومية، مثلاً: مسالك الضيافة في الاستقبال والجلوس، ومطالب معاملة التلميذ يأستأذه في طلب العلم وإلخ. فالنوع الأول من الآداب الكلية يرتب علاقة الإنسان بما حوله تنمية ووفقاً، بينما كان النوع الثاني من الأنظمة الجزئية يحدد مسالك تصرفات كل فرد حسب دوره الاجتماعي شمولاً وعموماً.

原文：故曰：苟不至德，至道不凝焉。故君子尊德性而道问学，致广大而尽精微，极高明而道中庸，温故而知新，敦厚以崇礼。

今译：所以说：假使没有大德的圣人，至诚的道就不会凝聚在他心中。所以君子敬谨尊奉天赋的德性，勤学好问不敢懈怠。排除私意的蒙蔽，追求广大的德性；审查道体的细微，尽力问学而掌握精微的理。达到极高的境界而实行中庸之道。温习已学过的东西而追求未知的新道理。敦笃已能之事，积累未谨的礼。

نص القطعة الثقبية:

"ولذلك يقال "إذا لم يكن بوجود الفضائل المثالية عند الحكيم لما كان طريق الحق متجسداً في قلبه." فالرجل الفاضل يهتدى بمكارم الأخلاق فطرةً مع اجتهاده في طلب العلم اكتساباً، ويوسع بصيرته في معرفة الحق سعياً مع استقصاءه في دقائقها استيعاباً، ويبلغ حكمته فنة صلاحيتها خلقياً مع تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال سلوكياً، ويراجع دائماً ما تعلمه إتقاناً مع إطلاعها على المعارف الجديدة طلباً، وهو يعزز نفسه بالأمانة والإخلاص في سبيل أتباعه بنظام الآداب رشداً.

التشرح:

وهذه القطعة تتبع القطعة السابقة بين أن الرجل الفاضل إذا أراد أن يسير على سنة الحكيم اقتداءً، فلا بد منه أن يبدأ من أساسين، والأول: عليه أن يحل مكارم الأخلاق التي فطر له عليها السماء (تيان) في طبيعة الإنسان. والثاني: وعليه أن يطلب العلم بجدة واجتهاد، ويحاول على الاستقصاء في الحقيقة ودقائقها استيعاباً. وهذين الأساسين أهم شيء يصل به الرجل الفاضل إلى طريق الحق ويعود به إلى صفة الصدق والإخلاص التامة. وقال العلامة "جوي شى" في بيان ذلك: "وبفضل إجلال مكارم الأخلاق وإتباعها يهتذب الإنسان نفسه حتى يدرك عظمة طريق

الحق وسموها، وبفضل طلب العلم واستقصائه يصل الإنسان إلى الحكمة المثقنة حتى يبصر شمول طريق الحق وعمقه، وهما أصلا هاتان في تهذيب النفس وتطبيق طريق الحق.^{٣١٦}

ثم يواصل قوله قائلا: " لا يخدع قلبه بشيء من الدوافع النفسانية، ولا يغش ذاته من الرغبات لأنانية، ويستقصى بما تعلم به إحاطة، ويحقق ما قدر عليه إخلاصا، وكل هذه من ناحية تهذيب النفس وتصفية القلب، وأما لا يكف عن تحليل الحقيقة إلا وقد أتقنه كاملا لا عيب فيه، ولا يمارس أمرا إلا أن يفعله بدون إفراط ولا تفريط، ويطلب العلم والمعارف وهو يجتهد ما لم يطلع عليه يوميا، ويمارس الآداب وطقوسها الأخلاقية وهو يكمل ما لم يحط به يوميا، فكل ذلك من ناحية تحصيل علم اليقين، فلا يمكن الحصول على علم اليقين عن طريق تهذيب النفس وتصفية القلب، كما كان تهذيب النفس وتصفية القلب لا يستغنى عن تحصيل علم اليقين، فلذا، كانت هذه الجمل الخمس في النص تتكشف بعضها بعضا وتتكامل أحداها أخرى، وهي ما تركه سلفنا الأفاضل من مرنميج ممهد للوصول إلى مكارم الأخلاق، وبفضل شموليتها الجامع، فليتأمل بها وليدبر فيها العلماء والدارسون".^{٣١٧}

وقد لاحظنا أن النص بعدما تحدث عن العلاقة الوثيقة بين إجلال مكارم الأخلاق المفطورة وتعظيمها وبين طلب العلم واستقصائه اكتسابا، يذكر بقوله: " ويبلغ حكمته قمة صلاحيتها خلقيا مع تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال سلوكيا"، فعلى أن ننتبه إلى هذه النقطة هنا خاصة. من حيث أنه أكد المؤلف فيه إشاريا إلى أن أعلى الحكمة العملية هي تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في حياة الإنسان اليومية، وبعبارة أخرى أنه إذا كانت حكمة الإنسان تبلغ إلى قمة كمالها، فستظهر فاعليتها المثالية تلقائيا في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في حياة الإنسان الواقعية تماما. وهو الهدف النهائي الذي يسعى الرجل الفاضل في طلب العلم واستقصائه.

ومن الجدير بالذكر أن المؤلف يبين لنا في هذا النص أسلوبا مهما في طلب العلم وحسن السؤال فيه، وهو قوله " ويراجع دائما ما تعلمه إتقاناً مع اطلاعه على المعارف الجديدة طلبا "

٣١٦- الشرح الجامع للكتب الأربعة، ج ١، الصفحة ٢٤.

٣١٧- المصدر السابق نفسه.

فأسلوب المراجعة والامتنباط في العلم لهما أهمية عظيمة في إثبات المعرفة وتقوية قدرة التفكير حتى يجنب صاحبه عن مجرد حفظ على ظهر وضيق التفكير. وقد أشار الأستاذ كونفوشيوس أيضا إلى هذه الأهمية في كتاب الحوار، وقال: "من يستطيع أن يستنبط المعلومات الجديدة من المعلومات القديمة، فهو يستحق بأن يتولى مهمة التدريس".^{٢٢٨} وقال أيضا: "من تعلم من غير تفكير، فهو يقع في حيرة، ومن فكر من غير تعلم، فهو يقع في خطر".^{٢٢٩}

原文：是故居上不骄，为下不倍。国有道，其言足以兴；国无道，其默足以容。诗曰：“既明且哲，以保其身。”其此之谓与。

今译：所以君子身居上位而不骄傲，身居下位而不违礼背道。国家处于政治清明的治世，就宣扬德言，足以使国家兴盛；国家处于政治昏暗的乱世，就缄默不语，足以免祸而保全自身。《诗经·大雅·烝民篇》说：“既明达而熟谙事机，又智慧而洞察哲理，可以用来保全自身。”就是这个意思啊！

نص القطعة الثالثة:

فكان الرجل الفاضل إذا حصل على منصب عال، فلا يفتخر ولا يتكبر على من أسفل منه مكانة، وإن يقيم بمكانة بسيطة فلا يخون ولا يخالف ما يطلبه من نظام الآداب. وعندما كانت الدولة في حالة العدل والاستقرار، فالرجل الفاضل يعلن دعوته مرشدا لنهض أمته ازدهارا، ولما كانت الدولة في الظلم والاضطراب، فهو يحتاط لنفسه على السكوت متعففا لحفظ نفسه وعرضه. وقال سفر القصائد: "تو الحكمة والفضيلة يحسن تقديره للظروف والأحوال، وقاية لنفسه وعفته من القن والبلايا".^{٢٣٠} أليس هذا بمعناه؟!

الشرح:

قال الحبر "كُونْغ يَنْغ دَا" في شرح معاني النص هذا: "لقد كشفت هذه القطعة عن كيفية اهتمام العلماء الأفاضل بصفة الصدق والإخلاص سالكين على منهاج الوسطية والاعتدال، من

٢٢٨- كتاب الحوار، بترجمة محمد سكين، الفصل الثاني، الصفحة ١٣.

٢٢٩- المصنوع السابق نفسه، الصفحة ٢٤.

٢٣٠- كتاب القصائد، قسم اللياقة الكبرى، الشعر "الشعوب الجماهير"، الصفحة ٢١٣.

حيث أنه عندما كانت البلاد تحتل بالسياسة الرشيدة يبذل كل ما في وسعه ذاعيا وخادما في سبيل نهض أمته ازدهارا، وحينما كانت تقع في السياسة الظالمة، يخفى سناؤه لإبرار ذكائه ويحني رأسه متعففا لحفظ نفسه وعرضه عن الفتنة والبلايا المتلاشة.^{٣٣١}

وأخبرنا المؤلف في هذه القطعة أن الرجل الفاضل بتطبيقه العملي بصفة الصدق والإخلاص وباهتدائه الخلقى إلى منهاج الوسطية والاعتدال، قد اقترب من مقام الحكيم الكامل الأخلاق تدريجيا. من حيث إنه إذا كان يحتل بالمناصب العالية، ما زال يحمل جدد وأمانة، ولا يغمس في الثروة والجاه محتوما، وهو لن يكون ظالما صلفا ومغرورا بنفسه. وإذا يكون في منزلة بسيطة، فهو قانع بواقعه، لا يخالف مطالب الآداب ونظمها، ولا يخرج على أوامر حاكمه عتوا. وإذا كانت بلاده في السلام والعدل، وحاكمها صالحا متمسكا بطريق الحق، فكان الرجل الفاضل يجلى كفاءته ووسعه ويشغل في خدمة الدولة وإفادة الناس بهار شدا. وعندما أفلت شمس البلاد وأصبح حاكمها بالطغيان والظلم، فالرجل الفاضل يستتر الكفاءة والقدرة له، بل يسكت ويتحذر متعففا لحفظ نفسه وعرضه عن الفتنة والمصيبة.

وفي ختام هذه القطعة أورد المؤلف "ثس سي" بيتا من سفر القصائد وهو: "لو الحكمة والفضيلة يحسن تقديره للظروف والأحوال، وقاية لنفسه وعفته من الفتن والبلايا" مبينا أن الرجل الفاضل ليس يتصف بالعلم والحكمة ويقتدر أمور حقه قدره فقط، بل يستطيع أن يحم نفسه متعففا من البلايا والفتنة، وأخبرنا المؤلف أن هذه الحكمة المثالية للرجل الفاضل هي متأصلة على منهاج الوسطية والاعتدال وميزته، فإن الرجل الفاضل صار بها ماهرا في استعمال فطنته لممارسة كل شؤونه معتدلا، وراضيا في كل أحواله وقانع بما قدر له مقثورا.

第二十八章

原文：子曰：“愚而好自用；贱而好自专；生乎今之世，反古之道；如此者，裁及其身者也。”

今译：孔子说：“愚蠢而没有德性的人，喜欢自作聪明，自以为是；卑贱的人，喜欢僭越、专断；生在现在世界上，反而推行古代的道理；这样的人，灾祸一定会降临到他的身上。”

الفصل الثامن والعشرون

التمهيد:

وهذا الفصل نصّه مأخوذ من أحاديث الأستاذ كونفوشيوس، يورده المؤلف "تس سي" هنا لكي يتابع الفصل السابق ويخبر ما يعارض سنة الحكيم كامل الأخلاق وما يخالف منهاج الوسطية والاعتدال من تصرفات ضالة معوجة.

ومن أجل توضيح هذه المقاصد السابقة ذكرها، ينقسم هذا الفصل إلى ثلاث نقاط أساسية. وكانت النقطة الأولى تتبين لنا أمثلة متضادة من الرجال المتطرفين وسلوكهم الضالة عن سنة الحكيم، مخالفة لمنهاج الوسطية والاعتدال، تتمثل في ثلاثة جوانب: الأول: جاهل في العلم وهو متكبر بنفسه، والثاني: وضع في المنزلة وهو عنيد برأيه، والثالث: ملخ في إتباع نظام العصر العتيق الماضي وهو يعيش في العصر الحالي المتغير. ومن يقع في هذه الثلاثة فهو ليس بعارف لمنهاج الوسطية والاعتدال، بل اغترى بنفسه وضلّ عن الصراط السوي، حتى يرى الأستاذ كونفوشيوس أنّه من وقع في هذه الثلاثة، فقد دعا على نفسه ضررا وبلوى.

نص القطعة الأولى :

" قال الأستاذ كونفوشيوس: جاهل في العلم مع صلب رأيه؛ ووضع في المنزلة مع التكبر بنفسه؛ وعائش في العصر الراهن مع التعلد على النظم البالية في العصور القديمة؛ فمن يقع في هذه الأحوال فقد دعا على نفسه ضررا وبلوى."

الشرح:

قال " تشينغ هاو " فى بيان معنى النص هذا قتلا: " إن الذى لا فضيلة له هو أبله بائد،
والذى لا منصب له هو وضعى المنزلة. ومن كان له منصب ولا فضيلة له، لكن قام بشرع نظام
الأداب والموسيقى، فسعى بآله جاهل فى العلم مع صلب رأيه؛ ومن له فضيلة ولا منصب له،
لكن قام بشرع نظام الآداب والموسيقى، فسعى بآله وضعى فى المنزلة مع التكبر بنفسه. وأما
الذى كان يعيش فى عصر المملكة " تشو " وقتئذ، ولكن تعذ فى ممارسة نظم الآداب القديمة
لمملكته " شيا " و " شائغ " الماضيتين، فسعى بآله عاش فى العصر الجارى مع التعذ على
النظم البالية فى العصور القديم. ومن كان على أى حال من هذه الأحوال الثلاثة، فهو يسعى على
الطريق إلى الفتنة والهلاك. " ٣٣٢

وكانت الكونفوشيوسية تدعو إلى التنظيم الاجتماعى بين الطبقات المختلفة والتمييز الفارق
بين الخاص والعام فى المنزل والمنصب. وهذا يعنى: كان كل فرد من أفراد المجتمع له حقوقه
وواجباته، فينبغى أن يؤد واجب نفسه حسب منزلته الاجتماعية، ولا يستحق له أن يتدخل فى
شؤون غير منصبه. وعلى هذا الأساس، أورد المؤلف " تس سى " هنا كلام كونفوشيوس بالنقد
على ثلاثة أصناف من الناس مبيّنا لأخطائهم الأخلاقية كما يلى:

الصنف الأول: هو من كان فى المنصب العالى، لا يتصف بالأخلاق الفاضلة والكفاءة المميزة،
ولكنه يتكبر بنفسه ولا يستمع إلى نصيحة غيره، فهو ضالّ ومضلّ.

الصنف الثانى: هو من كان فى المنزل البسيطة، لا يثلق بالمنصب العالى من شىء، ولكنه
يصلب برأيه ويتدخل فى شؤون سياسة الدولة عتوا، فهو عنيد معتد.

الصنف الثالث: هو من عاش فى عهده الحاضر، ويعرض عن إتباع نظام الآداب الجارى فى
عصره، بل يلجّ فى ممارسة النظم والآداب القديمة من العصور العتيقة، وهو سخيّف لا يعرف
مقاصدها الأصولية ولا حقائقها الرئيسية.

وهذه الأصناف الثلاثة من الناس كلهم لم يفهموا معنى منهاج الوسطية والاعتدال ولم يحققوا حكمته المثالية. فعاد المؤلف " تس سي" هنا إلى بيان أهمية منهاج الوسطية والاعتدال في إرشاد حياة الإنسان الواقعية، حيث يرى أنه إذا لا يعرف الإنسان قيمة ذاته ولا يقوم بواجب نفسه أخذاً وعطاءاً، فهو لا يمكن أن يعرف منهاج الوسطية والاعتدال علماء، كما لا يوافق سلوكه للقواعد الأخلاقية عملاً، حتى تؤد هذه التصرفات المتطرفة بصاحبه إلى الضرر والهلاك.

وهنا تساؤل مهم يجدر بنا أن ننتبه إليه، وهو لماذا انتقد كونفوشيوس على المرء في الصنف الثالث الذي عاش في العصر الحالي مع تعذبه على ممارسة النظم والآداب القديمة من العصور الماضية؟ ألم يكن كونفوشيوس نفسه قد ورث من ثقافة الصين القديمة وأقام أفكاره الفلسفية على أساس تلك الثقافة السابقة؟

ونقول: في الحقيقة أنه كان كونفوشيوس يحب حضارة الصين التراثية ويدعو إليها كثيراً، إنما انتقاده هنا على الصنف الثالث يتجه إلى من يكنس في رأسه معارف قديمة وهو عاجز عن هضمها، أي نقداً على من هو سخي لا يعرف مقاصدها الأصولية ولا حقائقها الرئيسية، وهو بعيد عن روح منهاج الوسطية والاعتدال في التكيف مع تغير الظروف والأحوال، وذلك كما بيّنه المؤلف " تس سي" لمعنى الروح القيم هذا في القطعات الثلاث التالية بكتابه مراراً.^{٣٣٣}

原文：“非天子，不议礼，不制度，不考文。今天下，车同轨，书同文，行同伦。虽有其位，苟无其德，不敢做礼乐焉；虽有其德，苟无其位，亦不敢做礼乐焉。”

今译：“不是有德位的天子，不敢议论亲疏贵贱相接的礼制，不敢制订宫室、车骑、服饰等制度，不敢考订文字的笔划形体。现在天下统一，车行的轨迹相同，文字也

٣٣٣- انظر: كتاب حكمة الإنسان العليا - منهاج الوسطية والاعتدال، بتأليف جينغ زونج واه من كوريا الجنوبي، بترجمة جينغ شين تشونغ، دار للطباعة بالمقاطعة هاني نان، ٢٠١٢م، ص ٢١٧-٢١٩.
وانظر أيضاً: كتاب الوصول إلى الميراث الكامل - دراسة في كتابين المعرفة الكبرى والوسطية والاعتدال، الصفحة ٣٠٤.

統一，行為符合倫理的規範。雖有天子的職位，假使沒有聖人的德性，是不敢輕易去制作禮乐的。雖有聖人的德性，假使沒有天子的職位，也不敢輕易去制作禮乐的。”

نص القطعة الثانية :

" ما من لأحد إلا ابن السماء (تيان) (أي الملك أو الإمبراطور) مستحق لتحديد نظام الأداب، ولتعيين القوانين الشرعية، ولتنظيم القواعد اللغوية. فاليوم قد تحقق فيه الاتحاد في معيار دوايب العربية^{٢٣٤}، والاتحاد في الكتابة وألفاظها، والاتحاد في القواعد السلوكية الاجتماعية. ولذلك، كان من الذي يصعد على كرس الملك ولم يكن له فضيلة عظيمة (كمثل الحكيم)، فليس له حق لتحديد نظام الأداب والموسيقى؛ وأما الذي يتمتع بالأمثلية في مكارم الأخلاق ولم يحصل على عزة السلطة، فليس له حق من تحديد نظام الأداب والموسيقى أيضا. "

الشرح :

قال العلامة " جُو شِي " في شرح معاني العبارات هنا قائلا: " إن النص في هذه القطعة هو بصدر من " تْسِي " نفسه بيانا وشرحا. والكلمة في النص ' نظام الأداب ' المراد بها قواعد الاتصال في علاقات القرابة النسبية قريبا وبعدا، ومبادئ التعامل بين الكبار والصغار حسب منازلهم الاجتماعية علوا وسفلا. وقوله ' القوانين العملية '، يعني النظم القانونية الدولية. وقوله: ' القواعد اللغوية '، مراد به أسلوب الكتابة وتعبيراتها. وكلمة ' اليوم ' في النص تشير إلى العصر الذي عاش فيه المؤلف " تْسِي " . وقوله ' الاتحاد في معيار دوايب العربية، والاتحاد في الكتابة وألفاظها، والاتحاد في القواعد السلوكية. ' والمراد بهذه الاتحادات الثلاث إلى الوحدة العامة للسلطة والملك في بلاد الصين كلها. " ^{٢٣٥}

وفي هذه القطعة عرض المؤلف ثلاثة أمور هامة بالنسبة إلى استقرار البلاد وازدهارها، ويتبين أنه لا يمكن لأحد أن يحددها غير الملك المثالي الجامع بين الأخلاق الحميدة والسلطان

^{٢٣٤} - إشارة إلى الاتحاد بالمواصلات في طرقها وآلاتها معيارا ومقياسا بعد ما تفرقت وتباعدت بين أنحاء بلاد الصين.

^{٢٣٥} - الشرح للفظن لكاتب الوسيطية والاعتدال، لن. قا. فونغ، الصفحة ٢٦٣.

العالية، وقد دل ذلك على أن هذه الأمور الثلاثة حرمة ومقدسة بأن تحديد نظام الآداب في القرابة والكرامة تشمل الجوانب الشتى من النظم والحدود الأخلاقية، وهو مادة ثابتة ترتبط بحكومة مستقرة وسلطة وطيدة. وتعين القوانين العملية هنا يشير النظم الاجتماعية وخاصة بما فيه من تعيين الموازين والمكاييل والمقاييس الجارية، وهذا الأمر المهم يتصل بالأمن والسلامة للمجتمع وبصفاء العيش وطمأنينة الشعوب في الحياة. وتنظيم القواعد اللغوية هنا يشير إلى أسلوب الكتابة وتشكيلها، وأيضا يشير إلى تحقيق التواريخ السابقة والنقد على شخصياتها تقييرا وتقديرا، وهذا الأسر يؤدي به إلى توحيد اتجاه الأفكار والثقافة في البلاد كلها، حتى وبفضل هذا التوحيد الثقافي يتحقق استقرار البلاد ورسوخها المعنوي.

وأما القول في النص " اليوم قد حقق فيه الاتحاد في معيار نوايب العزبة، والاتحاد في الكتابة وألفاظها، والاتحاد في القواعد السلوكية " فيرى العلامة " جوشي " أن ظرف الزمان يشير إلى نهاية عصر الربيع والخريف الذي عاش فيها المؤلف " تشو سي "، وحينئذ مع أن الحكومة المملكة " تيشو " الشرقية مالت إلى التدهور والوهن، ولكن مكائمتها السلطانية المركزية مازالت تبقى، والأمراء والحكام في أنحاء بلاد الصين ما زالوا يحترمونها ظاهريا، وإن كانوا يتنافسوا من أجل الهيمنة وتنازعوا منها سرىا. فذلك كان نظام الآداب للمملكة " تيشو " لا تزال تعمل و تطبق جارية في ذلك العصر على وجه العموم.^{٣٣١}

وفي نهاية النص أكد المؤلف مرة أخرى أن تحديد نظام الآداب وتنظيم القوانين والحكم وتنظيم قواعد اللغة، وكل هذه الأعمال الهامة لا يستطيع أن يحملها إلا ابن السماء (تيان)، (أي الملك) المثالي، الذي يبلغ بفضائله الكريمة مقام الحكيم، مبيّنا أن من الذي يصعد على كرسي الملك ولم يكن له فضيلة عظيمة فلا مستحق له من تحديد نظام الآداب والموسيقى، وأما الذي يتمتع بالأمثلية في مكارم الأخلاق، ولكن لم يحصل على عزة السلطة، فهو أيضا ليس له حق من تحديد نظام الآداب والموسيقى.

٣٣٦- انظر: المخرج اللغوي لكتاب الوسيط والاعمال، لي غا هونغ، الصفحة ٢٦٣.

وقد أشار بعض علماء الكونفوشيوسية أن تؤكد المؤلف " تس مي" في حرمة تحديد الآداب والموسيقى وعظمة تعيين الحكم والقوانين وتنظيم القواعد اللغوية، ومشيراً بهذه الأمور الثلاثة إلى رسالة جسيمة، وهي إبراز " تس سي" للخدمات الجليلة لجده الأستاذ كونفوشيوس في إبقاء ثقافة الصين التقليدية ووراثه حضارتها العظيمة وحفاظها. وكان الأستاذ كونفوشيوس مع أنه لم يزل عزة السلطة، ولكنه قد تمتع بالأملية في مكارم الأخلاق، وإنه هو الشخصية المثالية الذي أكمل ثقافة المملكة " تيشو " وورث ثقافة الآداب والموسيقى للخلف.^{٣٣٧}

原文：子曰：“吾说夏礼，杞不足征也；吾学殷礼，有宋存焉；吾学周礼，今用之，吾从周。”

今译：孔子说：“我喜欢夏朝的礼制，其后代杞国的文献不足征考；我学习殷朝的礼制，还有殷朝的后代宋国存在，有文献可以征考。我学习周礼，现在天下人民都用周礼，我也遵从周礼。”

نص القطعة الثالثة:

" قال الأستاذ كونفوشيوس: " حبيب الدراسة في نظام الآداب لمملكة الأسرة " شيا " السالفة، ولكن بقاياها في إمارة " تشي " ^{٣٣٨} لم تكف وثائقها تدليلاً وتحقيقاً، وبحث في نظام الآداب لمملكة الأسرة " شائع " السابقة، وكانت بقاياها مروية في الوثائق عند إمارة " سونغ " ^{٣٣٩}؛ وتعلمت من نظام الآداب لمملكة الأسرة " تيشو " الحاضرة، وهو نظام علم سائر يقتدى به اليوم جميع الناس، فأنا مقتدى بها أيضاً. "

الشرح :

قال العلامة " جُو شِي" في بيان معاني النص قائلا: " إن الأستاذ كونفوشيوس درس في نظم الآداب للأسر الثلاث الملوكية الكبرى وثقافتها بين الماضي والحاضر، بحثاً علمياً مما يمكنه

^{٣٣٧}- انظر: كتاب حكمة الإنسان العليا - منهاج للوسطية والاعتدال، جيلغ زون زام، الصفحة ٢١٨.
^{٣٣٨}- إمارة " تشي"، وهم من ذرية مملكة أسرة " شيا " السالفة، لقد أقطعهم مملكة " تيشو " المركزية إمارة تقع حالياً في شرق مقاطعة " خا نان " بالصين.
^{٣٣٩}- إمارة " سونغ"، وهم من ذرية مملكة أسرة " شائع " السالفة، لقد أقطعهم مملكة " تيشو " المركزية إمارة تقع حالياً في أقصى شرق مقاطعة " خا نان " بالصين.

من تقدير الخصائص والميزات لكل واحدة منها. ولكن آداب مملكة أسرة " شيا " قد ضاع منها معظم الوثائق فلا تكفى بها تدليلاً وتحققاً، وأما آداب مملكة أسرة " شياغ " فإن كانت بقياتها محفوظة فى الوثائق عند إمارة " سونغ "، ولكنها قد مضى عصرها وفنى نفوذها فى العهد الجارى (عهد كونفوشيوس). وإنما نظام آداب مملكة أسرة " تيشو " الحاضرة مازالت تمارس فى عصره، وهى الآداب الجارية فى أنحاء بلاد الصين وقتئذ. فكان الأستاذ كونفوشيوس يتبع آداب مملكة أسرة " تيشو " اقتداءً، ولم يقدّم بها شيئاً جديداً، من حيث إنه لم يزل عزة السلطة فى حفظه (وإن كان فى منزلة الحكيم).^{٢٤٠}

وكان إتباع الأستاذ كونفوشيوس نظام الآداب لمملكة أسرة " تيشو " يدل على أنه يساير الظروف والأحوال الجارية وفقاً للحاجة الحاضرة والوضع الواقع، فسدّ الحاجات الواقعية هو يسعى منهاج الوسطية والاعتدال. لذلك أثنى المعلم التالى من تشيوس على الأستاذ كونفوشيوس بأنه الحكيم الكامل الأخلاق الذى يستدّ ويكتف مع حاجات عصره الواقعية.^{٢٤١}

والجدير بالذكر هنا أن إتباع كونفوشيوس نظام الآداب لمملكة أسرة " تيشو " لا يعنى بأنه نقل تلك الآداب من الألف إلى الياء، بل كان يرثها ويطورها زيادة ونقصاناً حسب الحاجة والظروف الجارية، أى قام بعمل الجرح والتعديل حفاظاً على المعاني الجوهرية لأصولها العامة، وفقاً لروح منهاج الوسطية والاعتدال فى مياسرة مطالب الظروف والأوضاع عند مذهب الكونفوشيوسية.

وفضلاً عن ذلك نجد أيضاً فى هذه القطعة أن الرجل الفاضل ليس يقف فى تهنيت النفس وإصلاح الذات فقط بل يتأكد منه أن يشترك فى النشاط الاجتماعى بجدّ واجتهاد ويحمل مسؤولية الأمة فى ازدهارها وانحطاطها على كتفيه، ويؤدّ واجباته لخدمة وطنه بكل صدق وإخلاص، فذلك قد تعلق المؤلف النشاط الاجتماعى هذا بالأخلاق الفاضلة تعلقاً وثيقاً، وبين هذه الرسالة المهمة مرة أخرى، وهى محور الفكر الأساسى فى كتاب وسطية والاعتدال كلها.

٢٤٠- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوفى، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٣٥.
٢٤١- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوفى، قسم كتاب تشيوس، الفصل الخامس القسم الثانى، الصفحة ١٤٧.

第二十九章

原文：王天下有三重焉，其寡过矣乎！上焉者，虽善无征，无征不信，不信民弗从。下焉者，虽善不尊，不尊不信，不信民弗从。故君子之道，本诸身，征诸庶民，考诸三王而不缪，建诸天地而不悖，质诸鬼神而无疑，百世以俟圣人而不惑。质诸鬼神而无疑，知天也；百世以俟圣人而不惑，知人也。

今译：称王于天下，有议礼仪，订制度，考文字三件重要的事情摆在前面。用这三件事情去教育人民，人们就很少有过失了。过去夏商的礼仪制度虽然好，但年代久远，得不到验证，得不到验证就不能取信于民，不能取信于人，人民就不遵从。身为圣人而处在下位的人，他所主张的礼仪制度虽然好，但没有天子的尊贵地位，不尊贵就不能使人民相信，人民不相信，也就不愿遵从。所以君主统治天下的道理，先从自己本身修德凝道做起，以此为根本，在老百姓身上加以验证和取得信任。往上考查禹，汤文武的因革损益而没有谬误，放到天地之间都符合天地自然的理而不相违背，问于鬼神幽深的理而没有疑惑。等到百代以后的圣人出来也不会有什么怀疑。问幽深的鬼神而没有疑惑，这是晓得天理的缘故。百代以后的圣人也没有疑惑，这是晓得人道的缘故。

الفصل التاسع والعشرون

التمهيد:

هذه الفصل يتبع الفصل السابق بحديثه عن الحكم والتسلط، ويتبين عن الأمور الثلاثة الكبرى التي ذكرت في الفصل السابق عند الحاكم المثالي، كما يؤكد فيه المؤلف "تس سي" أن الرجل الفاضل عليه أن يتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال ويهذب نفسه بالفضائل الحميدة من أجل نصب قدوة حسنة للجماهير تعليماً وهدياً لهم. وأورد المؤلف في آخر الفصل قصيدة من شعر القصائد وأعطى منها مثالا من الحاكم الفاضل في مكارم أخلاقه. وفي سبيل بيان هذه المقاصد المنصوصة، قسم المؤلف هذا الفصل إلى ثلاث قطع، والقطعة الأولى هي:

نص القطعة الأولى:

"إن حكم البلاد والتمك على الشعوب يتأسس على الأمور الثلاثة الكبرى^{٣٤٢}، لكن ترشد الملك إلى تقليل خطاه وزلته في رعاية شعوبه. فنظم الآداب من عهود المتقدمين^{٣٤٣} إن كانت بحسبها ولكن مع مرور الدهر وفقدان وثائقها فلقد ضاعت من الشعوب ثقة بها فلا يتبعونها عملاً. وأما نظم الآداب من المتأخرين^{٣٤٤} فمع دعوته إلى الآداب المتجددة بصلاحيها ولكنه مفتقر إلى قوة الحكم والسلطة مندأ، فما حصل على ثقة الجمهور بنفوذ ولا ينفادون لتعليماته طاعة. وعلى الحاكم الفاضل أنه إذا أراد أن يقيم بالسياسة الرشيدة، فليبدأ أولاً من تهذيب نفسه بمكارم الأخلاق عملاً، فيختبر سياسته لدى رعاياه وينال منهم سمعاً، وإن يستدلها على تعليمات الملوك الحكماء الثلاثة القدامى^{٣٤٥} حصلت على موافقة منهم، وإذا قدمها للقوانين الطبيعية بين السموات والأرض وجد منها مناسبة، وإن تعرض أمام الملائكة والأرواح الغيبية تحصل على الرضاء منهم، وإذا مر عليها العصور حتى يظهر الحكيم من بعد مائة نال منه قبولاً، وإنه إذا قدم الملك الفاضل سياسته الرشيدة أمام الملائكة والأرواح الغيبية يحصل على الرضاء منهم، فذلك يدل على أنه عارف بإرادة السماء (تيان) وسلكه؛ وإذا مر على سياسته الرشيدة العصور حتى يظهر الحكيم من بعد مائة نال منه قبولاً، فذلك يدل على أنه عارف بطبيعة الإنسان وحاجاته الفطرية."

الشرح:

وكانت الكلمة "الأمور الثلاثة الكبرى" في هذا النص لها عدة أقوال عند العلماء الكونفوشيوسيين، ومنها: يرى المفسر "جينغ شوان" أنه كان المراد به هو نظم الآداب الثلاثة من الملوك الحكماء القدامى، أي نظام الآداب لمملكة الأسرة "شيا" و لمملكة الأسرة "شانغ" و لمملكة الأسرة "تشو". وإذا اهتم الحاكم الفاضل بهذه نظم الآداب الثلاثة السابقة استرشاداً بها

٣٤٢- المراد بها: تحديد نظام الآداب، وتعيين القوانين الشرعية، وتنظيم قواعد للفرية، كما سبق ذكرها في الفصل ٢٨.

٣٤٣- المراد بها: نظام الآداب لمملكة أسرة "شيا"، ونظام الآداب لمملكة أسرة "شانغ" السابقين الماضيين.

٣٤٤- المراد به هنا الأمتلاك كونفوشيوس نفسه.

٣٤٥- المراد بهم الملك "يو (حوالي ٢٢٠٠ ق.م - ٢١٠١ ق.م)" مؤسس روحي لمملكة "شيا"، والملك "تانغ (١٦٧٥ ق.م - ١٠٨٨ ق.م)" مؤسس لمملكة "شانغ"، والملك "وون (١٦٥٢ ق.م - ١٠٥٦ ق.م)" مؤسس روحي لمملكة "تشو".

واتخاذاً منها عبرة، فذلك يمكنه أن يجنب نفسه عن كثير من الأخطاء في الحكم والسياسة^{٣٤٦}.
وأما العلامة "جوشى" فقال في ذلك: "إن الكلمة المذكورة في النص تعنى بالأمور الثلاثة
المختصة بالحاكم الفاضل بتحديداتها التي ذكرت في الفصل السابق، وهى: تحديد الآداب في
القربة والكرامة، وتعيين القوانين الشرعية، وتنظيم القواعد اللغوية^{٣٤٧}. وبالإضافة إلى هذين
الرأيين لقد ذهب "كأنغ يوى" ^{٣٤٨} إلى أن العبارة تقصد بالفترات الثلاثة التي يمر عليها حظ
الدولة متداولاً، وهى: فترة إعادة النظام والحدود في المجتمع بعد الظلم والقوضى، وفترة
الإصلاح والتطوير، وفترة الاستقرار والازدهار^{٣٤٩}.

ومن هذه الأقوال الثلاثة المذكورة نجد أن القول الثاني من العلامة "جوشى" أرجح
وأصوب لسبب لسياق النص هنا. من حيث إن الحاكم الفاضل إذا أراد أن يطبق سياسته الرشيدة في
بلاده، فلا بد منه أن يحسن ويتقن هذه الأمور الثلاثة الكبرى، والأولى: تحديد الآداب في القربة
والكرامة حتى يهتد بها الناس إلى الفضائل الأخلاقية والقيم السلوكية. والثانية: تعيين القوانين
والنظم الشرعية لكي يمشى المجتمع على تلك القوانين والنظم المشروعة. والثالثة: تنظيم القواعد
اللغوية حتى تكون البلاد يتمتع باللغة الواحدة. فكل من هذه الأمور الثلاثة كان ضروريا لا
يستغنى عنها سلامة المجتمع، وهى أركان أساسية لتوحيد البلاد واستقرارها.

وأما المراد بالكلمة "المتقدمين" و"المتأخرين" فى العبارة بالنص " فنظم الآداب من
عهد المتقدمين إن كانت بحسبها ولا ينفقون لتعليماته طاعة. " فهناك آراء مختلفة فيها عند

٣٤٦- انظر: الفرج والتطبيق للكتب الثلاثة عشر، كونغ بينغ تا، الجزء الثاني، للصفحة ٢٨٧.

٣٤٧- انظر: الفرج الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جوشى، الصفحة ٢٦.

٣٤٨- "كأنغ يوى": عاش بين ١٨٥٨م - ١٩٢٧م، عالم ومفكر وشخصية سياسية في العصر الحديث، وانكب على الدراسة
الكونفوشية والتي بطور الطبيعة الغربية الحديثة وشاهد الأنظمة الاجتماعية على محال الرأسمالية في أوروبا، فعلى
التعلم من الغرب وإصلاح الأنظمة السياسية والاقتصادية في المجتمع الصينى الكلاسيكى، وقد شئ حركة إصلاحية سياسية، معتمدا
على الإمبراطور "فوانغ شو" (١٨٧١م - ١٩٠٨م)، وفشل بعد ثلاثة أشهر ونصف فقط قد ترك مؤلفات عديدة ومنها شرح
كتاب الوسطية والاعتدال وشرح كتاب الحار وشرح كتاب المشيوس وغيرها. انظر الى موسوعة الفلسفة الصينية، جأنغ دى
فهان، الصفحة ٨٥٤.

٣٤٩- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا. فوانغ، الصفحة ٢٦٨.

علماء الكونفوشيوسيين أيضاً، فيرى المفسر "جيتغ شوان" أن كلمة "المتقدمين" تشير إلى الملك أو الحاكم، والكلمة "المتأخرين" تشير إلى حاشيته أو وزرائه^{٣٥٠}. وكان العلامة "جيو شي" يقول إن "المتقدمين" يراد بأدب الملوك الحكماء القدامى من أسرتي "شيا" وأسرة "شانغ" السابقين، و"المتأخرين" يراد بالحكيم في الدهر المعاصر وقتئذ كمثل الأستاذ كونفوشيوس. من حيث إن أدب الملوك الحكماء القدامى من هاتين الأمرتين مع أنها كانت حسنة، قد ضاعت من الشعوب ثقة بها مع مرور الدهر وفقدان وثاقها، فلا يتبعونها عملاً. وأما المتأخرين من الحكيم (مثل كونفوشيوس) مع تفوقه في مكارم الأخلاق، لكنه مفتقر إلى قوة الحكم والسلطة سندا ودعماً، فما كان ينقاد الجمهور لتعليماته طاعة^{٣٥١}. فنقول إن الرأي الثاني أصح وألنوب في مقامه.

والعبارة في النص " وإته إذا قتم الملك الفاضل سياسته الرشيدة أمام الملائكة والأرواح الغيبية يحصل الرضاء منهم؛ فذلك يدل على أنه عارف بإرادة السماء (تيان) وسبته"، فالمراد بها أنه كان قديماً الصين يعتقدون بأن الملائكة والأرواح الغيبية لهم قدرة خارقة العادة تنفع الإنسان وتضره، فإن الحاكم الفاضل ينبغي في سياسته الرشيدة أن ينال رضاء الملائكة والأرواح في عالم الغيب توفيقاً؛ كما أنه لا يمكن في تملكه على رعيته مخالفاً لإرادة السماء (تيان) باعتباره رب الأرباب والإله الأعلى، وإلا سيخلعه عن عرشه تعذيباً، وذلك كما دل عليه سفر الوثائق حيث قال: " إن السماء (تيان) يرى حيث يرى الشعوب، ويسمع حيث يسمعون".^{٣٥٢}

وأما العبارة " وإذا مر على سياسته الرشيدة العصور حتى يظهر الحكيم من بعد مائة نال منه قبولاً، فذلك يدل على أنه عارف بطبيعة الإنسان وحاجاته الفطرية." فكان المراد بها أن عقل الإنسان الصريح متفق ومتحد على حكمة سديدة، وشعور البشر وعواطفهم مشتركة بعضهم بعضاً مهما تتغير الظروف وتبادل العصور. فالحاكم للفاضل إذا حصل بمساسته الرشيدة على

٣٥٠- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ ييتغ، الجزء الثاني، الصفحة ٣٨٧

٣٥١- انظر: الشرح الجامع للكتب الأربعة، قسم كتاب الرسلية والاعتدال، جوفى، الصفحة ٢٦

٣٥٢- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، الجزء الأول، سفر الوثائق، وعد غينى للملك "جوانغ"، الصفحة ١٢٤.

رضلون الملائكة والأرواح في عالم الغيب، ونال ثقة رعيته الجمهور وانقيادهم له سمعا وطاعة، فسوف يكون قدوة حسنة للناس جيلا بعد جيل، وإن يظهر الحكيم بعد مائة جيل لكان يوافق معه ويستفيد منه.^{٢٥٢}

原文: 是故君子动而世为天下道，行而世为天下法，言而世为天下则。
远之则有望，近之则不厌。

今译: 所以君子的语言行动能够使世世代代的人民遵行；施于政治，能够使世世代代的人民效法；发为号令，能够使世世代代的人民奉为准则。远方的人民景仰他的言行，近处的人民学习他的言行而不生厌倦。

نص القطعة الثانية:

" لذلك ما كان الحاكم الفاضل يعمل عملا إلا وهو أصبح قدوة حسنة يقتدى بها كل الناس في أنحاء البلاد جيلا بعد جيل؛ وما كان يحكم حكما سياسيا في أوامره ونواهيه إلا وهو صار قانونا مطاعا عند كل الناس في أنحاء البلاد جيلا بعد جيل؛ وما كان يتكلم في الترغيب والترهيب إلا وهو يخل محل قاعدة ضابطة لاختيار كل الناس بالقبول والترك جيلا بعد جيل. فالشعوب في بُعد المسافة يشتاقون إليه احتراماً، والرعية في قرب المسافة يرغبون في إتباعه حباً. "

الشرح:

قال العلامة " جوشي " في بيان هذه القطعة: " إن الكلمة ' يعمل ' في النص تشمل أقوالاً وأفعالا، والقول ' قدوة حسنة ' يعنى الطريق النهج الذى يسلك عليه الناس كلهم، وهنا يشير إلى القوانين والأداب، فالأولى هي الحدود التي توجب كل واحد على إتباعه شرعا، والثانية هي المبادئ الأخلاقية التي يمدد بها الإنسان تصرفاته سلوكيا. والقول ' فالشعوب في بُعد المسافة يشتاقون إليه احتراماً ' وذلك يدل على أنه ذاعت شهرته الأخلاقية بين الشعوب البعيدة، فتشوقون

٢٥٢- انظر: الشرح للفظي لكتاب الرسالية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٦٧-٢٦٩.

إليه احتراماً. وأما قوله ' والرعية في قرب المسافة يرغبون في إتباعه حباً.' فكان المراد به أن الناس حوله يتعلمون من أخلاقه الحميدة وهم مطمئن قلوبهم رضاهاً.^{٢٥٤}

وفي القطعة السابقة ذكر المؤلف " ثس سي" الأمور الثلاثة الكبرى بالنسبة إلى الحاكم الفاضل، وهي تعليمات صارمة للسياسة الرشيدة، وهذا يدل على أن الحاكم الفاضل في نظر في الكونفوشيوسية ليس دوره للتسلط فحسب، بل هو راع يجمع بين الأخلاق الحميدة وبين الكفاءة الفائقة أيضاً، وهو المثل الأعلى يُسمى عند الكونفوشيوسية بـ " الملك الحكيم " الجامع بين سلطانه الأعلى وبين أخلاقه الأسى ظاهراً وباطناً. وصارت أقواله وأفعاله قواعد ضابطة لجميع الناس، وكانت الآداب والقوانين التي سنّها سائرة وشائعة في أنحاء البلاد، نفعاً للبشرية مع مرور الأجيال والعصور القادمة.

原文：《诗曰》：“在彼无恶，在此无射。庶几夙夜，以永终誉。”
君子未有不如此二蚤有誉于天下者也。

今译：《诗经·周颂·振鹭篇》说：“夏，殷二王的后代，现在是我周朝的客人，他们在自己国家里没有人厌恶他，来朝廷助祭的时候，也没有一个人厌恶他。差不多朝朝夜夜，可以永远保全这个名誉了！”君王没有不这样，而能在天下很早享有盛名的呀。

نص القطعة الثالثة:

" وقال سفر القصائد في ذلك مدحاً: ما من أحد في وطنه^{٢٥٥} يرغب عنه، بل حباً وعشقا، وما من أحد في بلادنا يبتعد عنه بل قريبا ورضوانا. يجتهد في سعيه وراء الخير والفضل ليلا

٢٥٤- التشرح الجليل للكتب الأربعة، قسم كتب الوسيطية والاعتكال، بكوشى، الصفحة ٢٦

٢٥٥- وأما الضمير المحمود في هذه البيوت، فكما ذكر في تمهيد الشعر هذا حيث قال للمراء به الأميران الواقفين من إمارتي " سونغ " و" تشي " إلى بلاط الملك لمملكة " تشيو" المركزية في مشهد مثول الأمراء الواقفين بين يدي الملك. وقيل: إن الضمير المحمود في الشعر يراد به خاصة إلى الأمير " وى تشي " الذي اشتهر بين العام والخاص بصلاحه وفضيلته، وكان أول أمير لإمارة " سونغ" عند إقطاعها من مملكة " تشيو" المركزية وقتئذ.

وتهارأ، فتشتهر سمعته الفاضلة مع مرور الزمن حمداً وذكرًا.^{٢٥٦} فما من الحاكم الفاضل إلا وهو أسوة حسنة كما وصفه الشاعر هنا في نشر شهرته المبكرة في قلوب الناس سمعاً وطاعة.

الشرح :

وهذه القطعة تتبع القطعة السابقة يبين فيه المؤلف أن الحاكم الفاضل يهتدى إلى منهاج الوسطية والاعتدال، وينصب من نفسه قدوة حسنة على رعيته، وينال الثقة منهم بأخلاقه الحميدة. وأورد المؤلف هنا قصيدة من سفر القصائد، مدحا للأمير "وى تس"، تأكيداً على المهمة الأولى للحاكم الفاضل، وهي تهذيب نفسه وإصلاح ذاته على منهاج الوسطية والاعتدال.

وقال الحبر "كونغ بينغ دا" في بيان معاني القطعة هذ:^{٢٥٧} "أورد المؤلف القصيدة التي تصوّر مشهد مثول الأمراء في بلاط الملك "وؤ وانغ" وعلى رأسهم الأمير "وى تس" من الإمارة "سونغ"، فمدح الملك "وؤ وانغ" في مآدب استقبالهم أن الأمير "وى تس" من ذوى الأخلاق الحميدة، فأحببه شعبه في بلده، كما نال رضواناً جماً من العام والخاص عند عاصمة مملكة "تشنو" المركزية، وهو يسعى وراء الخير والفضل صباحاً ومساءً، فسبقى حسن شهرته دائماً، تمثيلاً لقضائل الحاكم المثالي في سجل التاريخ".^{٢٥٧}

وفي الحقيقة، كان المؤلف "تس سي" يريد أن يعبر هنا بإيراده قصيدة المدح والثناء على سلوك الأمير "وى تس" عن الحياة المثالية التي يركّز علماء الكونفوشيوسية وراءها طول حياتهم، لكي يظهروا بها القيمة الإنسانية الكاملة عدهم؛ حيث في نظر الكونفوشيوسية أن رسالة الحياة بالنسبة إلى رجل فاضل هي : إلى تهذيب الذات بالأخلاق الحميدة أولاً، وتحقيق الطموحة العظيمة في إصلاح المجتمع بفكرة الرحمة (رين) وتحقيق السياسة الرشيدة ثانياً، ونشر الأمن والسلام تحت السماوات والأرض نهائياً.

^{٢٥٦}- سفر القصائد، قسم الأناشيد الطقسية للمملكة "تشنو"، الصفحة ٣٧٢.

^{٢٥٧}- شرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، الجزء الثاني، كونغ بينغ دا، الصفحة ٢٨٩.

第三十章

原文：仲尼祖述尧舜，宪章文武，上律天时，下袭水土。譬如天地之无不持载，无不覆帔。譬如四时之错行，如日月之代明。万物并育而不相害，道并行而不相悖，小德川流大德敦化，此天地之所以为大也。

今译：仲尼能奉尧舜为宗，传述他们最高的道德，效法文王，武王，彰明他们最完备的法制。随时应变，上而取法天时自然的变化，下而严守范围，遵从水土自然发展之理。譬如地，没有一物不承载在它上面，譬如天，没有一物不覆盖在它下面。譬如春，夏，秋，冬，交替运行，譬如日月往来，交互照明。万物竞相繁育而不相妨害，大道如日月相互照明而不相违背。从小德看，像河川一样脉络分明而流动不息；从大德看，资源本厚，化育无穷。由此可以体察到天地之大了。

الفصل الثلاثون

التمهيد:

وفى هذا الفصل أثنى المؤلف " تشى سى " على المآثر العظيمة للأستاذ كونفوشيوس، من حيث إنه ورث تعاليم مكارم الأخلاق من الملكين الحكيمين " يُلُو " و " شُون " وهما من أشهر الملوك الحكماء القدامى قبل عشرين قرناً قبل الميلاد فى تاريخ الصين القديم، كما أنه اقتدى بمآثر الملكين الصالحين " وُون وَانغ " وابله " وُو وَانغ " لمملكة " تشو "، وكان مجتمع الصين القديم التقليدى قد بلغ إلى مرحلة الازدهار والنضج فى أثناء حكمهما نظامياً وسياسياً، وبينما كان الأمير " تشو فُونغ " شخصية حاسمة فى هذا المجال، لأنه هو الذى وضع النظم والأداب وأكملها، وهذه ما يعرف بـ " آداب تشو " فى تاريخ الصين القديم، وهى سلسلة من النظم والقوانين تشمل جميع المجالات المختلفة خلقياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فاتخذها الأستاذ كونفوشيوس قدوة حسنة لبناء الحكم الرشيد فى عصره، وقد بذل أقصى جهوده فى سبيل نهضة هذه الثقافة وأدائها القويمة ودعوة الأمراء والحكام إليها، لكى يُعيد البلاد والمجتمع من حالة الاضطراب وحرب الشعواء

إلى حالة الاستقرار والسلام الناعم. وبما قدم من مساهمات جليلة في وراثته ثقافة الصين القديمة وتطويرها، شبه المؤلف "تس سي" في هذا النص متأثر الأستاذ كونفوشيوس بفضائل السماوات والأرض والشمس والقمر، التي لا يستغنى عنها الإنسان في حياتهم الواقعية هدى ونورا.

النص:

" كان الأستاذ ' جونغ ني ' ^{٣٥٨} يروى تعليمات الملكين الحكيمين " يلو " و " شون " ^{٣٥٩} فأتخذ مكارم أخلاقهما رشداً وهدى. كما يقتدى بمثل الملكين الصالحين " وون وانغ " و " وون وانغ "، فقام بنهض نظام الآداب في عصره إصلاحاً وتجديداً. وهو من الأعلى أثق القواعد التي تبادل بها الظواهر الفلكية في المواسم والطُوس، ومن الأدنى اتفق مع المناظر البيئية والمميزات التي تختص بها البلدان المختلفة. فإن السماوات تغطي كل الكائنات صغرى، والأرض تحمل ثقل جميع الموجودات مهذاً، والفصول الأربعة السنوية تتعاقب معتدلاً، والشمس والقمر يطلع ويغرب إضاءة. فكل الخليقة بين السماوات والأرض ينمى جنباً بجنب ويتعايش بعضها مع البعض انسجاماً وازدهاراً، وجميع الطرق في جريان الحوادث الكونية بين السماوات والأرض يناسب بعضها بعضاً بلا ضرر ولا ضرار. وإن المآثر الصغيرة للسماوات والأرض تسير دائماً مستمرة كالأنهار تجري واضحة سيرها ومترابطة قروعاها، وإن الفضائل الكبيرة للسماوات والأرض تربى الكائنات كلها وتتميمها ازدهاراً، وهذا هو المبدأ الذي يصبح به السماوات والأرض عظمة وكبيرة. "

الشرح:

بين " كونغ بينغ ذا " مقاصد هذا النص وقال: " أشار المؤلف " تس سي " في هذا الفصل إلى أن فضائل الأستاذ كونفوشيوس كان مثله في تهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع مثل مآثر

٣٥٨- " جونغ ني "؛ لقب الأستاذ كونفوشيوسية، بكر هذا بلقبه تشرافاً وتعظيماً.

٣٥٩- الملك الحكيم " يلو " قد عزله في التمهيد، ممكن الرجوع إليه. وأما الملك الحكيم " شون " قد ذكرناه في الفصل السادس والفصل السابع عشر على صورة تفسيرية، فارجع إليه.

السموات والأرض في تنمية الكائنات وتطويرها سموا وعظما، وهو الوارث الروحي للحكيم
القديمين " يَأو " و " شُون " مصدرا فكريا، والمقتدى المجدد بالملك الحكيم " وُون وانغ " وابنه
الملك الحكيم " وُو وانغ " منهجا تطبيقيا.^{٣٦٠}

قال " تشين تشونغ " ^{٣٦١} في شرح القول في النص " يروى تعليمات الملكين الحكيمين
القديمين " يَأو " و " شُون " فاتخذ مكارم أخلاقهما رُشدا وهدى. "، وقال إنهما قد وصلا إلى كمال
شخصيتهما بمكارم الأخلاق، فاقتدى بهما الأستاذ كونفوشيوس وينسب طريقه إليهما منبعا فكريا.
وأما الكلام فيه ' يقتدى بمآثر الملكين الحكيمين " وُون وانغ " و " وُو وانغ "، فقام بنهض نظام
أدبيهما إصلاحا وتجديدا. ' لأن النظم والقوانين في عهد المملكة لأسرة " تشو " قد بلغت كمالها
مجهزة تامة، فالأستاذ كونفوشيوس تمتك بهذه النظم والآداب واتخذها إرشادا وتديلا.^{٣٦٢}

وقد اتفق العلماء الكونفوشيوسيون على أن الأستاذ كونفوشيوس قد ورث مهمة عظيمة من
الملكين الحكيمين القديمين " يَأو " و " شُون " كمرجع فكري أساسي ، ومن الملكين الحكيمين "
وون وانغ " و " وُو وانغ " - مؤسسا مملكة أسرة " تشو " - كمصدر تطبيقي أصولي، حيث ورث
قواعد النظم والآداب من المملكة " تشو " وطورها تجديدا، لكي يحاول بإصلاحه هذا على إعادة
المجتمع المضطرب إلى حال السلام والازدهار مرة أخرى. وهذه هي التعليمات الكونفوشيوسية
ومقاصدها الفكرية التي تسعى ورائها. فكان عهد الملكين الحكيمين القديمين " يَأو " و " شُون " في
نظر الكونفوشيوسية عهدا شائع الطريق المستقيم فيه، كما اتخذوا عصر الملكين الحكيمين " وون
وانغ " و " وُو وانغ " عصرًا مزدهرا بنظام أدبيه الكاملة، فاعتبروا هذين العهدين معيارا للمجتمع
المثالي ورمزا لفترات السلام والرخاء في تاريخ الصين القديم. وكان الأستاذ كونفوشيوس في مع

٣٦٠- انظر: شرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، الجزء الثاني، كونغ بينغ داء الصفحة ٢٩٠.

٣٦١- تشين تشونغ: العالم الكونفوشيوسي (١١٥٩ م - ١٢١٧ م) في عهد الأسرة "سونغ" الجنوبي، وهو من أشهر طلاب للعلامة
" جوشي "، وله إنجازات كبيرة في البحث والتفكير في مذهب الكونفوشيوسية، وخاصة في دعوته إلى الاتجاهات العقلية لأستاذ
العلامة "جوشي"، وقد ترك مؤلفات عديدة، وجمعت في مجموعة المسيد " بِي شِي " الكبيرة تحتوي على خمسين مجلد. انظر إلى
موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٥٢٥.

٣٦٢- انظر إلى التشرح للفظن لكتاب الوسيطية والإعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٧٢.

أنه لم يحصل على عزة السلطان في حياته واقعيًا، ولكنه قد تمتع بكمال مكارم الأخلاق من حيث إنه أصبح وارتار روحيا لهؤلاء الملوك الحكماء السلف ومصلحا فكريا ترك أثرا عميقا في تكوين شخصية مجتمع الصين كلها، فيقلبه العلماء الكونفوشيوسيون ب "الملك الحكيم بدون العرش".

وشرح هذا النص العلامة "جوشى" وقال: "كلامه" وهو من الأعلى أتبع القواعد التي تبادل بها الظواهر الفلكية في المواسم والطقوس ' أى كان يعرف القوانين الكونية ويتمشى معها. والعبارة في النص: ' ومن الأدنى اتفق مع المناظر البيئية والمميزات التي تختص بها البلدان المختلفة. ' يعنى إدارة أمور البلاد بحسب الحقائق الثابتة فيها مناسبة للأوضاع والأحوال لها. " ٢٦٢ وكل ذلك يدل على أن الأستاذ كونفوشيوس فائق حكمته واسع معرفته، ومن الأعلى تتناول علومه علم الفلك فيطبع السنة السماوية، ويناسب سلوكه لها تماما، ومن الأدنى يعرف أحوال بلاد الصين وسكانها، فوجه فيها وفقا للحاجات الواقعية.

ثم قام المؤلف " تس سى " بالمدح والثناء على الفضائل العظيمة للسموات فغطى كل الكائنات تحتها عناية، ولأرض تحمل ثقل جميع الموجودات عليها مهدا، والمائر الكبيرة للشمس والقمر إضاءة على الأرض، وتعاقب الفصول الأربعة معتدلا. وفي أسلوب الحمد والثناء على المظاهر الطبيعية مجاز وكناية للمدح والثناء على الفضائل الجليلة للأستاذ كونفوشيوس، فمثل كمثل السموات في ستورها لكل الكائنات عناية، ومثل الأرض في حملها لثقل جميع الموجودات عليها مهدا، ومثل تصرفات الأستاذ كمثل الفصول الأربعة السنوية في تعاقبها معتدلا، ومثل الشمس والقمر في تغيراتهما من الطلوع والغروب إشراقا وضياء. يبين المؤلف بهذا الضرب أن منهاج الوسطية والاعتدال الذي جاء به الأستاذ كونفوشيوس هو واسع عظيم وشامل كامل!

والقول في النص " فكل مخلوق بين السموات والأرض ينمى جنبا يجنب ويتعاش بعضهما مع البعض انسجاما وازدهارا، وجميع الطرق في جريان الحوادث الكونية بين السموات والأرض يناسب بعضها بعضا بلا ضرر ولا ضرار. " وهذا القول وجيز اللفظ عميق المعنى قد

٢٦٢. الشرح الجامع للكتب الأربعة. قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جوشى، الصفحة ٢٦٦ - ٢٧.

تبيّن لنا أن الكون في نظر الكونفوشيوسية يمتلئ بأحكام الطبيعة المتنوعة لا تحصى لها ولا تعدّ، وفي هذه القوانين الكونية لا نجد تعارضا ولا تناقض، بل كل الكائنات الموجدة بين السموات والأرض ينمى جنباً بجنب ويتعايش بعضها مع البعض انسجاماً وازدهاراً، وهذه هي الأصول الأساسية للنظرية الكونية الكونفوشيوسية، فالإنسان صفوة الموجودات في الكون، فلا يمكن للإنسان أن يقيم سعادته على أساس إضرار الكائنات الأخرى وإيذاها، كما لا يمكن لدولة أو أمة أن يبنى تطورها وازدهارها على أساس إضرار ومعاونة الأمم الأخرى، ويؤكد الكونفوشيوسية بهذه النظرية الكونية تأكيداً كثيراً أن الإنسان جميعه باختلاف أقاليمه ودوله، عليه أن يتعايش ويتقدم معا ويتعاون جنباً بجنب.

وعلى أساس هذه النظرية الكونية الأخلاقية، قد كوّنت الكونفوشيوسية مسؤولية الرعى والإدراك في حماية البيئة، تدعو إلى المعيش المنسجم مع عالم الطبيعة وإلى العلاقة المتفقة بينها وبين جنس الإنسان، فقال كتاب الحوار في ذلك: " كان الأستاذ يصيد السمك بالشص لا بالشبك، ويصيد الطير بالسهم إذا طار في الجو ولا يصيده إذا بات في عشه." ^{٣٦٤} كما أن هذه النظرية الكونية قد أثّرت في السياسة الرشيدة الكونفوشيوسية، فتدعو إلى تعميم السلام والسعادة تحت السموات والأرض، فلا تصادم بين الشعوب في العالم ولا تعارض بين الثقافات المختلفة، بل تتشد الانسجام والوئام بين الإنسان والطبيعة.

والقول في النص " وإنّ المآثر الصغيرة للسموات والأرض تميز دائماً مستمرا كالأنهار تجري واضحة سيرها ومقاربة فروعها، وإنّ المآثر الكبيرة لهما تربي الكائنات كلها وتنميتها ازدهاراً، وهذا هو السبب للذي صار به السموات والأرض عظيمة وكبيرة." وهذا أيضاً يبيّن حقيقة السنة السماوية في عنايتها بالنشأة والتنمية للموجودات المتنوعة في الكون بأسرها. وقال العلامة " جُو شِي " في شرح ذلك: " ستور السموات للكائنات ضاية وحمل الأرض لنقلها ميهادا، وتعاقب الشمس والقمر طلوعاً وغروباً وتتابع الفصول الأربعة السنوية ذهاباً وإياباً. وكل

٣٦٤- كتاب الحوار يشرح جُو شِي، الفصل السابع، الصفحة ٢٣١.

ذلك يدل على أن تعدد الكائنات وتوقعها بلا ضرر ولا ضرار نتيجة الفضائل الصغيرة للسموات والأرض في سيرتهما المتحركة الدائمة، كما كان تعايش الموجودات وازدهارها جنبا بجنب مسبب الفضائل الكبيرة للسموات والأرض في ثباتهما الساكن الواسع، الفضائل الصغيرة هي الأعراض الجزئية للكل، والفضائل الكبيرة هو المرجع الكلي للتغيرات. وكان المؤلف يتكلم هنا عن فضائل السموات والأرض، ويستعمل أسلوب التشبيه لبيان ما ذكر في النص السابق.^{٣٦٥} أي كان المؤلف "نفس سي" يشبه تورة الأستاذ كونفوشيوس وفضائله في إرشاد الناس وإصلاح المجتمع بمآثر السموات والأرض في حفظهما على سلام تنمية الخليفة وتطورها .

٣٦٥- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شى، الصفحة ٢٧.

第三十一章

原文：唯天下至圣，为能聪明睿智，足以有临也；宽裕温柔，足以有容也；发强刚毅，足以有执也；齐庄中正，足以有敬也；文理密察，足以有别也。

今译：只有天下最伟大的圣人，才能聪无不闻，明无不见，睿无不通，知无不达，自然完全能够做君主统治天下了。有了仁，宽宏舒裕，温和柔顺，完全能够包容天下。有了义，奋扬强壮，刚健峻毅，完全能够固守正理。有了礼，齐肃庄严，执中守正，完全能够恭敬处事。有了智，文章条理周密，精审详察，完全能够明辨事理。

الفصل الواحد و الثلاثون

التمهيد:

إن الحكيم هو أعلى المثل لشخصية إنسانية قد نال تقديراً وتقديساً عند الكونفوشيوسية، أشار المؤلف "تس سي" في هذا الفصل إلى أنه لا يمكن أن يحمل المسؤولية الخطيرة لحكم البلاد وإدارتها إلا الحكيم الكامل الأخلاق يستحق به أن يكون حاكماً وملاكاً لها. إذن، كيف كان الحكيم يُعتبر في نظرة "تس سي"؟ وما هي مؤهلاته ومواهبه الطبيعية التي يجب على الحكيم أن يتَّصف بها؟ وفي هذا الفصل يخبرنا المؤلف أن الحكيم فطين غاية الفطنة يأتي بالحكمة والمعرفة فطرياً، فهو بصير وحكيم مدرك، وعارف بكل شيء، بينما يتمتع بغاية السموّ بمكارم الأخلاق، وفضلاً عن ذلك متَّصف بالصفات الأربعة العظيمة من الرحمة والاعتدال والآداب والمعرفة، ويبلغ المقام الأعلى الخلفي، ألا وهو صفة الصدق والإخلاص؟ فلذا إن الحكيم هو الذي له قدرة كاملة يحمل بها مهمة حكم البلاد وسياستها، ويتقن إدارة التربية والتعليم للناس علمه، ويبعث السلام والأمن تحت السماوات تامة.

وهذا الفصل انقسم إلى ثلاث قطع، والقطعة الأولى التالية سوف تصوّر لنا هذه الصفات

العظيمة عند الحكيم عند الكونفوشيوسية بصورة واضحة، نأتي إليها :

نص القطعة الأولى:

" ما من أحد تحت السماوات إلا الحكيم الأعظم يبعد نظره وفطين ذكائه، مثاهل ليكون ملكا راعيا لجميع الشعوب؛ إذ كان بصفته في التسامح والحنان كفى به رحيمًا وحليماً لرعيته، وبصفته في العزم والصلابة كفى به ثابتاً وحازماً لأوامره، وبصفته في الاعتدال والوقار كفى به ورعاً ويقظاً لتواهمه، وبصفته في كمال التفكير ووضوح البيان كفى به فاصلاً بين الحق والباطل لإرشاد رعيته. "

الشرح:

قد شرح "جئغ شوان" مقاصد هذا النص بمعناه الإجمالي وقال: " إذا لم يتَّصف ملك بتلك الصفات، ولم يبلغ المقام الأخلاقي الذي ذكر في هذا النص، فهو لا يقتدر على أن يملك البلاد ويحكمها. وفي الحقيقة كان المؤلف " تس سي" يعبر في هذا النص عن تأسفه الشديد على أن الأستاذ كونفوشيوس لم يقدّر له من نيل عزة التسلط والحكم مع أنه قد اتَّصف بتلك الصفات ووصل إلى المقام الأخلاقي جميعاً." ^{٣٦٦}

وأول شيء للملك الحكيم الذي أشار إليه هذا النص هو أنه لا بد أن يتَّصف بالبصيرة والحكمة والعقل بعيد النظر، وإذا اتَّصف بهذه الصفة فقد كفى به أن يحكم جميع الناس، لأن مع هذه الصفة الخلقية يأتي إلى اتصافه بمكارم الأخلاق كلها مثل التسامح والحنان، والعزم والصلابة، والإعتدال والوقار، وكمال التفكير ووضوح البيان كما جاء في النص. وقال العلامة " جو شي" في شرح معاني هذا النص: " إن كمال البصيرة والحكمة وبعيد النظر لا يتَّصف أحد بهذه الصفات إلا مقطوراً عليها." ^{٣٦٧} أي هذه الصفات ليست مكتسبة بجهود الإنسان، بل مقطورة بالسماء (تيان). وهذا الكلام للعلامة " جو شي" يليق ما ذكر في القطعة الثالثة عشر من الفصل العشرين: " والمخلص الصادق يحسن ويعتدل في أفعاله بدون كسب وكلفة، ويثاب الحق واليقين

٣٦٦- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، " كونغ ييلغ دا"، الجزء الثاني، الصفحة ٢٩٥.

٣٦٧- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، الصفحة ٦٩.

بدون جهد ولا تفكير، ويوافق في أخلاقه وسلوكه مع منهاج الوسطية والاعتدال بهدوء وأناة، ألا وهو الحكيم ! " وأما الأخلاق التي ذكرت في هذا النص من صفات التسامح والحنان - العزم والصلابة - الاعتدال والوقار - كمال التفكير ووضوح البيان، فهي في نظر العلامة " جو شي " مقابلة لمبادئ الأخلاق الأربعة الأساسية من الرحمة والعدل والآداب والحكمة عند مذهب الكونفوشيوسية.^{٣٦٨}

وقوله في النص " كان بصفته في التسامح والحنان كفى به رحيمًا وحليماً لرعيته. " يعنى أنه ذو مكارم الأخلاق الكاملة من طباع لطيفة ورحب الصدر يسع كل شيء، وهذه من صفة الرحمة. وقوله " وبصفته في العزم والصلابة كفى به ثابتًا وحازمًا لأوامره. " يراد به أنه يقتدر على تحديد النظم والآداب، ويعطى من نفسه مثالا بتطبيقها، وهو صارم وصلب العزيمة في العمل بها، وهذه من صفة العدل. والقول فيه " وبصفته في الاعتدال والوقار كفى به ورعا ويحفظ لنواحيه " يعنى أنه ساكن ومهيب يعتدل في معالجة الشؤون السياسية بدون أى تفريط ولا إفراط فيها، وبذلك ينقاد له من جميع الناس بالتقدير والإجلال، وهذه من باب الآداب. وأما العبارة " وبصفته في كمال التفكير ووضوح البيان كفى به فاصلا بين الحق والباطل لإرشاد رعيته " فهذا يعنى أنه باعتباره الملك الحكيم على مكانة شريفة، كان متميزا واضحا بين الصواب والخطأ وثاقب النظر ودقيق الملاحظة في حقائق الأمور، وهذه من باب العلم والحكمة.^{٣٦٩}

يرى المؤلف " تشي سي " في هذا النص أن الحكيم الكامل الأخلاق كان مفطورا على جبلة الفطنة والبصيرة ونفاذ الرؤية والحكمة والعقل بعيد النظر وكان متصفا بالأخلاق الأربعة من الرحمة والعدل، والآداب، والمعرفة، فكفى به أن يقابل كل الأمور في حكم الدولة بربط جانش ويعالج بهدوء وأناة مشاكلها الشكى على أحسن وجه. فضلا عن ذلك إن ما تصرف به الحكيم الكامل الأخلاق من القول والفعل وما حدده من النظم والآداب، وكل ذلك سوف يكون خيرا

٣٦٨- النظر: الشرح الجليل للكتب الأربعة، جو شي، الصفحة ٦٩.

٣٦٩- أنظر: إلى البر المكنى - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، ليو تينغ يو وكون شينغ تشونغ، دار طباعة الديمقراطية و التقنية بالصين ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى، الصفحة ٣٢٠.

معروفا وفضلا كبيرا على الناس جيلا بعد جيل، ويستفيد الإنسان منه سواء كان قريبا أو بعيدا. وسوف يتحدث المؤلف حول هذا الفضل الكبير والخير المعروف للحكيم الكامل الأخلاق في القطعتين التاليتين، ويفصله مزيدا من الدقة والعمق، لننظر الآن إليها فيما يلي:

原文：溥博渊泉，而时出之。溥博如天，渊泉如渊。见而民莫不敬，言而民莫不信，行而民莫不说。

今译：至圣的德，广阔博大像深不可测的泉水，时时涌出，无穷无尽。圣人周遍广阔好像是天一样，静深有本，好像泉水一样。人们见到他的仪容，没有一个不尊敬；听到他的命令，没有一个不信从；看到他的政事，没有一个不欢悦。

نص القطعة الثانية :

" وإن فضائل الحكيم الكامل الأخلاق واسعة وشاملة مثل ماء النبع العميق يتبع في كل آن ولا ينقطع، وإن أخلاقه عظيمة مثل السماوات الشاسعة، وعميقة مثل ينبوع في الهاوية بعيد قعرها. لذلك، الحكيم الكامل الأخلاق لا أحد يرى ملامحه إلا تملكه إحسان بالمهابة والإحترام، ولا أحد يسمع كلامه إلا صدقه تصديقا ثابتا، ولا أحد يشاهد أفعاله إلا سره سرورا وإعجابا. "

الشرح:

هذه القطعة تتابع القطعة السابقة وتوضح بخطوة إلى الإمام الشخصية المثالية للحكيم الكامل الأخلاق ومنزلته السامية الخلقية. وقال " كونغ بين دا " في ذلك: " إن هذه القطعة فسرت أكثر فأكثر أن الأستاذ كونفوشيوس يكمن كل ما يتصف بها للحكيم الكامل الأخلاق من الفضائل والمآثر، ويظهرها في وقت يليق به ظهورها. ولا مكان يشرق فيه الشمس ولا أرض يضيء القمر عليها إلا وأمله يقدره تقديرا ويعجبه إعجابا. " ٣٧٠

وقال العلامة "جو شي" في شرح المعاني اللفظي لهذه القطعة: " القول فيها ' فضائل الحكيم الكامل الأخلاق واسعة وشاملة ' أي أخلاقه واسعة وبعيد المدى في تأثيرها على حياة

٣٧٠- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر: كونغ بينغ دا، الجزء الثاني، الصفحة ٢٩٧.

الإنسان. والقول فيها ' ماء النبع العميق ' أى هو ساكن وعميق، وله مصدر أصلى يصدر منه الماء. والكلمة فيها " ينبع " أى يعين ويُرى. ويراد هنا أن الفضائل للحكيم الكامل الأخلاق (وهى البصيرة و الحكمة والعقل بعيد النظر مع الرحمة والعدل والآداب والمعرفة) ممثلنة فى باطنه وكامنة فى داخل قلبه ومكتشفة ومشاهدة فى ظاهره بتصرفاته فى الوقت المناسب لها.^{٢٧١}

وفى نظرة المؤلف " تشى سي " أن صفة الصدق والإخلاص هى حالة من الحالات الباطنية تكمن فى داخل قلب الحكيم الكامل الأخلاق، كما أنها مصدر أصلى يصدر عنه البصيرة والحكمة والعقل بعيد النظر مع الأخلاق الأربعة من الرحمة والعدل والآداب والمعرفة؛ لأن صفة الصدق والإخلاص هى قاعدة أساسية للفضائل كلها، وهذه الفضائل الخمسة تتمثل فى تصرفات الحكيم الكامل الأخلاق وفى سلوكه الظاهرة، فلذا يشاهد الناس مكارم أخلاقه ويرأوا بقوله وفعله. ويبدو أن المؤلف تنبى فى هذا النص على الفضائل و المآثر للحكيم الكامل الأخلاق عموما، ولكن يشير به إلى الأستاذ كونفوشيوس خصوصا.

原文：是以声名洋溢乎中国，施及蛮貊；舟车所至，人力所通，天之所覆，地之所载，日月所照，霜露所队，凡有血气者，莫不尊亲，故曰配天。

今译：所以，他的名声充满华夏，并且逐渐传播到边远的南蛮北貊等少数民族地区，凡是车船可通到的地方，凡是车人力可通的地方，凡是天所覆盖的地方，凡是地所承载的地方，凡是日月照临覆盖的地方，凡是霜露所坠落的地方，这些地方凡是有血气的人，没有一个不尊他为君主，亲他如父母。所以说至圣的德与天相匹配。

نص القطعة الثالثة:

" فذاعت سمعته على بلاد الوسط ^{٢٧٢} كلها، حتى امتدت شهرته بعيدة إلى بلدان همجية

٢٧٢- للشرح الجامع للكتب الأربعة، جى تشى، دار الكتب " تشى لو " طبعة الثاني، سنة ١٩٩٢، الصفحة ٢٧.
٢٧٣- بلاد الوسط: وفي الزمن القديم البدائى كانت أمة " هوا شيا " امتد مملكتها فى وادى النهر الأصفر الخصب الذى يتدفق عبر سهل شمالها، وهم لياء أهل الصين الآن، وقد ظنوا أن بلادهم تقع فى وسط العالم، فصنوا بلاد فوسطه كما صنوا الأرامنى الأخرى المحيطة بها بالجهات الأربعة، واعتبروا هذه البلاد بلدانا همجية غير متدنية فكان بلاد الوسط صار اسما شريفا لبلاد الصين فى اللغة الصينية منذ ذلك الوقت.

في جنوبها ومناطق شمالها.^{٣٧٣} وأى مكان يمكن أن يصل إليه المركب والعربة، وأى أرض يستطيع الإنسان إليه سبيلا، وأى مكان يستتره السماوات للزرقاء، وأى مكان تحمل الأرض ثقلها، وأى أرض يغطيها أشعة الشمس وضوء القمر، وأى مكان ينزل عليه الثلج والمطر، فليس كل واحد من أهل هذه الأماكن إلا وهم يقدرونه تقديرًا عظيمًا ويحيونه حيا جمًا. فنقول إن الفضائل والمآثر للحكيم الأعلى يمكن أن يماثل بالسموات المرتفعة.

الشرح:

وهذه القطعة جاءت لتلخيص القطعتين السابقتين تتحدث على أقصى تقدير عن عظمة الفضائل و المآثر للحكيم الكامل الأخلاق، وانتشار شهرته في بلاد الصين بأسرها، وأى أرض ما دام يعيش فيها البشر يحترمونه احترامًا كثيرًا ويحيونه حيا جمًا. وقال العلامة "جو شي" في شرحه: "الكلام في هذا النص 'أى مكان يمكن أن يصل إليه المركب والعربة، وأى أرض يستطيع الإنسان إليها سبيلا' هو حديث على أقصى تقدير عن بعد المدى لانتشار شهرته. وأما القول 'إن الفضائل والمآثر للحكيم الكامل الأخلاق يمكن أن يماثل بالسموات المرتفعة' فالمراد بها أن تأثير الفضائل للحكيم الكامل الأخلاق ومآثره على الناس في أماكن كثيرة مثل السماوات الواسعة لستورها الأرض كلها."^{٣٧٤}

تبين هذا النص أن الحكيم الأعظم قد شاعت سمعته في بلاد الصين كلها حتى إلى البلدان خارجها، يعتقد الناس جميعهم بنظريته الأخلاقية ويحترم شخصيته العظيمة. وقد اتفق العلماء الكونفوشيوسيون كلهم على أن المراد بالحكيم الأعظم هنا هو الأستاذ كونفوشيوس نفسه، حيث قد انتشر التعاليمات الكونفوشيوسية بعد وفاته انتشارًا واسعًا، فمنذ بداية عصر الممالك المتحاربة (٧٥٠ ق.م - ٢٢١ ق.م)، قد صارت الكونفوشيوسية على رئاسة النظرية والاتجاهات الفكرية بارزة مؤثرة في مجال الفلسفة والأيدولوجية داخل للصين وخارجها حتى يومنا هذا.

٣٧٣- بلاد جنوبها ومناطق شمالها: يشير إلى التوميات غير المنتمية إلى أمة "مرا شيا" الذين يعيشون حول وسط البلاد.

٣٧٤- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٦٩.

وقال "جينغ رونغ واه" - للعالم الكونفوشيوسي من جنوبي كوريا - في شرح هذه القطعة :
" وفي هذا الفصل ألقى المؤلف على الأستاذ كونفوشيوس أبلغ ثناء، باعتباره الحكيم الأعظم
يمثل السماوات الزرقاء المرتفعة بمكارم أخلاقه السامية، وقد حصل على التقدير والاعتناق من
كثير الناس، كما أنه صار وليّ السماء (تيان) بفضائله النبيلة ومآثره العظيمة، وإذا نقرأ هذا
النص بالتفكير والتأمل في معانيه لفهم هذا المجد البالغ والثناء الفائق عليه. وذلك كما سُمّي ويلقب
بـ "الحكيم الأعظم والأستاذ الأول"، وما زال هذا لقب الشرف منقوشاً بخط واضح على الحجرة
أمام قبر كونفوشيوس في مسقط رأسه حتى يومنا هذا. " ٣٧٥

٣٧٥- أنظر: منهاج الوسطية والاعتدال - حكمة الإنسان العليا، بتأليف جينغ رونغ وواه، كوريا الجنوبية، بترجمة جينغ تشنغ،
دار الطباعة هاي فان، ٢٠١٢م، الصفحة ٢٣٦.

第三十二章

原文：唯天下至诚，为能经纶天下之大经，立天下之大本，知天之化育。夫焉有所倚？肫肫其仁，渊渊其渊，浩浩其天。苟不固聪明圣知达天德者，其孰能知之？

今译：只有天下至诚的圣人，才能掌握治理国家大事的法则，建立天下的大根本，知道天地变化生育的道理。除了诚，还有什么可依旁呢？至诚有肫肫然恳至的样子，这是他心里的仁德；至诚有渊渊然静深的样子，这是他心里的本源；至诚有浩浩然广大的样子，这是他心里的昊天。如果不是实实在在具有聪明圣哲的资质，能通达天赋的仁义礼智信大德，那么，有谁能知道是他《孔子》呢？

الفصل الثانى والثلاثون

التمهيد:

وقد أكد المؤلف "تس سي" في هذا الفصل اتصالاً وثيقاً بين صفة الحكمة والبصيرة وبين صفة الصدق والإخلاص عند الحكيم الأعظم، وبين أن صفة الإخلاص والصدق باعتبارهما المقام الأخلاقي الأعلى لا يقدر على إتمامها إلا الحكيم الكامل الأخلاق، وبعبارة أخرى إن فضائل الحكيم الأعظم لا تكون كاملة إلا بصفة الإخلاص كل الخلوص وبصفة الصدق غاية الصفاء، فيرى "تس سي" أن الحكيم الأعظم (الأستاذ كونفوشيوس) هو الذى بلغ قمة الإخلاص وغاية الصدق - هذا المقام الأسمى - فى مكارم أخلاقه. وبالجمله، صفة الصدق والإخلاص الكامل صفة تقوم عليها قواعد سياسة الدولة ومبادئ تهذيب النفس وأصول تنمية الخلاق، فلا يتمتع بهذا الخلق العظيم إلا الحكيم الذى يجمع بين علو الرشد وسمو الفضيلة.

النصر:

" إنما الحكيم بكل إخلاصه يقدر على أن يتقن تنظيم خيوط الحرير المشطبة للمبادئ الأساسية العامة إتقاناً، ويستطيع أن يؤسس القاعدة الكبرى الأساسية تأسيساً، ويعرف الحقائق

الطبيعية بتغير الموجودات ونموها معرفة تامة. وبدون صفة الإخلاص والصدق، على ماذا يعتمد الحكيم في هذه الأمور؟ انظر إلى وجهه يطفح بسيمت الصدق والإخلاص، وذلك ما اكتشفت الرحمة من عمق قلبه، وإلى مزاجه يمتلئ بالسكون والعمق مثل النبع في الهلوية، وذلك ما تبذت معرفته الواسعة وأطلّعه العميق، وإلى مآثره العظيمة يفوض بالعالم كله، وذلك مثل السماوات المرتفعة تستر الخليقة كلها. وبدون الحكمة البصيرة والفضيلة السليمة، فمن يمكن أن يعرف الحكيم الأعظم (كونفوشيوسية) معرفة حقيقية ويفهمه فهما صحيحا ١٩؟

الشرح:

قال "جينغ شوان" في شرح هذه القطعة: "صفة المخلص بكل الإخلاص والصادق بغاية الصدق هي صفة مفطورة من السماء (تيان)، وهي صفة الأستاذ كونفوشيوس".^{٣٧٦}

بين العلامة "جو شي" معاني هذا الفصل وقال: العبارة في النص 'تنظيم خيوط الحرير الممشطة' كان مراده بأمور التنصيح الحريري، يعني هنا في النص أنه يتقن خطوط الحكم الرئيسية تنسيقا وترتيباً، ويجيد فن الحكم والإدارة تنظيمًا وإحكامًا. وقوله 'المبادئ العامة العالمية' يعني المبادئ الثابتة الدائمة في العالم لا تتغير أبدًا، هنا يراد بها العلاقات الخمسة الأخلاقية الإنسانية (وهي ما ذكرت سابقًا من علاقة الحاكم ومحكوميه وعلاقة الوالد بولده وعلاقة الزوج بزوجته وعلاقة الأخ بأخيه وعلاقة الفرد بالفرد الآخر أو بصديقه). وأما قوله "القاعدة الكبرى الأساسية" فهي كل ما يحتوي عليها الفطر الخير الإنساني. فلذا إنما الفضائل للحكيم الكامل الأخلاق هي صادقة بكل صدق ومخلصة بكل إخلاص، لا يخطئ بها أي باطل ولا كاذبة، فالحكيم الكامل الأخلاق قد حقق تلك المبادئ الثابتة الدائمة تحقيقًا كاملاً وأدى الواجبات لها تامة. وكل ما فعله وسلكه صار قواعدًا وضوابطًا للناس، وهذا ما نريد بالقول "إنما الحكيم الكامل الأخلاق بكل إخلاصه وصدقه يقدر على أن يتقن تنظيم خيوط الحرير الممشطة للمبادئ

٣٧٦- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشرة المؤلف "كونغ بينغ دا"، الجزء الثاني، الصفحة ٣٩٤.

الأساسية العامة إتقانا، ويستطيع أن يؤسس القاعدة الكبرى الأساسية تأسيساً. " ٣٧٧

شرح هذا النص العلامة "جو شى" باستمرار، وقال: "وبسبب أن الحكيم الكامل الأخلاق قد أظهر فطرته الخالصة بكل إخلاص وقد أبدى مزاجه الصادق بكل صدق ولم يخلط بها شيئاً من الأهواء والميول الإنسانية، وأن كل المبادئ والقواعد يقوم على أساسه (أى أساس للإخلاص والصدق)، فيقول النص هنا "إنما الحكيم الكامل الأخلاق الصادق كل الصدق هو يستطيع أن يؤسس القاعدة الكبرى الأساسية تأسيساً". وأما القول فى النص "يعرف الحقائق الطبيعية بتغير الموجودات ونموها" فكان معرفة الحكيم الكامل الأخلاق المخلص الصادق لهذه الحقائق ليست من السمع والبصرة على أساس الحسيات فقط، بل يدركها ببصيرته الثاقبة إدراكاً تاماً ويتفق معها إتفاقاً ضمنياً، وما كان هذا الإدراك الواسع والمعرفة العميقة للحقائق الكونية عند الحكيم الكامل الأخلاق المخلص الصادق إلا هو بالطبع من إخلاصه غاية الخلوص ومن صدقه غاية الصفاء، ولم يكن معتمداً فيه على شيئاً بغير هذه الصفة ؟ " ٣٧٨

ثم القول فى النص "انظر إلى وجهه يفتح بسمات الصدق والإخلاص، وذلك ما انكشفت للرحمة من عمق قلبه، وإلى مزاجه يمتلئ بالسكون والعمق مثل النبع فى الهاوية، وذلك ما تبينت معرفته الواسعة وإطلاعه العميق، وإلى مآثره العظيمة يفوض بالعالم كله، وذلك مثل السماوات المرتفعة تستر الخليفة كلها." وهذا هو للمدح والتناء البالغ على صفة الإخلاص غاية الخلوص وصفة الصدق غاية الصفاء عند الحكيم الكامل الأخلاق، وهذا المقام الأسمى والمعرفة التامة له لا يمكننا أن نتصورها بالألفاظ المجردة فقط، بل يحتاج إلى السعى وراءها والتطبيق الخلقى الدائم فى حياته الواقعية، وهذا هو سبب قال به النص فى آخر هذا الفصل على الإنكار الاستهلامى: "وبدون الحكمة البصيرة والفضيلة السليمة، فمن يمكن أن يعرف الحكيم الأعظم (كونفوشيوسية) معرفة حقيقية ويفهمه فهما صحيحاً ؟" وهذا الكلام فى النص يخبرنا أنه لا أحد يستطيع أن يفهم الحكيم الكامل الأخلاق فهما تاماً إلا قوى المقام العالى الذين بضاهونه فى

٣٧٧- فشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شى، اسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٧٠.

٣٧٨- المصدر السابق نفسه.

الأخلاق والفضائل. فلذلك تحت الكونفوشيوسية الإنسان باهتمامه الشديد على تهذيب النفس وإصلاح الذات، وعلى التضلع من العلم والتعمق بالمعرفة، وتؤكد كثيرا على التطبيق العملي للفضائل في حياته الواقعية لكي يحول حالاته النفسية ويرفع تهذيبه الذاتي ويدرك السنة السماوية والطبيعة الإنسانية بوسع الإدراك والمعرفة؛ لأنه عندما بلغ الإنسان إلى حد بعيد من التهذيب النفسي والإصلاح الذاتي، فسوف ينكشف له مقام الحكيم الكامل الأخلاق كشفا ظاهرا، وهو يدرك الحكيم الكامل الأخلاق إدراكا حقيقيا ويفهمه فهما صحيحا.^{٣٧٩}

وبالإختصار كان في نظر المؤلف " تس سي " أن الحكيم الكامل الأخلاق أصبح حكيما وبصيرا بسبب أنما اتصف بصفة الإخلاص كل الخلوص وصفة الصدق غاية الصفاء، وهذه هي القاعدة الكبرى الأساسية لجميع الصفات الخلقية عند الحكيم الكامل الأخلاق، وهو على أساس هذه القاعدة الكبرى يشرع بتحديد القوانين والأحكام والآداب للمجتمع الإنسانية، فذلك سهل عليه كمثل ما ينظر إلى الأرض من السماوات، ومناظر الأرض كلها تكون تحت مدى بصره ظاهرا. فلذا قد تبيّن في الفصل السابق أنه لا أحد سوى الحكيم الكامل الأخلاق له صفة متاهلة لتأسيس الخطوط الكبرى لتنسيق الدولة وإدارتها، وتنظيم الأحكام والقوانين في إكمال المجتمع الإنساني وإنصاب المبادئ العامة الثابتة العالمية، والحكيم الكامل الأخلاق هو الذي لا يدرك فقط الحقائق الطبيعية بتغير الموجودات ولموها إدراكا واسعاً وعميقاً، بل يعلم الناس هذه الحقائق الكونية ويرتّبهم على الاهتمام بها اتّباعاً للسنة السماوية في العالم كله.

وأخيرا كان الأستاذ كونفوشيوس في نظر المؤلف " تس سي " كالممثل الأعلى للإنسانية الكاملة الأخلاق المخلص كل الخلوص والصادق غاية الصدق، وهو عميق وهادئ كالأرض، وفسيح واسع كالسماوات، كما قال " كونغ بينغ دا " في ذلك : " هذا النص ينتهي على عظمة مكارم أخلاق الأستاذ كونفوشيوس في منهاج الوسطية والاعتدال لا إفراط ولا تفريط فيه. "^{٣٨٠}

٣٧٩ - انظر: إلى نهر المقتضى - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٣٢٣-٣٢٤.

٣٨٠ - الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، " كونغ بينغ دا "، الجزء الثاني، الصفحة ٣٩٧.

第三十三章

原文：《诗》曰：“衣锦尚絅。”恶其文之著也。故君子之道，暗然而日章；小人之道，的然而日亡。君子之道，淡而不厌，简而文，温而理，知远之近，知风之自，知微之显，可与入德矣。

今译：《诗经·国风·卫风·硕人》篇说：“妇女穿锦绣衣服，外加粗麻单衣罩着。”这是厌恶锦绣的纹彩太显眼的缘故。所以君子的道，也同穿锦衣罩粗麻单衣一样，暗地里用功，不被别人知道，然而用功既久，学问自然一天天明显地表露出来。小人的道，与此相反，喜欢表露自己，但没有实际功力，不等日久，便一天天消亡了。君子的道，平淡而有实理，不被人所讨厌；简约而有文彩，温和而有条理。要知道远的事物，就要用近的事物来推测；知道风教别人，就要从自己做起；知道事物微小的开端，便推知将来显著的后果，能够这样用功，就可称得上是进入道德的高尚境界了。

الفصل الثالث والثلاثين

التمهيد:

وهذا الفصل هو فصل أخير لكتاب الوسطية والاعتدال وختم الكتاب. وله مميّزة خاصة تختلف عن أخواته من الفصول السابقة، بأنّه يتكوّن من ستّة قطعات، ويدور حديثها حول استدلال المؤلف بثمانية بيوت مختلفة من سفر التصانيد على بيان المقاصد المطلوبة عن طريق التدرّج والترقية. ويوضع كل بيت في بداية كل قطعة نصية كمحور رئيسي، فتتبعه تلخيص المؤلف وتعلّقه كنتيجة مثمرة، بينما كانت أخواته من الفصول السابقة - عددها اثنان وثلاثون فصلاً - لم يستورد المؤلف من خلالها إلا ثمانية بيوت مختلفة فقط. ويوزّعها متفرّقا في نهاية الموضوع المتعلّق كدعامة علمية لما نوقش قبله في بعض أماكن معيّنة بهذه الفصول العديدة. وكان المؤلف " تس سي " يُلخّص في هذا الفصل الأخير المقاصد الأساسية لكتابه الوسطية والاعتدال، ويسترجع خاصة من خلاله للموضوع المعروضة في الفصل الأول من فطرة الإنعابية السماوية

وورعه الذاتى فى محاسبة نفسه واعتداله بين السماوات والأرض على أساس التناسق والاسترجاع بين أول الكتاب وآخره بعضهما بعضاً. وكشفاً لغاية قيم الأخلاق ومهمة فلسفة حياة الإنسان عند مذهب الكونفوشيوسية.

ومن أجل تحقيق المقاصد المنصوصة فى هذا الفصل الأخير، قد اتخذ المؤلف "تس سي" أسلوب التدرج والترقية فى بيان الموضوع المعين بكل قطعة من القطعات الست، حتى يكون من خلالها صورة موجزة فى تلخيص جواهر الكتاب وأبعاده، وذلك كما يلى: القطعة الأولى- تتحدث عن المبادئ اللازمة فى تهذيب النفس. والقطعة الثانية- تتناول أهمية محاسبة الذات ومراقبته خلقياً. والقطعة الثالثة- تبيّن ضرورة الورع والحذر الذاتى اعتقادياً. والقطعة الرابعة- تتحدث عن فاعلية تأثير الغير بالأخلاق الحميدة اجتماعياً. والقطعة الخامسة- تتناول نتيجة تعميم السلام والأمن بمآثر مكارم الأخلاق سياسياً. والقطعة السادسة- تتبنا حقيقة ذروة الكمال فى مكارم الاخلاق هو تحقيق الإنسان اتحاد الخلق مع إرادة إله السماء (تيان) نهائياً. ونأتى الآن إلى النص للقطعة الأولى، وهو:

النص من القطعة الأولى:

" قال الشاعر: ' تلبس ثياب عرسها من حرير مطرّ، وتغطى عليه من غزل الكتان رداء بسيطاً'.^{٣٨١} كراهية فى ألوانه اللامعة أمام الأعين. ولذلك كانت أخلاق الرجل الفاضل خفية وكامنة فى باطنه، ولكن شمائله تتجلى فى ظاهره جلياً يوماً ف يوماً. وبالعكس على ذلك، كانت أخلاق الرجل الطالح مبهرجة ومفتخرة فى ظاهره، ولكن مع مرور الزمن تنكشف وذائله فى الحياة الواقعية فتتلاشى مباهجاته فى الهواء بقة. إنّما أخلاق الرجل الفاضل كانت هادئة ومتواضعة، فلا يكرهه أحد، فهو بسيط ومألوف فى أعماله ولكن مرموق بمآثرها، وهو لطيف الطبع ومعتدل الأفكار، ولكن محكم المبادئ والمناهج. ومن ثمة يعرف حكم البعيد من علّة

٣٨١- قصيدة الأميرة الشريفة، جزء انشيد الإمارة لوي لسفر القصائد، مطبع الكتب التراثية بشارجهى السنة ٢٠٠٦ م، الطبعة الأولى، الصفحة ٨٩.

للقريب، ويعرف أن إرشاد الناس ظاهراً من تهذيب نفسه باطناً، ويعرف النتائج الشاملة مسبوقة من مبادئها الحقيقية. وهكذا يرتقي إلى الحالة السامية من الأخلاق الحميدة.

الشرح :

قال الحبر " جينغ شوان " في بيان مقاصد هذا الفصل: " هذه القطعة تتحدث عن كون شخصية الرجل الفاضل سامية وعميقة، فيشير الناس إلى سمّوه وعمقه حمداً وإعجاباً. وأما الرجل الطالح فكانت شخصيته ذنيّة، فيشير الناس إلى ذنبيته وسوءه ذماً وتعجباً. والكلمة في النص ' بسيط ومألوف ' أي هادئ طبعه مثل الماء العذب في نوره البسيط. فكان الرجل الفاضل مع صراحة عقله يحصل على سلامة التمييز، ومع اعتدال أخلاقه يحصل على لياقة الشخصية، وهو عارف بحقيقة الكل من أعراض جزئياته، وواقف على النتيجة الغائية من مبتدأها الأول.^{٢٨٢}

وقال " كونغ بينغ دا " في كشف مناسبة النص وشرح مقاصده: " هذا البيت مستورد من شعر ' الأميرة الشريفة ' لسفر القصائد، ثناء على مآثر الأميرة ' جوانغ جيانغ ' ^{٢٨٣} المشهورة، قال للشاعر فيه أن الأميرة الفتية ضارث وطمها إلى الإمارة ' وى ' ^{٢٨٤} في طريق زواجها، وهي تلبس من حرير مطرز ثياب عرسها، فتستكره ثيابها من ألوانه الساحرة الياهرة أمام العين والأنظار، فتغطى عنه من غزل الكتان رداء خفياً يستقره. ولقد استعار المؤلف ' تشن سي ' هذا البيت واستدل به على صفة الرجل الفاضل في تواضعه وتعفقه، يكره إظهار مآثر أخلاقه أمام الناس تفخراً وتعجباً. فمدحه في النص: ' ولذلك كانت أخلاق الرجل الفاضل خافية وهادنة في باطنه، ولكن شمائله تتجلى جلّياً فظاهره يوماً بيوم. ' من حيث إن الرجل الفاضل بتواضعه العفيفة عندما قابله أحد لأول مرة ما استطاع أن يجد من مآثره شيئاً ظاهراً، فكأنها خافية وهادنة،

٢٨٢. الشرح والتطبيق للكتب الثلاثة عشر. كونغ بينغ دا، الجزء الثاني، الصفحة ٢٨٧.

٢٨٣ - الأميرة "جوانغ جيانغ"، عاشت من بداية الربيع للقرن الثامن قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، أشار إليها وتقدّم حسن الجمال وصلاح الأخلاق. وهي شاعرة أولى في تاريخ الصين الأدبي. وكلفت ابنة رشيّة لأبيه " تشي جوانغ لونغ " (٧٩٥ ق.م - ٧٤١ ق.م في عرشه) " لإمارة " تشي "، فزوجها أبوها الأمير "جوانغ جيانغ" (٧٥٧ ق.م - ٧٣٥ ق.م في عرشه) لإمارة " وى ". وبعد زواجها كان شعوب الإمارة " وى " يحبون لمسيرتهم الوافدة هذه كثيراً فسقواها بـ " الأميرة الشريفة "، فالتقوا لها هذا الشعر ثناء على جمعها بين حسن الجمال وكرم الأخلاق.

٢٨٤. إمارة وى (١١١٥ ق.م - ٢٥٤ ق.م) كانت تقع بين شمالي مقاطعة خاندان وجنوبي مقاطعة خايتي في شمالي الصين.

ولكن كلما عامله معاملة أكثر وجده من فضائله أبرز وأشرف. وبالعكس على ذلك كان المؤلف يكشف الرجل الطالح وشخصيته الدنيئة، وهو يقول ذمًا عليه: ' كانت أخلاق الرجل الطالح مبهرجة ومتفخرة في ظاهرها، ولكن مع مرور الزمن تنكشف رذائله في الواقعة، فتتلاشى مباهلته في الهواء بثة'.^{٢٨٥} وذلك لأن الرجل الطالح كان متكبرا ومتعجبا بنفسه، فيبدو أن مظاهره مبهرجة ومتفخرة لمن رآه لأول رؤية، ولكن مع مرور الزمن ستوضح أخلاقه السيئة وشخصيته الدنيئة أمام الناس بكل الوضوح حتى يصبح كبريائه يبعث به الدهر بثة.^{٢٨٥}

وبعد دراسة هذه الشروح القيمة نقول: إن الفصل السابق يتحدث عن فضائل الحكيم الكامل الأخلاق مدحا وثناءا على بأنها قد بلغ إلى درجة المثل الأعلى في الإنسانية. وأما النص هنا في القطعة الأولى بهذا الفصل، فهو يتناول قضية إخلاص النية للمتعلم في تهذيب نفسه، وترقيته للحالة الخلقية بصورة التدريج كما بينها النصوص من القطعات التالية للفصل حتى يصل أخيرا إلى قمة إكمال شخصيته المثلى عن طريق الجهود المكتسبة. ولذلك كان الرجل الفاضل لا يفخر بمكارم أخلاقه بل يقف منه موقفا هادئا وخافئا. فيشير في الشعر بقوله " تغطى عليه من غزل الكتان رداءا بسيطا." وفي نفس الوقت كان الرجل الفاضل قلبه مملوءا بمكارم الأخلاق، وهو السبب المهم لظهور مآثر شخصيته تلقائيا في الحياة الواقعية فتتجلى شمائله يوما فيوما، فيشير في الشعر بقوله " تلبس من حرير مطرز ثياب عرسها ". فصفة الهدوء والبساطة والاعتدال صارت رداءا عفيفا على مآثر الرجل الفاضل في الخارج، بينما كانت خاصية الملاينة واللباقة والإحكام أصبحت لباسا باطنا على شخصيته السامية في الداخل. وأما الرجل الطالح فأحواله بالعكس على ذلك تماما، يتفخر بنفسه ويتكبر في ظاهره ولا يتمتع إلا أخلاق سيئة وسلوك دنيئة، فمع مرور الزمن ستتجلى قبايحه أمام الناس وسيبعث بكبريائه الدهر.

والجدير بالذكر هنا أن المؤلف يختم هذه القطعة بثلاث أفعال المضارعة في الجملة الأخيرة حيث قال: " يعرف حكم البعيد من علة القريب، ويعرف إرشاد الناس ظاهرا من تهذيب النفس

٢٨٥- المخرج والتعليق للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كونغ ييتج دا، الجزء الثاني، الصفحة ٢٩٧.

باطناً، ويعرف النتائج الشاملة من مبادئ الدقة. " إشارة إلناالعلم هو اساس العمل. فمن لم يفهم واجباته أولاً، فهو لم يدخل باب التهذيب الاخلاقي حقّ دخوله.

原文: 《诗》云: “潜虽伏矣，亦孔之昭。” 故君子内省不疚，无恶于志。君子之所以不可及者，其唯人之所不见乎!

今译: 《诗经·小雅·正月篇》说: “鱼潜藏在很深的水中，但任然是明白可见的。所以君子从内心审察，反省，不感到惭愧，没有妨碍自己的心志。君子的修身慎独功夫别人赶不上的地方，也在于他能小心谨慎，在别人看不到的地方着力用功罢了。

النص للقطعة الثانية:

" قال سفر القصائد: ' اختفى السمك في أعماق الماء غوصاً، وما زال سيره ينكشف في عيون الناس وضوحاً'.^{٢٨٦} فلذلك كان الرجل الفاضل يحاسب نفسه ويراقب سلوكه احتياطاً، فلا يأتيه ضميره من زلة ولا يخزيه قلبه من ذم. أليس أبرز السمائل للرجل الفاضل هو الورع والحذر، فالرجل الفاضل لا يستطيع أحد أن يسابقه ولا يدركه في أخلاقه الفاضلة بأنه يجاهد نفسه في جوانبها الخفية الدقيقة. "

شرح النص:

كان المؤلف في هذه القطعة يستدل بما في سفر القصائد على مجاهدة الرجل الفاضل في الورع والحذر الذاتي، فهو يحاسب نفسه دائماً ولا يخزه ضميره أبداً سواء أكان في السر والعلانية.

قال " كونغ بينغ دا " في شرح مناسبة عبارات النص وكشف مقاصدها المجازية قائلاً :
" إنما هذا البيت يستورد من قصيدة ربيع الثاني لجزء اللياقة الصغرى بسفر القصائد، نقداً على بغي الملك وظلمه، وتأمناً علناً للوزير الصالح الفاضل مع اعتزاله عن منصبه قزاً من طغيان

٢٨٦- قصيدة ربيع الثاني، جزء اللياقة للصغرى لسفر القصائد، الصفحة ٢٨٦.

الحاكم الباغى، ولكن ما زال تعرّض للاضطهاد المظلوم بسبب شهرة فضائله الخلقية وشمالته السلوكية. فكان مثله مثل السمك فرّ واختفى بنفسه فى أعماق البركة، ولكن لا يزال منكشف آثاره جلياً فى الماء الصافى، فما اقتدر على هروبه من يد الصياد وحيلته. وكان المؤلف " تس مى " يستورد هذا البيت هنا ويتخذ من جانب الإيجابى فقط ويستعمله فى سبيل المجاز على مدح الرجل الفاضل من حيث أنّه لن يعرض فضائله أمام الناس متباهياً، بل يحافظ عليها ويضمّرها فى قلبه مطمئناً، كما كن السمك يخفى بنفسه فى عمق الماء هادئاً، ومع تعقّقه المتواضع سظهر مآثر الرجل الفاضل طبيعياً فى الحياة الواقعية منظوراً جلياً. وأما العبارة فى النص ' كان الرجل الفاضل يحاسب نفسه ويراقب سلوكه احتياطاً، فلا يأتبه ضميره من زلة ولا يخزه قلبه من ثم ' ولفظ الزلة هنا معناه عيب، والمراد بهذه العبارة أن الرجل الفاضل كان يراقب نفسه خلقياً وسلوكياً عفا ونزهاً من كل زلة وعيب، وهو رجل عظيم الطموح وزاهد فى السمعة والجاه، وإذا فاته المنصب أو الجاه الدنيوى، فذلك لن يضر نيتة الخالصة ولا ينقص من طموحه السامية شيئاً قط. " ٢٨٧

وقد وافق العلامة " جو شى " على شرح " كونغ بينغ دا " لهذا النص، ولم يزد فى بيانه كثيراً إلا أنّه يؤكد أهمية دلالة النص على قضية الورع والحذر الذاتى عند الوحدة والانفراد للرجل الفاضل، ويقول فى ذلك: " هذا النص كان يلتحق بالقضية ' ما من شىء خفى إلا منظوراً، وما من حركة دقيقة إلا مكشوفة ' المذكورة سابقاً فى الفصل الأول من باب الاسترجاع والاستكمال. والكلمة ' زلة ' هنا مراد بها معنى العيب والمثلية. والعبارة فى النص: ' لا يؤنبه ضميره من زلة ولا يخزه قلبه من ثم ' أى يطمئن قلبه بأنّه زكى وصاف من كل خطأ وتنب، وذلك لتأكيد أهمية محاسبة الرجل الفاضل نفسه بآل ورعه عند الخلوة والوحدة. " ٢٨٨

بعد بيان المبادئ المعتمدة للرجل الفاضل فى دخوله إلى باب تهذيب نفسه بالأخلاق الحميدة فى القطعة الأولى كان المؤلف " تس مى " فى هذه القطعة يعرض للقراء خطوة تالية فى

٢٨٧- الفرج والتعليق للكتب الثلاثة ص ١٢٠ رقم ١٠١، كونغ بينغ دا، الجزء الثانى الصفحة ٢٣٩.

٢٨٨- الفرج الجامع للكتب الأربعة، قسم كتاب الوصية والاحتدال، جو شى، الصفحة ٧٢.

طريق ترقية الرجل الفاضل في تهذيبه الأخلاقي، وهو الورع والحذر اللذان عند الخلوة والوحدة،
عن طريق محاسبة نفسه وتزكية نيته سرًا وعلاقيًا.

فالإنسان إذا كان في الأماكن العامة وهو تحت مراقبة الأعين والأسماع، فما من أحد إلا
وهو محاسب نفسه ومتحذر في أعماله مهما كان طوعا أو كرها، ويحاول أن يعرض للآخرين
جانب محاسنه إعلاما ويستتر عيوبه عن أبصارهم إخفاء. ولكن عندما انقلب منقلباً إلى مكان لا
يراه أحد، فكثير من الناس يطلقون سراهم لأنفسهم، وهذه هي الأحوال العامة لأكثر الناس في
مناسبة السر والخلوة. ولكن الرجل الفاضل يفوق الآخرين بشخصيته المثلى في هذه الأحوال
كلها. وإن يبق في مكان سرّي لا يراه أحد سواء، لن يترك نفسه هواه بل يفترها عن كل خطأ أو
ذنب عفيفاً ذاتياً، وها هي حالة الرجل الفاضل في محاسبة نفسه بكل ورع وحذر، وإن كان في
السّر والخفاء، ولم يطلب من ذلك إلا من أجل طمئينة قلبه والتعفف في شخصيته.

原文: 《诗》云: “相在尔室，尚不愧于屋漏。” 故君子不动而敬，
不言而信。

今译: 《诗经·大雅·抑篇》说: “仿佛在冥冥中被许多人在注视着你的居室，你
仍然能够问心无愧，对得起西北隅屋漏的神明。” 所以君子没有行动时，就先存恭
敬之心；没有开口说话时，就先存诚信之心。

النص للقطعة الثالثة:

“ قال سفر القصاصد: ' عندما تبقى في غرفتك منفرداً، فلتكن بقلبك ورعاً وحذراً حتى لا
تستحيي من مراقبة الملائكة في زاوية (وُو لآو) ^{٣٨٩} . ^{٣٩٠} فذلك كان الرجل الفاضل يحافظ
نفسه على حالة الورع قبل أعماله ويدأوم بنيته على حالة الوفاء قبل كلماته. ”

٣٨٩- قصيدة الاحتياط من جزء اللبقة الكبرى في سفر القصاصد: الصفحة ٣٤١.

٣٩٠- زاوية “ وُو لآو ”، زاوية مقدسة تقع في زاوية الشمالي الغربي لغرفة الجلوس يوضع فيها محراب من أجل تقديم القرابين
للملائكة. وقد اعتقد قديما الصين أن الملائكة تنزل في المحراب وترفع منه ليلاً ونهاراً براتبين أحزان صاحب البيت.

الشرح:

وفي هذه القطعة كان المؤلف يستدل أيضا بقصيدة من سفر القصائد على أن مآثر الرجل الفاضل في محافظة نفسه على الحذر والورع الذاتي لم تقتصر على درجة التهذيب الأخلاقي كما تثبت في القطعة السابقة فحسب، بل تترقى من الدرجة الخلقية إلى الدرجة العقائدية، أي من درجة الحذر والورع من أعين الناس مدحا ونمنا إلى درجة الورع والتقى من مراقبة الملائكة حياءا وعفة.

قال الحبر " كونغ بينغ دا " في بيان مناسبة الجمل النصية وشرح معاني العبارات في هذا النص: " هذا البيت يستورد من قصيدة الاحتياط لجزء اللياقة الكبرى في سفر القصائد، وكان المؤلف يستدل به على أن الرجل الفاضل عندما يبقى في بيته وحيدا منفردا أو في زاوية ' وو لأو ' وهي مكانة مستقرة لا يدركها عين ولا سمع من الناس، فهو لن يطلق سراحه ويترك نفسه لهواه أبدا، بل يستحي من مراقبة الملائكة ورعا وتقيا، وإذا كانت هذه هي حالة الرجل الفاضل في الخفاء والغيب، فكيف حالته في الجهر والعلانية أمام أعين الناس وأسماعهم من الحذر والاحتياط؟ فاستدل المؤلف بهذا البيت على أن الرجل الفاضل يحافظ نفسه ويدوم قلبه على حالة الحذر والورع الذاتي خلقيا وعقائديا في أي مكان وفي أي وقت، كما نحن بقوله: ' فلذلك كان الرجل الفاضل يحافظ نفسه على حالة الورع قبل أعماله ويدوم بنيته على حالة الوفاء قبل كلماته ' وهكذا كان الرجل الفاضل في قمة الورع والحذر الذاتي، فما عمل عملا حتى يفوز بالناس احتراماً، وما إن تكلم حتى يثق به الناس تصديقا. " ٣٩١

وأكد العلامة " جو شي " أهمية محافظة حالة الورع والحذر الذاتي في تهذيب النفس خلقيا وتركبة النية عقائديا وهو يقول: " هذا النص يسترجع بما ذكر سابقا في الفصل الأول مقبينا أن الرجل الفاضل يدوم بنفسه على حالة التحذر والإحفاظ في كل أحواله سرا وعلانياً وهو يحافظ

٣٩١- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ بينغ دا، الجزء الثاني، الصفحة ٣٩٢.

بنيتك المخلصة ويتقى بورعه الصادق قبل أقواله وأفعاله، فذلك يدل على أن جهوده في تهذيب نفسه أزكى وأخلص." ٣٩١

ومن هذه الثمرواح القيمة لهذا النص وجدنا أن في نظر المؤلف أن قيم الأخلاق عند الرجل الفاضل في مذهب الكونفوشيوسية لا تعتمد على اعتبار المجتمع وتقدير الناس بالمنصب أو الجاه، بل يتأصل على وعيه للباطنة وضميره اليقظ أخلاقياً، فبعد بيان حالة الاحتياط والحذر عند الخلوة والوحدة من جانب الأخلاق في القطعة السابقة، ارتقى المؤلف في هذه القطعة إلى جانب الاعتقاد متيناً في محافظة الرجل الفاضل نفسه على الورع والتقوى الذاتي، يبقى دائماً في حالة سكونه الروحية وطمأنينته الفطرية صادقاً ومخلصاً، فلا يستحي من مراقبة الملائكة في الغيب ولا يخزيه ضميره سواء أ كان سراً أو علانياً، بل يداوم نيتاً على التحذر والتواضع قبل أعماله ويحافظ نفسه على الورع والصدق قبل أقواله. فتفوز بالناس احتراماً وهو في سكونه الواعي وينال منهم ثقة وهو في هدوءه اليقظ، وذلك كما قال الشيخ "تسايغ نس" صاحب كتاب المعرفة الكبرى وهو يعتبر قوة حسنة في الورع والتقوى عند العلماء الكونفوشيوسيين، وهو يقول في مرض موته: "إن من أهم مكارم الأخلاق للرجل الفاضل ثلاثة: كان وقوراً في مظاهره السلوكية، فتجنب تصرفاته عن الغلظة والطيش، وكان سديداً في ملامحه المرئية فتقرب هيباته من الصدق والوفاء، وكان محكماً في كلامه المسموع فتبتعد أحاديثه عن الدناءة والسخافة." ٣٩٢

原文:《诗》曰:“奏假无言，时靡有争。”故君子不赏而民劝，不怒而民威于鈇钺。

今译:《诗经·商颂·烈祖篇》说:“进行盛大的宗庙祭祀时，人人肃立无言，这是由于天下太平而无争讼的缘故。”所以君子虽然不用奖赏，而能达到使老百姓劝化向善的目的；虽不发怒，而老百姓怕他比刀斧还要厉害。

٣٩٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو تشي، دار الكتب "تشي لو" الطبعة الثاني، سنة ١٩٩٢، ص: ٢٩
٣٩٣- كتاب الحوار يفرح "جو تشي" والفصل الثامن والمصفحة ٢٥.

النص للقطعة الرابعة:

" قال سقر القصائد: " إن كل واحد من الحاضرون يقف صامتا ومحترما عندما مشهد الطقوس في المعبد، وذلك بأنه هناك لا شكوى ولا دعوى قضائية بل انتشر السلام والأمن تحت السماء.^{٣٩٤} ولذلك كان الرجل الفاضل، لم يرغب الناس بالمكافأة المالية في إتيانهم الفضائل، بل يتواصون بها حبا ويفزون من القبايح كرها، ولم يرهيبهم بالحدود القاسية، بل يخافون منها كما يخافون من السيف والعكين. "

شرح النص:

والنص في هذه القطعة يلحق بما ذكر سابقا، ويؤكد به المؤلف أن الرجل الفاضل إذا أكمل تهذيب نفسه بإخلاص نيته خلقيا وسلوكيا، فسوف يؤمن به الناس يقتادون لأوامره ونواهيه سمعا وطاعة، وهو لم يكلمهم بكلام شديد للوعيد، بل يثأثرون في شخصيته المثلى اقتداءا. ومن ثم ارتقى الرجل الفاضل مع إكمال شخصيته أولا إلى درجة أسمى في إرشاد الناس وإصلاح المجتمع كقدوة حسنة يستقيرون بها من حوله نورا وهدى.

قال الحبر " كونغ بينغ دا " في بيان مناسبة عبارات النص وتوضيح مقاصدها: " هذا البيت مأخوذ من قصيدة ' الأسلاف الشرفاء ' في جزء أناشيد التراتيل القربانية لمملكة الأسرة ' شيانغ ' بسفر القصائد، حمدا وتثناء على ملئ مؤسس المملكة الملك الحكيم " تانغ " ^{٣٩٥} وكان الشاعر يصف فيه أنه لما قدم الملك القرايين لأسلافه وعلى رأسهم الملك الحكيم " تانغ " مخلصا ومتواضعا وأنشد في معبد الآباء بنشيدة التراتيل هذه وقورا، فالحاضرون في مشهد الطقوس كانوا يقفون احتراما وسكينة يعم قلوبهم السلام والطمئينة. وذلك دليل على استقرار المجتمع وأزدهار البلاد، إذ كان جميع الناس يتعايشون بعضهم بعضا بلا ضرر ولا ضرايق، وكل واحد

٣٩٤- قصيدة الأسلاف الشرفاء، جزء أناشيد التراتيل القربانية لمملكة أسرة " شيانغ " بسفر القصائد، الصفحة ٣٩٤.

٣٩٥- الملك الحكيم " تانغ " قد مر تعريف سيره في حاشية الصفحة الخمسة في الفصل الأول لمؤلفنا هذه، نراجع إليه.

من هم يقتادون لأوامر الملك الصالح ونواهيه سمعا وطاعة. واستورد المؤلف 'نص سي' هذا البيت هنا استدلالا به على أن الرجل الفاضل بورعه المخلص وسكوته الصادق يفوز بالناس ثقة وتصديقا. " ٢٩٦

قال العلامة " جو شي " في كشف مآثر الورع والحنز الذاتي للرجل الفاضل: " إن هذا النص يتابع ما سبق ذكره من محافظة الرجل الفاضل نفسه على الحذر والورع سرًا وعلانيًا، والمؤلف يؤكد في هذا النص مآثر التزكية النفسية خاصة، من حيث يترقى بفضائله الخلقية إلى نزول رضوان السلاكة وتبريكها عقليًا، وقد بلغ حينئذ إلى قمة الخضوع والخضوع يترقى النية، فلا حاجة إلى ترهيب الناس بالكلام والوعيد، بل الناس يتأثرون بشخصيته المتلى سمعا وطاعة ويتخذون أنفسهم اقتداء به. " ٢٩٧

وفي نظر مذهب الكونفوشيوسية أن الرجل الفاضل كقوة حسنة في الإنسانية لم يقتصر هدفه في قيم الأخلاق وفلسفة الحياة بكمال شخصيته في محاسبة النفس عفة ومحافظة قلبه على التحذر الذاتي فحسب، بل يترقى إلى درجة أسمى في إكمال غيره إرشادا وإصلاحا، عن طريق القوة المؤثرة الروحية من عند نفسه، وهي قوة فعالية واعية تحثه على بذل جهوده الأقصى في تهذيب نفسه أكمل فأكمل من ناحية الذاتية أولاً، وفي نفس الوقت هي أسوة حسنة وقوة جذابة محركة تدعو عامة الناس حوله إلى اتباع الخير والفضائل حبًا وهو لم يرغبهم بالمكافأة المادية، وترشدهم إلى ترك الشر والقبائح كرها وهو لم يهذمهم بالعقاب الشديد بل يخافون من غضبائه مخافة السيف القاطع، وهذه هي الشخصية المتلى للرجل الفاضل وهو ورع وتقي وصديق ومخلص ومتواضع يهذب بها عامة الناس تزكية وإصلاحا وهم لا يشعرون جبرا ولا قهرا بل يقتدون به وينقلون له رضاء وقناعة.

٢٩٦- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ بينغ ناه، الجزء الثاني، الصفحة ٣٩٧.

٢٩٧- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جر شي، قسم الكتب الواسطة والاعتدال، الصفحة ٧٢.

原文：《诗》曰：“不显惟德，百辟其刑之。”是故君子笃恭而天下平。

今译：《诗经·周颂·烈文篇》说：“天子的德性岂不明显呀，四方诸侯都要效法他呢！”所以君主笃实，恭敬，以至诚之心感化百信，就能使天下太平。

النص للقطعة الخامسة :

" قال سفر القصائد : ' أليست فضائل الملك الحكيم تتجلى جليلة مشرقة ؟ فقدى بها الأمراء والأشراف ' ^{٢٩٨} ولذلك إذا كان الرجل الفاضل يرشد الشعوب بصدقته المخلص وورعه للتواضع فسوف ينفادون له سمعا وطاعة، وسيعم السلام تحت السماء استقرارا.

الشرح:

هذا النص يتابع ما ذكر في القطعة السابقة تأكيداً بمآثر الصديق والإخلاص والورع في إصلاح المجتمع وضمانة أمن البلاد، من حيث أن الملك الحكيم إذا يهذب نفسه ويكمل شخصيته على أصناف مكارم الأخلاق باطناً فسوف تتجلى فضائله جليلة مشرقة كالشمس المضيئة، ومع معاملته غيره بالرحمة والتواضع سوف ينفذ به رعاياه - عامتهم وخاصتهم - في تهذيب أنفسهم وسعيهم إلى الخير والمعروف، حتى يعم السلام والأمن أنحاء البلاد جميعها.

قال " كونغ بينغ دا " في شرح مناسبة النص ووجوه دلالة عباراته قائلا: " هذا البيت مأخوذ من قصيدة الأمراء الفضلاء في جزء التراتيل القربانية لمملكة الأسرة ' تشو ' بسفر القصائد، مدحا لمآثر الملك الحكيم ' وون وانغ ' مؤسس المملكة ' تشو '، وأسلوب الاستفهام في العبارة: ' أليست فضائل الملك الصالح تتجلى جليلة مشرقة ؟ ' تفيد المعنى للتأكيد والمبالغة في الإثبات، فالملك الحكيم يشرق أخلاقه ويتجلى بها طبيعياً، ومن ثم كان الأمراء والحكام في البلاد كلها يقتدون به

٢٩٨- قصيدة الأمراء الفضلاء من جزء التراتيل القربانية لمملكة أسرة " تشو " في سفر القصائد، الصفحة ٣٥٢.

سمعا وطاعة. استدلل به المؤلف هنا على شرف الرجل الفاضل بأخلاقه الحميدة في تمثيله بمكارم أخلاق الملك الحكيم ' ژون وانغ ' لكي يرشد بها الناس ليرشادوا. " ٣٩٩

وقال العلامة " جو شي " من باب استرجاع مقاصد النص الخلقية لما ذكر سابقا، مبيّنا لآثار الفضائل الهامة في تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال، وهو يؤكد في ذلك: " العبارة في النص ' أ ليست فضائل الملك الصالح تتجلى مشرقا جليا ؟ ' وكانت تفاصيل معناها تسترجع إلى ما ذكر في الفصل السادس والعشرين، إشارة إلى سمو مكارم الأخلاق للملك الحكيم وعمق تأثيرها المستمرة، وهذه القطعة تتابع القطعات السابقة من هذا الفصل وتبين أن الملك الحكيم يتصف بمكارم الأخلاق المشرقة الجلية، فيبتدى بها الأمراء والأشراف كالقدوة الصنة، كلما ازدادت فضائله سعوا وعمقا إزدادت تأثيراتها بعدا وسعة. والقول ' بصدقه المخلص وورعه المتواضع ' تشير إلى أنه صادق مخلص، وحذر ورع، ويفضلها كان السلام والأمن يعم أنحاء البلاد استقرارا. وكل ذلك يرجع إلى سمو شخصيته وعمق تأثير أخلاقه، فتأثر به جميع الناس في تركيبة أنفسهم طوعا وانقيادا، وتلك هي الحالة المثلى في منهاج الوسطية والاعتدال ومآثره في إصلاح المجتمع الإنساني. " ٤٠٠

استفدنا من هذه الشروح أنه في نظر المؤلف " تس سي " كان الورع القلبى والصديق الذاتى فى شخصية الرجل الفاضل لم يلعب دوره فى تهذيب النفس خلقيا وإخلاص النية اعتقاديا بل يحتل أيضا مكانة مهمة فى هدى الناس اجتماعيا وتأمين البلاد سياسيا. ولذلك استدلل المؤلف هنا بقصيدة الأمراء الفضلاء على أن الملك الصالح كالرجل الفاضل ما كان شرفه يقوم على عزّة السلطة وحدها بل كانت مكارم أخلاق وهو أمجد شيء فى تأثير قلوب الناس كقدوة حسنة لتحقيق انسجام المجتمع واستقرار الدولة، وما هى تسمى عند مذهب الكونفوشيوسية بـ " الأمثلة الخلقية فى نظام السياسة والإدارة "، وذلك كما نجده عند مؤسس المذهب الأستاذ كونفوشيوس فى كتاب الحوار بما يذكر فى هذا الموضوع عندما سأل تلميذه " تس لو " عن الرجل الفاضل، فقال: " هو

٣٩٩- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ بينغ داه، الجزء الثانى، الصفحة ٣٩٤.
٤٠٠- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جى تشى، هم الكتب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٧٣.

الذى يهذب نفسه بالورع. " قال: " أ هكذا فقط؟ " فلجاب: " تهذيب نفسه لإصلاح من حوله
سلاماً. " قال: " أ هكذا فقط؟ " فقال تهذيب نفسه لتأمين جميع الأمة استقراراً، فذلك شأن عظيم
مما كان يتأسف على العجز عنه الملكان الحكيمان 'يأو' و 'شون'. " ^{٤٠٦}

原文: 《诗》曰: "予怀明德，不大声以色。子曰: "声色之于以化
民，末也。" 《诗》曰: "德輶如毛。" 毛犹有伦。 "上天之载，无
声无臭" 至矣!

今译: 《诗经·大雅·皇矣篇》说: "我上天赋予你文王明显的大德，不必张大有
声音的号令和严厉的脸色来治理人民。" 孔子说: "用声色来教化人民，这是无足
轻重的细微末节。" 《诗经·大雅·烝民篇》说: "德的轻，像毛一样。" 但是既
称为毛，还是有形迹可以比拟的。 不如《诗经·大雅·文王篇》说得好: "上天做
事没有声音，没有气味。" 可以说妙到极点了!

النص للقطعة السادسة:

" قال سفر القصائد: ' انعم (أى السماء- تيان) عليك (أى الملك الحكيم 'وون وانغ')
بمكارم الأخلاق، فلا تقل ' افت ' إلى رعاياك فهرا ولا تجهم عليهم جهماً. ' ^{٤٠٧} فقال الأستاذ
كونفوشيوس تعليقا على ذلك: ' إنما تلذيب الشعوب بالقهر فى الصوت والعبوس فى الوجه هو
أدنى درجة وأضعف طريق. '

وسفر القصائد قال أيضا: ' إن مكارم الأخلاق كالريش خفة ورقة. ' ^{٤٠٨} ولكن الريش مع
خفتها له مثل فى الشكلية مشابها، بل قيل فى سفر القصائد أخيرا: ' إنما أثر السماء (تيان) فى
عنايته للكائنات وتنميتها لا صوت يسمع ولا رائحة تشم. ' ^{٤٠٩} بها هو المثل الاعلى والأكمل فى
مكارم الأخلاق يُضرب!

٤٠٦- كتاب الحوار بشرح جو شى، الفصل الرابع عشر، الصفحة ١٥٢.

٤٠٧- قصيدة 'يا للجلال والإكرام' من جزء اللياقة الكبرى فى سفر القصائد، الصفحة ٣٢٧.

٤٠٨- قصيدة الشعوب الجماهير من جزء اللياقة الكبرى فى سفر القصائد، الصفحة ٣٤٥.

٤٠٩- قصيدة الملك الحكيم " وون وانغ " من جزء اللياقة الكبرى فى سفر القصائد، الصفحة ٣٢٢.

الشرح:

هذه القطعة هي القطعة الأخيرة في هذا الفصل تتابع ما ذكر في القطعات الخمسة السابقة وتلخص لها تلخيصا على أسلوب التدرج في بيان أهمية الورع والحذر الذاتي في تهذيب النفس وإصلاح المجتمع خلقيا واعتقاديا وسياسيا، فاستدل المؤلف "تس سي" هنا بسفر القصائد على أن مكارم الأخلاق هي العروة الوثقى التي يغمسك بها الملك الحكيم لنجاحه في تهذيب قلوب الناس ورعاية شؤون المجتمع، وكانت فضائل الملك الحكيم مع سموها وكمالها ساكنة سليمة لا تعتمد على الجبر والقهر، فينأثر رعاياه بشخصية المثلى تلقائيا ويفقدون به سمعا وطاعة، فانتشر السلام والسعادة في أنحاء البلاد. وكان الملك الحكيم 'وون وانغ' بمآثره الفريدة يصبح المثل الأعلى في الإنسانية، اقتداء بصفة اله السماء (تيان) في عنايته بالكائنات كلها وهو هاديء في سكونه لا يُسمع صوتا ولا تشم رائحة. وقد كشف المؤلف "تس سي" في هذه القطعة الأخيرة تلك الأسرار كلها، استدلالا من خلال ثلاثة بيوت مختلفة من سفر القصائد على أسلوب التدرج، ينأى إلى دراسته مستعينا بأراء العلماء الكونفوشيوسية الكبار في شرحه فيما يلي:

قال الحبر "كونغ بينغ دا" في بيان مناسبة العبارات في النص وشرح معانيها: "البيت الأول هنا مأخوذ من قصيدة 'يا للجلال والإكرام' في جزء اللياقة الكبرى بسفر القصائد، حمدا وثناء على فضائل الملك الحكيم 'وون وانغ' حيث يمدح لهذا الملك الحكيم: 'لقد فضلك السماء الأعلى (تيان) على الآخرين بمكارم الأخلاق كأسوة حسنة، فانت مستغنى عن صوت جبر ومظهر قهر (لا تعامل الناس بكلمات خشنة ونظرات شرراء) في أمرك وتهيك'. فكان المؤلف 'تس سي' يستدل بهذا البيت على أن الرجل الفاضل قد خطا خطوة الملك الحكيم 'وون وانغ' في تفضيله لإرشاد بمكارم الأخلاق على أسلوب الجبر والقهر وملاحمها في تهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع، فاستورد بعد هذا البيت قول الأستاذ كونفوشيوس تعلقا له: 'إن الأصل المعتمد في تهذيب الأنفس هو القوة المؤثرة لمكارم الأخلاق، فلا حاجة وسائل الجبر والقهر، لأنها أدنى وأضعف واسطة في إصلاح المجتمع. وأما البيت الثاني في النص فكان قطعة مأخوذة من قصيدة

'الشعوب الجماهير' في جزء اللياقة الكبرى يسفر القصاد، مدحا لمأثر الملك الحكيم 'شون' حيث قال للشاعر: 'إن مكارم الأخلاق كالريش خفة ورقة'، يعنى أن تهذيب قلوب الناس ورعاية شؤنهم بالأخلاق الحميدة كان أمرا سهلا وبسيطاً لمن يستحق له بإقامته، وذلك كما ترفع الريشة إلى الهواء خفة ورقة، ثم علق المؤلف على هذا البيت بكلام الأستاذ كونفوشيوس حيث قال: 'ولكن مع خفتها كالريش وله مثيل في الشكلية للتشابه بينهما' يعنى مع أنه شيء رقيق جداً، مازال هناك شيء آخر مثيلاً له في الشكلية المحسومة للتقارن بينهما. فاستدل المؤلف أخيراً بالبيت الثالث حيث قال فيه سفر القصاد: 'إنما أثر اله السماء (تيان) في عنايته للكائنات وتسميتها بلا صوت يسمع ولا رائحة تشم' فقال الأستاذ كونفوشيوس تعلقاً له 'ها هو المثل الأعلى في مكارم الأخلاق يضرب' إشارة إلى أن السماء (تيان) في عنايته للكائنات لا صوت مسموع ولا رائحة مشمومة، بل هو في سكونه الهادئ، والكائنات كلها تتعايش بطبعها تحت عنايته الدائمة انسجاماً. فاستدل المؤلف بما ذكر في هذا البيت على المدح لفضائل الملك الحكيم 'وون وانغ' في تهذيبه لقلوب رعاياه سليماً بكل سلام وهادئاً بكل هدوء، فكانت فضائل الملك الحكيم 'وون وانغ' هو المثل الأعلى في الإنسانية والخلقية سموً وخلوداً، تبقى مع خلود السماوات والأرض نوراً وهدى. " ٤٠٥

وكشف العلامة " جو شي " أسرار الأحوال الثلاثة المذكورة في النص لوصف أفضلية مكارم الأخلاق في تهذيب القلوب وهو يقول: " لقد استورد المؤلف بيتاً من قصيدة 'يا للجلال والإكرام' استدلالاً على قوله 'أ ليست فضائل الملك الحكيم تتجلى مشرقة ؟' الذي ذكر في القطعة السابقة ، تأكيداً على مكارم أخلاق الملك الحكيم 'وون وانغ' بلا صوت قهر ولا مظفر عبوس في تهذيب قلوب رعاياه، فاستدل بعد ذكر البيت هذا مباشرة بقول الأستاذ كونفوشيوس على أن صوت قهر ومظفر عبوس أدنى وسيلة في رعاية الجماهير وهم مجبورين. ولذلك كانت الحالة الأولى في البيت الأول لم يكف بوصفها لتجلية مكارم أخلاق الملك الحكيم 'وون وانغ' "

وإشراق مآثره في تهذيب الأنفس، فجاء بعد هذا بقول الشاعر في قصيدة "الشعوب للجماهير" قائلا: "إن مكارم الأخلاق كالريش خفة ورقة." وذلك يقترب إلى حالة الموصوف المطلوبه، ولكن المؤلف يربط الريش مع خفته الرقيقة ما زال له مثل تشابها، وهذا الوصف لم يستكمل أيضا مآثر مكارم الأخلاق الشاملة في تهذيب قلوب الناس سمع وطاعة. فجاء أخيرا بيت من قصيدة الملك الحكيم "وون وانغ" ويقول الشاعر فيه: "إنما أثر السماء (تيآن) في عنايته للكائنات وتنميتها لا صوت يسمع ولا رائحة تشم." وما هو الوصف المطلوب يستوعب الحالة المثلى في تجلية مكارم الأخلاق وإشراق فضائل الورع والحرر الذاتي كليًا. "٤٠٦"

وهكذا وصلنا معاني أيها القراء الكرام إلى القطعة الأخيرة التي لخص فيها المؤلف معاني الفصل الأخير خاصة واسترجع أهم مقاصد الكتاب عامة، وهذه القطعة أيضا نقطة الانتهاء لرحلتنا الطمية في كتاب الوسطية والاعتدال عند المؤلف "تس سي".

كما وجدنا في هذه الدراسة إن للقطعة الأخيرة مميزاتان خاصيتان مختلفتان من القطعات الخمس السابقة، والخاصية الأولى هي أن المؤلف استدل فيها بثلاثة بيوت من القصائد المختلفة، بينما استورد بيتا واحدا فقط للقطعات الخمس السابقة، دليلا على مميزاتها الخاصة من أخواتها الخمسة، وهي كما يتناها قبل الآن بأن المؤلف قام بتلخيص في هذه القطعة الأخيرة معنى هذا الفصل خاصة واسترجاع أهم مقاصد الكتاب بكلمة عامة.

وأما الميزة الثانية في هذه القطعة الأخيرة فهي أن المصنوع المشار في كل القطعات الخمسة السابقة هو الرجل الفاضل، فأسلوب التعبير لكل قطعة هو إيراد البيت المختار أولا كالدليل المبتدأ ثم يلحقه مآثر الرجل الفاضل كالنتيجة الخاتمة، كان أسلوبه مثلا: البيت المستدل به ثم يلحقه بقوله: "ولذلك كان الرجل الفاضل كذا كذا." على أسلوب التدرج في مدح مآثر الرجل الفاضل أكمل فأكمل من خلال القطعات الخمس السابقة كلها. وأما في القطعة الأخيرة هذه فكان المصنوع المشار فيها القلب مدح مآثر الرجل الفاضل إلى الملك الحكيم "وون وانغ"، فما هو سر

٤٠٦ - الشرح والتعليق الجامع للكتب الأربعة، جو شني، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٧٣.

التغير للأسلوب التعبيري هنا وهناك، وكذلك ما هي العلاقة بين الرجل الفاضل وبين الملك الحكيم " وون وانغ " ؟

فقول إن الملك الحكيم " وون وانغ " وأمثاله من الملوك الحكماء السلف في تاريخ الصين القديم من الملك " ياو " والملك " شون " والملك " يو " والملك " شانغ تانغ "، كان كلهم المثل العليا في الإنسانية والقيم الأخلاقية عند الأستاذ كونفوشيوس وعلماء مذهبه، وحيث إن هؤلاء الملوك الحكماء قد جمعوا بين أشرف مكارم الأخلاق وأعز السلطان الملكي في أن واحد. كما دل على ذلك كلام الأستاذ كونفوشيوس بنفسه حيث قال في كتاب الحوان: " للرجل الفاضل مخافات ثلاث: مخافة إرادة السماء (تيان) تقيا، ومخافة أوامر كبار الدولة احتراما، ومخافة أقوال الحكماء اقتداءا. " ^{٤٠٧} ونقول مستدركا في ذلك: ألا ولقد جمع الملك الحكيم بين زمام الأمر والتهى وبين مكارم الأخلاق العظيمة؟ ألا وهو أحق للرجل الفاضل من المخافة والاقتداء به ؟!

وإذا فهمنا العلاقة المتلازمة بين الرجل الفاضل والملك الحكيم على أساس نسبتها المقترجة بعضها على بعض، نعرف أيضا سر تغير أسلوب التعبير بين القطعة الأخيرة حيث ذكر فيها الممدوح المشار إليه هو الملك الحكيم " وون وانغ "، وبين القطعات الخمس السابقة حيث ذكر الممدوح المشار إليه هو الرجل الفاضل، وذلك أسلوب عطف العام على الخاص، فالتناء على الرجل الفاضل في القطعات الخمس السابقة هو تناء عام، وفي نفس الوقت هو مدح ضمني للملك الحكيم أيضا. وأما المدح للملك الحكيم في القطعة الأخيرة فهو مدح حقيقي، كما هو في نفس الوقت تناء عام على الرجل الفاضل الذي يجتهد بنفسه في الاقتداء بمتأثر الملك للحكيم.

وبعبارة موجزة أن في نظر مذهب الكونفوشيوسية كان الملك " وون وانغ " وأمثاله من الملوك الحكماء السلف هم المثل العليا في الإنسانية وقيم الأخلاق، وهم كالقمر والنجوم يتلألأ في السماوات بضياء الإنسان، بينما كان الرجل الفاضل وأصحابه هم المصابيح المبررة في الأرض يستنير بها عامة الناس في أخلاقهم ومناسكهم الحياة اليومية.

٤٠٧- كتاب الحوان يشرح جوفى ، الفصل السادس عشر، الصفحة ١٧٢.

وكان المؤلف "تس سي" كوارث نمبي وعلمي للأستاذ كونفوشيوس تابعه في نظريته الأخلاقية الأمثلة بفلسفة حياة الإنسان وقيمتها، وقد طور هذه النظرية في كتاب الوسطية والاعتدال. من حيث أمس محورا مركزيا لكتابه على النظرية بأن الرجل الفاضل مع بلوغه ذروة الكمال في الخلق والعلم نظريا، يسلك منهاج الوسطية والاعتدال عمليا.^{٤٠٨} وكان جميع الفصول والموضوعات في كتابه يدور حول هذا المحور الأساسي بيانا واستنباطا، مما يكشف من خلاله بأن الحقيقة المثلى في الإنسانية وقيمتها هي تهذيب الرجل الفاضل نفسه أخلاقيا وروحيا، على محاسبة نفسه باللورع والحذر الذاتي، عن طريق منهاج الوسطية والاعتدال، حتى يتم شخصية نفسه أولا ويكمل شخصية الغير بأسلوب التعلم والتربية الأخلاقية ثانيا، ويوفق علاقات المخوقات كلها بالاعتدال والانسجام ثالثا، حتى يحقق بهذه الترقيات الروحية والأعمال الإصلاحية الهدف الأعلى في الإنسانية المثلى وهو الاتحاد الخلقى مع إرادة السماء (تيان) أخيرا. وما هي الغاية الأسمى في الإنسانية المثلى عند المؤلف "تس سي" والكونفوشيوسية على سواء، وقد ذكرت هذه الوحدة الخلقية بين الإنسان وبين إرادة السماء (تيان) في سفر التبدلات قائلا: "إن السماء (تيان) يثبت ويخلد في تحركه، فالرجل الفاضل يتأثر بنفسه على سعية وراء الخير بجد واجتهاد."^{٤٠٩}

وتصيب العلماء الكونفوشيوسيون - سلفهم وخلفهم - رأيهم الروحية على هذا الهدف الاعلى طلبا وسعيا، حتى كان "تشانغ زئي" يعبر عن مسؤولية العالم الكونفوشيوسي كالرجل الفاضل وهو بتأدي: "من أجل تثبيت الحق المطلق بين السماوات والأرض خالدا، ومن أجل تأمين معيشة الجماهير ماديا وإرشاد مطلبهم الروحية في اليوم، ومن أجل توريث وتكثير التعليمات الباقية للحكام الصالحين السلف في أمس، ومن أجل شق الطريق وتمهيد السبيل لفكر السلام والأمن في المجتمع للأجيال القادمين في المستقبل."^{٤١٠}

٤٠٨- ارجع إلى الفصل السابع وعطرون لكتاب الوسطية والاعتدال.

٤٠٩- الشرح والتعليق للكتاب الثلاثة عشو، كونغ بينغ داء، الجزء الأول، للصفحة ٣٤.

٤١٠- انظر: الحكمة الفلسفية في تاريخ الصين، دار الطباعة للغات الأجنبية ببيكين، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، الصفحة ١٥٧.

الخاتمة

أ- خلاصة البحث:

الحمد لله، بعونه تعالى وصلت بعد هذه الجهود المتواضعة إلى نهاية رسالتي، ومن خلال عملي على نقل الكتاب ترجمة وشرحاً، وجدت أن الكونفوشيوسية ليست مذهباً أخلاقياً يسعى وراء الإصلاح الاجتماعي ويدعو إلى سعادة الإنسانية فحسب، بل هي تحتوي أيضاً على الاعتقاد الديني ونظام الآداب وأفكار الفلسفة وقواعد السياسة. وإن كتاب الوسطية والاعتدال قد بين في بداية الفصل الأول هذا الاعتقاد الديني بالسماء الأعلى - تيان الذي فطر البشر على طبيعتهم الإنسانية ليهتدوا بها صراطاً سويّاً عن طريق التعلم والتربية في تهذيب أنفسهم وإكمال شخصيتهم.

وقد تخلّلت هذه النظرية الميتافيزيقية في جميع فصول كتاب الوسطية والاعتدال من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، متركّزاً على نقطتين أساسيتين: تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، وتحقيق صفة الصدق والإخلاص في كلّ جوانب حياة الإنسان علماً وعملاً. وبالعجالة الأخرى: قدّم المؤلف " تس سي " في كتابه دواءً فعالاً في علاج تيه النفوس وحيرتها خُلقياً وإصلاح قلق المجتمع واضطرابه سلوكياً، فمن ناحية تحقيق صفة الصدق والإخلاص يعالج تيه النفوس ومطالبها علاجاً خُلقياً، كما أنه من ناحية تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال يصلح قلق المجتمع ودعواه إصلاحاً سلوكياً. وعلى أساس فهمي هذا لموقف المؤلف الإصلاحى المعالج، قرأتُ مصنّفه كتاب الوسطية والاعتدال، ودرستُه من ناحية الترجمة والشرح لتقديمه إلى القراء بالعربية والعالم الإسلامى، وها هي أهم النتائج البحثية التي وصلتُ إليها من خلال دراستي كما يلي:

الأول: من الناحية النظرية الاعتقادية، يرى كتاب الوسطية والاعتدال أن ربّ الأرباب لكلّ الكون أى الوجود المطلق هو السماء (تيان)، وكان " أثره في إيجاد الكائنات وعنايته بها لا صوت يُسمع ولا رائحة تشم ". فعناية إله السماء (تيان) أيضاً تتمكّن في ذات الإنسان، حيث " إنما يهبه

السماء (تيان) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية "، وهو مصدر صفة الصديق والإخلاص في قلب الإنسان، وبه يحقق الإنسان الاتحاد الخلقى مع إرادة السماء (تيان) عن طريق التهذيب والتربية.

الثاني: من ناحية نظرية الطبيعة الإنسانية، يدعى الكتاب خيرة الطبيعة الإنسانية، حيث " إنما يقبه السماء (تيان) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية "، ففطرة الإنسان السماوية حسنة بريئة، مجبولة على الأخلاق الحميدة من الرحمة والعدل والأدب والحكمة والوفاء. وذلك كما يثبت في النص : " الاهتداء بهذه الطبيعة الفطرية يسمى بطريق الحق ". أى عن طريق محاسبة النفس والورع الذاتى يظهر الإنسان فطرته الحسنة، وينزّه نفسه عن الشهوات والأهواء الشرهة، حتى يحقق نجاحه فى إكمال شخصيته ذاتيا وإكمال شخصية غيره موضوعيا.

الثالث: من ناحية نظرية المعرفة، يدعو الكتاب إلى التوافق بين العلم والعمل والجمع بينهما، ويرى أن طريق الحق فى حياة الإنسان يتمثل فى أخلاقه الذاتية ومسالكه اليومية التى تفتح أبوابها لكل واحد إبراكاً وتطبيقاً. وكيف يحقق الإنسان هدفه فى الجمع بين العلم والعمل؟ قدم هذا الكتاب فى ذلك الخطوات الثلاثة وهى: التعلّم الواسع مع السؤال الواعى أولاً، ثم عن طريق التفكير المتقصى مع التبيين المحكم يرتقى بنفسه إلى علم النقيين ثانياً، ويطبق ثالثاً ما تعلمه وأتقنه فى الحياة الواقعية على ضوء منهاج الوسطية والاعتدال مثابرة، حتى يحقق إنسانيته المثالية بجهوده المتقنة بين علم النقيين والعمل الدائم، استجابة لعناية السماء (تيان).

الرابع: من ناحية نظرية القيم الأخلاقية، يرى الكتاب أن أخلاق الإنسان الحميدة تتأسس على الأصول الثلاثة الكبرى: الحكمة، والرحمة، والشجاعة. فمن التعلّم يصل إلى الحكمة، ومن العمل بالخير يحصل على الرحمة، ومن الحياء يعرف حقيقة الشجاعة. وأما العلاقة الاجتماعية فهى تتأسس على المبادئ الخمس العامة: العلاقة بين الحاكم ووزرائه بالاحترام والوفاء، والعلاقة بين الأب وابنه بالرفقة والبر، والعلاقة بين الأخ وأخيه الصغير بلطف والقواضع، والعلاقة بين الزوج وزوجته بالعدل والطاعة، والعلاقة بين الصديق وصاحبه بالمودة والعون. وكل هذه

الأصول الثلاثة الكبرى والقواعد الخمس المعتمدة ترافق الإنسان مع تهذيب نفسه بلورع الذاتي والإخلاص الوجداني، في سبيل إكمال شخصيته والعودة إلى فطرته السماوية.

الخامس: من ناحية النظرية السياسية، يتبين الكتاب السياسة الرحمة، ويدعو إلى رعاية الحاكم رعيته بالأخلاق الحميدة؛ فعلى الحاكم أن يهذب نفسه بمكارم الأخلاق أولاً، ويولّي رجالاً صالحين أكفاء إدارة شؤون البلاد ثانياً، ويدعو رعيته إلى الأخلاق الحميدة ويعتلكهم بنظام الأداب ثالثاً، حتى ينقلد الشعب لأوامره سمعاً وطاعة، ويجتمع إليه أقوام من جوار الجنب احتراماً ومودة. وذلك كما يذكر في النص: " يستحق كل حاكم أن يتبع نزع قواعد أصولية في إدارة دولته ورعاية شعوبه، وهي: تهذيب الحاكم نفسه بقوة، واحترام الصالحين والفضلاء شرفاً، والمراعاة بصلة الرحم تقرباً، وتكريم الوزراء المعتمدين عزّة، وتقدير خدمة الموظفين العوام تسامحاً، ورعاية شؤون الرعية الجماهير رحمة، وتجنيّد عمل الحرفة والصناعة تعاوناً، وضياقة الوافدين والرميل الأجانب إكراماً، ومواذاة الأمراء في أنحاء البلاد بالسياسة الرشيدة تسليماً."

السادس: من ناحية النظرية المنهجية، يرى الكتاب أن الوسطية هي الحالة المثلى التي لا إفراط ولا تفريط، وأن الاعتدال هو الحال العادي الذي لا تبكّل ولا تغير فيه، فمنهاج الوسطية والاعتدال صراط مستقيم يقوم عليه القواعد الكونية كلها، وهو عروة وثقى لئتمسك الإنسان بها من غير عوج ولا انحراف. وعلى الإنسان أن يتأمل في الأمور ويتخذ أوسطها بدون إفراط ولا تفريط، حتى يصل إلى حالة الوسطية المثلى والاتسجام التام، ويحقق رسالته العليا بأن يكون ثالث الثلاث الكبرى في الكون - السموات والأرض والإنسان - يعدل ويوفق نمو جميع الكائنات. وذلك كما يذكر النص: " إذا بذل الإنسان أقصى جهوده في الاهتداء بالوسطية والاعتدال سعياً وامتثالاً، ستستقرّ السموات والأرض بفضلها في مقامهما وفاقاً، وسيتموكل الكائنات بينهما ازدهاراً."

ب - الجوانب المبتكرة والجديدة في البحث:

إن الترجمة التي قمت بها لكتاب الوسطية والاعتدال شأنها كشأن بقية الكتب المترجمة إلى اللغة العربية من اللغات المختلفة قديما وحديثا، غير أنني أضفت فيها الجوانب المبتكرة الجديدة من نوعها، منها:

أولاً: لقد راجعت هذا الكتاب مرارا وتكرارا حتى أفهمته ثم أصوغه صياغة مناسبة للقراء الكرام للناطقين بالعربية، وأثبت نص الكتاب أيضا حتى يكون العمل متقنا وموثوقا به.

ثانياً: شرحت النص شرحا يناسب طبيعة الكتاب، وذلك بأقوال وتفسيرات العلماء والفلاسفة الذين أحبوا المساهمة العلمية في فهم هذه النصوص الفلسفية الأدبية شرحا وتسهيلا للكتاب، ونقلت أقوال العلماء والباحثين من أتباع الديانة في شرح الآراء الفلسفية لصاحب الكتاب بدقة وأمانة ووضعتها أمام القراء بدون حذف أو إضافة ونسبت كل النصوص إلى أصحابها وأثبت مراجعها في الهامش.

ثالثاً: علقت على بعض النصوص وأبدت رأيي كباحثة ومترجمة عندما كان هناك شيء من التناقض في بلاغي الأمر، وأثبت القول الراجح مع بيان وجه الترجيح بأمانة علمية تامة، وإلى الحمد لله كمسلمة صينية أفهم اللغة الصينية وأتعامل بها وأعيش وسط المجتمعات الكونفوشيوسية الصينية وإذا وجدت المشكلة في التوفيق بين الآراء والنصوص كنت أرجع إلى من هو أقدر فهما وعلماء حتى لا أخطئ ولا أحكم غيبيا على الأسلاف، لأن لكل ديانة سواء سماوية أم وضعية قداسة عند أصحابها، ويجب أن نراعي بأمانة حيث أمرنا الله تعالى في كتابه بحفظ الأسانيد وأدائها إلى أهلها، قال الله تعالى في القرآن الكريم: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا).^{٤١٦}

رابعاً: أبرزت جانب التباين في الديانة الكونفوشيوسية حيث إنها ديانة وضعية تؤمن بإله واحد وهو السماء (تيان)، غير أن الطرق العبادية والطقوس الدينية لم تطرح باعتبارها الغاية الأخيرة

فى السعادة. وأما الحكيم كونفوشيوس، فهو مصلح دينى غير أنه يركز على الجانب الأخلاقى والنظام السياسى، ولم يدع أنه نبي أو رسول، فترك الباب مفتوحا للمصلحين الآخرين حتى يدلوا بدلوهم فى الحفاظ على الجانب الأخلاقى والثقافى كوسيلة للحياة السعيدة بين الأجناس والشعوب.

هـ - التعليق:

إن كتاب الوسطية والاعتدال هو الأعرق والأصعب فهما من بين الكتب الكونفوشيوسية الأربعة، وقد تناول جميع نواحي حياة الإنسان اعتقاديا وأخلاقيا واجتماعيا وسياسيا ومنهجيا، مما جعل له أثرا كبيرا فى تاريخ الصين منذ أربعة وعشرين قرنا حتى عصرنا الحاضر.

ومن خلال ترجمتى ودراستى هذه لكتاب الوسطية والاعتدال خاصة - ومع مطالعتى فى الكتب المقدسة عند الكونفوشيوسية عامة - فإنى كطالبة باحثة فى تخصص مقارنة الأديان وجدت أن الكونفوشيوسية مع أنها ديانة وضعية، ففيها أفكار دينية ودعوى أخلاقية تقترب وتتفق مع مبادئ دين الإسلام الحق ومطالبه الأساسية، وسبب ذلك - فى رأى - يرجع إلى وجود بقايا من الرسائل السماوية فى هذه الديانة الوضعية، ولقد أخذت هذه النتيجة استدلالا من النقل والعقل؛ فمن ناحية دلالة النقل نجد كثيرا من الآيات القرآنية تتحدث عن بعث الله تعالى نبيا ورسولا لكل أمة من أمم العالم بشيرا ونذيرا، وسنة الله هذه لا تبدل لها، قال عز وجل (لَكُنْ أُمَّةً رَّسُولٌ)^{٤١٢}، وقال تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)^{٤١٣}، وقال سبحانه (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ)^{٤١٤}.

ولهذه الدلالة القطعية القرآنية نجد كثيرا من الشهادات المعتمدة لها خلال الكتب الكونفوشيوسية المقدسة، ويكتفى أن نورد بعض أقوال كونفوشيوس نفسه كدليل شاهد على هذا؛ لكى لا نطيل الكلام هنا، فلنأت إلى قوله المشهور فى كتاب الحوار حيث قال: " وأما النبى

٤١٢- سورة يونس، رقم الآية ٤٧.

٤١٣- سورة قاطر، رقم الآية ٢٤٧.

٤١٤- سورة النساء، رقم الآية ١٦٤.

والرجل الكامل الرحمة، فألقى لى أجترئ على الادعاء بهما ١٩ وإنما اجتهد بنفسى فى الاقتداء
بطريق النبي، وفى استكمال حقيقة الرحمة، كما أبدل أقصى جهودى فى تعلم الفاس وإرشادهم
بلا ملل، فذلك هو شأنى أنا." ٤١٥

فمن قوله هذا نستفد نتيجتين نفيا وإثباتا: نفيا لنبوة كونفوشيوس كما دلت عليه عبارة
النص، وإثباتا لوجود نبي ورسول قبل كونفوشيوس كما دل عليه إشارة النص، بل إثباتا لأخذ
كونفوشيوس من هذه بقايا الرسالة السماوية وضمتها إلى مذهبه. ٤١٦

وهذه حالة كونفوشيوس مؤسس المذهب فى هذا المجال، وعندما جاء وارثه الروحي
والنسبي حفده " تشى سى " مؤلف كتاب الوسطية والاعتدال، ورث بقايا الرسالة السماوية أيضا،
وضمنها فى كتابه هذا وعبر عنها بأسلوب الفلسفة الميتافيزيقية. فجدده أرجع الربوبية الأعلى
والملكوت المطلق- كديبئة صريحة بدون شك وريب - إلى السماء (تيان)، وأخذ مرجعه
الأسمى الذى يبنى عليه مبادئ كتابه اعتقاديا وأخلاقيا وميتافيزيقيا، وهو يقول فى أول جملة من
هذا الكتاب: " إن ما يهبه السماء (تيان) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية. " وأعقب على هذا
يقوله: " وأتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية يسمى بطريق الحق، وتهذيب الإنسان وتركيبه نفسه
على طريق الحق يسمى بالتعليم والتربية. " ثم يدور المؤلف بكتابه من خلال ثلاثة وثلاثين فصلا
على هذه المقدمة الأولى كمحور رئيسي لكل تأليفه شرحا واستنباطا، حتى يختم تصنيفه بجملة
أخيرة فى نهاية الكتاب تقول: " بل ذكر فى سفر القصائد: ' إنما أثر السماء (تيان) فى عنايته

٤١٥- كتاب الجواز، الفصل السابع، الصفحة ٧٦.

٤١٦- وقد ناقشت هذا الموضوع فى رسالتى لنيل درجة الماجستير " الفرد والمجتمع فى الكونفوشيوسية- دراسة نقدية فى ضوء
الإسلام "، التمهيد، تحت العنوان " قضية نبوة كونفوشيوس "، الصفحة ١٨٠-١٨٣. يمكن الرجوع إليه، إلا نطيل الكلام هنا مرة ثانية.
فموقنا الأسمنى فى هذه القضية هو كلام أبى الأعلى المودى، نقل عن الإيمان بالأنبياء: " نحن نؤمن بكل من صي أن يكون
جاء من رسول الله إلى بلاد الهند والصين وإيران ومصر وإفريقيا وأوروبا، وحاض نواحي الأرض وأرجائها، ولكننا لا نستطيع أن
قول عن قلائ منهم بالضبط إنه كان أو لم يكن رسولا من الله، وذلك لنا لم نضرب عن ذلك بشئ، غير أنه لا يجوز لنا بهال من
الأحوال أن ندم أو نشكرهم بالسوء أحدا من الذين يتبعهم رجال مختلف الديانات فى الأرض، وما أدرانا أن كانوا من رسل الله حق،
ثم يدل الناس دينهم من بعدهم، كما يدل أتباع موسى وعيسى عليهما السلام دينهما الحق من بعدهما، وإن كان لنا رأي نظهره،
فليكن عن طوقس ديانتهم ورسومهم فى موضعها الحاضر، لنسكت سكوتا تاما عن أسس هذه الديانات، لنلا بصير عنا شئ
يخالف الأدب فى شأن رسول من رسل الله. " انظر: الفاء الإسلام، الإلمام أبو الأعلى المودى، مكتبة التراث الإسلامى -
القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، الصفحة ١٠٠-١٠٦.

للكائنات وتنميتها لا صوت يسمع ولا راحة تشتم. ' ها هو المثل الأعلى في مكارم الأخلاق يُضرب. " وهو يسترجع بهذه الخاتمة الرائعة المقدمة الأولى في بداية الكتاب استكمالاً. بل أكد المؤلف " شس سي " العلاقة المتألزمة بين هذه العناية الربانية السماوية وبين عاقبة صاحب مكارم الأخلاق مراراً، وخاصة في الفصل السابع عشر حيث قال: " فمن يزرع حسنة يزرعه السماء (تيان) الأعلى فضيلة ونعمة، ومن يأت إلى السينة يزرع خسارة وهلاكاً. وقال سوفر القصاصد فيه: ' يا له من رجل فاضل فرحاً وبشراً ما أظهر أخلاقه حسنة وكريمة ! أمن بفضلها شعوبه سلاماً ووفقاً، كُتبت له نعمة وبركة عظيمة. ففتر له أن ينال العزة والسلطة، سنة السماء (تيان) قدرها مقدوراً. ' فهذا البيت دليل على أن صاحب الأخلاق العظيمة كُتبت له عناية السماء (تيان) الأعلى ونصره. "

وعلى هذا الاعتقاد برؤيوية السماء (تيان) الأعلى، أُنس المؤلف نظرياته الفلسفية كلها، فمن الناحية المنهجية يدعو إلى منهاج الوسطية والاعتدال عن طريق الحذر والورع الذاتي؛ ومن الناحية الأخلاقية يدعو الناس إلى إثبات أقدامهم في الأصول الثلاثة الكبرى (الرحمة والحكمة والشجاعة) أولاً، حتى يندرجوا إلى جميع مكارم الأخلاق ترقية؛ ومن الناحية الاجتماعية يعتمد على إكمال الإنسان شخصية نفسه أولاً وإكمال شخصية غيره ثانياً على أساس المبادئ الخمس العامة؛ ومن الناحية السياسية يرغب الحاكم في تطبيق السياسة الرشيدة على أساس القواعد التسع المعتمدة؛ ومن الناحية الأنطولوجية والمعرفية يدعو إلى ضرورة وجود صفة الصدق والإخلاص في وجود الكائنات وتطوراتها وخاصة مع معرفة أهمية صفة الصدق والإخلاص في تهذيب الإنسان نفسه علمياً وعملياً.

وإذا درسنا هذا الكتاب في ضوء الإسلام وتعليماته الحقة، لوجدنا كثيراً من بقايا الرسائل السماوية في مذهب الكونفوشيوسية وكتبها المقدسة؛ إذ ما كان الاعتقاد برؤيوية السماء (تيان) الأعلى عند الكونفوشيوسية إلا وهو يقترب ويتفق مع مبادئ رؤيوية الله تعالى في دين الإسلام،

وذلك كما قال الله سبحانه : (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)^{٤١٧} .
 وأيضا نجد أنه ما من دعوى الأخلاقية عند الكونفوشيوسية من الرحمة والعدل والحكمة والأدب
 والصديق.... إلخ، إلا وهي تقترب وتتفق مع مطالب الإسلام الأخلاقية وتعليماته المرشدة، وذلك
 كما قال خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم : " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " ^{٤١٨}
 فكل ما وجدناه مما يوافق مبادئ الإسلام وتعليماته الحقّة من بقايا الرسالة السماوية في
 الكونفوشيوسية وكتبها المقدسة على وجه العموم، يمكن لنا أن نسمّيه بالجانب الإيجابي لهذه
 الديانة الوضعية، وبه أدّينا واجب الأمانة العلمية في تراثنا الوصفية لكتاب الوسطية والاعتدال
 على وجه الخصوص. وأيضا من أجل أداء الأمانة العلمية يجب علينا أن نبين هنا- على ضوء
 الإسلام- الجانب السلبي لمذهب الكونفوشيوسية، وخاصة في كتاب الوسطية والاعتدال، وعلى
 رأس ذلك ضلالهم في مجال الألوهية بتأليه الملائكة والجان وتقدس أرواح الأبياء وتقييم القرابين
 لهؤلاء جميعا^{٤١٩}، مما يدلّ على اندساس الوضعية في مجال الألوهية عند الكونفوشيوسية بجانب
 وجود بقايا الرسالة السماوية عندهم في مجال الزبونية خاصة، وذلك كما كشف الله تعالى
 للمسلمين عن أحوال هؤلاء وقال سبحانه : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
 قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ^{٤٢٠} . وكفيينا أن نذكر هنا الجانب السلبي للكونفوشيوسية ببيان
 خطئهم في مجال الألوهية على سبيل المثال، لكي لا نطيل الكلام، ويمكن للقراء الرجوع إلى
 المباحث المتعلقة بهذا الموضوع بتفصيل في دراسات أخرى. ^{٤٢١}

د- التوصيات:

أولاً: الإشارة العاجلة في السطور السابقة الجانب السلبي والجانب الإيجابي في الكونفوشيوسية
 من أجل التمهيد للبحث والدراسة المتقضية في هذه الديانة الوضعية؛ لكي نردّ على ضوء

^{٤١٧} - سورة الزخرف، رقم الآية ٨٤.
^{٤١٨} - رواه مالك في الموطأ، برقم ٣٦٢٢، وقد صحّحه الألباني.
^{٤١٩} - انظر: كتاب الوسطية والاعتدال، المجلد ١٢، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٩.
^{٤٢٠} - سورة لقمان، رقم الآية ٢٥.
^{٤٢١} - انظر: رسالتي للمناقشة أدلّ درجة الملجستير " الفرد والمجتمع في الكونفوشيوسية- دراسة نقدية في ضوء الإسلام "،
 الصفحة ١٤٢-١٤٤.

الإسلام- نحن المسلمين عامة والطلاب الباحثين خاصة ما فى الكونفوشيوسية من الباطل، فنأخذ هذه وعظة فى سبيل إظهار حقانية الإسلام الخالدة فى القول ببطلان الأديان والمذاهب الأخرى سواء، وقد قال الله تعالى فى ذلك: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)^{٤٢١}. كما يمكن من خلال دراستنا المستقصية فى الكونفوشيوسية وكتبها المقدسة، نستخرج ما فيها من مبادئها المفيدة ودعواها الإيجابية التى توافق قواعد الإسلام السديدة وتعليماته المرشدة، فلسنا نتخذها أساسا مشركا فى التبادل والتعارف بين الحضارة الإسلامية والثقافة الصينية فقط، بل نجعلها أسلوبا مقربا فى دعوة أهل الصين اليوم إلى الإسلام، وذلك كما قال الله عز وجل: (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمُرُوءَةِ الْخَيْرِ وَجَاهِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^{٤٢٢}.

ثانيا: رجاء من العلماء المسلمين والباحثين المتخصصين أن يهتموا بمثل هذه الدراسات الجادة، حتى يتموا ترجمة الأسفار الخمسة والكتب الأربعة الكونفوشيوسية المقدسة من أمهاتها إلى اللغة العربية فى المستقبل غير البعيد، وأن يهتموا ويدرسوا أغوار حضارة بلاد الصين عامة والكونفوشيوسية خاصة بدقة وعمق، ثم يقوموا بمقارنتها على ضوء الإسلام، إظهارا لقيم الحضارة الإسلامية الربانية فى كل المجالات دينا واجتماعيا وخلقيا وسلوكيا، فيقدمونها إلى العالم، وخاصة أهل بلاد الصين، لكي يعرفوا الهداية الإسلامية الوسطية فى الدنيا والآخرة جامعة بين مطالب المادة ودعوى الروح فى إجابة كاملة لحاجات نفوس الإنسان، مما يجنبهم إلى أعمال الفكر والفن فى كل الديانتين ليثبت أمامهم الحق ويدعوهم إلى الصراط المستقيم، وذلك كما قال الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)^{٤٢٣}. وهى رسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال عز وجل فى ذلك: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^{٤٢٤}.

٤٢٢- سورة المائدة، رقم الآية ٣.

٤٢٣- سورة النحل، رقم الآية ١٢٥.

٤٢٤- سورة يوسف، رقم الآية ١٠٨.

٤٢٥- سورة الأنيام، رقم الآية ١٠٢.

ثالثاً : مع تقدم التاريخ، حققت آسيا نهضتها الكاملة المعاصرة ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فأثارت نهضة الشرق الذي يملك أكبر عدد من السكان وأوسع مساحة وأوفر ثروة في العالم خوف الغرب المستعمر أمس وقلقه الأيديولوجي، فيدعو متهدداً بدعوة " تصادم الحضارات "، وعلى رأس هؤلاء مفكرى الغرب العالم الأمريكى المشهور فى مجال الفلسفة السياسية " صموئيل هانتجتون " وهو يقول: " إن الثورة المركزية للصراع بين الأضداد فى المستقبل المنظور سوف تكون بين الغرب وشرق عدة ستشكل رابطة بينها لتجميع بين أتباع الديانتين - الكونفوشيوسية والإسلام. " ^{٤٢٦} فخوف الغرب من الإسلام هذا أمر طبيعى لأن الإسلام دين الحق والسلام بقوله تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) ^{٤٢٧}. وقال سبحانه أيضاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ^{٤٢٨}. ولكن الكونفوشيوسية بصفة ديانة وضعية قد قلق منها الغرب وخاف أيضاً، وهذا يهمنى- نحن المسلمين فى العالم الإسلامى عامة والطلاب الباحثين خاصة - أن نعرف ما سبب ذلك؟ والحل فى ذلك أن ندرس فى أمهات الكتب المقدسة عند مذهب الكونفوشيوسية بدقة وعمق. فإن الدراسة المقارنة فى مثل هذه الديانات الشرقية وخاصة بالكونفوشيوسية بما فيها من الأفكار الاعتقادية والأخلاقية والفلسفة دراسة ضرورية جداً، حتى تتضح أمام الدارسين المسلمين القيم العليا فى أديان الشرق الوضعية ومدى تأثيرها فى الناس وفى العالم الحاضر.

رابعاً : بجانب اتجاه نظرية " تصادم الحضارات " للغربية المتطرفة، هناك دعوة إيجابية بين مفكري الشرق وعلماء الغرب المعتدلين، مسمية بنظرية " العهد المحوري الحضاري الجديد " ^{٤٢٩} التي تقيم أسسها على مبدأ الحوار والتبادل الثقافي بين عدة الحضارات الممثلة العالمية وعلى

٤٢٦- تصارع الحضارات، صموئيل هانتجتون، ترجمة وتقديم الدكتور حرقان عبد الحميد فتاح، الندوة ، المجلد السادس، العدد الأول شعبان ١٤١٥ الهجرى- كانون الثاني ١٩٩٥م.

٤٢٧- سورة الإمراء، الآية ٨١.

٤٢٨- سورة الحجرات، ورقم الآية ١٣.

٤٢٩- انظر: كتاب العهد المحوري The Great Transformation، المؤلف Karen Armstrong، بترجمة هاني يان بينغ، دار الطباعة في مقاطعة هاي تان، ٢٠١٠م. وانظر أيضاً إلى كتاب ملاقات الأنبياء The Unavoidable Dialogue ، المؤلف Ralmon Panikkar بترجمة والف جي تشينغ، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة سيتشوان، ٢٠٠٨م.

رأسها حضارة الغرب والحضارة الإسلامية والحضارة الصينية بعضها لبعض. والجدير بالذكر أنه قد بدأ العلماء المسلمون والمفكرون الصينيون بعمل الحوار الحضاري بين الإسلام والكونفوشيوسية منذ أواخر التسعينات للقرن الماضي، وخاصة في نوفمبر سنة ٢٠٠٩م أقيم مؤتمر الحوار الشهير بين الإسلام ومذهب الكونفوشيوسية في بكين - عاصمة الصين، على إشراف العالم الممثل للكونفوشيوسية المعاصرة الدكتور " نُو وي مينغ " والعالم المسلم المشهور الدكتور السيد حسين نصر في جامعة بكين لمدة ثلاثة أيام، وحضر مؤتمر الحوار هذا كثير من العلماء من الدول المختلفة في العالم. وفي هذا المؤتمر يرى الدكتور " نُو وي مينغ " والسيد حسين نصر أن حضارتَي الإسلام والصين حين تتبادلان بحضارة الغرب أخذا وعطاءا في العصر الحديث، أحقّ بهما أن تعززان التبادل والحوار بين الحضارتين العظيمتين في الشرق، أمام استجاب تحدى الأزم العالمية المعاصرة في مجالات الإنسانية والبيئية في القرن الحديث. وأرجو بشخصيتي المسلمة الصينية أن العالم الإسلامي يفتح ويوسع أبواب الحوار والتبادل ثقافيا واقتصاديا وسياسيا مع حضارة الصين مزائدة، وخاصة بين العلماء في العالم الإسلامي وبين مفكرى الصين في مجال البحث والدراسة أخذا وعطاءا بعضهم بعضا.

خامساً: وجدير بالإشارة والصراحة هنا كما نجد أن الوسائل الإعلامية الغربية تتواصل ليلا ونهارا تشويه سمعة الإسلام ونقل الصور المزورة القبيحة عبر قنواتها بدون تحقيق وأمانة وتتهم الإسلام بأفعال المسلمين المنسوبين إليه كذبا وزورا وتحاول جاهدة إخفاء مزايا الإسلام عن العالم كله حتى نجد كثيرا من الناس يخطئون عن الإسلام فلا يجدونه إلا عن طريق هؤلاء الملقين الماجورين، هكذا نجد أهل الصين متعطشون لمعرفة الإسلام الصحيح وعن العالم الإسلامي، غير أن هذه الوسائل الإعلامية الغربية المتدفقة كالسيل الجارف لا تريد خيرا للإسلام ولأهل الصين بالذات.

ولذلك أتمنى أن تكون الحوارات بين العالم الإسلامي وبين الصين والأمم الشرقية متواصلة متزايدة، وأن تقوم بينهما علاقة التبادل والتعاون في جميع المجالات الثقافية والاقتصادية

والسياسية مواجهة جنباً بجانب لتحديات الغرب الفكرية والعسكرية في العصر الحاضر .

وأخيراً أقول إنه مع بذل أقصى الجهود في عملي البسيط لترجمة كتاب الوسطية والاعتدال من أمهات الكتب الكونفوشيوسية المقدسة إلى اللغة العربية، لا يمكنني أن أدّع بأنه عمل بالتامة بل هو خدمة متواضعة للعلم والتبادل الحضاري بين الأمتين الصينية والإسلامية العظيمة، كما أعتقد أنه هناك زلل ونقص في عملي المترجم والمُترجم هذا- مع قصور يدي في العلم والمعرفة، فأرجو أن يرشدني العلماء الكرام ورفقائي الباحثون في هذا المجال، وجزاهم الله خير الجزاء !

وإنما كل عمل لمسلم إذا خلا هدفه من أن يرفع كلمة الله العليا فلا قيمة له ولا مشكور فيه. فأرجو أن يكون عملي البسيط في هذه الرسالة يخدم الإسلام والمسلمين في مجال مقارنة الأديان، حيث أحاول بجهدي المتواضع أن أسهّد مادة أساسية للباحثين المسلمين في دراستهم لكتاب الوسطية والاعتدال خاصة وللكونفوشيوسية عامة، حتى يوسعوا ويكملوا دراستهم - على ضوء الإسلام - في هذه الديانة الوضعية، فيبينوا من خلال دراستهم المقارنة حق الإسلام ونوره أمام أهالي الصين وهم مليار وأربعمئة مليون نسمة اليوم.

واختتم هذه الرسالة المتواضعة بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^{١٢٠}. وقال عز وجل: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بَيْنَا قَتِيمًا مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ خَنيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)^{١٢١}.

١٢٠- سورة الصافات، رقم الآية ١٢.

١٢١- سورة الأنعام، رقم الآية ١٦١-١٦٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب باللغة الصينية:

- ١- الأسفار الخمسة والكتب الأربعة المقدسة في الكونفوشيوسية. 四书五经
الأسفار الخمسة، لجنة التحرير للكتب الكلاسيكية المجلدة المخططة، دار طباعة نور الصباح
بكون مينغ، ٢٠١٤م. 编委会经典线装《五经》
- الكتب الأربعة، بتحرير يانغ تشون، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة شن شي، ١٩٩١م.
«四书» 杨春霖 陕西人民出版社
- ٢- أطراف الحديث عن الثقافة الصينية، نانغ هوى جينغ، دار الطباعة الشرقية الطبعة الأولى
٢٠٠٨م. 南怀瑾《中国文化漫谈》
- ٣- إلى البرز المنتهى - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، ليو تينغ يو،
و كون شينغ تشونغ ، دار طباعة الديمقراطية والقانونية بالصين، الطبعة الأولى، سنة
٢٠١٠م. 孔新春 刘成有《止于至善》（大学、中庸）
- ٤- الدراسات في الأفكار الكونفوشيوية في عهد أسرتي "سونغ" و"مينغ"، تيمش لي، دار
الطباعة بجامعة فودآن بشانغهاي سنة ٢٠١٠م. 陈来《宋明理学》
- ٥- الاتجاه العقلي والكونفوشيوسية المتجددة المعاصرة، شوي نينغ، دار الطباعة تشينغ
تشونغ، سنة ٢٠١١م. 许宁《理学与现代新儒学》
- ٦- البحث والدراسة في الفلسفة الكونفوشيوسية، ليو شو شيان، دار طباعة الكتب التراثية
بشانغهاي سنة ٢٠١٠م. 刘述先《儒家哲学研究》

- ٧- تاريخ فلسفة الصين الحديثة، فونغ يو لان، مكتب سان ليان بكين، سنة ٢٠٠٩ م.
- «中国现代哲学史» 冯友兰
- ٨- ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، ليو جونغ تيان ولين سونغ، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة فوجي جيو، سنة ١٩٩٠ م.
- «四书全译» 刘俊田 林松
- ٩- الترجمة والتعليق على كتاب الوسيطية والاعتدال، وانغ جي قوا، دار الطباعة بجامعة تدريب المعلمين بكين، السنة ٢٠١٢ م.
- «中庸译评» 王治国
- ١٠- الترجمة الحديثة لـ " الشرح الجامع للكتب الأربعة "، لي شين، مكتبة با شو بمقاطعة سي تشون، سنة ٢٠١٢ م.
- «四书集注全译» 李申
- ١١- تسع عشرة محاضرة في الفلسفة الصينية، مو زونغ سان، دار طباعة الكتب الكلاسيكية بسانغهاي سنة ١٩٩٧ م.
- «中国哲学十九讲» 牟宗三
- ١٢- الحكمة الفلسفية في تاريخ الصين، بتحرير لجنة الكتب المتسلسلة، دار طباعة اللغات الأجنبية بكين، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠ م.
- «中国历代哲学智慧» 丛书编委会
- ١٣- خصائص الفلسفة الصينية، مو زونغ سان، دار طباعة الكتب الكلاسيكية بسانغهاي سنة ١٩٩٧ م.
- «中国哲学的特质» 牟宗三
- ١٤- الدراسة العميقة في كتاب الوسيطية والاعتدال، شي وي فونغ، دار طباعة المصنفين بكين، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩ م.
- «中庸深解» 师为公
- ١٥- دراسة العرب عن الكونفوشيوسية ومعرفتهم فيها، سي دي جوي، حولية جامعة شان دونغ سنة ١٩٩٤ م، العدد الثالث.
- «阿拉伯人对儒学的研究与认识» 蔡德贵

- ١٦- الذات الفطرية والذات القلبية، مو زونغ سان، دار طباعة الكتب الكلاسيكية بشانغهاي سنة ١٩٩٧ م. «心体与性体» 牟宗三
- ١٧- الرؤية النافذ في كتاب الوسطية والاعتدال باللغتي الصينية والإنجليزية، دو وي مينغ، دار الطباعة بجامعة الشعب، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م. «中庸洞见» 杜维明
- ١٨- ميخيل التاريخ ل"س ما تشان"، دار طباعة الكتب التراثية بشانغهاي، سنة ٢٠٠٠ م.
- «史记» 司马迁 (西汉)
- ١٨- آداب مملكة "نيشو" - أمنية قديمة، فن شلو تين، دار طباعة الكتب التراثية بشانغهاي، سنة ١٩٩٧ م. «周礼- 远古的理想» 冯绍霆
- ١٩- سلسلة أسيرة كونفوشيوس وخريته، كونفو، دار طباعة المكتبة الصينية، سنة ٢٠٠٩ م.
- «孔丛子» 孔鲋 (西汉)
- ٢٠- شرح الألفاظ وبيان الكلم، ل"شيو شين" ٥٨ م-١٤٧ م، الصفحة ٤٦، مطبعة الكتب التراثية بشانغهاي الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣ م. «说文解字» 许慎 (东汉)
- ٢١- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، دار الكتب "تشى لو" الطبعة الثاني، سنة ١٩٩٢.
- «四书集注» 朱熹 (南宋)
- ٢٢- الشرح والتعلق كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، جالغ جو جنغ، دار الكتب و المعاجم بشانغهاي، الطبعة الأولى السنة ٢٠٠٧ م. (明) 张居正讲评 «大学·中庸»
- ٢٢- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، دار الطباعة بجامعة فر دان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ م. «大学直解 中庸直解» 来可滋

- ٢٤- فكرة جديدة في مذهب الكونفوشيوسية، فونغ يونغ تيمونغ، دار الطباعة بجامعة بكين، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩ م. «儒学新思» 龚鹏程
- ٢٥- القراءة الدقيقة في كتاب منشوس، شوي خونغ شين، دار الطباعة بجامعة فو دان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠ م. «孟子精读» 徐洪兴
- ٢٦- كتاب شيون تيسي، شيون تيسي، دار الطباعة بجامعة نان جينغ ١٩٩٧.
- «荀子» 荀况 (战国)
- ٢٧- الكونفوشيوسية الأصولية - مجموعات جديدة لـ "شونغ شي لي"، دار الطباعة بجامعة الصين الشعبية، سنة ٢٠٠٦ م. «原儒» 熊十力
- ٢٨- الكونفوشيوسية المتجددة المعاصرة - مجموعة الرسائل الثقافية الصينية، بتحرير فونغ زو شينغ، مكتب سان ليان ببكين، سنة ١٩٨٩ م. «当代新儒家» 封祖盛编
- ٢٩- كتاب تاريخ الصين، باي شوي، دار الطباعة الشعبية بمدينة شانغهاي سنة ١٩٩٧ م.
- «中国历史» 白寿彝
- ٣٠- مجموعة ميسرة للكتب الكلاسيكية الصينية، لجنة التحرير دار الطباعة لمجموعة ميسرة للكتب الكلاسيكية الصينية للمهاجرين الصينيين ببكين، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م.
- «国学经典一本通» 国学经典一本通编委会 编著
- ٣١- المبشرون وترجمة الكتب الدينية الصينية، جوي شو يانغ، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة سي تشوان سنة ١٩٩٩ م. «福音传教士与中国宗教典籍的翻译» 朱述言
- ٣٢- الكونفوشيوسية وأديان الصين، جيانغ جيان، دار الطباعة لثروات الصين، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣ م. «儒学与中国宗教» 张践

٣٣- مجامع الشرح والتعلق للكتب الثلاثة عشر، بتحرير كونغ بينغ دا، دار مكتبة الصين،

الطبعة الأولى سنة ٢٠١١ م. «ثلاثين مائة» 孔颖达 (唐)

٣٤- مجموعة الأحاديث للعلامة "جوشي"، دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م.

«تاريخ لسان» 朱熹 (南宋)

٣٥- المحاضرات في تاريخ الصين - فترة الربيع والخريف، وانغ قوي مينغ وياتغ شينغ نانغ،

دار الطباعة لإذاعة الصين الدولية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧ م.

«تاريخ الصين - تاريخ لسان» 王贵民 应永深 杨升南

٣٦- موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعية بشانغهاي، رئيس التحرير جيانغ دي

نيان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠ م. «تاريخ الفلسفة» 张岱年主编

٣٧- منهاج الوسطية والاعتدال - حكمة الإنسان العليا، جينغ رون وآه، من كوريا الجنوبية،

بترجمة جينغ تي تشنغ، دار الطباعة والنشر لمقاطعة هاي نان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢ م.

«تاريخ الإنسان - حكمة الإنسان العليا» 金容沃著 (韩) 金泰成译

٣٨- منهاج الوسطية والاعتدال، لي يي ريان، دار الطباعة لإذاعة الصين والتلفزيون بيكين،

الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢ م. «تاريخ الإنسان - حكمة الإنسان العليا» 李一冉

٣٩- منشور وتلميذه "لي ليو"، نانغ هوى جينغ، دار الطباعة الشرقية الطبعة الأولى ٢٠١٣ م.

«تاريخ الإنسان - حكمة الإنسان العليا» 南怀瑾

ثانياً: الكتب باللغة العربية

- ١- كتب الحديث النبوي الشريف.
- ٢- ألف باء الإسلام، الإمام أبو الأعلى المودودي، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م.
- ٣- الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام أبو حامد الغزالي، دار قتيبة دمشق ٢٠٠٣ م.
- ٤- تصارع الحضارات، صموئيل هانتينغتون، ترجمة وتقديم الدكتور عبد الفتاح الندوة، المجلة السادسة، العدد الأول، ١٩٩٥ م.
- ٥- خلق المسلم، محمد الغزالي، دار القلم- دمشق، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨٦ م.
- ٦- العقيدة والاخلاق في الإسلام، الدكتور سامي عفيفي حجازي، مكتبة الإيمان ٢٠٠٦.
- ٧- القرآن والكون، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩١ م.
- ٨- كتاب الحوار ترجمة من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، محمد مكي، دار هوانتشونغ للنشر بقوانغتشو، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩ م.
- ٩- كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية - رسالة نيل الدرجة الدكتوراه بجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، زهرة الدين طيب (Ma XiaoPei) ٢٠٠٣ م.
- ١٠- الملل والنحل للشهرستاني، بتحقيق محمد سيد كياني، الطبعة الثانية، دار المعرفة بيروت.
- ١١- المعجم الوسيط، مكتب نشر الثقافة الإسلامية- كرانشي، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٢ هـ.
- ١٢- الموارد الحديث، قاموس انكليزي - عربي، منير البعلبكي، د. رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين ٢٠٠٩ م.
- ١٣- المسلمون والخريطة الدينية العالمية المعاصرة، الدكتور دين محمد، مطبعة مجمع البحوث الإسلامية - الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م.

- ١٤ - الفرد والمجتمع في الكونفوشيوسية (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) - رسالة لنيل درجة الماجستير بجامعة الإسلامية العالمية (إسلام آباد، مريم سليمان (MA YUEXIANG) ٢٠٠٣م.
- ١٥ - عالم الأديان بين الأساطير والحقيقة، فوزى محمد حميد، دار حطين للدراسات والترجمة - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

ثالثاً: الكتب باللغة الإنجليزية :

١. The Four Books Translated by James Legge, Published by Hunan Publishing House in 1992.
٢. The Encyclopedia of Religion Editor in Chief, Mircea Eliade Macmillan Publishing Company 1987.
٣. The Sacred Books of the East edited by Max Müller, Published by the Oxford University Press between 1897 and 1910.
٤. An Insight of Chung yong, in English, by Du WeiMing, translated by Duan DeZhi into Chinese, Published by Bei Jing Peoples Publishing House 2008.
٥. A Globle History: From Prehitory to the 21 st Century, 7th edition, by L.S.Stavrianos, published by arrangement with the original publisher, Pearson Education Publishing as Prentice HallIne 1999.
٦. The Religious Traditions of Aasia. By Joseph M. Kitagawa, Published by RoutledgeCurzon, London, 2002.

فهارس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	١
الشكر والتقدير	٢-٤
المقدمة	٥-١٤
أ- أسباب اختيار الموضوع وأهميته	٦-٩
ب- منهج البحث وأهم المصادر المعتمدة في الترجمة والشرح	٩-١٢
ت- أهم المشاكل التي واجهتني في أثناء الترجمة والشرح	١٢-١٤
التمهيد	١٥-٣٦
المبحث الأول: لمحة عامة لتطورات مذهب الكونفوشيوسية في تاريخ الصين	١٥-٢٣
أ- فترة النشأة والتأسيس	١٥-١٦
ب- فترة التطور والازدهار في عهد لأميرة "هان"	١٧
ت- فترة التلخيص الشامل وحركة استيعاب التحدي الهودي	١٧-١٨
ث- فترة التجديد والإصلاح في عهدي الأسرة "سونغ" والأسرة "مينغ"	١٩-٢٠
ج- فترة الانحطاط والتخلف الفكري في عهد الأسرة "تشنغ"	٢٠-٢١
ح- فترة النهضة الثقافية والتحديث الفكري في العهد للمعاصر	٢١-٢٣
المبحث الثاني: المؤلف "تس سي" وكتاب الوسطية والاعتدال	٢٣-٣٦
المطلب الأول: تعريف المؤلف "تس سي"	٢٣-٢٦
أ- مولده وحياته العلمية	٢٣-٢٤
ب- نبذة عن حياة المؤلف "تس سي" التعليمية وتلقيه من جده الأستاذ كونفوشيوس	٢٤-٢٥
ت- عفا "تس سي" وفزائته عن السيامنة والمنصب	٢٥
ث- أعمال "تس سي" في التأليف والتصنيف	٢٥-٢٦
ج- وفاة المؤلف "تس سي"	٢٦

المطلب الثاني : تعريف كتاب الوسطية والاعتدال.....	٢٦-٢٦
أ- تأليفه وأهميته بين الكتب المقدسة الكونفوشيوسية.....	٢٦-٢٨
ب- آراء العلماء في نسبة كتاب للوسطية والاعتدال إلى شيخ " تشي سي ".....	٢٨-٣٠
ت- محتويات كتاب الوسطية والاعتدال.....	٣٠-٣١
ث- أشهر الشروح والتعليقات لكتاب الوسطية والاعتدال.....	٣١-٣٣
ج- الأعمال السابقة في ترجمة الكتب المقدسة الكونفوشيوسية عند الغرب والعالم الإسلامي.....	٣٣-٣٦
الفصل الأول.....	٣٧-٧٠
الفصل الثاني.....	٧١-٧٤
الفصل الثالث.....	٧٥-٧٦
الفصل الرابع.....	٧٧-٧٩
الفصل الخامس.....	٨٠-٨١
الفصل السادس.....	٨٢-٨٥
الفصل السابع.....	٨٦-٨٩
الفصل الثامن.....	٩٠-٩٢
الفصل التاسع.....	٩٣-٩٦
الفصل العاشر.....	٩٧-١٠١
الفصل الحادي عشر.....	١٠٢-١٠٦
الفصل الثاني عشر.....	١٠٧-١١٤
الفصل الثالث عشر.....	١١٥-١٢٢
الفصل الرابع عشر.....	١٢٣-١٢٧

١٢٨-١٣١	الفصل الخامس عشر
١٣٢-١٣٥	الفصل السادس عشر
١٣٦-١٤٠	الفصل السابع عشر
١٤١-١٤٩	الفصل الثامن عشر
١٥٠-١٥٨	الفصل التاسع عشر
١٥٩-٢٠٤	الفصل العشرون
٢٠٥-٢٠٦	الفصل الواحد والعشرون
٢٠٦-٢٠٩	الفصل الثاني والعشرون
٢١٠-٢١٤	الفصل الثالث والعشرون
٢١٥-٢١٨	الفصل الرابع والعشرون
٢١٩-٢٢٣	الفصل الخامس والعشرون
٢٢٤-٢٢٣	الفصل السادس والعشرون
٢٢٤-٢٤٠	الفصل السابع والعشرون
٢٤١-٢٤٧	الفصل الثامن والعشرون
٢٤٨-٢٥٤	الفصل التاسع والعشرون
٢٥٥-٢٦٠	الفصل الثلاثون
٢٦١-٢٦٧	الفصل الواحد والثلاثون
٢٦٨-٢٧١	الفصل الثاني والثلاثون
٢٧٢-٢٩٠	الفصل الثالث والثلاثون

الموضوع	الصفحة
الخاتمة.....	٢٩١-٣٠٩
أهم نتائج البحث والدراسة.....	٢٩١-٢٩٣
الجوانب المبتكرة والجديدة في البحث.....	٢٩٤-٢٩٥
التعليق.....	٢٩٥-٢٩٨
التوصيات.....	٢٩٨-٣٠٢
قائمة المصادر والمراجع.....	٣٠٣-٣٠٩
فهارس الموضوعات.....	٣١٠-٣١٣

